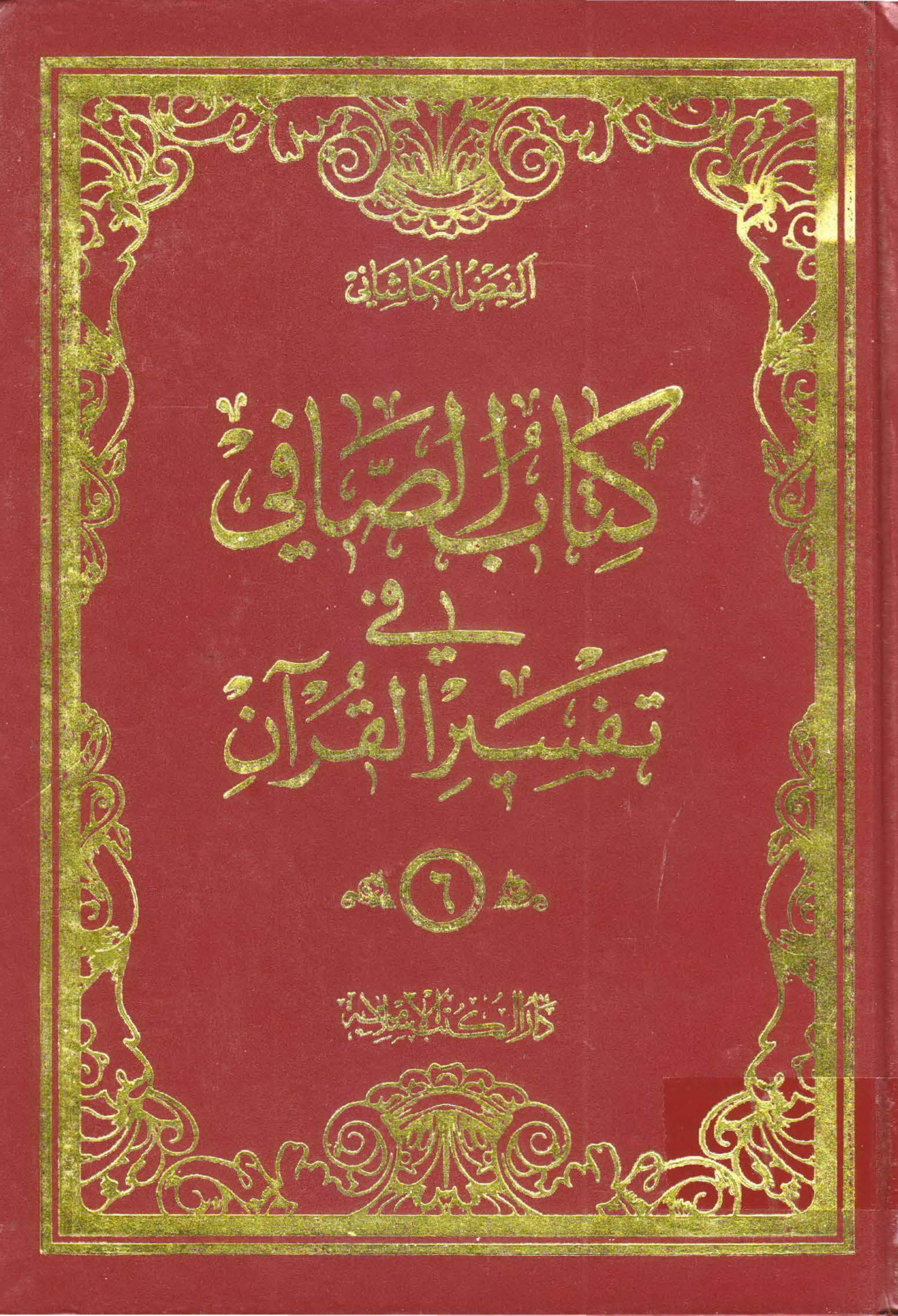
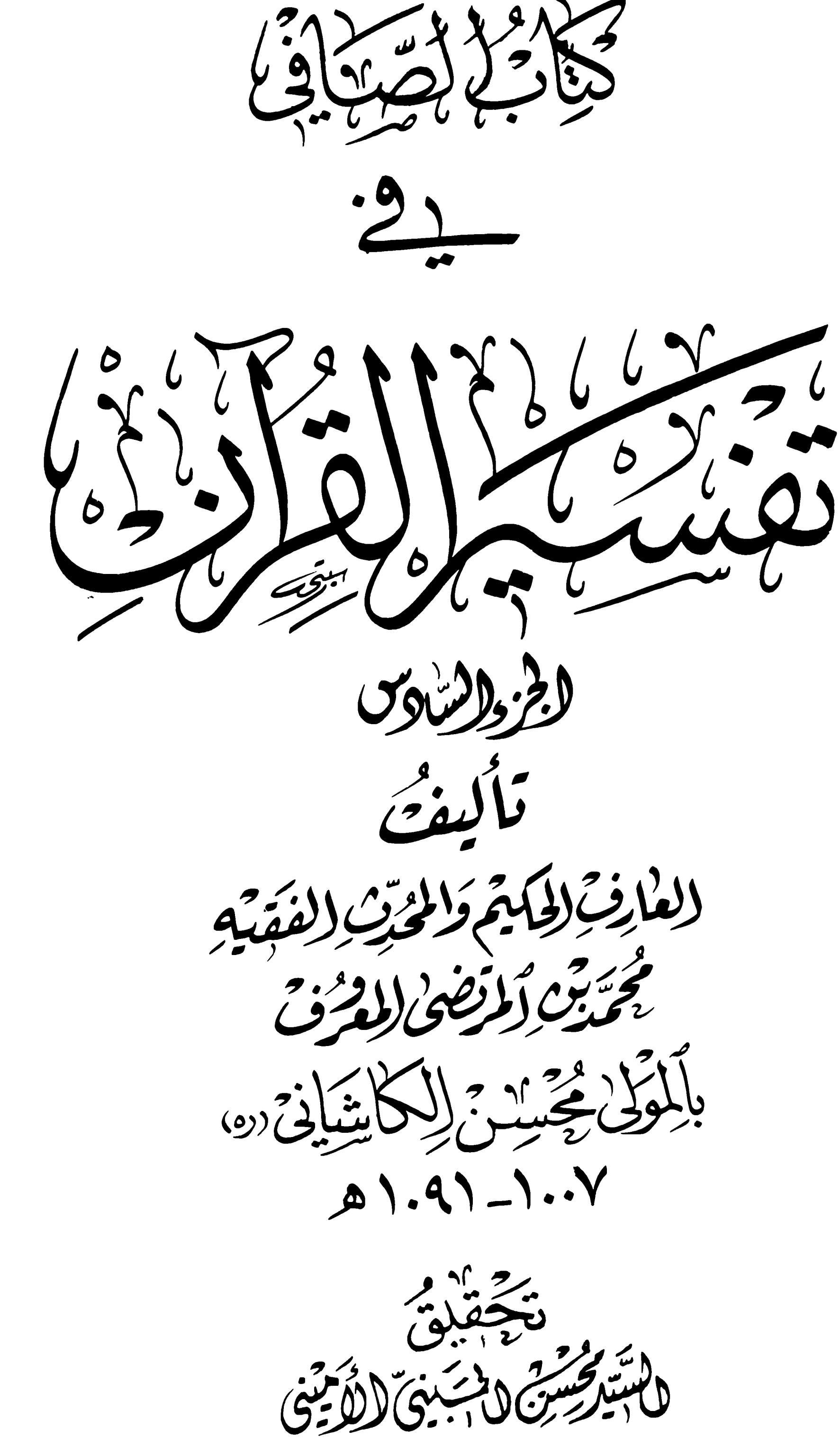


الفيض الكاشاني
كتاب الصافي في تفسير القرآن
٦
دار الكتب الإسلامية



كتاب الصافي

في

تفسير القرآن

الجزء السادس

تأليف

العارف الحكيم والمحدث الفقيه

محمد بن المرتضى المعروف

بالمولى محسن الكاشاني (ره)

١٠٠٧-١٠٩١ هـ

تحقيق

السيد محسن الحسيني الأميني



﴿الجزء السادس﴾

※ هوية الكتاب:

※ اسم الكتاب: كتاب الصافي في تفسير القرآن.

※ المؤلف: العارف الحكيم والمحدّث الفقيه محمد بن مرتضى المدعو بـ«المولى محسن» الملقب بالفيض الكاشاني.

※ تحقيق: العلّامة السيد محسن الحسيني الأميني.

※ الطبعة الأُولى ـ ١٤١٩ هـ ـ ١٣٧٧ ش.

※ المطبعة: مروى.

※ الكميّة: ٢٠٠٠

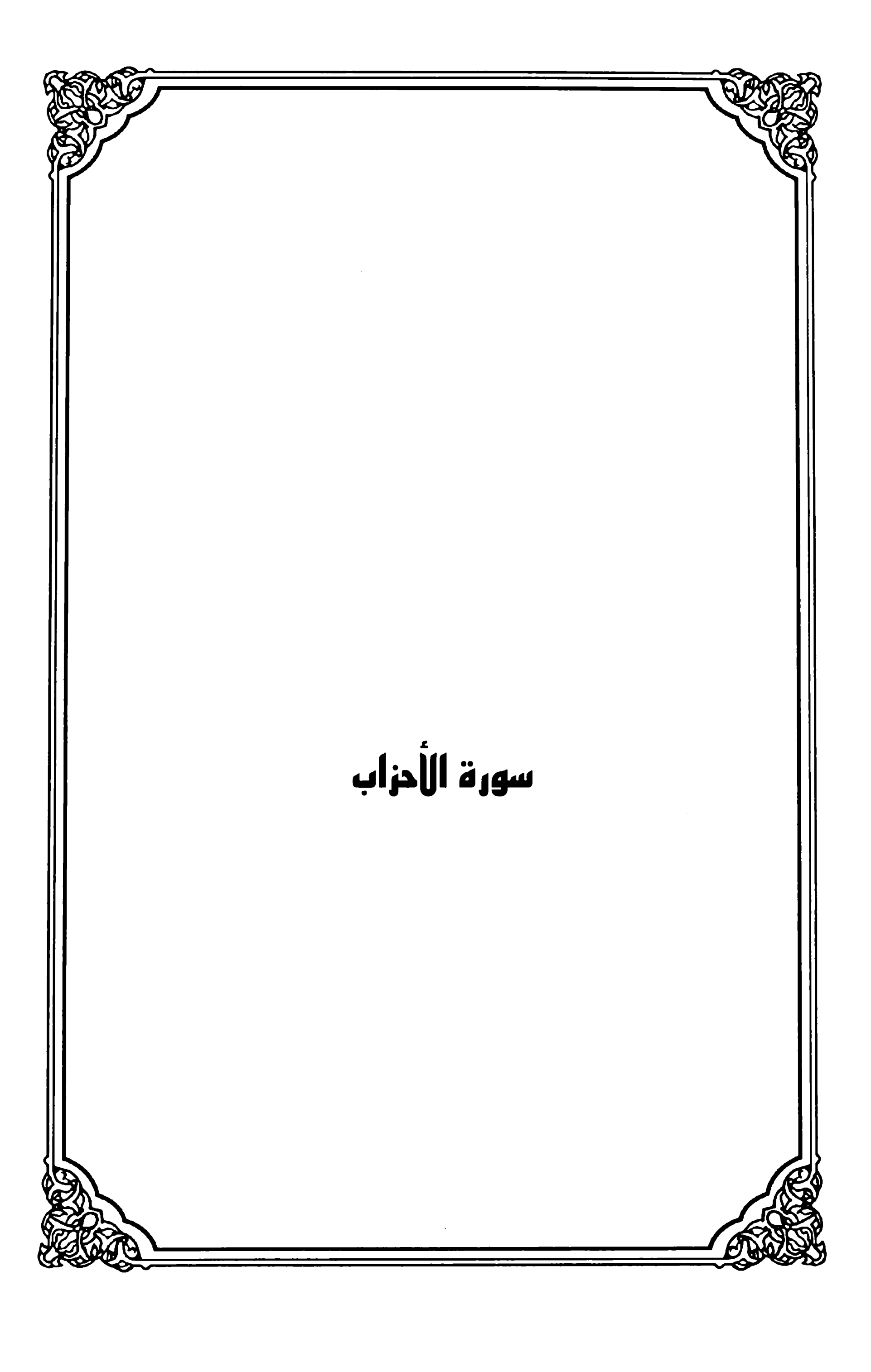
※ الناشر: دارالكتب الإسلاميّة ـ ايران ـ طهران ـ بازار سلطاني رقم ٩٩

※ تلفون: ٥٦٢٧٤٤٩ ـ ٥٦٢٠٤١٠ فاكس: ٣٩١٦٩٤٤

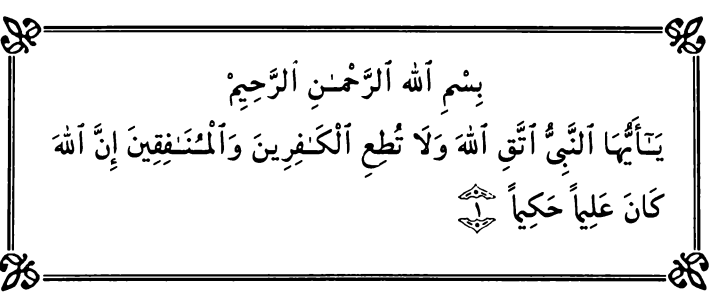
※ شابك الجزء السادس: ٩٦٤ـ٤٤٠ـ٠٨٥.. ISBN: 964 - 440 - 085

※ شابك الدورة الكاملة سبعة أجزاء: ٩ـ٠٨٧ـ٤٤٠ـ٩٦٤

ISBN - SFT: 964 - 440 - 087 - 9 VOL: 7.



سورة الأحزاب



سورة الأحزاب: مدنيّة وهي ثلاث وسبعون آية بالإجماع.



﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾: القمّي: وهذا هو الذي قال الصادق عليه السلام: إنّ الله بعث نبيّه صلى الله عليه وآله بإيّاك أعني واسمعي يا جارة، فالمخاطبة للنبي صلى الله عليه وآله والمعنى للناس[1].

في المجمع: نزلت في أبي سفيان بن حرب، وعكرمة بن أبي جهل، وأبي الأعور السلمي، قدموا المدينة ونزلوا على عبدالله بن أُبي بعد غزوة أُحد بأمان من رسول الله صلى الله عليه وآله ليكـلّموه، فقاموا وقام معهم عبدالله بن أُبي، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح، وطعمة بن أُبيرق، فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا محمد ارفض ذكر آلهتنا اللات، والعزى، ومنات، وقل: إنّ لهـا شفاعة لمن عبدها وندعك وربّك، فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عمر بن الخطاب: إئذن لنا يا رسول الله في قتلهم، فقال: إني أعطيتهم الأمان، وأمر صلى الله عليه وآله فأُخرجوا من المدينة، ونزلت الآية: «وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ» من أهل مكة: أبا سفيان، وأبا الاعور، وعكرمة «وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ» ابن أُبي، وابن سعد وطعمة[2].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٧١، س ١٤.

٢ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٣٣٥، في شأن النزول.

وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔي تُظَـٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَـٰتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيماً﴾: بالمصالح والمفاسد.

﴿حَكِيماً﴾: لا يحكم إلّا بما يقتضيه الحكمة.

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾: وقرئ بالياء.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً * مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾: ما جمع قلبين في جوف، رد لما زعمت العرب من أن اللبيب الأريب له قلبان.

في المجمع: نزلت في أبي معمر حميد بن معمر بن حبيب الفهري، وكان لبيباً حافظاً لما يسمع، وكان يقول: إنّ في جوفي لقلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد صلّى الله عليه وآله، وكانت قريش تسميه ذا القلبين، فلما كان يوم بدر وهزم المشركون، وفيهم أبو معمر تلقّاه أبو سفيان بن حرب وهو آخذ بيده إحدى نعليه والأخرى في رجله، فقال له: يا أبا معمر ما حال الناس؟ قال: انهزموا، قال: فما بالك إحدى نعليك في يدك والأُخرى في رجلك؟ فقال أبو معمر: ما شعرت إلّا أنهما في رجلي فعرفوا يومئذ أنّه لم يكن له إلّا قلب واحد لما نسي نعله في يده[1].

والقمّي: عن الباقر عليه السلام قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: لا يجتمع حبنا وحب عدونا في جوف انسان، إنّ الله لم يجعل لرجل قلبين في جوفه فيحب بهذا ويبغض بهذا، فأمّا محبّنا فيخلص الحبّ لنا كما يخلص الذهب بالنار لا كدر فيه، فمن أراد أن يعلم حبّنا فليمتحن قلبه

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٣٣٦، س١١.

فإن شارك في حبّنا حب عدونا فليس منّا ولسنا منه، والله عدوهم، وجبرئيل وميكائيل، والله عدو للكافرين[١].

وفي الأمالي: ما يقرب منه[٢].

وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام ما جعل الله لرجل من قلبين يحب بهذا قوماً ويحب بهذا أعداءهم[٣].

وفي مصباح الشريعة: عنه عليه السلام فمن كان قلبه متعلّقاً في صلاته بشيء دون الله فهو قريب من ذلك الشيء بعيد عن حقيقة ما أراد الله منه في صلاته ثم تلا هذه الآية[٤].

﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّـٰٓئِى﴾: وقرئ بالياء وحده بدون الهمزة.

﴿تُظَـٰهِرُونَ مِنْهُنَّ﴾: وقرئ بضم التاء وتشديد الظاء، وبحذف الألف وتشديد الظاء والهاء.

﴿أُمَّهَـٰتِكُمْ﴾: وما جمع الزوجيّة والأُمومة في إمرأة، ردّ لما زعمت العرب أن من قال لزوجته: أنت عليّ كظهر أمي صارت زوجته كالأُم له، ويأتي تمام الكلام فيه في سورة المجادلة إن شاء الله.

﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾: وما جمع الدعوة والبنوّة في رجل، ردّ لما زعمت العرب إن دعي الرجل ابنه، ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبي ـ عتيق رسول الله صلى الله عليه وآله ـ: ابن محمّد صلى الله عليه وآله.

القمّي: عن الصادق عليه السلام قال: كان سبب ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما تزوج بخديجة بنت خويلد خرج إلى سوق عكاظ في تجارة لها، ورأى زيداً يباع ورآه غلاماً كيّساً حصيفاً[٥] فاشتراه، فلمّا نبّيء رسول الله صلى الله عليه وآله دعاه إلى الإسلام فأسلم، وكان يدعى زيد مولى محمد صلى الله عليه وآله،

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٧١، س ١٨.

٢ ـ الأمالي للشيخ الطوسي: ص ١٤٨، ح ٢٤٣/٥٦، المجلس الخامس.

٣ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٣٣٦، س ١٩.

٤ ـ مصباح الشريعة: ص ٩٢، باب الواحد والأربعون في السجود.

٥ ـ الحصف: الجرب اليابس. وقد حصف جلده بالكسر ـ يحصف من باب تعب حصفاً إذا خرج به بثر صغار كالجدري. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣٨، مادة «حصف».

فلما بلغ حارثة بن شراحيل الكلبي خبر ولده زيد قدم مكة، وكان رجلاً جليلاً فأتى أبا طالب، فقال: يا أبا طالب إن ابني وقع عليه السبي وبلغني أنه صار إلى ابن أخيك، نسأله[1] إما أن يبيعه، وإمّا أن يفاديه، وإمّا أن يعتقه، فكلّم أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هو حر فليذهب حيث شاء، فقام حارثة فأخذ بيد زيد، فقال له: يا بني إلحق بشرفك وحسبك، فقال زيد: لست أُفارق رسول الله صلى الله عليه وآله أبداً، فقال له أبوه: فتدع حسبك ونسبك وتكون عبداً لقريش، فقال زيد: لست أُفارق رسول الله ما دمت حياً، فغضب أبوه وقال: يا معشر قريش اشهدوا إني قد برئت منه، وليس هو ابني، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اشهدوا أن زيداً ابني أرثه ويرثني، فكان يدعى زيد بن محمد صلى الله عليه وآله، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يحبّه وسمّاه زيد الحب، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة زوجه زينب بنت جحش وأبطأ عنه يوماً فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله منزله يسأل عنه فإذا زينب جالسة وسط حجرتها تسحق طيباً بفهر لها فدفع رسول الله صلى الله عليه وآله الباب فنظر إليها، وكانت جميلة حسنة، فقال: سبحان الله خالق النور، وتبارك الله أحسن الخالقين، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى منزله ووقعت زينب في قلبه موقعاً عجيباً، وجاء زيد إلى منزله فأخبرته زينب بما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال لها زيد: هل لك أن أُطلّقك حتّى يتزوّجك رسول الله صلى الله عليه وآله فلعلّك قد وقعت في قلبه؟ فقالت: أخشى أن تطلّقني ولا يتزوجني رسول الله صلى الله عليه وآله فجاء زيد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أخبرتني زينب بكذا وكذا فهل لك أن أُطلّقها حتى تتزوجها؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: لا إذهب واتق الله وأمسك عليك زوجك، ثم حكى الله عزّ وجلّ فقال: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَـٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَـٰكَهَا» إلى قوله: «وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولاً»[2] فزوّجه الله تعالى من فوق عرشه، فقال المنافقون: يحرّم علينا نساء أبنائنا ويتزوج إمرأة ابنه زيد، فأنزل الله عزّ وجلّ في هذا: «وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ» إلى قوله «يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ»[3].

أقول: وتأتي قصة تزويج زينب من رسول الله صلى الله عليه وآله بنحو آخر في هذه السورة إن شاء الله.

---

١ ـ وفي المصدر: «فسله».

٢ ـ الأحزاب: ٣٧.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٧٢ ـ ١٧٥.

ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾: لا حقيقة له، كقول من يهذي.

﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾: ماله حقيقة.

﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾: سبيل الحق.

﴿ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ﴾: انسبوهم إليهم.

﴿هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: أعدل، أُريد به مطلق الزيادة لا التفضيل، ومعناه البالغ في الصدق.

﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ﴾: لتنسبوهم إليهم.

﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾: فهم إخوانكم في الدين.

﴿وَمَوَٰلِيكُمْ﴾: وأولياؤكم فيه، فقولوا: هذا أخي ومولاي بهذا التأويل.

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾: ولا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهي أو بعده على النسيان أو سبق اللسان.

﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: يعفو عن المخطيء.

﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾: يعني أولى بهم في الأُمور كلها فإنه لا يأمرهم ولا يرضى منهم إلّا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك أطلق فيجب

عليهم أن يكون أحب إليهم من أنفسهم، وأمره أنفذ عليهم من أمرها، وشفقتهم عليه أتم من شفقتهم عليها.

في المجمع: عن النبي صلى الله عليه وآله إنه لما أراد غزوة تبوك وأمر الناس بالخروج قال قوم: نستأذن آبائنا وأمهاتنا فنزلت هذه الآية[١].

وعن الباقر والصادق عليهما السلام: أنّهما قرءا وأزواجه أُمهاتهم وهو أب لهم[٢].

والقمّي: قال: نزلت وهو أب لهم[٣].

أقول: يعني في الدين والدنيا جميعاً، أما في الدين فإنّ كل نبي أب لأُمّته من جهة أنّه أصل فيما به الحياة الأبديّة، ولذلك صار المؤمنون إخوة.

وورد أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: أنا وعلي أبوا هذه الأُمّة[٤]، كما مرّ في سورة البقرة[٥].

وذلك لأنّهما في هذا المعنى سواء إلّا أن علياً عليه السلام بعد النبي، وأما في الدنيا فلإلزام الله إيّاه مؤنتهم، وتربية أيتامهم ومن يضيع منهم.

القمّي: جعل الله عزّ وجلّ المؤمنين أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله، وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله أباهم لمن لم يقدر أن يصون نفسه، ولم يكن له مال، وليس له على نفسه ولاية، فجعل الله تعالى لنبيّه الولاية على المؤمنين، وجعله أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وهو قول رسول الله صلى الله عليه وآله بغدير خم: «أيها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى» ثم أوجب لأمير المؤمنين عليه السلام ما أوجبه لنفسه عليهم من الولاية، فقال: «ألا من كنت مولاه فعلي مولاه»، فلمّا جعل الله النبي صلى الله عليه وآله أباً للمؤمنين ألزمه مؤنتهم وتربية أيتامهم فعند ذلك صعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر فقال: من ترك مالاً فلورثته، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فعليّ وإليّ فألزم الله نبيه للمؤمنين ما يلزم الوالد للولد، وألزم المؤمنين من الطاعة له ما يلزم الولد للوالد فكذلك ألزم أمير المؤمنين عليه السلام ما ألزم رسول الله صلى الله عليه وآله من بعد ذلك وبعده الأئمّة صلوات الله عليهم واحداً واحداً، قال: والدليل على أنّ

---

١ و ٢ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٣٣٨. ٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص١٧٥، س ١٠.

٤ ـ عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٨٥، ح ٢٩، ومعاني الأخبار: ص٥٢، ح٣، باب ٢٧، وعلل الشرائع: ص١٢٧، ح٢، باب ١٠٦، واكمال الدين: ص٢٦١، ح٧، باب٢٤.

٥ ـ ذيل الآية: ٨٣، راجع ج ١، ص ٢٢٣ من كتابنا تفسير الصافي.

رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام هما والدان قوله: «وَٱعْبُدُوْا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوْا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً»[1] فالوالدان: رسول الله ﷺ، وأمير المؤمنين عليه السلام[2].

وقال الصادق عليه السلام: فكان اسلام عامّة اليهود بهذا السبب لأنهم أمنوا على أنفسهم وعيالاتهم[3].

وفي العلل: عن الكاظم عليه السلام أنه سئل لم كنّي النبي ﷺ بأبي القاسم؟ فقال: لأنه كان له ولد يقال له القاسم فكني به، فقال السائل: يابن رسول الله فهل تراني أهلاً للزيادة؟ فقال: نعم، أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: أنا وعلي أبوا هذه الأُمّة؟ قال: بلى، قال: أما علمت أن رسول الله ﷺ أب لجميع اُمّته، وعلي منهم؟ قال: بلى، قال: أما علمت أن علياً عليه السلام قاسم الجنة والنار؟ قال: بلى قال: فقيل له: أبو القاسم لأنه أبو قاسم الجنة والنار، قال: وما معنى ذلك؟ فقال: إن شفقة النبي ﷺ على اُمّته كشفقة الآباء على الأولاد، وأفضل اُمّته علي عليه السلام، ومن بعده شفقة علي عليه السلام عليهم كشفقته لأنّه وصيّه وخليفته والإمام من بعده، فلذلك قال: أنا وعلي أبوا هذه الأُمّة، وصعد النبي ﷺ المنبر فقال: من ترك ديناً أو ضياعاً فعلي وإلي، ومن ترك مالاً فلورثته، فصار بذلك أولى من آبائهم واُمّهاتهم، وصار أولى بهم منهم بأنفسهم، وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام بعده جرى ذلك له مثل ما جرى لرسول الله ﷺ [4].

وفي الكافي: عن سليم بن قيس، قال: سمعت عبدالله بن جعفر الطيار يقول: كنّا عند معاوية أنا والحسن والحسين عليهما السلام، وعبدالله بن عباس، وعمر بن اُم سلمة، واُسامة بن زيد، فجرى بيني وبين معاوية كلام، فقلت لمعاوية: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم أخي علي بن أبي طالب أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد فالحسن بن علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم ابني الحسين من بعده أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فاذا استشهد فإبنه علي بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وستدركه يا علي، ثم ابنه محمد بن علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وستدركه يا حسين، ثم تكمله اثني عشر إماماً تسعة من ولد الحسين عليهما السلام قال عبدالله بن جعفر: واستشهدت الحسن، والحسين، وعبدالله بن عباس، وعمر

---

١ ـ النساء: ٣٦.   ٢ و ٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٧٦، س ٨ و ١٠.

٤ ـ علل الشرائع: ص ١٢٧، ح ٢، باب ١٠٦ ـ العلة التي من أجلها سمي النبي ﷺ محمداً وأحمد وأبا القاسم.

بن أُم سلمة، وأُسامة بن زيد، فشهدوا لي عند معاوية، قال سليم: وقد سمعت ذلك من سلمان، وأبي ذر، والمقداد، وذكروا أنه سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله[١].

وعن الصادق عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال: أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، وعلي أولى به من بعدي، فقيل له: ما معنى ذلك؟ فقال: قول النبي صلى الله عليه وآله: من ترك ديناً أو ضياعاً فعليّ، ومن ترك مالاً فلورثته، فالرجل ليست له على نفسه ولاية إذا لم يكن له مال، وليس له على عياله أمر ولا نهي إذا لم يجر عليهم النفقة، والنبي وأمير المؤمنين ومن بعدهما سلام الله عليهم ألزمهم هذا، فمن هناك صاروا أولى بهم من أنفسهم، وما كان سبب اسلام عامة اليهود إلّا من بعد هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وآله وأنهم أمنوا على أنفسهم وعيالاتهم[٢].

وفي نهج البلاغة: في حديث له قال: فوالله إني لأولى الناس بالناس[٣].

﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ﴾: منزلات منزلتهن في التحريم مطلقاً، وفي استحقاق التعظيم ما دمن على طاعة الله.

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام في حديث وأزواج رسول الله صلى الله عليه وآله في الحرمة مثل أُمهاتهم[٤].

وفي الاكمال عن القائم عليه السلام انه سئل عن معنى الطلاق الذي فوّض رسول الله صلى الله عليه وآله حكمه إلى أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال: إن الله تقدس اسمه عظم شأن نساء النبي صلى الله عليه وآله فخصّهنّ بشرف الأُمهات، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبا الحسن إن هذا الشرف باق ما دمن على الطاعة فأيّتهن عصت الله بعدي بالخروج عليك فأطلقها في الأزواج، وأسقطها من تشرّف الأُمهات ومن شرف أُمومة المؤمنين[٥].

﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾: في حكمه المكتوب.

القمّي: قال: نزلت في الإمامة[٦].

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ٥٢٩، ح ٤، باب ما جاء في الاثني عشر والنص عليهم، عليهم السلام.

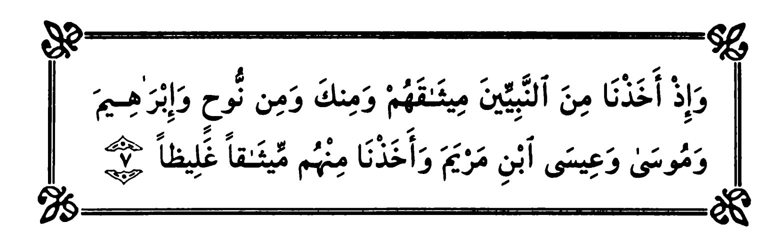
٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٠٦، ح ٦، باب ما يجب من حق الامام على الرعية وحق الرعية على الامام.

٣ ـ نهج البلاغة: ص ١٧٥، الخطبة ١١٨.

٤ ـ الكافي: ج ٥، ص ٤٢١، ح ٤، باب آخر منه وفيه ذكر أزواج النبي صلى الله عليه وآله.

٥ ـ اكمال الدين واتمام النعمة: ص ٤٥٩، س ١١، قطعة من ح ٢١، باب ٤٣.

٦ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٧٦، س ١٢.



وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية فيمن نزلت؟ قال: نزلت في الإمرأة إن هذه الآية جرت في ولد الحسين عليه السلام من بعده فنحن أولى بالأمر وبرسول الله صلى الله عليه وآله من المهاجرين والأنصار(١).

أقول: وقد مضت هذه الآية بعينها في آخر سورة الأنفال(٢) وأنّها نزلت في نسخ التوارث بالهجرة والنصرة، والتوفيق بنزول هذه الآية في الإمرة، وتلك في الميراث لا يلائم الاستثناء في هذه الآية ولا ما يأتي في بيانه إلّا أن يقال: إن الإمرة تأويل كما يستفاد مما يأتي، نقلاً من العلل عند قوله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ»(٣) الآية وبالتعميم في الآيتين يرتفع التخالف.

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ﴾: صلة لأولي الأرحام أي أولوا الأرحام بحق القرابة أولى بالإمرة أو بالميراث من المؤمنين بحق الدين، والمهاجرين بحق الهجرة، وإن حملنا الآية على الميراث احتمل أيضاً أن يكون بياناً لأُولي الأرحام.

﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفاً﴾: يعني به التوصية.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام انه سئل أي شيء للموالي؟ فقال: ليس لهم من الميراث إلّا ما قال الله عزّ وجلّ: «إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفاً»(٤).

﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُوراً﴾: أي ماذكر في الآيتين في اللوح ثابت كذا قيل(٥).

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾: مقدّر باذكر.

﴿مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ

---

١ ـ الكافي: ج١، ص٢٨٨، ح٤، باب ما نص الله عزّ وجلّ ورسوله على الأئمة عليهم السلام واحداً فواحد.

٢ ـ ذيل الآية: ٧٥. ٣ ـ الأحزاب: ٣٣.

٤ ـ الكافي: ج٧، ص١٣٥، ح٣، باب ميراث ذوي الأرحام مع الموالي.

٥ ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص٢٣٩، س١٨.

لِّيَسْئَلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً ﴿٨﴾ يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ ٱللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ ٱلظُّنُونَاْ ﴿١٠﴾

مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقاً غَلِيظاً﴾: القمّي: قال: هذه الواو زيادة في قوله «وَمِنكَ» إنّما هو منك ومن نوح فأخذ الله عزّ وجلّ الميثاق لنفسه على الأنبياء، ثم أخذ لنبيه صلى الله عليه وآله على الأنبياء والأئمّة عليهم السلام، ثمّ أخذ للأنبياء على رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

﴿لِّيَسْئَلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾: أي فعلنا ذلك ليسئل الله يوم القيامة الأنبياء الذين صدقوا عهدهم فيظهر صدقهم.

﴿وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً﴾: كأنّه قيل: فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين.

﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾: يعني الأحزاب وهم قريش، وغطفان، ويهود قريظة، والنضير.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً﴾: ريح الدبور، كما يأتي ذكره.

﴿وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا﴾: الملائكة.

﴿وَكَانَ ٱللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾: من حفر الخندق، وقرئ بالياء يعني من التحزب والمحاربة.

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾: من أعلى الوادي.

﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾: من أسفل الوادي.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٧٦، س ١٣.

هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيداً ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُواْ وَيَسْتَئْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً ﴿١٣﴾

﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾: مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصاً.

﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾: رعباً فان الريّة تنتفخ من شدة الروع فترتفع بارتفاعها إلى رأس الحنجرة، وهي منتهى الحلقوم.

﴿وَتَظُنُّونَ بِاللهِ ٱلظُّنُونَا﴾: الأنواع من الظن، وقرئ بحذف الألف في الوصل ومطلقاً.

﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: اختبروا فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل.

﴿وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيداً﴾: من شدة الفزع.

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: من الظفر وإعلاء الدين.

﴿إِلَّا غُرُوراً﴾: وعداً باطلاً.

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ﴾: أهل مدينة.

﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾: لا موضع قيام لكم هاهنا، وقرئ بضم الميم على أنه مكان أو مصدر من الإقامة.

﴿فَارْجِعُواْ﴾: إلى منازلكم هاربين.

﴿وَيَسْتَئْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ﴾: للرجوع.

﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾: غير حصينة، وأصلها الخلل.

وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيراً ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُواْ عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْئُولاً ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذاً لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً ﴿١٦﴾

﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾: في المجمع عن الصادق عليه السلام بل هي رفيعة السمك حصينة[1].

والعياشي: عن الباقر عليه السلام كانت بيوتهم في أطراف البيوت حيث يتفرّد الناس فأكذبهم الله، قال: «وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ»[2].

﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً﴾: من القتال.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾: من جوانبها.

﴿ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ﴾: الردّة ومقاتلة المسلمين.

﴿لَأَتَوْهَا﴾: لأعطوها، وقرئ بالقصر.

﴿وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ﴾: بالفتنة أي باعطائها.

﴿إِلَّا يَسِيراً * وَلَقَدْ كَانُواْ عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْئُولاً﴾: عن الوفاء به.

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾: فإنّه لابدّ لكل أحد من حتف أنف أو قتل في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم.

﴿وَإِذاً لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾: أي وإن نفعكم الفرار مثلاً فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع إلّا تمتيعاً أو زماناً قليلاً.

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٣٤٧، س ٢١.

٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٣، ح ٩٨.

قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُوْلَـٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾

﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا﴾: ينفعهم.

﴿وَلَا نَصِيرًا﴾: يدفع الضرر عنهم.

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾: المثبّطين عن رسول الله ﷺ وهم المنافقون.

﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾: قرّبوا أنفسكم إلينا.

﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: ولا يقاتلون إلّا قليلاً.

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾: قيل: بخلاء عليكم بالمعاونة أو بالنفقة في سبيل الله أو الظفر والغنيمة[١].

﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾: في أحداقهم.

﴿كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ﴾: كنظر المغشي عليه.

﴿مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾: من معالجة سكرات الموت خوفاً ولواذاً بك.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٤٢، س ١.

يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ يَسْئَلُونَ عَنْ أَنبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلاً ﴿٢٠﴾

﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ﴾: وحيزت الغنايم.

﴿سَلَقُوكُم﴾: ضربوكم.

﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾: ذربة[1]، يطلبون الغنيمة، والسلق: البسط بقهر، باليد أوباللسان.

﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُوْلَـٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ﴾: إخلاصاً.

﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيراً﴾: هيّناً.

﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ﴾: أي هؤلاء لجبنهم يظنون أن الأحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا.

﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ﴾: كرّة ثانية.

﴿يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ﴾: تمنّوا أنهم خارجون إلى البدو، وحاصلون بين الأعراب.

﴿يَسْئَلُونَ﴾: كل قادم من جانب المدينة.

﴿عَنْ أَنبَآئِكُمْ﴾: عمّا جرى عليكم.

﴿وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم﴾: هذه الكرّة ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال.

﴿مَّا قَـٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلاً﴾: رياءاً وخوفاً عن التعيير.

القمّي: نزلت هذه الآيات في قصة الأحزاب من قريش والعرب الذين تحزّبوا على رسول الله، قال: وذلك أن قريشاً تجمعت في سنة خمس من الهجرة، وساروا إلى العرب وجلبوا واستفزوهم لحرب رسول الله صلى الله عليه وآله فوافوا في عشرة آلاف ومعهم كنانة، وسليم، وفزارة، وكان

---

١ ـ الذربة ـ بالكسر ـ: السليطة اللسان. القاموس المحيط: ج ١، ص ٦٨، مادة «ذرب».

رسول الله صلى الله عليه وآله حين أجلى بني النضير، وهم بطن من اليهود من المدينة، وكان رئيسهم حييّ بن أخطب، وهم يهود من بني هارون على نبينا وآله وعليه السلام، فلما أجلاهم من المدينة صاروا إلى خيبر، وخرج حييّ بن أخطب إلى قريش بمكة، وقال لهم: إن محمداً قد وتركم ووترنا، وأجلانامن المدينة من ديارنا وأموالنا، وأجلا بني عمّنا بني قينقاع فسيروا في الأرض واجمعوا حلفاءكم وغيرهم حتى نسير إليهم، فإنّه قد بقي من قومي بيثرب سبع مائة مقاتل وهم بنو قريظة، وبينهم وبين محمد عهد وميثاق، وأنا أحملهم على نقض العهد بينهم وبين محمد، ويكونون معنا عليهم فتأتونه أنتم من فوق، وهم من أسفل، وكان موضع بني قريظة من المدينة على قدر ميلين، وهو الموضع الذي يسمى ببئر بني المطّلب، فلم يزل يسير معهم حييّ بن أخطب في قبائل العرب حتى اجتمعوا قدر عشرة آلاف من قريش، وكنانة، والأقرع بن حابس في قومه، وعباس بن مرداس في بني سليم، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، فاستشار أصحابه وكانوا سبعمائة رجل. فقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: يارسول الله إنّ القليل لا يقاوم الكثير في المطاولة، قال: فما نصنع؟ قال نحفر خندقاً يكون بينك وبينهم حجاباً فيمكنك معهم المطاولة، ولا يمكنهم أن يأتونا من كل وجه فإنا كنا معاشر العجم في بلاد فارس إذا دهمنا دهم من عدونا نحفر الخنادق فتكون الحرب من مواضع معروفة. فنزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أشار بصواب، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بمسحه من ناحية أُحد إلى راتج[1] وجعل على كل عشرين خطوة وثلاثين خطوة قوم من المهاجرين والأنصار يحفرونه، فأمر فحملت المساحي والمعاول وبدأ رسول الله صلى الله عليه وآله وأخذ معولاً فحفر في موضع المهاجرين بنفسه، وأمير المؤمنين عليه السلام ينقل التراب من الحفرة حتى عرق رسول الله صلى الله عليه وآله وعيي[2]، وقال: لا عيش إلّا عيش الآخرة، اللّهمّ اغفر للمهاجرين والأنصار، فلما نظر الناس رسول الله صلى الله عليه وآله يحفر اجتهدوا في الحفر ونقلوا التراب، فلمّا كان في اليوم الثاني بكّروا إلى الحفر وقعد رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد الفتح، فبينا المهاجرون والأنصار يحفرون إذ عرض لهم جبل لم تعمل المعاول فيه، فبعثوا جابر ابن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يعلمه بذلك. قال جابر: فجئت إلى المسجد

---

١ ـ راتج: أطم من آطام اليهود بالمدينة وتسمّى الناحية به له ذكر في كتب المغازي والأحاديث. معجم البلدان: ج٣، ص١٢.

٢ ـ عيي من باب تعب: عجز عنه ولم يهتد لوجه مراده. مجمع البحرين: ج١، ص٣١١.

ورسول الله مستلق على قفاه، ورداؤه تحت رأسه، وقد شد على بطنه حجراً فقلت: يا رسول الله أنّه قد عرض لنا جبل لا تعمل المعاول فيه، فقام مسرعاً حتى جاءه ثم دعا بماء في إناء فغسل وجهه، وذراعيه ومسح على رأسه ورجليه، ثم شرب ومج[١] من ذلك الماء في فيه، ثم صبه على ذلك الحجر، ثم أخذ معولاً فضرب ضربة فبرقت برقة نظرنا فيها إلى قصور الشام، ثم ضرب اُخرى فبرقت برقة نظرنا فيها إلى قصور المدائن، ثم ضرب اُخرى فبرقت برقة اُخرى فنظرنا فيها إلى قصور اليمن، فقال رسول الله ﷺ: أما إنه سيفتح الله عليكم هذه المواطن التي برقت فيها البرق، ثم انهال[٢] علينا الجبل كما ينهال الرمل. فقال جابر: فعلمت أن رسول الله ﷺ مقوٍ، أي جائع لما رأيت على بطنه الحجر، فقلت: يا رسول الله هل لك في الغداء؟ قال: ما عندك يا جابر؟ فقلت: عناق، وصاع من شعير، فقال: تقدم وأصلح ما عندك. قال جابر: فجئت إلى أهلي فأمرتها فطحنت الشعير، وذبحت العنز وسلختها وأمرتها أن تخبز وتطبخ وتشوي، فلما فرغت من ذلك جئت إلى رسول الله ﷺ فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله قد فرغنا فاحضر مع من أحببت، فقام ﷺ إلى شفير الخندق، ثم قال: يا معاشر المهاجرين والأنصار أجيبوا جابراً. قال جابر: وكان في الخندق سبعمائة رجل فخرجوا كلهم ثم لم يمر بأحد من المهاجرين والأنصار إلّا قال: أجيبوا جابراً، فتقدمت وقلت لأهلي: قد والله أتاك محمد رسول الله ﷺ بما لا قبل لك به، فقالت: أعلمته أنت بما عندنا؟ قال: نعم، قالت: فهو أعلم بما أتى. قال جابر: فدخل رسول الله ﷺ فنظر في القدر، ثم قال: اغرفي وأبقي ثم نظر في التنور، ثم قال: أخرجي وأبقي، ثم دعا بصحفة وثرد فيها وغرف، فقال: يا جابر أدخل علي عشرة عشرة، فأدخلت عشرة فأكلوا حتى نهلوا وما يرى في القصعة إلّا آثار أصابعهم، ثم قال: يا جابر علي بالذراع، فأتيته بالذراع، فأكلوه، ثم قال: أدخل علي عشرة فأدخلتهم حتى أكلوا ونهلوا وما يرى في القصعة إلّا آثار أصابعهم، ثم قال: يا جابر عليّ بالذراع فأكلوا وخرجوا، ثم قال: أدخل عليّ عشرة فأدخلتهم فأكلوا حتى نهلوا وما يرى في القصعة إلّا آثار أصابعهم، ثم قال: يا جابر علي بالذراع؟ فأتيته فقلت يا رسول الله كم للشاة من الذراع قال: ذراعان فقلت: والذي بعثك بالحق لقد أتيتك بثلاثة، فقال: أما لو سكت يا جابر لأكل الناس كلهم من

---

١ ـ مَجَّ الماء من فمه مجّاً ـ من باب قتل ـ: لفظه ورمى به. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣٢٩، مادة «مجج».

٢ ـ هال عليه التراب يهيل هيلاً، وأهاله فانهال: صبّه فانصب. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٥٠١، مادة «هيل».

الذراع. قال جابر: فأقبلت أدخل عشرة عشرة، فيأكلون حتى أكلوا كلهم، وبقي والله لنا من ذلك الطعام ما عشنا به أياماً. قال: وحفر رسول الله ﷺ الخندق، وجعل له ثمانية أبواب، وجعل على كل باب رجلا من المهاجرين، ورجلا من الأنصار مع جماعة يحفظونه، وقدمت قريش، وكنانة، وسليم، وهلال، فنزلوا الزغابة[1]، ففرغ رسول الله ﷺ من حفر الخندق قبل قدوم قريش بثلاثة أيام، وأقبلت قريش ومعهم حييّ بن أخطب، فلما نزلوا العقيق جاء حييّ بن أخطب إلى بني قريظة في جوف الليل، وكانوا في حصنهم قد تمسكوا بعهد رسول الله ﷺ فدق باب الحصن فسمع كعب بن أسيد قرع الباب فقال لأهله: هذا أخوك قد شأم قومه وجاء الآن يشأمنا ويهلكنا، ويأمرنا بنقض العهد بيننا وبين محمد ﷺ، وقد وفى لنا محمد ﷺ وأحسن جوارنا، فنزل إليه من غرفته فقال له: من أنت؟ قال حييّ بن أخطب: قد جئتك بعز الدهر، فقال كعب: بل جئتني بذل الدهر، فقال: يا كعب هذه قريش في قادتها وسادتها قد نزلت بالعقيق مع حلفائهم من كنانة، وهذه فزارة مع قادتها، وسادتها قد نزلت الزغابة، وهذه سليم وغيرهم قد نزلوا حصن بني ذيبان، ولا يفلت محمد وأصحابه من هذا الجمع أبداً فافتح الباب وانقض العهد الذي بينك وبين محمد ﷺ، فقال كعب: لست بفاتح لك الباب إرجع من حيث جئت، فقال حييّ: ما يمنعك من فتح الباب إلّا حشيشتك التي في التنور مخافة أن أشركك فيها فافتح فإنك آمن من ذلك، فقال له كعب لعنك الله لقد دخلت علي من باب دقيق، ثم قال: افتحوا له الباب ففتح له، فقال: ويلك يا كعب انقض العهد الذي بينك وبين محمد ﷺ ولا تردّ رأيي فان محمداً لا يفلت من هذا الجمع أبداً فإن فاتك هذا الوقت لا تدرك مثله أبداً قال: فاجتمع كل من كان في الحصن من رؤساء اليهود مثل غزال بن شمول، وياسر بن قيس، ورفاعة بن زيد، والزبير بن ياطا، فقال لهم كعب: ما ترون؟ قالوا: أنت سيدنا، والمطاع فينا، وصاحب عهدنا وعقدنا فان نقضت نقضنا معك، وان أقمت أقمنا معك، وان خرجت خرجنا معك. فقال الزبير بن ياطا وكان شيخاً كبيراً مجرّباً وقد ذهب بصره: قد قرأت التوراة التي أنزلها الله تعالى في سفرنا بأنه يبعث نبياً في آخر الزمان يكون مخرجه بمكة، ومهاجره في هذه البحيرة، يركب الحمار العري، ويلبس الشملة، ويجتزي بالكسرات والتميرات، وهو الضحوك

---

١ ـ الزغابة ـ بضم الزاي وعين مهملة ـ بين الجرف والغابة. معجم البلدان: ج ٣، ص ١٤١، مادة «زغب».

القتّال، في عينيه الحمرة، وبين كتفيه خاتم النبوة، يضع سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقى، يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر، فان كان هو هذا فلا يهولنّه هؤلاء وجمعهم، ولو نادى على هذه الجبال الرّواسي لغلبها، فقال حييّ: ليس هذا ذاك، ذلك النبي صلى الله عليه وآله من بني اسرائيل، وهذا من العرب من ولد اسماعيل، ولا يكونوا بنو اسرائيل أتباعاً لولد اسماعيل عليه السلام أبداً لأن الله قد فضلهم على الناس جميعاً وجعل فيهم النبوّة والملك، وقد عهد إلينا موسى عليه السلام «أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار» وليس مع محمد آية وانما جمعهم جمعاً وسحرهم ويريد أن يغلبهم بذلك، فلم يزل يقلبهم على رأيهم حتى أجابوه. فقال لهم: أخرجوا الكتاب الذي بينكم وبين محمد صلى الله عليه وآله فأخرجوه، فأخذ حييّ بن أخطب ومزّقه، وقال: قد وقع الأمر فتجهّزوا وتهيّؤوا للقتال. وبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك فغمّه غمّاً شديداً وفزع أصحابه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لسعد بن معاذ، وأُسيد بن حصين، وكانا من الأوس، وكانت بنو قريظة، حلفاء الأوس: إئتيا بني قريظة فانظرا ما صنعوا فإن كانوا نقضوا العهد فلا تعلما أحداً إذا رجعتم إليّ، وقولا: عضل[1] والقارة[2]، فجاء سعد بن معاذ، وأُسيد بن حصين إلى باب الحصن فأشرف عليهم كعب من الحصن، فشتم سعداً وشتم رسول لله صلى الله عليه وآله، فقال له سعد: إنّما أنت ثعلب في جحر لتوليّن قريش وليحاصرنّك رسول لله صلى الله عليه وآله، ثم لينزلنّك على الصغر والقماع، وليضربن عنقك، ثم رجعا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالا له: عضل والقارة. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لعلّنا نحن أمرناهم بذلك، وذلك أنّه كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله عيون لقريش يتجسّسون أخباره، وكانت عضل والقارة قبيلتان من العرب دخلا في الإسلام ثم غدرا، فكان إذا غدر أحد ضرب بهما المثل، فيقال: عضل والقارة. ورجع حييّ بن أخطب إلى أبي سفيان، وقريش فأخبرهم بنقض بني قريظة العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله ففرحت قريش بذلك. فلمّا كان في جوف الليل جاء نعيم بن مسعود الأشجعي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد كان أسلم قبل قدوم قريش بثلاثة أيّام

---

١ ـ عضل ـ بالفتح ـ: ابن الهون بن خزيمة. القاموس المحيط: ج ٤، ص ١٧، مادة «عضل». وفي لسان العرب: ج٩، ص ٢٦١، عضل: حي من كنانة، وعضل والدِّيش حيان من كنانة، يقال لهم: القارة، وهم من كنانة. وفي الصحاح: ج ٥، ص ١٧٦٦: وعضل: قبيلة وهو عضل بن الهون بن خزيمة أخو الديش وهما القارة.

٢ ـ القارة: قبيلة، وهم رماة، ومنه: انصف القارة من راماها. القاموس المحيط: ج ٢، ص ١٢٣، مادة «قور». وقال الطريحي في مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٦٤: القارة: قبيلة يوصفون بالرمي سموا قارة لاجتماعهم والتفافهم.

فقال: يا رسول الله قد آمنت بالله وصدّقتك، وكتمت إيماني عن الكفرة، فإن أمرتني أن آتيك بنفسي وأنصرك بنفسي فعلت، وإن أمرتني أن أخذل بين اليهود وبين قريش فعلت حتى لا يخرجوا من حصنهم، فقال رسول الله ﷺ: أخذل بين اليهود وبين قريش فإنه أوقع عندي، قال: فتأذن لي أن أقول فيك ما أريد؟ قال: قل ما بدا لك. فجاء إلى أبي سفيان فقال له: أتعرف مودتي لكم ونصحي ومحبّتي أن ينصركم الله على عدوكم، وقد بلغني أن محمداً قد وافق اليهود أن يدخلوا بين عسكركم ويميلوا عليكم ووعدهم إذا فعلوا ذلك أن يرد عليهم جناحهم الذي قطعه بنو النضير وقينقاع فلا أرى أن تدعوهم يدخلوا عسكركم حتى تأخذوا منهم رهناً تبعثوا به إلى مكة فتأمنوا مكرهم وغدرهم. فقال له أبو سفيان: وفقك الله وأحسن جزاك مثلك أهدى النصائح ولم يعلم أبو سفيان بإسلام نعيم، ولا أحد من اليهود. ثم جاء من فوره ذلك إلى بني قريظة فقال له: يا كعب تعلم مودّتي لكم، وقد بلغني أن أبا سفيان قال: نخرج بهؤلاء اليهود فنضعهم في نحر محمد ﷺ فان ظفرواكان الذكر لنا دونهم، وإن كانت علينا كانوا هؤلاء مقاديم الحرب فما أرى لكم أن تدعوهم يدخلوا عسكركم حتى تأخذوا منهم عشرة من أشرافهم يكونون في حصنكم إنهم إن لم يظفروا بمحمد ﷺ لم يرجعوا حتى يردوا عليكم عهدكم وعقدكم بين محمد ﷺ وبينكم لأنّه إن ولت قريش ولم يظفروا بمحمد غزاكم محمد ﷺ فيقتلكم. فقالوا: أحسنت وأبلغت في النصيحة لا نخرج من حصننا حتى نأخذ منهم رهناً يكونون في حصننا. وأقبلت قريش فلما نظروا إلى الخندق قالوا: هذه مكيدة، ما كانت العرب تعرفها قبل ذلك، فقيل لهم: هذا من تدبير الفارسي الذي معه، فوافى عمرو بن عبدودّ، وهبيرة بن وهب، وضرار بن الخطاب إلى الخندق، وكان رسول الله ﷺ قد صفّ أصحابه بين يديه فصاحوا بخيلهم حتى طفروا الخندق إلى جانب رسول الله ﷺ فصار أصحاب رسول الله ﷺ كلهم خلف رسول الله ﷺ وقدّموا رسول الله بين أيديهم، وقال رجل من المهاجرين وهو فلان لرجل بجنبه من إخوانه: أما ترى هذا الشيطان عمرواً أما والله ما يفلت من بين يديه أحد فهلمّوا ندفع إليه محمد ﷺ ليقتله ونلحق نحن بقومنا، فأنزل الله عزّ وجلّ على نبيبه ﷺ في ذلك الوقت: «قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ» إلى قوله تعالى: «وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيراً».

وركز عمرو بن عبدودّ رمحه في الأرض وأقبل يجول جولة ويرتجز ويقول:

ولقد بحت من النداء بجمعكم هل من مبارز

ووقفت اذ جبن الشجاع مواقف القرن المناجز

إني كـذلك لم أزل مـتسرعاً نحـو الهـزائـز

إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائـز

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من لهذا الكلب؟ فلم يجبه أحد، فوثب إليه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أنا له يا رسول الله، فقال: يا علي هذا عمرو بن عبدودّ فارس نبيل، فقال: أنا علي بن أبي طالب، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ادن مني فدنا منه فعمّمه بيده ودفع إليه سيفه ذا الفقار، وقال له: إذهب وقاتل بهذا، وقال اللّهمّ احفظه من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، ومن فوقه، ومن تحته. فمرّ أمير المؤمنين عليه السلام يهرول في مشيته وهو يقول:

لا تعجلنّ فقد أتاك مجيب صوتك غير عـاجز

ذو نيّة وبـصيرة والصـدق مـنجي كـل فـائز

إنّي لأرجـو أن أقـيم عـليك نـائحة الجـنائز

من ضربة نجـلاء يـبقى صـيتها بـعد الهـزائـز

فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وختنه. فقال: والله إنّ أباك كان لي صديقاً ونديماً وإنّي أكره أن أقتلك، ما أمن ابن عمّك حين بعثك إليّ أن أختطفك برمحي هذا فأتركك شائلاً بين السماء والأرض لا حي ولا ميّت. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: قد علم ابن عمّي أنك إن قتلتني دخلت الجنة وأنت في النار، وإن قتلتك فأنت في النار وأنا في الجنّة، فقال عمرو: وكلتاهما لك يا علي «تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ»[1][2]، فقال علي عليه السلام: دع هذا يا عمرو، إني سمعت منك وأنت متعلق بأستار الكعبة تقول: لا يعرض عليّ أحد في الحرب ثلاث خصال إلّا أجبته إلى واحدة منها، وأنا أعرض عليك ثلاث خصال فأجبني إلى واحدة، فقال: هات ياعلي. قال: تشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله

---

١ ـ النجم: ٢٢.

٢ ـ قسمة ضيزى: أي ناقصة. ويقال: جائرة من قولهم ضازه حقّه: أي نقصه، وضاز في الحكم: أي جار فيه. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٣، مادة «ضيز».

قال: نحّ عني هذا فسأل الثانية. فقال: أن ترجع وترد هذا الجيش عن رسول الله صلى الله عليه وآله فإن يك صادقاً فأنتم أعلا به عيناً وإن يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره، فقال: إذاً لا تتحدث نساء قريش بذلك، ولا تنشد الشعراء بأشعارها[1] أني جبنت ورجعت إلى عقبي من الحرب، وخذلت قوماً رأسوني عليهم؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: فالثالثة: أن تنزل إلى قتالي فإنك فارس وأنا راجل حتى أُنابذك، فوثب عن فرسه وعرقبه، وقال: هذه خصلة ما ظننت أن أحداً من العرب يسومني عليها، ثم بدأ فضرب أمير المؤمنين عليه السلام بالسيف على رأسه فاتقاه أمير المؤمنين عليه السلام بالدرقة فقطعها وثبت السيف على رأسه. فقال له علي عليه السلام: يا عمرو، أما كفاك أني بارزتك وأنت فارس العرب حتى استعنت علي بظهير، فالتفت عمرو إلى خلفه فضربه أمير المؤمنين عليه السلام مسرعاً على ساقيه فقطعهما جميعاً وارتفعت بينهما عجاجة، فقال المنافقون: قتل علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم انكشفت العجاجة ونظروا فإذا أمير المؤمنين عليه السلام على صدره وقد أخذ بلحيته يريد أن يذبحه ثم أخذ برأسه وأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله والدماء تسيل على رأسه من ضربة عمرو، وسيفه يقطر منه الدم، وهو يقول والرأس بيده:

أنا عليٌّ ابن عبدالمطلب   الموت خير للفتى من الهرب

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي ماكرته؟ قال: نعم يا رسول الله الحرب خديعة.

وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله الزبير إلى هبيرة بن وهب فضربه على رأسه ضربة فلقت هامته. وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله عمر بن الخطاب أن يبارز ضرار بن الخطاب فلما برز إليه ضرار انتزع له عمر سهماً فقال له: ضرار ويلك ياابن صهّاك أترميني في مبارزة، والله لئن رميتني لا تركت عدوياً بمكة إلّا قتلته، فانهزم عند ذلك عمر ومرّ نحوه ضرار وضربه ضرار على رأسه بالقناة ثم قال احفظها يا عمر فإني آليت أن لا أقتل قرشياً ما قدرت عليه فكان عمر يحفظ له ذلك بعد ما ولّي وولاّه. فبقي رسول الله صلى الله عليه وآله يحاربهم في الخندق خمسة عشر يوماً فقال أبو سفيان لحييّ بن أخطب: ويلك يا يهودي أين قومك؟ فصار حييّ بن أخطب إليهم فقال: ويلكم اُخرجوا فقد نابذكم محمد صلى الله عليه وآله الحرب، فلا أنتم مع محمد صلى الله عليه وآله ولا أنتم مع قريش. فقال كعب: لسنا خارجين حتّى تعطينا قريش عشرة من أشرافهم رهناً يكونون في حصننا إنّهم إن لم

---

١ ـ وفي نسخة: [في أشعار]، وهكذا في المصدر.

يظفروا بمحمّد صلى الله عليه وآله لم يبرحوا حتّى يردّ محمّد علينا عهدنا وعقدنا فإنّا لا نأمن من أن تفرّ قريش ونبقى نحن في عقر دارنا ويغزونا محمّد صلى الله عليه وآله فيقتل رجالنا ويسبي نساءنا وذرارينا وإن لم نخرج لعلّه يردّ علينا عهدنا، فقال له حيي بن أخطب: تطمع في غير مطمع قد نابذت العرب محمّداً الحرب فلا أنتم مع محمّد صلى الله عليه وآله ولا أنتم مع قريش، فقال كعب: هذا من شومك إنما أنت طائر تطير مع قريش غداً، وتتركنا في عقر دارنا، ويغزونا محمد صلى الله عليه وآله، فقال له: هل لك عهد الله علي وعهد موسى أنه إن لم تظفر قريش بمحمد صلى الله عليه وآله إني أرجع معك إلى حصنك يصيبني ما يصيبك، فقال كعب: هو الذي قد قلته لك إن أعطتنا قريش أشرافهم رهناً يكونون عندنا وإلا لم نخرج. فرجع حييّ بن أخطب إلى قريش فأخبرهم فلمّا قال: يسألون الرهن، قال أبو سفيان: هذا والله أول الغدر قد صدق نعيم بن مسعود لا حاجة لنا في إخوان القردة والخنازير.
فلما طال على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الأمر واشتد عليهم الحصار، وكانوا في وقت برد شديد وأصابتهم مجاعة، وخافوا من اليهود خوفاً شديداً وتكلّم المنافقون بما حكى الله عزّ وجلّ عنهم، ولم يبق أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا نافق إلّا القليل، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله أخبر أصحابه أنّ العرب تتحزّب عليّ ويجيؤوننا من فوق، وتغدر اليهود، وتخافهم من أسفل وأنه يصيبهم جهد شديد ولكن تكون العاقبة لي عليهم، فلما جاءت قريش وغدرت اليهود، قال المنافقون: «مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورا»[1] وكان قوم منهم لهم دور في أطراف المدينة فقالوا: يا رسول الله تأذن لنا أن نرجع إلى دورنا فإنّها في أطراف المدينة وهي عورة، ونخاف اليهود أن يغيروا عليها وقال قوم: هلموا فنهرب ونصير في البادية ونستجير بالأعراب فإنّ الذى كان يعدنا محمد صلى الله عليه وآله كان باطلاً كلّه، ورسول الله صلى الله عليه وآله أمر أصحابه أن يحرسوا المدينة بالليل وكان أمير المؤمنين عليه السلام على العسكر كلّه بالليل يحرسهم فإن تحرّك أحد من قريش نابذهم، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يجوز الخندق ويصير إلى قرب قريش حيث يراهم فلايزال الليل كلّه قائماً وحده يصلّي فإذا أصبح رجع إلى مركزه، ومسجد أمير المؤمنين عليه السلام هناك معروف يأتيه من يعرفه فيصلي فيه، وهو من مسجد الفتح إلى العقيق أكثر من غلوة النشاب.
فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله من أصحابه الجزع لطول الحصار صعد إلى مسجد الفتح، وهو الجبل

---

١ ـ الأحزاب: ١٢.

الذي عليه مسجد الفتح اليوم فدعا الله عزّ وجلّ، وناجاه فيما وعده وكان مما دعاه أن قال: يا صريخ المكروبين، ويا مجيب دعوة المضطرين، ويا كاشف الكرب العظيم، أنت مولاي ووليي وولي آبائى الأولين إكشف عنا غمنا، وهمنا، وكربنا، واكشف عنا شر هؤلاء القوم بقوتك وحولك وقدرتك. فنزل عليه جبرئيل عليه السلام، فقال: يا محمد إن الله عزّ وجلّ قد سمع مقالتك، وأجاب دعوتك، وأمر الدبّور وهي الريح مع الملائكة أن تهزم قريشاً والأحزاب، وبعث الله عزّ وجلّ على قريش الدّبور فانهزموا، وقلعت أخبيتهم، ونزل جبرئيل عليه السلام فأخبره بذلك. فنادى رسول الله صلى الله عليه وآله حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وكان قريباً منه فلم يجبه، ثم نادى ثانياً فلم يجبه، ثم ناداه ثالثاً فقال:لبيك يا رسول الله، قال أدعوك فلا تجيبني؟ قال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي من الخوف والبرد والجوع. فقال: أُدخل في القوم وائتني بأخبارهم، ولا تحدثن حدثاً حتى ترجع إليّ فإن الله عزّ وجلّ قد أخبرني أنه قد أرسل الرياح على قريش وهزمهم. قال حذيفة: فمضيت وأنا أنتفض من البرد فوالله ما كان إلّا بقدر ما جزت الخندق حتى كأني في الحمّام، فقصدت خباً عظيماً فإذا نار تخبو وتوقد وإذا خيمة فيها أبو سفيان قد دلى خصيتيه على النار، وهو ينتفض من شدة البرد، ويقول: يا معشر قريش إن كنا نقاتل أهل السماء بزعم محمد صلى الله عليه وآله فلا طاقة لنا بأهل السماء، وإن كنا نقاتل أهل الأرض فنقدر عليهم، ثم قال: لينظر كل رجل منكم إلى جليسه لا يكون لمحمد عين فيما بيننا قال حذيفة فبادرت أنا فقلت للذي عن يميني: من أنت؟ فقال: أنا عمر بن العاص، ثم قلت للذي عن يساري: من أنت؟ قال: أنا معاوية، وإنّما بادرت إلى ذلك لئلا يسألني أحد من أنت،ثم ركب أبو سفيان راحلته وهي معقولة فلولا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا تحدث حدثاً حتّى ترجع إلي لقدرت أن أقتله. ثم قال أبو سفيان لخالد ابن الوليد: يا أبا سليمان لا بد من أن أُقيم أنا وأنت على ضعفاء الناس، ثم قال: ارتحلوا إنّا مرتحلون، ففرّوا منهزمين فلمّا أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله قال لأصحابه: لا تبرحوا فلما طلعت الشمس دخلوا المدينة، وبقي رسول الله صلى الله عليه وآله في نفر يسير. وكان ابن عرقد الكناني رمى سعد بن معاذ بسهم في الخندق فقطع أكحله فنزفه الدم فقبض سعد على أكحله بيده ثم قال: اللّهمّ إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها فلا أجد أحب إلي من محاربتهم من قوم حاربوا الله ورسوله، وإن كانت الحرب قد وضعت أوزارها بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين قريش فاجعلها

لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰناً وَتَسْلِيماً ﴿٢٢﴾

لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة فأمسك الدم، وتورمت يده وضرب له رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد خيمة، وكان يتعاهده بنفسه فأنزل الله عزّ وجلّ: «يَـٰأَيُّهَا ٱلَّـذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ»[1] الآيات إلى قوله: «إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ»[2] يعني بني قريظة حين غدروا وخافهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله «إِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ»[3] إلى قوله «إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً»[4] وهم الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: تأذن لنا نرجع إلى منازلنا فإنّها في أطراف المدينة، ونخاف اليهود عليها، فأنزل الله فيهم «إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ»[5] إلى قوله «وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيراً»[6]. ونزلت هذه الآية في الثاني لمّا قال لعبدالرحمان بن عوف: هلم ندفع محمداً صلى الله عليه وآله إلى قريش فنلحق نحن بقومنا[7].

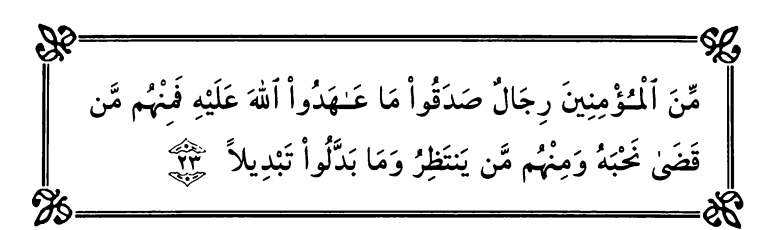
﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾: في أفعاله، وأخلاقه، كثباته في الحرب، ومقاساته للشدائد وغير ذلك، وقرئ بضم الهمزة.

﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً﴾: قرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية إلى ملازمة الطاعة، فإن المؤتسي بالرسول من كان كذلك.

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: القمّي: وصف الله المؤمنين المصدقين بما أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وآله ما يصيبهم

---

١ ـ الأحزاب: ٩.
٢ ـ الأحزاب: ١٠.
٣ ـ الأحزاب: ١٠.
٤ ـ الأحزاب: ١٣.
٥ ـ الأحزاب: ١٣.
٦ ـ الأحزاب: ١٩.
٧ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٧٦ ـ ١٨٨.



في الخندق من الجهد[1].

﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾: قال: يعني ذلك البلاء والجهد والخوف[2].

﴿إِلَّآ إِيمَـٰناً وَتَسْلِيماً﴾: روى أن النبي ﷺ قال: «سيشتد الأمر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم» وقال: «إنهم سائرون اليكم بعد تسع أو عشر»[3].

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾: وفوا بعهدهم.

﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾: نذره، والنحب: النذر استعير للموت لأنه كنذر لازم في الرقبة.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾: الشهادة.

﴿وَمَا بَدَّلُوا۟﴾: العهد ولا غيّروه.

﴿تَبْدِيلاً﴾: شيئاً من التبديل فيه تعريض لأهل النفاق ومرض القلب بالتبديل.

القمّي: عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: «رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ» قال: أن لا يفرّوا أبداً «فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ» أي أجله وهو حمزة، وجعفر بن أبي طالب، «وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ» أجله يعني علياً عليه السلام[4].

وفي الخصال: عنه عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث له مع يهودي قال: ولقد كنت عاهدت الله تعالى ورسوله أنا، وعمّي حمزة، وأخي جعفر، وابن عمّي عبيدة، على أمر وفينا به لله تعالى ولرسُوله فتقدّمني أصحابي وتخلفت بعدهم لما أراد الله تعالى فأنزل الله تعالى فينا: «مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟» الآية[5].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٨٨، س ١٦.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٨٨، س ١٨.
٣ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٤٢، س ٢٠.
٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٨٨، س ١٩.
٥ ـ الخصال: ص ٣٧٦، قطعة من ح ٥٨، باب السبعة.

وفي المجمع: عن علي عليه السلام قال: فينا نزلت «رِجَالٌ صَدَقُواْ» قال: فأنا والله المنتظر، وما بدلت تبديلا[١].

وفي سعد السعود: عن الباقر عليه السلام: في قوله تعالى: «وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ»[٢] قال: كونوا مع علي بن أبي طالب عليه السلام وآل محمد صلى الله عليه وآله، قال الله تعالى: «مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ» وهو حمزة بن عبدالمطلب «وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ» وهو علي بن أبي طالب عليه السلام يقول الله تعالى: «وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً»[٣].

وفي المناقب: أن أصحاب الحسين عليه السلام بكربلاء كانوا كل من أراد الخروج ودّع الحسين عليه السلام وقال: السلام عليك يابن رسول الله، فيجيبه وعليك السلام، ونحن خلفك، ويقرأ «فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ»[٤].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام المؤمن مؤمنان: فمؤمن صدق بعهد الله، ووفى بشرطه، وذلك قول الله عزّ وجلّ «رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ»، وذلك الذي لا تصيبه أهوال الدنيا ولا أهوال الآخرة، وذلك ممّن يشفع ولا يشفع له، ومؤمن كخامة[٥] الزرع يعوج أحياناً ويقوم أحياناً فذلك ممّن تصيبه أهوال الدنيا،وأهوال الآخرة، وذلك ممّن يشفع له ولا يشفع[٦].

وعنه عليه السلام: لقد ذكركم الله في كتابه فقال: «مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ» الآية إنكم وفيتم بما أخذ الله عليه ميثاقكم من ولايتنا، وإنّكم لم تبدلون بنا غيرنا[٧].

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يا علي من أحبك ثم مات فقد قضى نحبه، ومن أحبك ولم يمت فهو ينتظر، وما طلعت شمس ولا غربت إلّا طلعت عليه برزق وايمان وفي نسخة نور[٨].

١ـ مجمع البيان: ج٧ـ٨، ص ٣٥٠، س ١٢. ٢ـ التوبة: ١١٩.

٣ـ سعد السعود: ص ١٢٢. ٤ـ مناقب ابن شهرآشوب: ج٤، ص ١٠٠، س ١٢.

٥ـ الخامة بتخفيف الميم: الغضّة الطرية من الثياب وألفها منقلبة عن واو. مجمع البحرين: ج٦، ص ٦٠، مادة «خوم».

٦ـ الكافي: ج ٢، ص ٢٤٨، ح ١، باب في أنّ المؤمن صنفان.

٧ـ الكافي: ج٨، ص٣٤ ـ ٣٥، قطعة من حديث ٦، باب الخطبة الطالوتيّة.

٨ـ الكافي: ج٨، ص٣٠٦، ح٤٧٥، باب من أحب علياً عليه السلام.

لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْراً وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً ﴿٢٦﴾

﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾: المبدلين.

﴿إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾: إن تابوا أو يوفقهم للتوبة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾: لمن تاب.

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: يعني الأحزاب.

﴿بِغَيْظِهِمْ﴾: متغيّظين.

﴿لَمْ يَنَالُواْ خَيْراً﴾: غير ظافرين.

﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾: في المجمع: عن الصادق عليه السلام بعلي بن أبي طالب عليه السلام وقتله عمرو بن عبدودّ فكان ذلك سبب هزيمة القوم[١].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيّاً﴾: على إحداث ما يريده.

﴿عَزِيزاً﴾: غالباً على كل شيء.

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم﴾: ظاهروا الأحزاب. القمّي: نزلت في بني قريظة[٢].

﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ﴾: من حصونهم.

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾: الخوف.

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص ٣٥٠، س٢٤.   ٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٨٩، س٣.

وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضاً لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً ﴿٢٧﴾

﴿فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ﴾: مزارعهم وحصونهم.

﴿وَأَمْوَٰلَهُمْ﴾: نقودهم ومواشيهم وأثاثهم.

﴿وَأَرْضاً لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً﴾: القمّي: فلما دخل رسول الله ﷺ المدينة واللواء معقود أراد أن يغتسل من الغبار فناداه جبرئيل عليه السلام عذيرك[1] من محارب، والله ما وضعت الملائكة لامتها فكيف تضع لامتك؟ إن الله عزّ وجلّ يأمرك أن لا تصلي العصر إلّا ببني قريظة فإني متقدّمك ومزلزل بهم حصنهم، إنّا كنّا في آثار القوم نزجرهم زجراً حتى بلغوا حمراء الأسد[2] فخرج رسول الله ﷺ فاستقبله حارثة بن نعمان فقال له: ما الخبر ياحارثة؟ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله هذا دحية الكلبي ينادي في الناس ألا لا يصلينّ أحد العصر[3] إلّا في بني قريظة، فقال ﷺ: ذاك جبرئيل عليه السلام أُدعوا علياً عليه السلام فجاء أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: ناد في الناس أن لا يصلينّ أحد العصر إلّا في بني قريظة، فجاء أمير المؤمنين عليه السلام فنادى فيهم، فخرحج الناس فبادروا إلى بني قريظة.

وخرج رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام بين يديه مع الراية العظمى، وكان حييّ بن أخطب لما انهزمت قريش جاء فدخل حصن بني قريظة فجاء أمير المؤمنين عليه السلام فأحاط بحصنهم، فأشرف عليهم كعب بن أُسيد من الحصن يشتمهم ويشتم رسول الله ﷺ.

فأقبل رسول الله ﷺ على حماره[4] فاستقبله أمير المؤمنين عليه السلام فقال: بأبي أنت وأمي

---

١ ـ عذيرك من فلان: أي هلم من يعذرك منه، بل يلومه ولا يلومك. الصحاح: ج٢، ص٧٣٨، مادة «عذر».

٢ ـ حمراء الأسد: موضع على ثمانية أميال من المدينة، إليه انتهى رسول الله ﷺ يوم أُحد في طلب المشركين. معجم البلدان: ج٢، ص٣٠١.

٣ ـ وفي نسخة: [لا يصلينّ العصر أحد]، كما في المصدر.

٤ ـ وفي نسخة: [على حمار]، كما في المصدر.

يا رسول الله لا تدن من الحصن.

فقال: رسول الله ﷺ: يا علي لعلّهم شتموني إنهم لو رأوني لأذلّهم الله، ثم دنا رسول الله ﷺ من حصنهم، فقال: يا إخوة القردة والخنازير، وعبدة الطاغوت أتشتموني إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباحهم.

فأشرف عليهم كعب بن أُسيد من الحصن، فقال: والله يا أبا القاسم ما كنت جهولاً فاستحى رسول الله ﷺ حتى سقط الرداء من ظهره حياءاً مما قاله.

وكان حول الحصن نخل كثير فأشار إليه رسول الله ﷺ بيده فتباعد عنه وتفرّق في المفازة وأنزل رسول الله ﷺ العسكر حول حصنهم فحاصرهم ثلاثة أيّام فلم يطلع أحد منهم رأسه، فلما كان بعد ثلاثة أيام نزل إليه غزال بن شمول، فقال: يا محمد تعطينا ما أعطين إخواننا من بني النضير أحقن دماءَنا ونخلي لك البلاد وما فيها، ولا نكتمك شيئاً، فقال: لا أوتنزلون على حكمي؟ فرجع وبقوا أيّاماً فبكى النساء والصبيان إليهم، وجزعوا جزعاً شديداً، فلمّا اشتدّ عليهم الحصار نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فأمر رسول الله ﷺ بالرجال فكتّفوا وكانوا سبعمائة وأمر بالنساء فعزلوا.

وقامت الأوس إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله حلفاؤنا ومواليـنا من دون الناس نصرونا على الخروج[1] في المواطن كلها، وقد وهبت لعبد الله بن أُبي سبعمائة دارع وثلاثمائة حاسر[2] في صبيحة واحدة، وليس نحن بأقل من عبدالله بن أُبي.

فلما أكثروا على رسول الله ﷺ قال لهم: أما ترضون أن يكون الحكم فيهم إلى رجل منكم؟ فقالوا: بلى ومن هو؟ قال سعد بن معاذ، قالوا: قد رضينا بحكمه فأتوا به في محفة واجتمعت الأوس حوله يقولون له: يا أبا عمرو اتق الله وأحسن في حلفائك ومواليك، فقد نصرونا ببغاث[3] والحدائق والمواطن كلها، فلمّا أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد أن لا تأخذه

---

١ ـ هكذا في الأصل، والصحيح: «نصرونا على الخزرج»، كما في المصدر.

٢ ـ الدارع: لابس الدرع، والحاسر: من لا مغفر له ولا درع. منه ﷺ.

٣ ـ البغاث: هي من أعمال قريظة. ويوم بغاث يوم معروف ومشهور وهو آخر الحروب المشهورة بين الأوس والخزرج، ثمّ جاء الإسلام واتفقت الكلمة، واجتمعوا على نصر الإسلام وأهله وكفى الله المؤمنين القتال. الكامل في التاريخ: ج ١، ص ٦٨٠ ـ ٦٨١.

في الله لومة لائم، فقالت الأوس: واقوماه ذهبت والله بنو قريظة إلى آخر الدهر، وبكى النساء والصبيان إلى سعد فلما سكتوا، قال لهم سعد: يا معشر اليهود أرضيتم بحكمي فيكم؟ قالوا: بلى قد رضينا بحكمك والله قد رجونا نصفك ومعروفك وحسن نظرك، فعاد عليهم القول، فقالوا: بلى يا أبا عمرو، فالتفت إلى رسول الله ﷺ إجلالاً له، فقال له: ما ترى بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ فقال: أُحكم فيهم يا سعد فقد رضيت بحكمك فيهم.

فقال: قد حكمت يا رسول الله أن تقتل رجالهم، وتسبى نساءهم وذراريهم، وتقسم غنائمهم وأموالهم بين المهاجرين والأنصار.

فقام رسول الله ﷺ فقال: قد حكمت بحكم الله عزّ وجلّ فوق سبعة أرقعة[1]، ثم انفجر جرح سعد بن معاذ فما زال ينزفه الدم حتى قضى، وساقوا الأُسارى إلى المدينة، فأمر رسول الله ﷺ باخدود فحفرت بالبقيع، فلما أمسى أمر بإخراج رجل رجل فكان يضرب عنقه.

فقال حييّ بن أخطب: لكعب بن أُسيد ما ترى يصنع بهم؟ فقال له: ما يسؤك أما ترى الداعي لا يقلع[2]، والذي يذهب لا يرجع فعليكم بالصبر والثبات على دينكم، فأخرج كعب ابن أُسيد مجموعة يديه إلى عنقه، وكان جميلا وسيماً[3]، فلما نظر إليه رسول الله ﷺ قال له: يا كعب أمانفعك وصية ابن الحواس الحبر الذكي، الذي قدم عليكم من الشام، فقال: تركت الخمر والخمير، وجئت إلى البؤس[4] والتمور لنبي يبعث مخرجه بمكة، ومهاجره في هذه البحيرة، يجتزي بالكسيرات والتميرات، ويركب الحمار العري، في عينيه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوة، يضع سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقى منكم، يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر، فقال: قد كان ذلك يا محمد، ولولا أن اليهود يعيّروني أني جزعت عند القتل لآمنت بك وصدّقتك، ولكني

---

١ ـ الرقيع: سماء الدنيا، وكذلك سائر السماوات، وفي الحديث: «من فوق سبعة أرقعة» فجاء به على لفظ التذكير، كأنّه ذهب به إلى السقف. الصحاح: ج ٣، ص ١٢٢٢، مادة «رقع»؛ وجاء في النهاية لابن الأثير، ج ٢، ص ٢٥١، ذيل هذا الحديث: «سبعة أرقعة»: يعني سبع سماوات. وكل سماء يقال لها رقيع، والجمع أرقعة. وقيل: الرقيع: اسم سماء الدنيا، فأعطى كل سماء اسمها.

٢ ـ الاقلاع: الإمساك. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣٨٣، مادة «قلع».

٣ ـ الميسَمُ: الجمال. يقال: إمرأة ذات ميسم إذا كان عليها أثر الجمال، وفلان وسيم: أي حسن الوجه. الصحاح: ج٥، ص ٢٠٥١، مادة «وسم».

٤ ـ البؤس ـ بضم الفاء ـ: الفقر والخوف، وشدّة الافلاس، وسوء الحال للقوة. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٥١، مادة «بأس».

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً ﴿٢٩﴾﴾

على دين اليهود عليه أحيى، وعليه أموت، فقال رسول الله ﷺ: قدموه فاضربوا عنقه فضربت.

ثم قدم حييّ بن أخطب فقال له رسول الله ﷺ يا فاسق كيف رأيت صنع الله بك؟

فقال: والله يا محمد ما ألوم نفسي في عداوتك، ولقد قَلْقَلْتُ[1] كل مُقَلْقَلٍ، وجهدت كل الجهد، ولكن من يخذله الله يخذل، ثم قال: حين قدم للقتل:

لعمري ما لام ابن أخطب نفسه ولكنه من يخذله الله يخذل

فقدم وضربت عنقه، فقتلهم رسول الله ﷺ في البردين: بالغداة والعشي في ثلاثة أيّام، وكان يقول: اسقوهم العذب وأطعموهم الطيب، وأحسنوا أُساراهم حتّى قتلهم كلّهم فأنزل الله عزّ وجلّ على رسوله فيهم: «وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ» الآية أي من حصونهم[2].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾: السعة، والتنعّم فيها.

﴿وَزِينَتَهَا﴾: وزخارفها.

﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾: أعطكنّ المتعة.

﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾: طلاقاً من غير ضرار وبدعة برغبة.

﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً﴾: استحقر دونه الدنيا وزينتها.

---

١ ـ قلقل: أي صوت وهو حكاية. وَقَلْقَلَهُ قلقلةً وَقَلْقالاً فتقلقل: أي حرّكه فتحرّك واضطرب. الصحاح: ج ٥، ص ١٨٠٥، مادة «قلل».

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٨٩، س ٦.

القمّي: كان سبب نزولها[١] أنّه لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة خيبر وأصاب كنز آل أبي الحقيق قلن أزواجه: أعطنا ما أصبت، فقال لهنّ رسول الله ﷺ: قسّمته بين المسلمين على ما أمر الله عزّ وجلّ، فغضبن من ذلك، وقلن: لعلّك ترى أنّك إن طلقتنا أن لا نجد الأكفّاء من قومنا يتزوجونا، فأنف[٢] الله عزّ وجلّ لرسوله، فأمره أن يعتزلهنّ، فاعتزلهنّ رسول الله ﷺ في مشربة أم إبراهيم تسعة وعشرين يوماً حتى حضن وطهرن، ثم أنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية وهي آية التخيير، فقامت أُم سلمة أول من قامت فقالت: قد اخترت الله ورسوله، فقمن كلهنّ فعانقنّه، وقلن مثل ذلك، فأنزل الله تعالى «تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ» الآية[٣][٤].

قال الصادق عليه السلام: من آوى فقد نكح، ومن أرجى فقد طلق، فقوله عزّ وجلّ: «تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ» مع هذه الآية «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ» الآية وقد أخرت عنها في

---

١ ـ ذكر الطبرسي في تفسيره مجمع البيان، ج ٧ ـ ٨، ص ٣٥٣، في شأن نزول هذه الآية: قال المفسّرون: إنّ أزواج النبي ﷺ سألنه شيئاً من عرض الدنيا وطلبن منه زيادة في النفقة، وآذينه لغيرة بعض على بعض، فآلى رسول الله ﷺ منهن شهراً، فنزلت آية التخيير وهو قوله: «قُل لِّأَزْوَٰجِكَ» وكنّ يومئذ تسعاً: عائشة، وحفصة، وأُم حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأُم سلمة بنت أبي أُميّة، فهؤلاء من قريش، وصفيّة بنت حيي الخيبريّة، وميمونة بنت الحارث الهلاليّة، وزينب بنت جحش الأسديّة، وجويرية بنت الحارث المصطلقيّة.

أقول: وهكذا راجع تفسير البغوي: ج ٣، ص ٥٢٥، وتفسير القرطبي: ج ١٤، ص ١٦٢، وتفسير الطبري: ج ٢١، ص ١٠٠، وتفسير البحر المحيط: ج ٧، ص ٢٢٧، وأنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٤٤، وتفسير أبي السعود: ج٧، ص ١٠٠ ـ ١٠١، وتفسير ابن كثير: ج ٣، ص ٤١٠ ـ ٤١١.

وأضاف الطبرسي في نفس المصدر السابق قائلاً: روى الواحدي باسناده، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ جالساً مع حفصة فتشاجر بينهما، فقال لها: هل لك أن أجعل بيني وبينك رجلاً، قالت: نعم، فأرسل إلى عمر فلمّا أن دخل عليهما، قال لها: تكلّمي، فقالت: يا رسول الله تكلّم ولا تقل إلّا حقّاً، فرفع عمر يده فوجأ وجهها ثمّ رفع يده فوجأ وجهها، فقال له النبي ﷺ: كف، فقال عمر: يا عدوّة الله، النبي لا يقول إلّا حقّاً، والذي بعثه بالحق لولا مجلسه ما رفعت يدي حتّى تموتي، فقام النبي ﷺ فصعد إلى غرفة فمكث فيها شهراً لا يقرب شيئاً من نسائه يتغذّى ويتعشّى فيها، فأنزل الله تعالى هذه الآيات.

أقول: لم أعثر عليها في كتاب أسباب النزول للواحدي، ذيل هذه الآيات، ولعلّه والله العالم حذفت هذه الرواية منه عند تجديد طباعته.

٢ ـ أنف من الشيء يأنف أنفاً وأنفة: أي استنكف. الصحاح: ج ٤، ص ١٣٣٣، مادة «أنف».

٣ ـ الأحزاب: ٥١.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٩٢، س ٨.

التأليف[١].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام في عدة روايات: أنّ زينب بنت جحش، قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله: لا تعدل وأنت نبي، فقال: تربت يداك[٢] إذا لم أعدل، من يعدل؟ قالت: دعوت الله يا رسول الله ليقطع يداي؟ فقال: لا ولكن لتتربان، فقالت: إنّك إن طلّقتنا وجدنا في قومنا أكفّاءنا فاحتبس الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وآله تسعاً وعشرين ليلة، قال: فأنف الله لرسوله فأنزل الله عزّ وجلّ «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ» الآيتين فاخترن الله ورسوله ولم يكن شيء، ولو اخترن أنفسهن لبنّ[٣].

وعن الصادق عليه السلام: أن زينب قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله: لا تعدل وأنت رسول الله، وقالت حفصة: إن طلقتنا وجدنا أكفّاءنا من قومنا، فاحتبس الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وآله عشرين يوماً[٤] قال: فأنف الله لرسوله فأنزل: «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ» الآيتين، قال: فاخترن الله ورسوله، ولو اخترن انفسهن لبنّ، وإن اخترن الله ورسوله فليس بشيء[٥].

وعنه عليه السلام: أن بعض نساء النبي صلى الله عليه وآله قالت: أيرى محمد صلى الله عليه وآله أنه لو طلّقنا لا نجد الأكفاء من قومنا؟ قال: فغضب الله عزّ وجلّ له من فوق سبع سماواته فأمره فخيّرهن حتّى انتهى إلى زينب بنت جحش فقامت: فقبّلته، وقالت: أختار الله ورسوله[٦].

وعنه عليه السلام: أنّه سئل عن رجل خير امرأته فاختارت نفسها بانت منه؟ قال: لا، إنما هذا شيء كان لرسول الله صلى الله عليه وآله خاصّة، أُمر بذلك ففعل، ولو اخترن أنفسهنّ لطلقهنّ، وهو قول الله تعالى: «قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ» الآية[٧].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٩٢، س ١٧.

٢ ـ تربت يداك: أي لا أصبت خيراً. يقال: ترب الرجل: إذا افتقر، أي لصق بالتراب، وأترب إذا إستغنى، قال ابن الأثير: وهذه الكلمة جارية على ألسنة العرب لا يريدون بها الدعاء على المخاطب، ولا وقوع الأمر به كما يقولون: قاتله الله. منه قدس سره. راجع النهاية لابن الأثير: ج ١، ص ١٨٤.

٣ ـ الكافي: ج ٦، ص ١٣٩، ح ٥، باب كيف كان أصل الخيار.

٤ ـ كأنّ لفظة التسعة والواو سقطت من قلم النسّاخ لمخالفته سائر الأخبار. منه قدس سره.

٥ و ٦ ـ الكافي: ج ٦، ص ١٣٨، ح ٢ و ٣، باب كيف كان أصل الخيار.

٧ ـ الكافي: ج ٦، ص ١٣٧، ح ٣، باب الخيار.

يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيراً ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَـٰلِحاً نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً ﴿٣١﴾ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً ﴿٣٢﴾

﴿يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾: ظاهر قبحها.

﴿يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾: ضعفي عذاب غيرهنّ أي مثليه لأن الذنب منهنّ أقبح، وقرئ يضعّفنّ بتشديد العين والنون، ونصب العذاب.

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيراً﴾: لا يمنعه عن التضعيف كونهنّ نساء النّبي وكيف وهو سببه. القمّي: عن الصادق عليه السلام قال: الفاحشة: الخروج بالسّيف[١].

﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ﴾: ومن يدم على الطاعة.

﴿لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَـٰلِحاً نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾: مرّة على الطاعة، ومرّة على طلبهن رضاء النبي صلى الله عليه وآله بالقناعة، وحسن المعاشرة وغير ذلك، وقرئ نعمل ونؤتها بالنون فيهما.

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً﴾: في الجنّة زيادة على أجرها.

القمّي: عن الباقر عليه السلام قال: كل ذلك في الآخرة حيث يكون الأجر يكون العذاب[٢].

﴿يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾: الله.

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾: قيل: فلا تجبّن بقولكن خاضعاً ليّناً مثل قول المريبّات[٣].

﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾: فجور.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٩٣، س ٦ ٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٩٣، س ٣.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٤٤، س ٢٠.

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴿٣٣﴾

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفاً﴾: حسناً بعيداً عن الريبة.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾: من الوقار أو القرار، وقرئ بفتح القاف.

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾: في الإكمال: عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث: أنّ يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام عاش بعد موسى عليه السلام ثلاثين سنة، وخرجت عليه صفراء بنت شعيب زوجة موسى عليه السلام فقالت: أنا أحق منك بالأمر؟ فقاتلها، فقتل مقاتلتها وأحسن أسرها، وأنّ ابنة أبي بكر ستخرج على علي في كذا وكذا ألفاً من أُمّتي، فيقاتلها فيقتل مقاتلتها، ويأسرها فيحسن أسرها، وفيها أنزل الله تعالى: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ» يعني صفراء بنت شعيب[1].

والقمّي: عن الصادق عن أبيه عليهما السلام في هذه الآية قال: أي ستكون جاهليّة أُخرى[2].

﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾: في سائر ما أمركنّ به ونهاكنّ عنه.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾: القمّي: ثم انقطعت مخاطبة نساء النبي صلى الله عليه وآله وخاطب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ» الآية، ثم عطف على نساء النبي صلى الله عليه وآله فقال: «وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ»[3] ثم عطف على آل محمد صلى الله عليه وآله فقال: «إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ» الآية [4][5].

وعن الباقر عليه السلام: نزلت هذه الآية في رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلي بن أبي طالب، وفاطمة،

---

١ ـ اكمال الدين وإتمام النعمة: ص٢٧، ـ مقدمة المؤلف ـ المشاكلة بين الأئمّة والأنبياء.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٩٣، س ٩.
٣ ـ الأحزاب: ٣٤.
٤ ـ الأحزاب: ٣٥.
٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٩٣، س ١١.

والحسن، والحسين، عليهما السلام، وذلك في بيت أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله: أمير المؤمنين، وفاطمة، والحسن، والحسين، صلوات الله عليهم، ثم ألبسهم كساءاً له حبريّاً[١][٢] ودخل معهم فيه، ثم قال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي الذين وعدتني فيهم ما وعدتني، اللّهمّ أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا، فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: أبشري يا أم سلمة فإنك على خير[٣].

وعن زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام: أنّ جهّالاً من الناس يزعمون إنّه إنّما أراد الله بهذه الآية أزواج النبي صلى الله عليه وآله وقد كذّبوا وأثموا وأيمن[٤] الله ولو عنى أزواج النبي صلى الله عليه وآله لقال ليذهب عنكنّ الرّجس ويطهّركنّ تطهيراً، لكان الكلام مؤنثاً كما قال: «وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ»[٥] «وَلَا تَبَرَّجْنَ»[٦] و«لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ»[٧][٨].

والعياشي: عن الباقر عليه السلام ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إنّ الآية ينزل أولها في شيء وأوسطها في شيء وآخرها في شيء ثم قال: «إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» من ميلاد الجاهلية[٩].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال: يعني الأئمّة عليهم السلام، وولايتهم من دخل فيها دخل في بيت النبي صلى الله عليه وآله[١٠].

وعنه عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال في حديث: أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي فإني سألت الله عزّ وجلّ أن لا يفرّق بينهما حتى يوردهما عليّ الحوض، فأعطاني ذلك، وقال: لا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم، وقال: إنهم لن يخرجوكم من باب هدى، ولن يدخلوكم في باب ضلالة، قال:

---

١ ـ الحبرة: ضرب من برود اليمن ويحرّك. القاموس المحيط: ج ٢، ص ٢، مادة «حبر».

٢ ـ وفي نسخة: [خيبرياً] كما في المصدر.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٩٣، س ١١.

٤ ـ اليمين: القسم، مؤنّث لأنّهم كانوا يتماسحون بأيمانهم فيتحالفون، والجمع أيْمُن وأيمان، وأيْمُن الله، وأيم الله، وأيْمَن الله بفتح الميم والهمزة وتكسر، وإيم الله ـ بكسر الهمزة والميم ـ اسم وضع للقسم، والتقدير: أيمن الله قسمي. القاموس المحيط: ج ٤، ص ٢٧٩، مادة «يمن».

٥ و٦ و٧ ـ الأحزاب: ٣٤ و٣٣ و٣٢.

٨ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٩٣، س ١٨.

٩ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ١٧، ح ١، فيمن فسر القرآن برأيه.

١٠ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٢٣، ح ٥٤، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

فلوسكت رسول الله ﷺ ولم يبيّن من أهل بيته لادّعاها آل فلان وآل فلان، ولكن الله عزّ وجلّ أنزل في كتابه لنبيه ﷺ: «إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ» الآية، وكان علي، والحسن، والحسين، وفاطمة عليهم السلام، فأدخلهم رسول الله ﷺ تحت الكساء في بيت أُم سلمة، ثم قال: اللّهمّ إن لكل نبي أهلاً وثقلاً وهؤلاء أهل بيتي وثقلي، فقالت أم سلمة: ألست من أهلك؟ فقال: إنك إلى خير ولكن هؤلاء أهلي وثقلي، وقال: في آخر الحديث الرّجس: هو الشك، والله لا نشك في ربنا أبداً[1].

وفي الخصال: في احتجاج علي عليه السلام على أبي بكر قال: فأنشدك بالله ألي ولأهلي وولدي آية التطهير من الرجس أم لك ولأهل بيتك؟ قال: بل لك ولأهل بيتك، قال: فأنشدك بالله أنا صاحب دعوة رسول الله ﷺ وأهلي وولدي يوم الكساء اللّهمّ هؤلاء أهلي إليك لا إلى النار أم أنت؟ قال: بل أنت وأهل بيتك[2].

وفي احتجاجه عليه السلام على الناس يوم الشورى قال: أنشدكم بالله هل فيكم أحد أنزل الله فيه آية التطهير على رسوله «إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ» الآية فأخذ رسول الله ﷺ كساءاً خيبرياً فضمني فيه وفاطمة عليها السلام والحسن والحسين عليهما السلام ثم قال: يا رب هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا[3].

وفي الإكمال: عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في جمع من المهاجرين والأنصار في المسجد أيام خلافة عثمان: أيّها الناس أتعلمون أن الله عزّ وجلّ أنزل في كتابه: «إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» فجمعني وفاطمة وابنيّ الحسن والحسين عليهم السلام وألقى علينا كساءه وقال: اللّهمّ إن هؤلاء أهل بيتي ولحمتي يؤلمني ما يؤلمهم، ويحزنني ما يحزنهم، ويجرحني ما يجرحهم، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فقالت أُم سلمة: وأنا يا رسول الله؟ فقال: أنت أو إنّك على خير، إنّما أُنزلت فيّ، وفي أخي، وفي ابنتي، وفي ابنيّ، وفي تسعة من ولد ابني الحسين عليهم السلام خاصة، ليس أحد معنا غيرنا، فقالوا كلهم: نشهد أنّ أُم سلمة حدثتنا بذلك فسألنا رسول الله ﷺ فحدثنا كما حدثتنا أم سلمة رضى الله عنها[4].

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨، قطعة من حديث ١، باب ما نصّ الله عزّ وجلّ ورسوله على الأئمة عليهم السلام واحداً فواحداً.

٢ و٣ ـ الخصال: ص ٥٥٠ و٥٦١، ح ٣٠ و٣١، أبواب الأربعين وما فوقه.

٤ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص٢٧٨، قطعة من ح٢٥، باب ٢٤ ـ ما روي عن النبي ﷺ في النص على القائم عليه السلام وأنه الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام.

وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيراً وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴿٣٥﴾

وفي العلل: عن الصادق عليه السلام نزلت هذه الآية في النبي، وأمير المؤمنين، والحسن، والحسين، وفاطمة عليهم السلام، فلما قبض الله عزّ وجلّ نبيه صلى الله عليه وآله كان أمير المؤمنين، ثم الحسن، ثم الحسين عليهم السلام، ثم وقع تأويل هذه الآية «وَأُولُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَـٰبِ ٱللَّهِ»[1] وكان علي بن الحسين عليهما السلام إماماً، ثم جرت في الأئمّة من ولده الأوصياء عليهم السلام فطاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله عزّ وجلّ[2].

أقول: الروايات في نزول هذه الآية في شأن الخمسة أصحاب العباء من طريق الخاصة والعامة أكثر من أن تحصى، وقد ذكر في المجمع من طريق العامة منها ما ذكر من أراده فليطلبه منه[3].

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾: من الكتاب الجامع بين الأمرين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً * إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ﴾: الداخلين في

---

١ ـ الأحزاب: ٦.

٢ ـ علل الشرائع: ص٢٠٥، ح٢، باب ١٥٦ ـ العلة التي من أجلها صارت الإمامة في ولد الحسين دون الحسن صلوات الله عليهم.

٣ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٣٥٦ ـ ٣٥٧.

السلم، المنقادين لحكم الله.

﴿وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾: المصدّقين بما يجب أن يصدّق.

في المجمع: عن النبي صلى الله عليه وآله المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه، والمؤمن من أمن جاره بوائقه[١] وما آمن بي من بات شبعان وجاره طاوٍ[٢].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام إن الايمان ما وقر في القلوب، والإسلام ما عليه المناكح والمواريث، وحقن الدماء، والايمان يشارك الإسلام، والإسلام لا يشارك الايمان[٣].

أقول: ويؤيد هذا قول الله سبحانه «قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَـٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ»[٤].

﴿وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ﴾: المداومين على الطاعة.

﴿وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ﴾: في القول والعمل.

﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ﴾: على الطاعات وعن المعاصي.

﴿وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ﴾: المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم.

﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ﴾: من أموالهم ابتغاء مرضات الله.

﴿وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ﴾: لله بنية صادقة.

﴿وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ﴾: عن الحرام.

﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيراً وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾: بقلوبهم وألسنتهم.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾: لذنوبهم.

﴿وَأَجْراً عَظِيماً﴾: على طاعتهم.

وفي المجمع: عن مقاتل بن حيان لمّا رجعت أسماء بنت عميس من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب دخلت على نساء النبي صلى الله عليه وآله فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن؟ قلن: لا، فأتت رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار، فقال: وممّ ذلك؟

---

١ ـ البوائق: جمع بائقة، وهي الداهية. ومنه باقتهم الداهية: إذا أصابتهم، وفي الحديث: قلت: وما بوائقه؟ قال: ظلمه وغشّه. مجمع البحرين: ج٥، ص١٤٢، مادة «بوق».

٢ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٣٥٨، س ٨.

٣ ـ الكافي: ج ٢، ص٢٦، ح٣، باب أن الإيمان يشرك الإسلام والإسلام لا يشرك الإيمان.

٤ ـ الحجرات: ١٤.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾

قالت: لأنّهنّ لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال فأنزل الله تعالى هذه الآية[١].

﴿وَمَا كَانَ﴾: وما صحّ.

﴿لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ﴾: وقرئ بالياء.

﴿لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾: أن يختاروا من أمرهم شيئاً، بل يجب عليهم أن يجعلوا اختيارهم تبعاً لاختيار الله ورسوله، والخيرة: ما يتخيره.

وقد مرّ في هذه الآية حديث في سورة القصص[٢].

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله خطب على زيد بن حارثة زينب بنت جحش الأسدية من بني أسد بن خزيمة، وهي بنت عمّة النبي صلى الله عليه وآله، فقالت: يا رسول الله حتى أؤامر نفسي فأنظر، فأنزل الله عزّ وجلّ: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ» الآية، فقالت: يا رسول الله أمري بيدك فزوّجها إيّاه الحديث[٣]. ويأتي تمامه عن قريب.

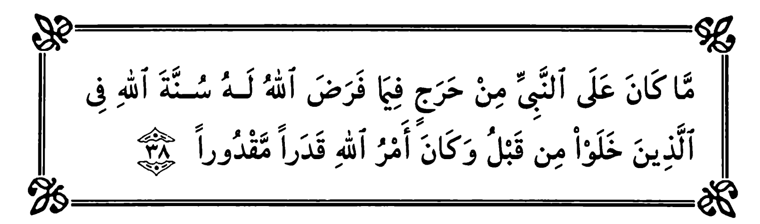
﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾: بالإسلام.

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٣٥٧ ـ ٣٥٨.

٢ ـ الآية: ٦٨، راجع ج٥، ص٤٤١ ـ ٤٤٢ من كتابنا تفسير الصافي.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٩٤.



﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾: بالعتق، وهو زيد بن حارثة.

﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾: زينب.

﴿وَاتَّقِ اللَّهَ﴾: في أمرها فلا تطلّقها.

﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾: وهو أنّها ستكون من أزواجه، وأنّ زيداً سيطلقها.

﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾: تعييرهم إياك به.

﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾: إن كان فيه ما يخشى، في المجمع: عن السجّاد عليه السلام أن الذي أخفاه في نفسه: هو أن الله سبحانه أعلمه أنها ستكون من أزواجه، وأن زيداً سيطلّقها، فلما جاء زيد، وقال له: أُريد أن أطلق زينب، قال له: أمسك عليك زوجك، فقال سبحانه: لم قلت أمسك عليك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك؟[١]

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾: حاجة بحيث ملّها، ولم يبق له فيها حاجة، وطلّقها وانقضت عدتها.

﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾: وقرئ في الشواذ زوّجتكها. وفي الجوامع: أنّها قراءة أهل البيت عليهم السلام[٢].

قال: قال الصادق عليه السلام ما قرأتها على أبي إلا كذلك إلى أن قال: وما قرأ علي عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله إلّا كذلك[٣].

وقال: وروي أن زينب كانت تقول للنبي صلى الله عليه وآله: إني لأدلّ عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدلّ بهن: جدي وجدك واحد، وزوّجنيك الله، والسفير جبرئيل عليه السلام[٤].

﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾: علّة التزويج.

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۞ مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾:

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص ٣٦٠، س ٩.

٢ و ٣ و ٤ ـ جوامع الجامع: ج٣، ص ٣٢٠.

قسم له وقدّر. القمّي: عن الباقر عليه السلام في تمام الحديث السابق قال: فزوّجها إياه فمكث عند زيد ما شاء الله، ثم أنهما تشاجرا في شيء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وآله فأعجبته فقال زيد: يا رسول الله أتأذن لي في طلاقها فإنّ فيها كبراً وإنّها لتؤذيني بلسانها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اتق الله وأمسك عليك زوجك وأحسن إليها، ثم إن زيداً طلّقها وانقضت عدتها، فأنزل الله عزّ وجلّ نكاحها على رسوله[١].

قال: وروي فيه أيضاً غير هذا، وقد نقلناه عند قوله تعالى: «وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ»[٢] في أول هذه السورة[٣].

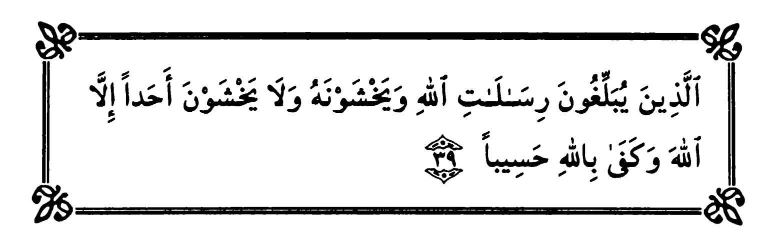
أقول: قد ذكرنا هناك تلك الرواية[٤].

وفي العيون[٥]: عن الرضا عليه السلام في حديث عصمة الأنبياء عليهم السلام قال: وأما محمد صلى الله عليه وآله وقول الله عزّ وجلّ:«وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَـٰهُ» فإنّ الله تعالى عرّف نبيه صلى الله عليه وآله أسماء أزواجه في دار الدنيا، وأسماء أزواجه في الآخرة، وإنهنّ أُمهات المؤمنين، واحدى من سمى له زينب بنت جحش، وهي يومئذ تحت زيد بن حارثة فأخفى صلى الله عليه وآله اسمها في نفسه ولم يبده لكي لا يقول أحد من المنافقين: أنّه قال في إمرأة في بيت رجل أنها إحدى أزواجه من أمهات المؤمنين، وخشي قول المنافقين، قال الله عزّ وجلّ:«وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَـٰهُ» يعني في نفسك، وأن الله عزّ وجلّ ما تولى تزويج أحد من خلقه إلّا تزويج حوّاء من آدم، وزينب من رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله عزّ وجلّ:«فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا» وفاطمة من علي عليهما السلام[٦].

وعنه عليه السلام: في حديث آخر في عصمة الأنبياء أيضاً: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قصد دار زيد ابن حارثة بن شراحيل الكلبي في أمر أراده فرأى إمرأته تغتسل، فقال لها: سبحان الذي خلقك وإنّما أراد بذلك تنزيه الله عن قول من زعم أن الملائكة بنات الله، فقال الله عزّ وجلّ

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٩٤، س ١١.
٢ ـ الأحزاب: ٤.
٣ ـ راجع تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٧٢، س ٣.
٤ ـ راجع: ص ٩ ـ ١٠، من هذا الجزء.
٥ ـ أورده في باب ذكر مجلس الرضا عليه السلام عند المأمون مع أصحاب الملل والمقالات. منه قدّس سرّه.
٦ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٩٤ ـ ١٩٥، ح ١، باب ١٤ ـ ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون مع أهل الملل والمقالات وما أجاب به علي بن محمّد بن الجهم في عصمة الأنبياء سلام الله عليهم أجمعين.


﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيباً ﴿٣٩﴾﴾

«أَفَأَصْفَـٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنَـٰثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً»[1]، فقال النبي ﷺ لما رآها تغتسل: سبحان الله الذي خلقك أن يتخذ ولداً يحتاج إلى هذا التطهير والاغتسال، فلما عاد زيد إلى منزله أخبرته امرأته بمجيئ الرسول ﷺ وقوله لها: «سبحان الذي خلقك» فلم يعلم زيد ما أراد بذلك، فظن أنه قال ذلك لما عجب من حسنها، فجاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن امرأتي في خلقها سوء، وإني أريد طلاقها فقال له النبي ﷺ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ» الآية وقد كان الله عزّ وجلّ عرّفه عدد أزواجه وأن تلك المرأة منهن فأخفى ذلك في نفسه ولم يبده لزيد، وخشى الناس أن يقولوا أن محمداً ﷺ يقول لمولاه أن امرأتك ستكون لي زوجة فيعيبونه بذلك، فأنزل الله تعالى: «وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ» يعني بالإسلام «وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ» يعني بالعتق «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ» الآية، ثمّ إنّ زيد بن حارثة طلّقها واعتدّت منه، فزوّجها الله تعالى من نبيّه ﷺ وأنزل بذلك قرآناً، فقال عزّ وجلّ: «فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً» الآية، ثمّ علم عزّ وجلّ أنّ المنافقين سيعيبونه بتزويجها فأنزل: «مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُ»[2].

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾: سنّ ذلك سنّة.

﴿فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ﴾: من قبل الأنبياء، وهو نفي الحرج عنهم فيما أباح لهم.

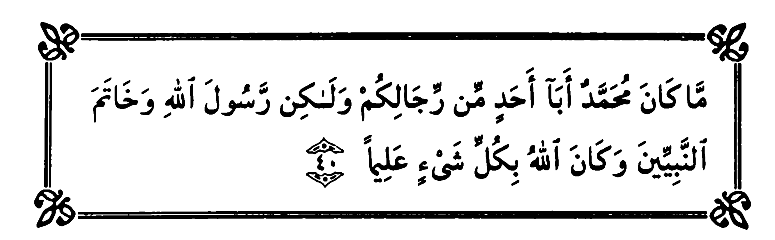
﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً﴾: قضاءاً مقضيّاً وحكماً قطعيّاً.

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيباً﴾: فينبغي أن لا يخشى إلّا منه.

---

١ ـ الإسراء: ٤٠.

٢ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٠٣، ح ١، باب ١٥ ـ ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء عليهم السلام.



﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾: على الحقيقة، فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها.

القمّي: نزلت في زيد بن حارثة قالت قريش: يعيّرنا محمد يدعي[١] بعضنا بعضاً وقد إدعى هو زيداً[٢].

أقول: لا ينتقض عمومه بكونه أباً للقاسم، والطيب، والطاهر، وإبراهيم، لأنّهم ما بلغوا[٣] مبلغ الرجال، ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم، وكذلك لا ينتقض بكونه أباً للأئمة المعصومين صلوات الله عليهم لأنهم رجاله ليسوا برجال الناس، مع أنهم لا يقاسون بالناس.

في المجمع: قد صح أنه صلّى الله عليه وآله قال للحسن عليه السلام: إن ابني هذا سيد، وقال أيضاً للحسن والحسين عليهما السلام ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا[٤].

أقول: يعني قاما بالإمامة أو قعدا عنها.

وقال: إن كل بني بنت ينسبون إلى أبيهم إلّا أولاد فاطمة فإنّي أنا أبوهم[٥].

وقد مضى في سورتي النّساء[٦] والأنعام[٧] ما يدل على أنهما ابنا رسول الله صلّى الله عليه وآله.

﴿وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾: وكل رسول أبو اُمته لا مطلقاً، بل من حيث أنه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم، وزيد منهم، ليس بينه وبينه ولادة محرّمة للمصاهرة وغيرها.

﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ﴾: وآخرهم الذي ختمهم أو ختموا به على اختلاف القرائتين.

---

١ ـ وفي نسخة: [بدعي].

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٩٤، س ١٧.

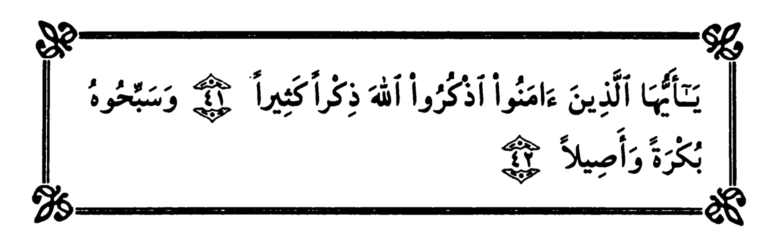
٣ ـ وفي نسخة: [لم يبلغوا].

٤ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٣٦١، س ٣١.

٥ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٣٦١، س ٣٢. وفيه: «كل بني بنت ينتسبون إلى أبيهم».

٦ ـ ذيل الآية: ٢٣، راجع ج ٢، ص ٢١٤ من كتابنا تفسير الصافي.

٧ ـ ذيل الآية: ٨٥، راجع ج ٣، ص ٦٣ ـ ٦٤ من كتابنا تفسير الصافي.



في المناقب: عن النبي ﷺ قال: أنا خاتم الأنبياء وأنت يا علي خاتم الأولياء[١]، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ختم محمد ﷺ ألف نبي وإني ختمت ألف وصي، وأنّي كلّفت ما لم يكلّفوا[٢].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾: فيعلم من يليق أن يختم به النبوّة وكيف ينبغي شأنه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾: يغلب الأوقات ويعمّ أنواع ما هو أهله من التقديس والتمجيد والتهليل والتحميد.

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: أول النهار وآخره خصوصاً لفضلهما على سائر الأوقات لكونهما مشهودين.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: ما من شيء إلّا وله حد ينتهي إليه إلّا الذكر فليس له حد ينتهي إليه، فرض الله الفرائض فمن أدّاهنّ فهو حدّهن، وشهر رمضان: فمن صامه فهو حدّه، والحج: فمن حج فهو حده، إلّا الذكر: فإنّ الله عزّ وجلّ لم يرض منه بالقليل، ولم يجعل له حدّاً ينتهي إليه، ثمّ تلا هذه الآية، فقال: لم يجعل الله له حدّاً ينتهي إليه[٣].

وعنه عليه السلام: شيعتنا الذين إذا خلوا ذكروا الله كثيراً[٤].

وعنه عليه السلام: تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام من الذكر الكثير الذي قال الله «ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا»[٥]. والأخبار في الذكر الكثير أكثر من أن تحصى[٦].

١ـ وفي نسخة: [خاتم الأوصياء].

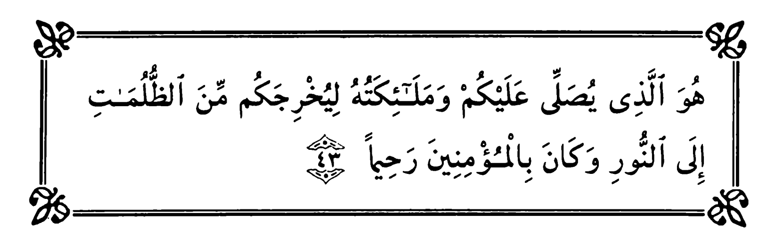
٢ـ مناقب ابن شهرآشوب: ج ٣، ص ٢٦١، س ١٩، في مساواته مع النبي ﷺ.

٣ـ الكافي: ج ٢، ص ٤٩٨، ح ١، باب ذكر الله عزّ وجلّ كثيراً.

٤ـ الكافي: ج ٢، ص ٤٩٩، ح ٢، باب ذكر الله عزّ وجلّ كثيراً.

٥ـ الكافي: ج ٢، ص ٥٠٠، ح ٤، باب ذكر الله عزّ وجلّ كثيراً.

٦ـ أُنظر الكافي: ج ٢، ص ٤٩٨ـ ٥٠٢.


هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ
إِلَى ٱلنُّورِ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾: بالرحمة.

﴿وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ﴾: بالإستغفار لكم، والإهتمام بما يصلحكم.

﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾: من ظلمات الكفر والمعاصي إلى نور الإيمان والطاعة.

﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾: حيث اعتنى بصلاح أمرهم، وإنافة قدرهم، واستعمل في ذلك ملائكته المقربين.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام من صلّى على محمد وآل محمد عشراً صلّى الله عليه وملائكته مائة مرة، ومن صلّى على محمد وآل محمد مائة مرة، صلى الله عليه وملائكته ألفاً، أما تسمع قول الله: «هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ» الآية[1][2].

وفي المجمع: عن النبي صلى الله عليه وآله قال: صلت الملائكة عليّ وعلى علي عليه السلام سبع سنين، وذلك أنه لم يصل فيها أحد غيري وغيره[3].

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٤٩٣ ـ ٤٩٤، ح ١٤، باب الصلاة على النبي محمد وعلى أهل بيته عليهم السلام.

٢ ـ ذكر العلّامة المجلسي رحمه الله في كتابه مرآة العقول، ج ١٢، ص ١٠٠ في شرح هذا الحديث: روت العامّة بإسنادهم عن أبي طلحة قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وآله فلم أره أشد استبشاراً منه يومئذ، ولا أطيب نفساً؛ قلت: يا رسول الله ما رأيتك قط أطيب نفساً ولا أشد إستبشاراً منك اليوم؟ فقال: وما يمنعني وقد خرج آنفاً جبرئيل من عندي، قال: قال الله تعالى: من صلّى عليك صلاة صليت بها عليه عشر صلوات ومحوت عنه عشر سيئات وكتبت له عشر حسنات. وهذا أقل مراتبه كما قال تعالى: «وَٱللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَآءُ» البقرة: ٢٦١. والاستشهاد بالآية لاثبات أصل صلاة الله وملائكته للمؤمنين رفعاً لاستبعاد القاصرين، لا لبيان العدد المذكور إذ لا دلالة فيها على ذلك العدد.

أقول: يمكن الاستدلال باثبات العدد (عشرة) بقوله تعالى: «وَمَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا» الأنعام: ١٦٠.

٣ ـ لم نعثر عليه في مجمع البيان. بل وجدناه في تفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ٣٠٢، ح ٢٢٣، نقلاً عن مجمع البيان. وجاء مثله في تفسير البرهان: ج ٣، ص ٣٣٧، ح ٢٤ و ٢٥ نقلاً عن تفسير الثعلبي.

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَـٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴿٤٥﴾ وَدَاعِياً إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً ﴿٤٧﴾

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَـٰمٌ﴾: قيل: هو من إضافة المصدر إلى المفعول، أي يحيّون يوم لقائه بالسلامة من كل مكروه وآفة(١).

في التوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام اللقاء: هو البعث، فافهم جميع ما في كتاب الله من لقائه فإنه يعني بذلك البعث، وكذلك قوله: «تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَـٰمٌ» يعني أنه لا يزول الإيمان عن قلوبهم يوم يبعثون(٢).

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً﴾: هي الجنة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِداً﴾: على من بعثت إليهم بتصديقهم، وتكذيبهم، ونجاتهم، وضلالهم.

﴿وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾: بتيسيره. في العلل عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: في جواب نفر من اليهود حين سألوه لأي شيء سميت محمداً، وأحمد، وأبا القاسم، وبشيراً، ونذيراً، وداعياً؟ أما الداعي: فإني أدعوا الناس إلى دين ربي عزّ وجلّ، وأما النذير: فاني أنذر بالنار من عصاني، وأما البشير: فإني أُبشّر بالجنّة من أطاعني(٣).

﴿وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾: يستضاء به عن ظلمات الجهالة، ويقتبس من نوره أنوار البصائر.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾: على سائر الأمم أو على أجر أعمالهم.

---

١ ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص٢٤٨، س٢.

٢ ـ التوحيد: ص٢٦٧، ح٥، باب ٣٦ ـ الرد على الثنوية والزنادقة.

٣ ـ علل الشرائع: ص١٢٦ ـ ١٢٧، ح١، باب ١٠٦ ـ العلة التي من أجلها سمي النبي صلى الله عليه وآله محمداً، وأحمد، وأبا القاسم، وبشيراً، ونذيراً، وداعياً، وماحياً، وعاقباً، وحاشراً....

وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰـهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً ﴿٤٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً ﴿٤٩﴾

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾: تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم.

﴿وَدَعْ أَذَىٰـهُمْ﴾: وإيذاؤهم إيّاك، أو إيذاؤك إيّاهم.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: فإنّه يكفيكهم.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً﴾: موكولاً إليه الأمر في الأحوال كلّها.

القمّي: أنها نزلت بمكة قبل الهجرة بخمس سنين، قال: فهذا دليل على خلاف التأليف[١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾: تجامعوهنّ.

﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ﴾: أيّام يتربّصن فيها بأنفسهنّ.

﴿تَعْتَدُّونَهَا﴾: تستوفون عددها.

﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾: من غير ضرار ولا منع حق.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام في رجل طلق امرأته قبل أن يدخل بها، قال: عليه نصف المهر إن كان فرض لها شيئاً، وإن لم يكن فرض لها شيئاً، فليمتّعها على نحو ما يتمتّع به مثلها من النساء[٢].

وفي الفقيه[٣]، والتهذيب: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال: متّعوهنّ أي إحملوهن بما

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٩٤، س ٢٢.

٢ ـ الكافي: ج ٦، ص ١٠٨، ح ١، باب ما للمطلقة التي لم يدخل بها من الصداق.

٣ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٣٢٧، ح ١٥٨٠/٢، باب ١٥٩ ـ طلاق التي لم يدخل بها، وحكم المتوفى عنها زوجها قبل الدخول وبعده.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَات خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِي هَاجَرْنَ مَـعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَـفْسَهَا لِـلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّـبِيُّ أَن يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُـؤْمِنِينَ قَـدْ عَـلِمْنَا مَـا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴿٥٠﴾

قدرتم عليه من معروف، فإنهنّ يرجعن بكآبة ووحشة وهم عظيم، وشماتة من أعدائهنّ، فإن الله كريم يستحيي ويحب أهل الحياء، إن أكرمكم أشدكم إكراماً لحلائلهم[1].

وقد مضى تمام الكلام فيه في سورة البقرة[2].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهنّ، لأن المهر أجر على البضع.

﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾: بالسبي.

﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَـالِكَ وَبَـنَات خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: في الكافي: عن الباقر عليه السلام جاءت إمرأة من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فدخلت عليه وهو في منزل حفصة والمرأة متلبسة متمشطة فـدخلت عـلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله إن المرأة لا تخطب الزوج وأنا إمرأة أيّم لا زوج لي منذ دهر

---

١ ـ تهذيب الأحكام: ج٨، ص١٤١، ح٤٨٨/ ٨٧، باب ٦ ـ عدد النساء.

٢ ـ ذيل الآية ٢٣٧، راجع ج ١، ص ٤١٦ ـ ٤١٨ من كتابنا تفسير الصافي.

ولا ولد فهل لك من حاجة؟ فإن تك، فقد وهبت نفسي لك إن قبلتني، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله خيراً، ودعا لها، ثم قال: يا أُخت الأنصار جزاكم الله عن رسول الله خيراً، فقد نصرني رجالكم، ورغبت فيّ نساؤكم، فقالت لها حفصة: ما أقل حياءك وأجرأك وأنهمك[1] للرجال، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: كفّي عنها يا حفصة فإنّها خير منك رغبت في رسول الله فلمتها وعبتها، ثم قال: للمرأة انصرفي رحمك الله فقد أوجب الله لك الجنة لرغبتك فيّ وتعرّضك لمحبتي وسروري، وسيأتيك أمري إن شاء الله تعالى فأنزل الله عزّ وجلّ: «وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً» الآية قال: فأحل الله عزّ وجلّ هبة المرأة نفسها لرسول الله صلى الله عليه وآله ولا يحل ذلك لغيره[2].

والقمّي: كان سبب نزولها إن امرأة من الأنصار أتت رسول الله صلى الله عليه وآله وقد تهيأت وتزينت، فقالت: يا رسول الله هل لك فيّ حاجة وقد وهبت نفسي لك؟ فقالت لها عائشة: قبّحك الله ما أنهمك للرجال؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: مه يا عائشة فإنّها رغبت في رسول الله صلى الله عليه وآله إذ زهدتنّ فيه، ثم قال: رحمك الله ورحمكم يا معاشر الأنصار، ينصرني رجالكم، وترغب فيّ نساؤكم إرجعي رحمك الله، فإني أنتظر أمر الله عزّ وجلّ، فأنزل الله تعالى: «وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً» الآية فلا تحل الهبة إلّا لرسول الله صلى الله عليه وآله[3].

وفي المجمع: قيل: انها لمّا وهبت نفسها للنبي قالت عائشة: ما بال النساء يبذلن أنفسهن بلا مهر؟ فنزلت الآية، فقالت عائشة: ما أرى الله تعالى إلّا يسارع في هواك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وإنك إن أطعت الله سارع في هواك[4].

وفي الخصال: عن الصادق عليه السلام قال: تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله بخمس عشرة امرأة، ودخل بثلاث عشرة منهنّ، وقبض عن تسع فأما اللتان لم يدخل بهما فعمرة[5] والشنبا[6]، وأمّا

---

١ ـ انهمك الرجل في الشيء: أي جد ولج وكذلك تهمك في الأمر. قاله في الصحاح، وفي القاموس: الإنهماك: التمادي في الشيء واللجاج فيه. مجمع البحرين: ج٥، ص٢٩٩، مادة «همك». ٢ ـ الكافي: ج٥، ص٥٦٨، ح٥٣، باب نوادر.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٩٥، س٤. ٤ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٣٦٥، س١.

٥ ـ وهي عمرة بنت يزيد الغفارية، راجع البداية والنهاية: ج ٥، ص ٢٥٥.

٦ ـ في الكامل لابن الأثير، ج ٢، ص ٣٠٩: الشنبا: وهي أسماء بنت الصلت، وقيل: ابنة الصلت بن حبيب. وجاء في البداية والنهاية، ج ٥، ص ٢٥٥: الشنباء: فلما أُدخلت عليه لم تكن بيسيرة فتركها ينتظر بها اليسر. فلمّا مات ابنه إبراهيم على بغتة ذلك، قال: لو كان نبياً لم يمت ابنه، فطلّقها وأوجب لها الصداق وحرمت على غيره. وفي ⇐

تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾

الثلاث عشرة اللواتي دخل بهن فأوّلهنّ خديجة بنت خويلد، ثم سودة بنت زمعة، ثم أُم سلمة، واسمها هند بنت أبي أُميّة، ثم أُم عبدالله، ثم عائشة بنت أبي بكر، ثم حفصة بنت عمر، ثم زينب بنت خزيمة بن الحارث أُم المساكين، ثم زينب بنت جحش، ثم أُم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، ثم ميمونة بنت الحارث، ثم زينب بنت عميس، ثم جويرية بنت الحارث، ثم صفية بنت حييّ ابن أخطب، والّتي وهبت نفسها للنبي: خولة بنت حكيم السلمي، وكان له سريّتان يقسم لها مع أزواجه مارية القبطية، وريحانة الخندقية، والتسع اللواتي قبض عنهن: عائشة، وحفصة، وأُم سلمة، وزينب بنت جحش، وميمونة بنت الحارث، وأُم حبيبة بنت أبي سفيان، وصفيّة، وجويرية، وسودة، وأفضلهنّ خديجة بنت خويلد، ثم أُم سلمة، ثم ميمونة[1].

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾: من الشرائط والحصر في الأربع.

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ﴾: والجملة اعتراض[2].

﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾: أي خلص إحلالها لك لمعان تقتضي التوسيع عليك.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾: لما يعسر التحرز عنه.

﴿رَّحِيمًا﴾: بالتوسعة في مظان الحرج.

﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾: تؤخرها ولم تنكحها أو تطلقها، وقرئ بغير همزة.

⇦ نسخة: [السنى] كما ورد في المصدر، وجاء في القاموس، ج ٤، ص ٣٤٤، مادة «سني»: وهي بنة أسماء بن الصلت، ماتت قبل أن يدخل بها النبي.

١ ـ الخصال: ص ٤١٩، ح ١٣، باب ٩ ـ قبض النبي عن تسعة نسوة.

٢ ـ أي جملة اعتراضيّة بين قوله تعالى: «لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ» وبين متعلّقه وهو قوله تعالى: «خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ».

لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِن بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيباً ﴿٥٢﴾

﴿وَتُـٔوِىٓ إِلَيْكَ﴾: وتضم إليك وتمسك.

﴿مَن تَشَآءُ﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام[1]، وفي المجمع: عنهما عليهما السلام من آوى فقد نكح، ومن أرجى فلم ينكح[2].

وفي رواية القمّي: ومن أرجى فقد طلّق كما مرت[3].

﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ﴾: طلبت.

﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾: في شيء من ذلك.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾: ذلك التفويض إلى مشيّتك أقرب إلى قرّة عيونهنّ، وقلّة حزنهنّ، ورضاهنّ جميعاً لأنّه حكم كلهنّ فيه سواء، ثم إن سويت بينهنّ وجدن ذلك تفضلاً منك، وإن رجّحت بعضهنّ علمن أنّه بحكم الله فتطمئنّ نفوسهنّ.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً﴾: بذات الصدور.

﴿حَلِيماً﴾: لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتق.

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِن بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾: «من» مزيدة لتأكيد الإستغراق.

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

---

١ ـ الكافي: ج٥، ص٣٨٧ ـ ٣٨٨، ح١، باب ما أحل للنبي صلى الله عليه وآله من النساء.

٢ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٣٦٧، س٨.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٩٢، س١٧.

رَّقِيباً﴾: قيل: المعنى لا يحل لك النساء من بعد الأجناس المذكورة اللاتي نصّ على احلالهنّ لك ولا أن تبدّل بهنّ أزواجاً من أجناس أُخر[١].

وقيل: معناه لا يحل لك النساء من بعد نسائك اللاتي خيّرتهنّ فاخترن الله ورسوله، وهنّ التسع مكافأة لهنّ على إختيارهن الله، ورسوله[٢].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال: إنّما عني به لا يحلّ لك النساء اللاتي حرّم الله عليك في هذه الآية «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ»[٣] إلى آخرها، ولو كان الأمر كما يقولون كان قد أحل لكم ما لم يحل له لأن أحدكم يستبدل كلّما أراد، ولكن الأمر ليس كما يقولون: إن الله عزّ وجلّ أحلّ لنبيه صلى الله عليه وآله أن ينكح من النساء ما أراد إلّا ما حرم في هذه الآية في سورة النساء[٤].

ومثله عن الصادق عليه السلام في عدة روايات وفي بعضها أراكم وأنتم تزعمون أنّه يحلّ لكم ما لم يحلّ لرسول الله صلى الله عليه وآله[٥].

وفي بعضها أحاديث آل محمد صلوات الله عليهم خلاف أحاديث الناس[٦].

القمّي: لا يحل لك النساء من بعد ما حرم عليه في سورة النساء، وقوله: «وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ» معطوف على قصّة إمرأة زيد، ولو أعجبك حسنهن، أي لا تحل لك امرأة رجل أن تتعرض لها حتى يطلقها وتزوّجها أنت، فلا تفعل هذا الفعل بعد هذا[٧].

أقول: وهذه الأخبار كما ترى، وكذا ما قاله القمّي رزقنا الله فهمها.

وقيل: هذه الآية منسوخة بقوله: «تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ» فإنّه وإن تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولاً[٨].

---

١ ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص ٢٥٠، س١٢، وتفسير أبي السعود: ج٧، ص١١١، والكشاف: ج٣، ص٥٥٣.

٢ ـ تفسير أبي السعود: ج٧، ص١١١.

٣ ـ النساء: ٢٣.

٤ ـ الكافي: ج٥، ص٣٨٩، ح٤، باب ما أحل للنبي صلى الله عليه وآله من النساء.

٥ ـ الكافي: ج٥، ص٣٨٨، ح٢، باب ما أُحل للنبي صلى الله عليه وآله من النساء.

٦ ـ الكافي: ج٥، ص٣٩١، ح٨، باب ما أُحل للنبي صلى الله عليه وآله من النساء.

٧ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٧٥، س٥.

٨ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص ٢٥٠، س١٢.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَـٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِ مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعاً فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيماً ﴿٥٣﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾: تدعون إليه.

﴿غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَـٰهُ﴾: غير منتظرين وقته أو إدراكه من أنى الطعام إذا أدرك.

﴿وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُواْ﴾: تفرقوا ولا تمكثوا.

﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِيَّ﴾: لتضيّق المنزل عليه، وعلى أهله، واشتغاله بما لا يعنيه.

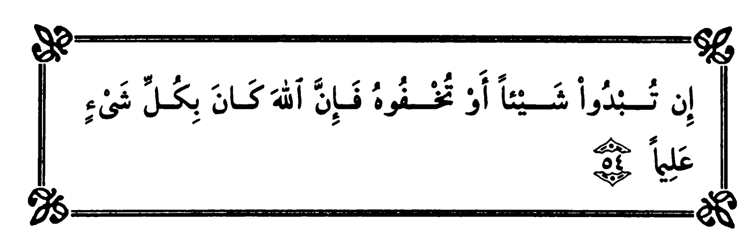
﴿فَيَسْتَحْيِ مِنكُمْ﴾: من إخراجكم.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: فيأمركم بالخروج.

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعاً﴾: شيئاً ينتفع به.

﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ﴾: المتاع.

﴿مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾: الستر. القمّي: لمّا تزوج رسول الله صلّى الله عليه وآله بزينب بنت جحش، وكان يحبّها فأولم ودعا أصحابه، وكان أصحابه إذا أكلوا يحبّون أن يتحدّثوا عند رسول الله صلّى الله عليه وآله وكان يحبّ أن يخلو مع زينب، فأنزل الله عزّ وجلّ: «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ» الى قوله: «مِن وَرَآءِ حِجَابٍ» وذلك أنهم كانوا



يدخلون بلا إذن[1].

وفي العلل: عن الصادق عليه السلام قال: كان جبرئيل عليه السلام إذا أتى النبي قعد بين يديه قعدة العبد وكان لا يدخل حتى يستأذنه[2].

﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾: من الخواطر الشيطانيّة.

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾: أن تفعلوا ما يكرهه.

﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِن بَعْدِهِۦٓ أَبَداً﴾: من بعد وفاته أو فراقه[3].

﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيماً﴾: ذنباً عظيماً.

﴿إِن تُبْدُواْ شَيْئاً﴾: كنكاحهنّ على ألسنتكم.

﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾: في صدوركم.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾: فيعلم ذلك فيجازيكم به.

القمّي: كان سبب نزولها أنه لما أنزل الله: «ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ»، وحرّم الله نساء النبي صلى الله عليه وآله على المسلمين، غضب طلحة، فقال: يحرّم محمد صلى الله عليه وآله علينا نساءه ويتزوّج هو بنسائنا، لئن أمات الله محمداً لنركضنّ بين خلاخيل نسائه كما ركض بين خلاخيل نسائنا، فأنزل الله عزّ وجلّ: «وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٩٥، س١٢.

٢ ـ علل الشرائع: ص٧، ح٢، باب ٧ ـ العلة التي من أجلها صارت الأنبياء والرسل والحجج صلوات الله عليهم أفضل من الملائكة.

٣ ـ وجاء في مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٣٦٦ عن مجاهد: ونزل قوله: «وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ...» إلى آخر الآية: في رجل من الصحابة قال: لئن قبض رسول الله صلى الله عليه وآله لأنكحن عائشة بنت أبي بكر. عن ابن عبّاس قال: قال مقاتل: وهو طلحة بن عبيدالله. وقيل: إنّ رجلين قالا: أينكح محمّد نساءنا ولا ننكح نساءه؟ والله لئن مات لنكحنا نساءه، وكان أحدهما يريد عائشة، والآخر يريد أمّ سلمة، عن أبي حمزة الثمالي.

ٱللَّهِ» الآية[١].

أقول: وهذا الحكم يشمل اللواتي لم يدخل بهن.

في الكافي: عن الحسن البصري أن رسول الله ﷺ تزوج إمرأة من بني عامر بن صعصعة يقال لها: سنى وكانت من أجمل أهل زمانها فلمّا نظرت إليها عائشة وحفصة قالتا: لتغلبنا هذه على رسول الله ﷺ بجمالها، فقالتا لها: لا يرى منك رسول الله ﷺ حرصاً، فلمّا دخلت على رسول الله ﷺ تناولها بيده فقالت: أعوذ بالله، فانقبضت يد رسول الله ﷺ عنها، فطلّقها وألحقها بأهلها، وتزوج رسول الله ﷺ امرأة من كندة بنت أبي الجون فلما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ابن مارية القبطيّة، قالت: لو كان نبياً ما مات ابنه، فألحقها رسول الله ﷺ بأهلها قبل أن يدخل بها، فلما قبض رسول الله ﷺ وولى الناس أبو بكر أتته العامرية، والكندية، وقد خطبتا فاجتمع أبو بكر وعمر وقالا لهما: اختارا إن شئتما الحجاب، وإن شئتما الباه، فاختارتا الباه فتزوجتا، فجزم أحد الزوجين، وجنّ الآخر.

وقال الراوي: فحدّثت بها الحديث زرارة والفضيل فرويا عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: ما نهى الله عزّ وجلّ عن شيء إلّا وقد عصي فيه حتى لقد أنكحوا أزواج رسول الله ﷺ من بعده وذكر هاتين العامريّة والكنديّة، ثم قال: لو سألتهم عن رجل تزوج امرأة فطلقها قبل أن يدخل بها أتحل لإبنه؟ لقالوا: لا، فرسول الله أعظم حرمة من آبائهم[٢][٣].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٩٥.　　٢ ـ الكافي: ج٥، ص٤٢١، ح٣، باب آخر منه وفيه ذكر أزواج النبي ﷺ.

٣ ـ وروى ابن إدريس في المستطرفات: في ذيل كتابه السرائر: ج٣، ص٥٥٠، عن موسى بن بكر الواسطي، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما حرّم الله شيئاً إلّا وقد عصي فيه، لأنّهم تزوّجوا أزواج رسول الله ﷺ من بعده، فخيرهنّ أبو بكر بين الحجاب ولا يتزوجن، أو يتزوّجن، فاخترن التزويج، فتزوّجن، قال زرارة: ولو سألت بعضهم أرأيت لو أنّ أباك تزوّج إمرأة ولم يدخل بها حتّى مات، أتحل لك؟ إذن لقال: لا، وهم قد استحلّوا أن يتزوّجوا أُمّهاتهم إن كانوا مؤمنين، فإنّ أزواج رسول الله ﷺ مثل أُمهاتهم.

وجاء في البداية والنهاية: ج٥، ص٢٥٥، حديث عن عائشة قال: المرأتان اللتان لم يدخل بهما فهما: عمرة بنت يزيد الغفاريّة، والشنباء. فأمّا عمرة فإنّه خلا بها وجرّدها فرأى بها وضحاً فردّها وأوجب لها الصداق وحرمت على غيره، وأمّا الشنباء... فطلّقها وأوجب لها الصداق وحرمت على غيره.

أقول: كيف سمح أبو بكر وعمر لهما بالزواج حتّى اختارتا الباه على الحجاب فتزوّجتا؟ مع العلم بحرمة التزويج لهما بعد الطلاق، اللّهمّ إلّا أنّ يقال إنّهما جهلا هذا الحكم أو أن يقال بأنّ هذا اجتهاد في مقابل النص كما صدر منهما في موارد كثيرة، أُنظر النص والإجتهاد.

لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً ﴿٥٦﴾

وفي المناقب: رواية بأن هذا الحكم يجري في الوصي أيضاً[١].

وفي الكافي: مرفوعاً إليهم عليهم السلام في قول الله عزّ وجلّ: «وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ» قالوا في علي والأئمّة عليهم السلام كالذين آذوا موسى عليه السلام فبرأه الله مما قالوا[٢].

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾: استثناء لمن لا يجب الإحتجاب عنهم.

روي: أنّه لما نزلت آية الحجاب، قال الآباء والأبناء والأقارب: يا رسول الله أونكلمهنّ أيضاً من وراء حجاب فنزلت[٣].

﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾: يعني النساء المؤمنات.

﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ﴾: وقد مضى بيانه في سورة النور[٤].

﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾: فيما أمرتن به.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً﴾: لا يخفى عليه خافية.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ

---

١ ـ مناقب ابن شهراشوب: ج٣، ص٣٠٥، فصل في أزواجه وأولاده وأقربائه.

٢ ـ الكافي: ج١، ص٤١٤، ح٩، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٣ ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص٢٥١، س١٤، ومجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٣٦٨، س٢٣.

٤ ـ ذيل الآية: ٣١، راجع ج ٥، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٤ من كتابنا تفسير الصافي.

﴿وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾: في ثواب الأعمال: عن الكاظم عليه السلام أنه سئل ما معنى صلاة الله، وصلاة ملائكته، وصلاة المؤمن؟ قال: صلاة الله: رحمة من الله، وصلاة الملائكة: تزكية منهم له، وصلاة المؤمنين: دعاء منهم له(١).

وفي المعاني: عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية؟ فقال: الصلاة من الله عزّ وجلّ: رحمة، ومن الملائكة: تزكية، ومن الناس: دعاء، وأما قوله عزّ وجلّ: «وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً» يعني التسليم فيما ورد عنه صلى الله عليه وآله، قيل: فكيف نصلي على محمد وآله؟ قال: تقولون: صلوات الله وصلوات ملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه على محمد وآل محمد، والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته، قيل: فما ثواب من صلّى على النبي صلى الله عليه وآله بهذه الصلوات؟ قال: الخروج من الذنوب والله كهيئة يوم ولدته أُمه(٢).

والقمّي: قال: صلوات الله عليه: تزكية له وثناء عليه، وصلاة الملائكة مدحهم له، وصلاة الناس: دعاؤهم، له والتصديق والإقرار بفضله، وقوله: «وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً» يعني سلّموا له بالولاية، وبما جاء به(٣).

وفي المحاسن: عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية؟ فقال: أثنوا عليه وسلّموا له (٤).

وفي العيون: عن الرضا عليه السلام في مجلسه مع المأمون قال: وقد علم المعاندون منهم أنه لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله قد عرفنا التسليم عليك فكيف الصلاة عليك؟ فقال: تقولون اللّهمّ صلي على محمد وآل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، فهل بينكم معاشر الناس في هذا خلاف؟ قالوا: لا، قال المأمون: هذا ممّا لا خلاف فيه أصلاً وعليه إجماع الأمة، فهل عندك في الآل شيّء أوضح من هذا في القرآن؟ قال عليه السلام: نعم أخبروني عن قول الله تعالى «يٓس * وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ» (٥) فمن عني بقوله يٓس؟ قالت العلماء: يٓس محمد صلى الله عليه وآله لم يشك فيه أحد، قال عليه السلام: فإن

---

١ ـ ثواب الأعمال: ص١٥٦، ح ١، باب ثواب من قال في دبر صلاة الصبح وصلاة المغرب.

٢ ـ معاني الأخبار: ص٣٦٧، ح ١، باب معنى الصلاة من الله عزّ وجلّ على النبي صلى الله عليه وآله.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص١٩٦، س٥.

٤ ـ المحاسن: ج ٢، ص٥٣، ح١١٥٦/٨٥، كتاب العلل.

٥ ـ يٓس: ١ – ٤.

الله أعطى محمداً وآل محمد من ذلك فضلاً لا يبلغ أحد كنه وصفه إلّا من عقله، وذلك أن الله لم يسلم على أحد إلّا على الأنبياء صلوات الله عليهم، فقال تبارك وتعالى: «سَلَـٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَـٰلَمِينَ»[١]، وقال: «سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ»[٢] قال: «سَلَـٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ»[٣] ولم يقل سلام على آل نوح، ولم يقل سلام على آل إبراهيم، ولم يقل سلام على آل موسى وهارون، وقال «سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ»[٤] يعني آل محمد صلوات الله عليهم، فقال: قد علمت أن في معدن النبوة شرح هذا وبيانه[٥].

وعنه عليه السلام فيما كتبه في شرائع الدين والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله واجبة في كل موطن، وعند العطاس، والرّياح، وغير ذلك[٦].

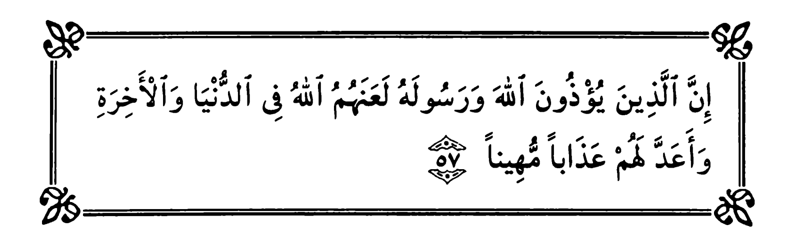
وفي الخصال: مثله عن الصادق عليه السلام[٧].

وفي الكافي[٨]، والفقيه: عن الباقر عليه السلام وصل على النبي صلوات الله عليه وآله كلّما ذكرته أو ذكره ذاكر عندك في أذان وغيره[٩].

وفي الكافي: عنه عليه السلام قال: لما قبض النبي صلى الله عليه وآله صلّت عليه الملائكة والمهاجرون والأنصار فوجاً فوجاً، قال: وقال أمير المؤمنين عليه السلام: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: في صحته وسلامته إنّما أُنزلت هذه الآية عليّ في الصلاة عليّ بعد قبض الله لي: «إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ» الآية[١٠].

---

١ ـ الصافات: ٧٩.
٢ ـ الصافات: ١٠٩.
٣ ـ الصافات: ١٢٠.
٤ ـ الصافات: ١٣٠.
٥ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص٢٣٦ ـ ٢٣٧، ح١، باب ٢٣ ـ ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والأمة.
٦ ـ عيون أخبار الرضا: ج٢، ص١٢٤، س١٨، ح١، باب ٣٥ ـ ما كتبه الرضا عليه السلام للمأمون في محض الإسلام وشرائع الدين.
٧ ـ الخصال: ص٦٠٧، س١٣، ح٩، باب المائة فما فوقه.
٨ ـ الكافي: ج٣، ص٣٠٣، ح٧، باب بدء الأذان والإقامة وفضلها وثوابها.
٩ ـ من لا يحضره الفقيه: ج١، ص١٨٤ ـ ١٨٥، ح٨٧٥/١٢، باب ٤٤ ـ الأذان والإقامة وثواب المؤذنين.
١٠ ـ الكافي: ج١، ص٤٥١، ح٣٨، باب مولد النبي صلى الله عليه وآله ووفاته.



وفيه مرفوعاً: قال: إنّ موسى عليه السلام ناجاه الله تبارك وتعالى، فقال له في مناجاته: وقد ذكر محمداً صلى الله عليه وآله فصلّ عليه يا بن عمران فإني أصلي عليه وملائكتي[١].

وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام لهذه الآية ظاهر وباطن، فالظاهر: قوله: «صَلُّواْ عَلَيْهِ»، والباطن: قوله: «سَلِّمُواْ تَسْلِيماً» أي سلّموا لمن وصّاه واستخلفه وفضّله عليكم وما عهد به إليه تسليماً، قال: وهذا مما أخبرتك أنه لا يعلم تأويله إلّا من لطف حسّه وصفا ذهنه وصحّ تمييزه[٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمخالفة.

﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أبعدهم من رحمته.

﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً﴾: يهينهم مع الإيلام.

القمّي: قال: نزلت فيمن غصب أمير المؤمنين عليه السلام حقّه، وأخذ حقّ فاطمة عليها السلام وأذاها، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من آذاها في حياتي كمن آذاها بعد موتي، ومن آذاها بعد موتي كمن آذاها في حياتي، ومن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله وهو قول الله عزّ وجلّ: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ»[٣].

وفي المجمع: عن علي عليه السلام أنه قال: وهو آخذ بشعره حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله وهو آخذ بشعره فقال: من آذى شعرة منك، فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فعليه لعنة الله[٤].

وفي التهذيب: عن الصادق عليه السلام قال: أخّر رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة من الليالي العشاء الآخرة ما شاء الله، فجاء عمر فدقّ الباب، فقال: يا رسول الله نام النساء، نام الصبيان: فخرج

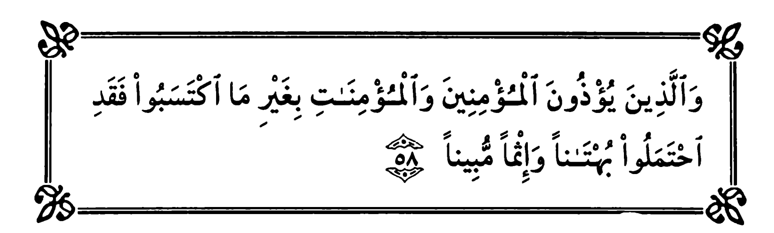
---

١ ـ الكافي: ج٨، ص٤٤، س٣، ح٨، حديث موسى عليه السلام.

٢ ـ الإحتجاج: ج١، ص٣٧٧، س ٣، احتجاجه عليه السلام على زنديق في آي متشابهة.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٩٦، س٩.

٤ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص ٣٧٠، س١٦.



رسول الله ﷺ فقال: ليس لكم أن تؤذوني ولا تأمروني إنّما عليكم أن تسمعوا وتطيعوا[1].

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾: القمّي: يعني عليّاً وفاطمة عليهما السلام، وهي جارية في الناس كلّهم[2].

﴿بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ﴾: بغير جناية استحقّوا بها.

﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَـٰناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾: ظاهراً.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: اذا كان يوم القيامة نادى مناد أين المؤذون لأوليائي؟ فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم[3] فيقال: هؤلاء الذين آذوا المؤمنين، ونصبوا لهم، وعاندوهم، وعنّفوهم في دينهم، ثم يؤمر بهم إلى جهنم[4].

وفي الخصال: عن الباقر عليه السلام الناس رجلان: مؤمن وجاهل، فلا تؤذي المؤمن، ولا تجهل على الجاهل فتكون مثله[5].

والقمّي: عن النبي ﷺ من بهّت مؤمناً أو مؤمنة أقيم في طينة خبال[6] أو يخرج ممّا قال[7].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام ما في معناه، وفي آخره سئل وما طينة الخبال؟ قال:

---

١ ـ تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ٢٨، ح ٨١/ ٣٢، باب ٤ ـ أوقات الصلاة وعلامة كل وقت منها.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٩٦، س ١٣.

٣ ـ إنّما سقط لحم وجوههم لأنّهم كاشفوهم بوجوههم الشديدة من غير استحياء، ونصبوا لهم: يعني العداوة، والتعنيف: التعيير واللوم. منه قدّس سرّه.

٤ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٥١، ح ٢، باب من آذى المسلمين واحتقرهم.

٥ ـ الخصال: ص ٤٩، ح ٥٧، باب الاثنين ـ الناس رجلان.

٦ ـ الخبل ـ بسكون الباء ـ فساد الأعضاء، يقال خبل الحب قلبه: إذا أفسده، وفي الحديث أن الخبال عصارة أهل النار، والخبال في الأصل: الفساد ويكون في الأفعال والأبدان والعقول. النهاية لابن الأثير: ج ٢، ص ٨.

٧ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٩، س ١٧.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴿٥٩﴾ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلاً ﴿٦٠﴾

صديد[١] يخرج من فروج الموسات[٢][٣].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ﴾: يغطين وجوههن وأبدانهنّ بملاحفهنّ إذا برزن لحاجة.

و«من» للتبعيض فإن المرأة ترخي بعض جلبابها وتتلفع[٤] آخر ببعض.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ﴾: يميّزن من الإماء والقينات.

﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾: فلا يؤذيهنّ أهل الريبة بالتعرّض لهنّ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً﴾: لما سلف.

﴿رَّحِيماً﴾: بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها.

القمّي: كان سبب نزولها أن النساء كنّ يخرجن إلى المسجد ويصلين خلف رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا كان بالليل وخرجن إلى صلاة المغرب، والعشاء الآخرة، والغداة، يقعد الشباب لهنّ في طريقهن فيؤذونهن ويتعرّضون لهنّ فأنزل الله: «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ»[٥] الآية.

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شك.

---

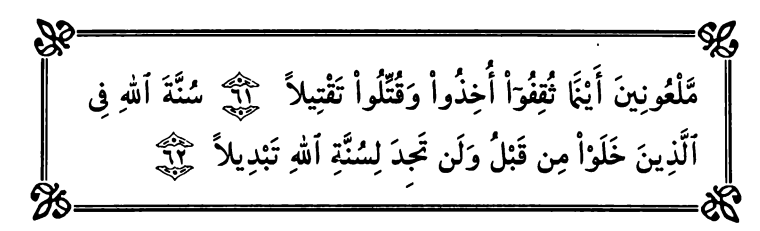
١ ـ الصديد: قيح ودم، وقيل: هو القيح، كأنه الماء في رقته والدم في شكله، وقيل: هو ما يسيل من جلود أهل النار. مجمع البحرين: ج٣، ص٨٤.

٢ ـ الموسة: الفاجرة. مجمع البحرين: ج٤، ص١٠٩، مادة «موس».

٣ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨، ح ٥، باب الغيبة والبهت.

٤ ـ لفع الرجل رأسه تلفيعاً: أي غطّاه. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣٨٨، مادة «لفع».

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص١٩٦، س١٦.



﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾: الذين يرجفون أخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها، وأصله التحريك من الرجفة وهي الزلزلة، سمى به الأخبار الكاذبة لكونه متزلزلاً غير ثابت.

﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾: لنأمرنّك بقتالهم وإجلائهم أو ما يظطرّهم إلى طلب الجلاء.

﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ﴾: فيها في المدينة.

﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾: زماناً أو جواراً قليلاً.

القمّي: نزلت في قوم منافقين كانوا في المدينة يرجفون برسول الله ﷺ إذا خرج في بعض غزواته يقولون: قتل وأُسر، فيغتم المسلمون لذلك، ويشكون ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله في ذلك: «لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ» الآية[١].

قال: مرض: أي شك[٢] «لَنُغْرِيَنَّكَ» أي لنأمرنك بإخراجهم من المدينة.

﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلاً﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام فوجبت عليهم اللعنة يقول الله بعد اللعنة: «أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ[٣] أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلاً»[٤].

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ﴾: سن الله ذلك في الأُمم الماضية وهو أن يقتل الذين نافقوا الأنبياء وسعوا في وهنهم بالإرجاف ونحوه أينما ثقفوا.

﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً﴾: لأنّه لا يبدها ولا يقدر أحد على تبديلها.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٩٦، س ٢٢.

٢ ـ الظاهر إنّ قوله رحمه الله: قال: «مرض»: أي شكّ إنّما يكون محلّه في ذيل قوله تعالى: «فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ» ولا مناسبة له في هذا المحل.

٣ ـ ثقفت الرجل: إذا وجدت وظفرت به. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣٠، مادة «ثقف».

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٩٧، س ٥.

يَسْئَلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداً لَّا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَاْ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَاْ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً ﴿٦٨﴾

﴿يَسْئَلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾: عن وقت قيامها.

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللهِ﴾: لم يطلع عليها ملكاً ولا نبياً.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً﴾: شيئاً قريباً.

﴿إِنَّ ٱللهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً﴾: ناراً شديدة الإيقاد.

﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداً لَّا يَجِدُونَ وَلِيّاً﴾: يحفظهم.

﴿وَلَا نَصِيراً﴾: يدفع العذاب عنهم.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾: تصرف من جهة إلى جهة أو من حال إلى حال.

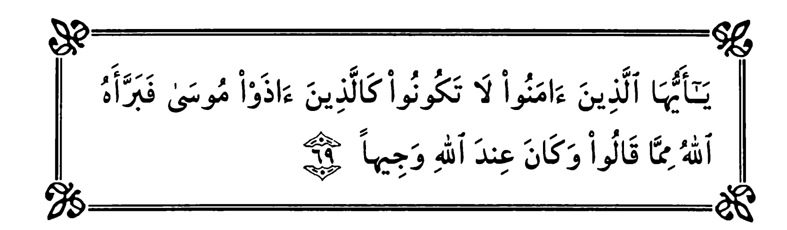
﴿يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَاْ﴾: فلن نبتلى بهذا العذاب، وقرئ[1] كما في الظنونا وكذلك السبيل في السبيلا.

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾: وقرئ ساداتنا.

﴿وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَاْ * رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾: مثل ما آتيتنا منه لأنهم ضلّوا وأضلونا.

---

١ ـ هكذا في الأصل، والمقصود غير معلوم لعدم وجود نائب الفاعل لـ«قرئ».



﴿وَٱلْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً﴾: أي لعناً هو أشد اللعن وأعظمه، وقرئ كثيراً بـالمثلثة أي كثير العدد.

القمّي: هي كناية عن الذين غصبوا آل محمد صلوات الله عليهم حقهم «يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَاْ» يعني: في أمير المؤمنين عليه السلام والسادة والكبراء: هما أول من بدأ بظلمهم وغصبهم فأضلونا السبيلا أي طريق الجنة، والسبيل: أمير المؤمنين عليه السلام[1].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَـٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُـوسَىٰ فَـبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّـا قَالُواْ﴾: فأظهر براءته من مقولتهم.

﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهاً﴾: ذا قربة ووجاهة.

القمّي: عن الصادق عليه السلام إن بني اسرائيل كانوا يقولون: ليس لموسى ما للرجال، وكان موسى إذا أراد الاغتسال ذهب إلى موضع لا يراه فيه أحد من الناس فكان يوماً يغتسل على شط نهر، وقد وضع ثيابه على صخرة فأمر الله عزّ وجلّ الصخرة فتباعدت عنه عليه السلام حتى نظر بنو اسرائيل إليه فعلموا أن ليس كما قالوا فأنزل الله الآية[2].

وفي المجالس: عنه عليه السلام إن رضا الناس لا يملك، وألسـنتهم لا تـضبط، ألم يـنسبوا إلى موسى عليه السلام أنّه عنّين وآذوه حتى برّأه الله ممّا قالوا، وكان عند الله وجيهاً[3].

وفي المجمع: عن علي عليه السلام أنّ موسى وهارون عليهما السلام صعدا الجـبل، فـمات هـارون عليه السلام فقالت بنو اسرائيل: أنت قتلته فأمر الله الملائكة فحملته حتى مرّوا بـه عـلى بـني اسرائـيل وتكلّمت الملائكة بموته حتى عرفوا أنّه قد مات وبرّأه الله من ذلك[4].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٩٧، س٦.
٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٩٧، س١٣.
٣ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ص٩١ ـ ٩٢، ح٣، المجلس الثاني والعشرون.
٤ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٣٧٢، س١٨.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾

ومرفوعاً أن موسى عليه السلام كان حييئاً ستيراً، يغتسل وحده فقالوا: ما يتستّر منّا إلّا لعيب بجلده إمّا برص وإمّا أدرة[1] فذهب مرّة يغتسل فوضع ثوبه على حجر فمرّ الحجر بثوبه فطلبه موسى عليه السلام فرآه بنو اسرائيل عرياناً كأحسن الرجال خلقاً «فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟»[2].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام إنه قال لعباد بن كثير الصوفي البصري: ويحك يا عباد غرّك أن عفّ بطنك وفرجك إن الله عزّ وجلّ يقول في كتابه: «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ» اعلم أنه لا يقبل الله منك شيئاً حتى تقول قولاً عدلاً[3].

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾: في الكافي[4]، والقمّي: عن الصادق عليه السلام: في قول الله عزّ وجلّ «وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ» في ولاية علي عليه السلام والأئمّة عليهم السلام من بعده فقد فاز فوزاً عظيماً، هكذا نزلت[5].

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا

---

١ ـ الأدرة: وهي انتفاخ الخصية، والآدر: من يصيبه فتق في إحدى خصييه، مجمع البحرين: ج ٣، ص ٢٠٣، مادة «أدر». ٢ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٣٧٢، س ٢١.

٣ ـ الكافي: ج ٨، ص ١٠٧، ح ٨١.

٤ ـ الكافي: ج ١، ص ٤١٤، ح ٨، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٩٨، س ٢.

وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾: أقول: ما قيل[١] في تفسير هذه الآية في مقام التعميم: إن المراد بالأمانة: التكليف، وبعرضها عليهن: النظر إلى استعدادهنّ، وبإبائهنّ: الإباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والإستعداد، وبحمل الإنسان: قابليته واستعداده لها، وكونه ظلوماً جهولاً: لما غلب عليه من القوّة الغضبيّة والشهويّة، وهو وصف للجنس باعتبار الأغلب وكل ما ورد في تأويلها في مقام التخصيص يرجع إلى هذا المعنى كما يظهر بالتدبّر.

في العيون[٢]، والمعاني: عن الرضا عليه السلام في هذه الآية: قال: الأمانة: الولاية. من إدعاها بغير حق فقد كفر[٣].

أقول: يعني بالولاية الإمرة والإمامة، ويحتمل إرادة القرب من الله[٤].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام هي ولاية أمير المؤمنين عليه السلام[٥].

وفي البصائر: عن الباقر عليه السلام هي الولاية أبين أن يحملنها كفراً، وحملها الإنسان، والإنسان أبو فلان[٦].

وفي المعاني: عن الصادق عليه السلام الأمانة: الولاية، والإنسان: أبو الشرور المنافق[٧].

وعنه عليه السلام ما ملخّصه: أن الله عرض أرواح الأئمّة عليهم السلام على السماوات والأرض والجبال فغشيها نورهم، وقال في فضلهم ما قال، ثم قال: فولايتهم أمانة عند خلقي فأيّكم يحملها بأثقالها، ويدعيها لنفسه[٨]؟ فأبت من إدعاء منزلتها، وتمنّي محلّها من عظمة ربهم، فلمّا أسكن الله آدم عليه السلام وزوجته الجنة، وقال لهما ما قال، حملهما الشيطان على تمنّي منزلتهم، فنظر إليهم بعين الحسد، فخذلا حتى أكلا من شجرة الحنطة، وساق الحديث إلى أن قال: فلم يزل

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٥٤، س ٩.

٢ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٣٠٦، ح ٦٦، باب ٢٨ ـ فيما جاء عن الإمام علي بن موسى عليهما السلام من الأخبار المتفرقة.

٣ ـ معاني الأخبار: ص ١١٠، ح ٣، باب معنى الأمانة التي عرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين.

٤ ـ وفي نسخة: [المتقرّب بها إلى الله].

٥ ـ الكافي: ج ١، ص ٤١٣، ح ٢، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٦ ـ بصائر الدرجات: ص ٩٦، ح ٣، باب ١٠ ـ في ولاية أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

٧ ـ معاني الأخبار: ص ١١٠، ح ٢، باب معنى الأمانة التي عرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين...

٨ ـ هكذا في الأصل، والظاهر هنا سقط، إذ جملة: «فأبت من إدعاء منزلتها» غير واضحة، والصحيح أن يقال: ويدعيها لنفسه دون خيرتي؟ فأبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن من إدعاء منزلتها... إلى آخره.

أنبياء الله بعد ذلك يحفظون هذه الأمانة، ويخبرون بها أوصياءهم والمخلصين من أُمتهم، فيأبون حملها، ويشفقون من إدعائها، وحملها الإنسان الذي قد عرف فأصل كل ظلم منه إلى يوم القيامة، وذلك قول الله عزّ وجلّ: «إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ» الآية[١].

والقمّي: الأمانة: هي الإمامة والأمر والنهي، والدليل على أن الأمانة هي الإمامة قوله عزّ وجلّ للأئمة: «إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا»[٢] يعني الإمامة، فالأمانة هي الإمامة عرضت على السماوات والأرض والجبال، «فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا» أن يدّعوها أو يغصبوها أهلها «وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ» يعني: الأول «إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولًا»[٣].

أقول: ويدل على أن تخصيص الأمانة بالولاية والإمامة اللتين مرجعهما واحد والإنسان بالأول في هذه الأخبار لا ينافي صحة ارادة عمومها لكل أمانة وتكليف وشمول الإنسان كل مكلف لما عرفت في مقدمات الكتاب من تعميم المعاني وارادة الحقائق.

وفي نهج البلاغة في جملة وصاياه للمسلمين: ثم أداء الأمانة، فقد خاب من ليس بأهلها، إنّها عرضت على السماوات المبنيّة، والأرض المدحوّة، والجبال ذات الطول المنصوبة، فلا أطول ولا أعرض، ولا أعلى ولا أعظم منها، ولو امتنع شيء بطول أو عرض أو قوة أو عز لامتنعن، ولكن أشفقن من العقوبة، وعقلن ما جهل من هو أضعف منهن، وهو الإنسان «إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولًا»[٤].

وفي الكافي: ما يقرب منه[٥].

وفي العوالي: أنّ علياً عليه السلام إذا حضر وقت الصلاة يتململ ويتزلزل ويتلوّن فيقال له: مالك يا أمير المؤمنين؟ فيقول: جاء وقت الصلاة، وقت أمانة عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها[٦].

وفي التهذيب: عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن الرجل يبعث إلى الرجل يقول له: ابتع لي

---

١ ـ معاني الأخبار: ص١٠٨ ـ ١١٠، ح١، باب معنى الأمانة التي عرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين ...

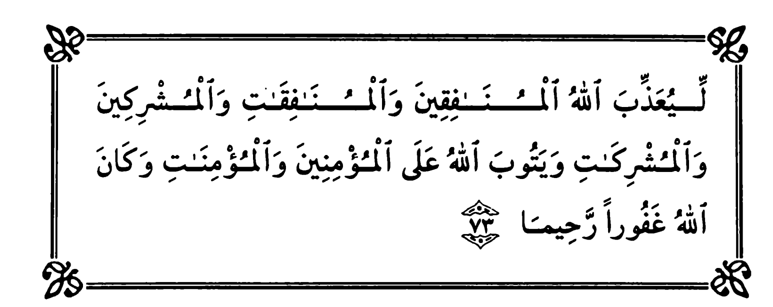
٢ ـ النساء: ٥٨.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٩٨، س٥.

٤ ـ نهج البلاغة: ص٣١٧ ـ ٣١٨، الخطبة ١٩٩.

٥ ـ الكافي: ج٥، ص٣٧، ح١، باب ماكان يوصي أمير المؤمنين عليه السلام به عند القتال.

٦ ـ عوالي اللئالي: ج١، ص٣٢٤، ح٦٢.



ثوباً فيطلب له في السوق فيكون عنده مثل ما يجد له في السوق فيعطيه من عنده قال: لا يقربن هذا ولا يدنس نفسه إن الله عَزّ وجلّ يقول: «إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ» الآية قال: وإن كان عنده خير مما يجد له في السوق فلا يعطيه من عنده[١].

أقول: لا منافاة بين هذه الأخبار حيث خصّصت الأمانة تارة بالولاية، والأُخرى بما يعمّ كلّ أمانة وتكليف، لما عرفت في مقدمات الكتاب من جواز تعميم اللفظ بحيث يشمل المعاني المحتملة كلّها بإرادة الحقائق تارة، والتخصيص بواحد واحد أُخرى.

ثم أقول: ما يقال: في تأويل هذه الآية في مقام التعميم: أن المراد بالأمانة: التكليف بالعبودية لله على وجهها، والتقرّب بها إلى الله سبحانه كما ينبغي لكل عبد بحسب استعداده لها وأعظمها الخلافة الإلـهيّة لأهلها، ثم تسليم من لم يكن من أهلها لأهلها، وعدم إدعاء منزلتها لنفسه، ثم سائر التكاليف. والمراد بعرضها على السماوات والأرض والجبال: النظر إلى استعدادهنّ لذلك، وبإبائهن: الإباء الطبيعي الذي هو عبارة عن عدم اللياقة لها، وبحمل الإنسان إياها من غير استحقاق تكبّراً على أهلها أو مع تقصيره بحسب وسعه في أدائها، وبكونه ظلوماً جهولاً: ما غلب عليه من القوة الغضبيّة والشهويّةوهو وصف للجنس باعتبار الأغلب، فهذه حقائق معانيها الكليّة، وكل ما ورد في تأويلها في مقام التخصيص يرجع إلى هذه الحقائق كما يظهر عند التدبر والتوفيق من الله[٢].

﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ وَيَتُوبَ

١ـ تهذيب الأحكام: ج٦، ص٣٥٢، ح٩٩٩/١٢٠، باب ٩٣ـ المكاسب.

٢ـ هكذا في الأصل. والظاهر هنا تكرار لما قد سبق، والقائل هو البيضاوي. راجع نفس المصدر السابق.

ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾: تعليل للحمل من حيث أنه نتيجته، وذكر التوبة في الوعد اشعار بأن كونهم ظلوماً جهولاً في جبلّتهم لا يخليهم من فرطات.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيمَـا﴾: حيث تاب على فرطاتهم وأثاب بالفوز على طاعتهم.

في ثواب الأعمال[1]، والمجمع: عن الصادق عليه السلام من كان كثير القراءة لسورة الأحزاب كان يوم القيامة في جوار محمد صلى الله عليه وآله وأزواجه[2].

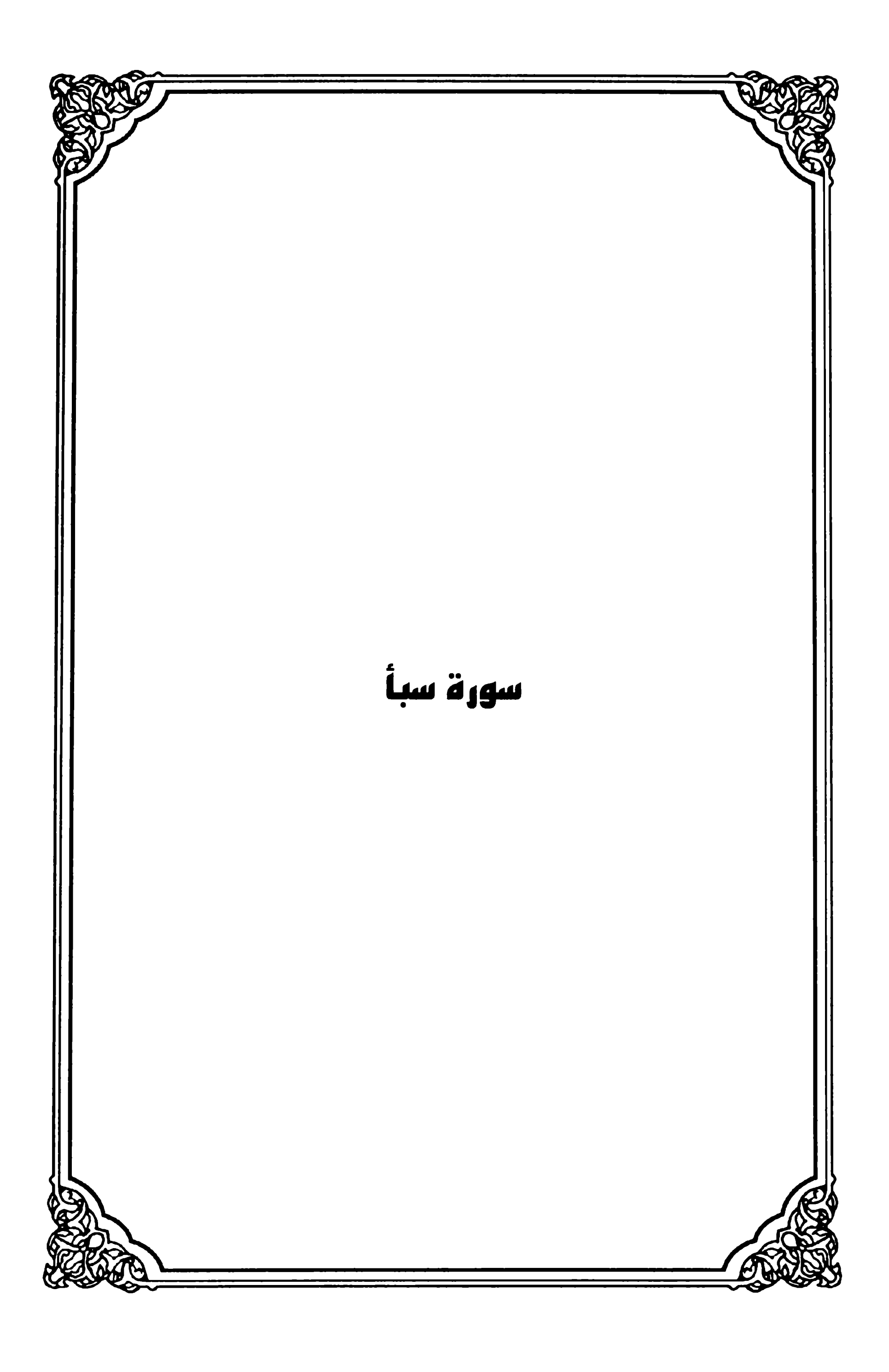
وزاد في ثواب الأعمال، ثم قال: سورة الأحزاب فضحت نساء قريش من العرب، وكانت أطول من سورة البقرة ولكن نقّصوها وحرّفوها.

* * *

---

١ ـ ثواب الأعمال: ص ١١٠، باب ثواب من قرأ سورة الأحزاب

٢ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٣٣٤، في فضلها.



سورة سبأ

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمْ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَـهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأَخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾

سورة سبأ: مكيّة، عدد آيها خمس وخمسون آية شامي، أربع في الباقين، اختلافها آية «عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ»[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: كلّه نعمة من الله، فله الحمد في الدنيا.

﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأَخِرَةِ﴾: لأنّ نعمها أيضاً من الله كلّها.

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾: الذي أحكم أمر الدارين.

﴿ٱلْخَبِيرُ﴾: ببواطن الأشياء.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾: يدخل.

﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: من مطر أو كنز أو ميّت.

﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾: من ماء أو فلزّ أو نبات أو حيوان.

---

١ ـ سبأ: ١٥.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: من مطر أو ملك أو رزق.

﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾: من عمل أو ملك.

﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾: للمقصّرين في شكر نعمه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾: إنكار لمجيئها، أو استبطاء استهزاء بالوعد به[١].

﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي﴾: ردّ لكلامهم وإثبات لما نفوه.

﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾: تكرير لإيجابه مؤكّداً بالقسم مقرّراً له بوصف المقسم به بصفات تقرر إمكانه، وتنفي استبعاده، وقرئ علّام وبالرّفع.

﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: وقرئ «لا يعزب» بالكسر.

﴿وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: رفعهما بالابتداء، والجملة مؤكّدة لنفي العزوب، وقرئ بالفتح على نفي الجنس.

القمّي: عن الصادق عليه السلام قال: أوّل ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة[٢].

﴿لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: علّة لإتيانها، وبيان لما يقتضيه.

---

١ ـ هكذا في الاصل. والأصح كما في الكشاف: ج ٣، ص ٥٧٦، أن يقال: «أو استبطاء لما قد وعدوه من قيامها على سبيل الهزء والسخرية».

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٩٨، س ١٩.

وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝٥ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً أَم بِهِ جِنَّةٌ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ فِي ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ ۝٨

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: لا تعب فيه، ولا منّ عليه.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَـٰتِنَا﴾: بالإبطال وتزهيد الناس فيها.

﴿مُعَـٰجِزِينَ﴾: مسابقين كي يفوتونا، وقرئ معجزين أي مثبّطين عن الإيمان من أراده.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ﴾: من سيّىء العذاب.

﴿أَلِيمٌ﴾: مؤلم، وقرئ بالرفع.

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾: القمّي: قال: هو أمير المؤمنين عليه السلام صدق رسول الله بما أنزل الله عليه[1]. وقرئ برفع الحقّ.

﴿وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾: الذي هو التوحيد والتدرّع بلباس التقوى.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: قال بعضهم لبعض.

﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾: يعنون النبي صلى الله عليه وآله.

﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾: يحدّثكم بأعجب الأعاجيب.

﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: إنّكم تنشئون خلقاً جديداً بعد أن تفرّق أجسادكم كلّ تمزيق وتفريق بحيث تصير تراباً.

﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً أَم بِهِ جِنَّةٌ﴾: جنون يوهمه ذلك، ويلقيه على لسانه.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٩٨ ـ ١٩٩.

أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَـٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْأَخِرَةِ فِي ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾: ردّ من الله عليهم ترديدهم.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم﴾: ما أحاط بجوانبهم.

﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: ممّا يدلّ على كمال قدرة الله وأنّهم في سلطانه تجري عليهم قدرته.

﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: لتكذيبهم الآيات بعد ظهور البيّنات، وقرئ بالياء في ثلاثتهنّ، وكسفاً بتحريك السين.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: النظر والفكر فيهما وما يدلّان عليه.

﴿لَأَيَةً﴾: لدلالة.

﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾: راجع إلى ربّه فإنّه يكون كثير التأمّل في أمره.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَـٰجِبَالُ أَوِّبِي﴾: رجعي.

﴿مَعَهُ﴾: التسبيح، القمّي: أي سبّحي لله[1].

﴿وَٱلطَّيْرَ﴾: أي رجعي أيضاً، أو أنت والطير، وقرئ بالرفع.

﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾: جعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير إحماء وطرق.

القمّي: قال: كان داود إذا مرّ بالبراري يقرأ الزبور وتسبّح الجبال والطير معه

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٩٩، س ٧.

أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُواْ صَـٰلِحاً إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾

والوحوش، وألان الله له الحديد مثل الشمع حتّى كان يتخّذ منه ما أحبّ[١].

وقال: أُعطي داود وسليمان عليهما السلام ما لم يعط أحد من أنبياء الله من الآيات علّمهما منطق الطير، وألان لهما الحديد، والصفر من غير نار، وجعلت الجبال يسبّحن مع داود عليه السلام[٢].

﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ﴾: دروعاً واسعات.

﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾: في نسجها بحيث تتناسب حلقها، أو في مساميرها في الدقّـة والغلظة فلا تغلق ولا تخرق[٣].

في قرب الإسناد: عن الرضا عليه السلام قال: الحلقة بعد الحلقة[٤].

والقمّي: قال: المسامير التي في الحلقة[٥].

﴿وَٱعْمَلُواْ صَـٰلِحاً إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ﴾: وسخرنا له الريح، وقرئ بالرفع.

﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾: جريها بالغداة مسيرة شهر، وبالعشيّ كذلك.

القمّي: قال: كانت الريح تحمل كرسي سليمان فتسير به في الغداة مسيرة شهر، وبالعشيّ مسيرة شهر[٦].

﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾: القمّي: الصفر[٧].

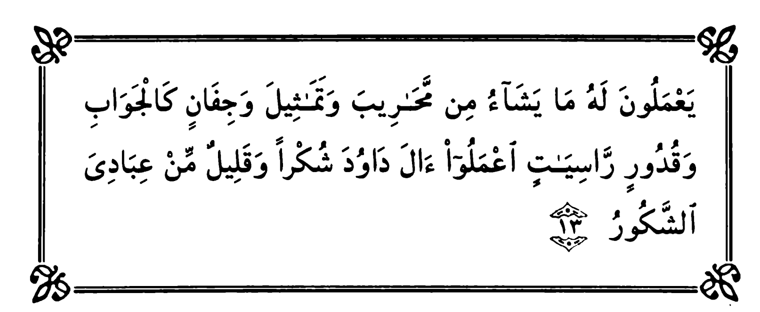
وقيل: أسال له النحاس المذاب من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع، ولذلك سمّاه

---

١ ـ تفسير القمي: ج ٢، ص ١٩٩. ٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٢٦، س ١٣.

٣ ـ هكذا في الأصل. والأصح: «فلا تجعلها دقاقاً فتتعلّق ولا غلاظاً فتحترق».

٤ ـ قرب الإسناد: ص ٣٦٤، ح ١٣٠٥. ٥ و٦ و٧ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٩٩.



عيناً، وكان ذلك باليمن[١].

﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾: بأمره.

﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾: ومن يعدل منهم عمّا أمرناه من طاعة سليمان.

﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾: قيل: عذاب الآخرة[٢]، وقيل: عذاب الدنيا[٣].

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ﴾: قصور حصينة، ومساكن شريفة، سمّيت بها لأنّها يذبّ عنها، ويحارب عليها.

﴿وَتَمَـٰثِيلَ﴾: وصوراً. في الكافي[٤]، والمجمع: عن الصادق عليه السلام، والله ما هي تماثيل الرجال والنساء، ولكنّها الشجر وشبهه[٥].

﴿وَجِفَانٍ﴾: صحاف.

﴿كَالْجَوَابِ﴾: كالحياض الكبار، جمع جابية من الجباية.

﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾: ثابتات على الأثافي[٦] لا تنزل عنها لعظمها.

﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾: المتوفّر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته ومع ذلك لا يوفّي حقّه لأن توفيقه للشكر نعمة يستدعي شكراً آخر لا إلى نهاية[٧]، ولذلك قيل: الشكور من يرى عجزه عن الشكر[٨].

---

١ و ٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٥٧، س ٦ و ٩.

٣ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٣٨٢، س ١٦.

٤ ـ الكافي: ج ٦، ص ٥٢٧، ح ٧، باب تزويق البيوت.

٥ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٣٨٣، س ١٥.

٦ ـ الأثفية والإثفية: الحجر الذي توضع عليه القدر، وجمعها أثافيّ وأثاف. لسان العرب: ج ١، ص ٧٢، مادة «أثف».

٧ ـ هكذا في الأصل. والأصح: «لا نهاية له».

٨ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٥٧، س ١٦.

فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾: أي على سليمان.

﴿مَادَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّادَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾: أي الأرضة، والأرض فعلها اُضيفت إليه.

﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾: عصاه من نسأه إذا طرده.

﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾: في المجمع: وفي الشواذ «تبيّنت الإنس» ثمّ نسبها إلى السجّاد والصادق عليهما السلام[١].

ويأتي ذكرها في الكافي، عن الصادق عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى سليمان بن داود عليهما السلام أنّ آية موتك أنّ شجرة تخرج من بيت المقدس يقال لها: الخرنوبة، قال: فنظر سليمان يوماً فإذا الشجرة الخرنوبة قد طلعت من بيت المقدس، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخرنوبة، قال: فولّى سليمان مدبراً إلى محرابه، فقام فيه متكئاً على عصاه، فقبض روحه من ساعته، قال: فجعلت الجنّ والإنس يخدمونه، ويسعون في أمره كما كانوا، وهم يظنّون أنّه حي لم يمت، يغدون ويروحون، وهو قائم ثابت حتّى دبّت الأرضة من عصاه فأكلت منسأته فانكسرت وخرّ سليمان إلى الأرض، أفلا تسمع لقوله عزّ وجلّ: «فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ» الآية[٢].

وفي العلل: عن الباقر عليه السلام قال: أمر سليمان بن داود عليهما السلام الجنّ فصنعوا له قبّة من قوارير فبينا هو متّكىء على عصاه في القبّة ينظر إلى الجنّ كيف يعملون، وينظرون إليه إذ حانت منه التفاتة فإذا هو برجل معه في القبّة ففزع منه، فقال له: من أنت؟ قال: أنا الذي لا أقبل الرشا، ولا أهاب الملوك، أنا ملك الموت، فقبضه وهو متّكىء على عصاه في القبّة، والجنّ ينظرون إليه، قال: فمكثوا سنة يدأبون له حتّى بعث الله عزّ وجلّ الأرضة فأكلت منسأته وهي العصا «فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ» الآية، قال عليه السلام: فالجنّ تشكر الأرضة بما عملت بعصا سليمان فما تكاد تراها

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٣٨٠، في القراءة.
٢ ـ الكافي: ج ٨، ص ١٤٤، ح ١١٤.

في مكان إلّا وعندها ماء وطين[١].

والقمّي: قال: لمّا أوحى الله إلى سليمان أنّك ميّت أمر الشياطين أن تتخذ له بيتاً من قوارير، ووضعوه في لجّة البحر، ودخله سليمان فاتّكأ على عصاه وكان يقرأ الزبور والشياطين حوله ينظرون إليه، ولا يجسرون أن يبرحوا فبينا هو كذلك إذ حانت منه التفاتة ثمّ ذكر كالحديث السابق، ثمّ قال: فلمّا خرّ على وجهه تبيّنت الإنس أنّ الجنّ: «لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينُ» فهكذا نزلت هذه الآية، وذلك أنّ الإنس كانوا يقولون: إنّ الجنّ يعلمون الغيب، فلمّا سقط سليمان عليه السلام على وجهه علموا أن لو يعلم الجنّ الغيب لم يعملوا سنة لسليمان عليه السلام وهو ميّت ويتوهّمونه حيّاً[٢].

وفي العيون[٣]، والعلل: عن الرضا، عن أبيه، عن أبيه عليهم السلام إنّ سليمان بن داود عليهما السلام قال ذات يوم لأصحابه: إنّ الله تعالى وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي، سخّر لي الريح، والإنس، والجنّ، والطير، والوحوش، وعلّمني منطق الطير وآتاني من كلّ شيء، ومع جميع ما أُوتيت من الملك ما تمّ لي سرور يوم إلى الليل، وقد أحببت أن أدخل قصري في غد فأصعد أعلاه وأنظر إلى ممالكي ولا تأذنوا لأحد عليّ لئلّا يرد عليّ ما ينغّص[٤] عليّ يومي، قالو: نعم، فلمّا كان من الغد أخذ عصاه بيده وصعد إلى أعلى موضع من قصره، ووقف متكّئاً على عصاه ينظر إلى ممالكه مسروراً بما أُوتي فرحاً بما أُعطي، إذ نظر إلى شابّ حسن الوجه، واللباس قد خرج عليه من بعض زوايا قصره، فلمّا بصر به سليمان عليه السلام قال له: من أدخلك إلى هذا القصر وقد أردت أن أخلو فيه اليوم، فبإذن من دخلت؟ قال الشاب: أدخلني هذا القصر ربّه وبإذنه دخلت، فقال: ربّه أحقّ به منّي، فمن أنت؟ قال: أنا ملك الموت، قال: وفيما جئت؟ قال: جئت لأقبض روحك، قال: امض لما أُمرت به فهذا يوم سروري وأبى الله عزّ وجلّ أن يكون لي سرور دون لقائه، فقبض ملك الموت روحه وهو متّكئ على عصاه، فبقي سليمان متّكئاً على

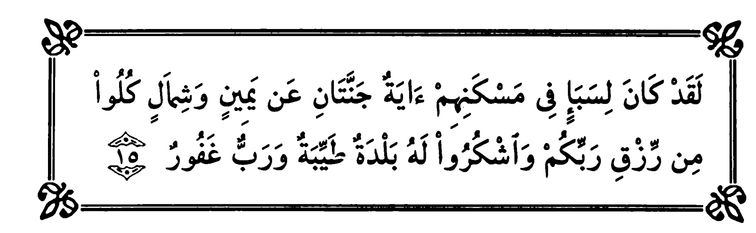
---

١ ـ علل الشرائع: ص ٧٤، ح ٣، باب ٦٤ ـ العلّة التي من أجلها صار عند الأرضة حيث كانت ماء وطين.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٩٩، س ٢٠.

٣ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦ ح ٢٤، باب ٢٦ ـ ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار النادرة في فنون شتّى.

٤ ـ نغّص عليه العيش تنغيصاً: كدّره، وتنغّصت معيشته: تكدّرت. مجمع البحرين: ج ٤، ص ١٨٦، مادة «نغّص».



عصاه وهو ميّت ما شاء الله والناس ينظرون إليه، وهم يقدّرون أنّه حيّ فافتتنوا فيه واختلفوا، فمنهم من قال: قد بقي سليمان عليه السلام متّكئاً على عصاه هذه الأيّام الكثيرة ولم يتعب ولم ينم ولم يأكل ولم يشرب إنّه لربّنا الذي يجب علينا أن نعبده. وقال قوم: إنّ سليمان ساحر وأنّه يرينا أنّه واقف متّكئ على عصاه يسحر أعيننا وليس كذلك.

فقال المؤمنون: إنّ سليمان هو عبدالله ونبيّه، يدبرّ الله أمره بما يشاء، فلمّا اختلفوا بعث الله عزّ وجلّ الأرضة فدبّت في عصاه، فلمّا أكلت جوفه انكسرت العصا، وخرّ سليمان من قصره على وجهه، فشكرت الجنّ للأرضة صنيعها، فلأجل ذلك لا توجد الأرضة في مكان إلّا وعندها ماء وطين، وذلك قول الله عزّ وجلّ: «فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ»، يعني عصاه «فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟» الآية.

ثمّ قال الصادق عليه السلام: والله ما نزلت هذه الآية هكذا، وإنّما نزلت: «فلمّا خرّ تبيّنت الإنس أنّ الجنّ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين»[١].

وفي الإحتجاج: عن الصادق عليه السلام أنّه سئل كيف صعدت الشياطين إلى السماء وهم أمثال الناس في الخلقة والكثافة وقد كانوا يبنون لسليمان بن داود عليه السلام من البناء ما يعجز عنه ولد آدم؟ قال: غلظوا لسليمان كما سخروا وهم خلق رقيق غذاهم التنسّم، والدليل على ذلك صعودهم إلى السماء لإستراق السمع ولا يقدر الجسم الكثيف على الإرتقاء إليها إلّا بسلّم أو بسبب[٢].

في الإكمال: عن النبي صلى الله عليه وآله عاش سليمان بن داود سبعمائة سنة واثنتي عشرة سنة[٣].

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾: لأولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

---

١ ـ علل الشرائع: ص ٧٣ ـ ٧٤، ح ٢، باب ٦٤ ـ العلّة التي من أجلها صار عند الأرضة حيث كانت ماء وطين.

٢ ـ الإحتجاج: ج ٢، ص ٨١، احتجاج الإمام الصادق عليه السلام على الزنديق.

٣ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٥٢٣ ـ ٥٢٤، ح ٣، باب ٤٦ ـ ما جاء في التعمير.

في المجمع: عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه سئل عن سبأ أرجل هو أم إمرأة؟ فقال: هو رجل من العرب، ولد له عشرة: تيامن منهم ستّة، وتشاءم منهم أربعة، فأمّا الذين تيامنوا: فالأزد[١] وكندة[٢] ومذحج[٣] والأشعرون[٤] والأنمار[٥] وحمير[٦]، قيل: ما أنمار؟ قال: الذين منهم خثعم[٧] وبجيلة[٨]، وأمّا الذين تشأموا: فعاملة[٩] وجذام[١٠] ولخم[١١] وغسّان[١٢][١٣].

---

١ ـ وهو أزد بن الغوث، وبالسين أفصح، أبو حي باليمن، ومن أولاده الأنصار كلّهم، ويقال: أزدشنوأه، وعمان و السَّراة. القاموس المحيط: ج ١، ص ٢٧٤، مادة «أزد».

٢ ـ وكندة ـ بالكسر ـ ويقال: كندي: لقب ثور بن غفير أبو حي من اليمن، لأنّه كَنَدَ أباه النعمة ولحق بأخواله. القاموس المحيط: ج ١، ص ٣٣٤، مادة «كند».

٣ ـ مَذْحِجْ، مثال مَسْجِدْ: أبو قبيلة من اليمن، وهو مَذْحِجُ بن يُحَابِرَ بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ. قال سيبويه: الميم من نفس الكلمة. الصحاح: ج ١، ص ٣٤٠، مادة «ذحج». وفي القاموس: ج ١، ص ١٩٠، ومذحج كمجلس، أكمة ولدت مالكاً وطيئاً أُمّهما عندها فسموا مذحجاً.

٤ ـ الأشعر: لقب عمرو بن حارثة الأسدي، ولقب نبت بن أدد لأنّه ولد وعليه شعر وهو أبو قبيلة باليمن، منهم أبو موسى الأشعري. القاموس المحيط: ج ٢، ص ٥٩، مادة «شعر».

٥ ـ نمر: أبو قبيلة، وهو نَمِرُ بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة. والنسبة إليهم نمري بفتح الميم، استيحاشاً لتوالي الكسرات لأنّ فيه حرفاً واحداً غير مكسور، ونِمِرٌ بكسر النون: اسم رجل. ونُمَيْرٌ: أبو قبيلة من قيس، وهو نُمَير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن. الصحاح: ج ٢، ص ٨٣٧، مادة «نمر».

٦ ـ حِمْيَرُ: أبو قبيلة من اليمن، وهو حِمْيَر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ومنهم كانت الملوك في الدهر الأوّل. واسم حمير العَرَنْجَج. الصحاح: ج ٢، ص ٦٣٨، مادة «حمر».

٧ ـ خثعم: أبو قبيلة، وهو خثعم بن أنمار من اليمن، ويقال: هم من معد، وصاروا باليمن. الصحاح: ج ٥، ص ١٩٠٩، مادة «خثعم».

٨ ـ بجيلة: حي من اليمن، والنسبة إليهم بَجَلي بالتحريك، ويقال: إنّهم من معد، لأنّ نزار بن معد ولد مصر وربيعة وأياداً وأنماراً، ثمّ أنمار ولد بجيلة وخثعم فصاروا باليمن. الصحاح: ج ٤، ص ١٦٣٠، مادة «بجل».

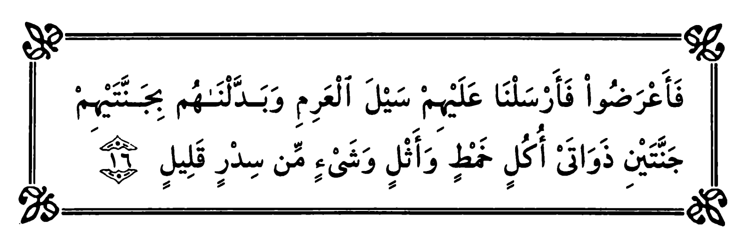
٩ ـ عامِلَة: حي من اليمن، وهو عاملة بن سبأ، ويزعم نساب مُضَر أنّهم من ولد قاسط. الصحاح: ج ٥، ص ١٧٧٥، مادة «عمل».

١٠ ـ جُذَام: قبيلة من اليمن تنزل بجبال حسمي تزعم نُسّاب مُضر أنّهم من معد. الصحاح: ج ٥، ص ١٨٨٤، مادة «جذم».

١١ ـ لخم: حي من اليمن، ومنهم كانت ملوك العرب في الجاهليّة، وهم آل عمرو بن عدي بن نصر اللخمي. الصحاح: ج ٥، ص ٢٠٢٨، مادة «لخم».

١٢ ـ غسّان: اسم ماء نزل عليه قوم من الأزد، فنسبوا إليه، منهم بنو جفنة رهط الملوك، ويقال: غسّان: اسم قبيلة. الصحاح: ج ٦، ص ٢١٧٤، مادة «غسن».

١٣ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٣٨٦، س ٤.



﴿فِى مَسْكَنِهِمْ﴾: موضع سكناهم، قيل: وهي باليمن يقال لها: مأرب[١]، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث[٢]. وقرئ بالإفراد، ثمّ بفتح الكاف وبكسره.

﴿ءَايَةٌ﴾: علامة دالّة على وجود الصانع المختار، وأنّه قادر على ما يشاء من الأُمـور العجيبة.

﴿جَنَّتَانِ﴾: جماعتان من البساتين[٣].

﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾: جماعة عن يمين بلدهم، وجماعة عن شماله، كلّ واحدة منها في تقاربها وتضايقها كأنّه جنّة واحدة، كذا قيل[٤].

﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ﴾: على إرادة القول.

﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾: وقرئ الكلّ بالنصب.

﴿فَأَعْرَضُواْ﴾: عن الشكر.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾: أي العظيم الشديد.

القمّي: قال: إنّ بحراً كان في اليمن، وكان سليمان عليه السلام أمر جنوده أن يجروا لهم خليجاً من البحر العذب إلى بلاد الهند ففعلوا ذلك، وعقدوا له عقدة عظيمة من الصخر والكلس[٥] حتّى

---

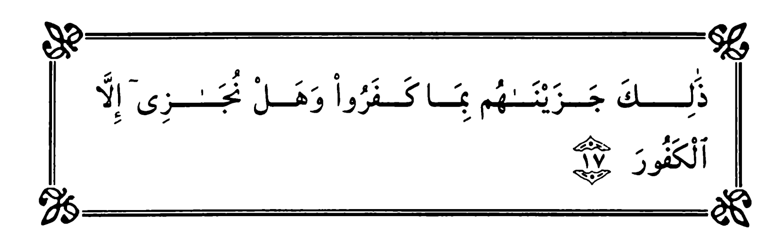
١ ـ مأرب: اسم المكان، وهي بلاد الأزد باليمن، قال السهيلي: مأرب: اسم قصر كان لهم، وقيل هو اسم لكل ملك كان يلي سبأ، كما أن تبّعاً اسم لكل من ولي اليمن، والشحر وحضرموت، قال المسعودي: وكان هذا السد من بناء سبأبن يشجب بن يعرب، وكان سافله سبعين وادياً، ومات قبل أن يستتمه فأتمه ملوك حمير بعده، قال المسعودي: بناه لقمان بن عاد وجعله فرسخاً في فرسخ وجعل له ثلاثين مشعباً. معجم البلدان: ج ٥، ص ٣٤، مادة «مرب».

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٥٨، س ١٤.

٣ ـ هكذا في الأصل. والصحيح: «مجموعتان من البساتين».

٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٥٨. والعبارة غير مفهومة، والظاهر أنّها مأخوذة من تفسير الكشاف، وصاحبه قد اقتبس ذلك من مجمع البيان بتصرف لا يفيد المعنى. راجع مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٣٨٦.

٥ ـ الكِلْسُ: الصاروج يبنى به. الصحاح: ج ٣، ص ٩٧١، مادة «كلس».



يفيض على بلادهم، وجعلوا للخليج مجاري فكانوا إذا أرادوا أن يرسلوا منه الماء أرسلوه بقدر ما يحتاجون إليه، وكانت لهم جنّتان عن يمين وشمال عن مسيرة عشرة أيّام فيها يمرّ المار لا يقع عليه الشمس من التفافها، فلمّا عملوا بالمعاصي، وعتوا عن أمر ربّهم، ونهاهم الصالحون، فلم ينتهوا، بعث الله عزّ وجلّ على ذلك السد الجرذ وهي الفارة الكبيرة، فكانت تقلع الصخرة التي لا تستقلّها الرجال وترمي بها، فلمّا رآى ذلك قوم منهم هربوا وتركوا البلاد، فما زال الجرذ تقلع الحجر حتّى خرّبوا ذلك السد فلم يشعروا حتّى غشيهم السيل وخرب بلادهم وقلع أشجارهم، وهو قوله تعالى: «لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ» الآية إلى قوله «سَيْلَ ٱلْعَرِمِ» أي العظيم الشديد[١].

﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾: مُرّ بشع[٢]. القمّي: وهو امّ غيلان[٣][٤].

﴿وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾: قيل: معطوفان على «أُكُل» لا على «خَمْط»، فإنّ الأثل هو الطرفاء[٥] ولا ثمر له، ووصف السدر بالقلّة لأنّ جناه وهو النبق ممّا يطيب أكله، ولذلك تغرس في البساتين، وتسميته البدل جنّتين للمشاكلة والتهكّم[٦][٧].

﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ﴾: بكفرانهم النعمة.

١ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠٠، س ١٤.

٢ـ شيء بشع: أي كريه الطعم والرائحة يأخذ بالحلق. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٩٩، مادة «بشع».

٣ـ أُم غيلان: شجر معروف، منه كثير في طريق مكة. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٤٣٨، مادة «غيل».

٤ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠١، س ٤.

٥ـ الطرفاء: شجر. الواحدة طرفة. الصحاح: ج ٥، ص ١٣٩٤، مادة «طرف».

٦ـ التهكّم: الاستهزاء، وقول سكينة لهشام: يا أحول لقد أصبحت تتهكم بنا. لسان العرب: ج ١٥، ص ١١١، مادة «هكم».

٧ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٥٩، س ٦.

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَـلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾

﴿وَهَلْ نُجَـٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾: إلّا البليغ في الكفران، وقرئ بالنون ونصب الكفور.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾: بالتوسعة على أهلها.

وقيل: هي قرى الشام[1].

والقمّي: قال: مكّة[2].

﴿قُرًى ظَـٰهِرَةً﴾: متواصلة يظهر بعضها لبعض.

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾: بحيث يقيل الغادي في قرية ويبيت في اُخرى.

﴿سِيرُواْ فِيهَا﴾: على إرادة القول.

﴿لَيَالِيَ وَأَيَّاماً﴾: متى شئتم من ليل أو نهار.

﴿ءَامِنِينَ * فَقَالُواْ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾: أشروا النعمة، وملّوا العافية فسألوا الله أن يجعل بينهم وبين الشام مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزوّد الأزواد، فأجابهم الله بتخريب القرى المتوسّطة، وقرئ بعد.

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام «رَبَّنَا بَـٰعِدْ» بلفظ الخبر[3] على أنّه شكوى منهم لبعد سفرهم إفراطاً منهم في الترفيه وعدم الإعتداد بما أنعم الله عليهم فيه.

﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: حيث بطروا النعمة.

﴿فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾: يتحدّث الناس بهم تعجّباً وضرب مثل، فيقولون: تفرّقوا

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٥٩، س ١٢.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠١، س ٦.

٣ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٣٨٤، في القراءة.

أيدي سبأ.

﴿وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: وفرّقناهم غاية التفريق حتّى لحق غسّان، منهم بالشام، وأنمار بيثرب، وجذام بتهامة، والأزد بعمّان.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: فيما ذكر.

﴿لَأَيَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾: عن المعاصي.

﴿شَكُورٍ﴾: على النعم، في الكافي: عن الصادق عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية، فقال: هؤلاء قوم كانت لهم قرىً متصلة ينظر بعضهم إلى بعض، وأنهار جارية، وأموال ظاهرة، فكفروا نعم الله عزّ وجلّ، وغيّروا ما بأنفسهم من عافية الله، فغيّر الله ما بهم من نعمة «وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ»[1] فأرسل الله عليهم سيل العرم، فغرّق قراهم، وخرّب ديارهم، وذهب بأموالهم وأبدلهم مكان جنّتيهم جنّتين ذواتي أُكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل[2].

وفي الإحتجاج: عن الباقر عليه السلام في حديث الحسن البصري في هذه الآية، قال عليه السلام: بل فينا ضرب الله الأمثال في القرآن، فنحن القرى التي بارك الله فيها، وذلك قول الله عزّ وجلّ فيمن أقرّ بفضلنا حيث أمرهم أن يأتونا فقال: «وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا» أي جعلنا بينهم وبين شيعتهم القرى التي باركنا فيها قرىً ظاهرة، والقرى الظاهرة: الرسل والنقلة عنّا إلى شيعتنا وفقهاء شيعتنا، وقوله سبحانه: «وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ» والسير مثل للعلم سيروا به ليالي وأيّاماً مثل لما يسير من العلم في الليالي والأيّام عنّا إليهم في الحلال والحرام والفرائض والأحكام، آمنين فيها إذا أخذوا عن معدنها الذي أُمروا أن يأخذوا منه آمنين من الشكّ والضلال، والنقلة من الحرام إلى الحلال[3].

---

١ ـ الرعد: ١١. ٢ ـ الكافي: ج ٨، ص ٣٩٥، ح ٥٩٦.

٣ ـ الإحتجاج: ج ٢، ص ٦٣، احتجاج الباقر عليه السلام على الحسن البصري. وإليك صدر الحديث: عن أبي حمزة الثمالي: قال: أتى الحسن البصري أبا جعفر عليه السلام فقال: جئتك لأسألك عن أشياء من كتاب الله، فقال أبو جعفر: ألست فقيه أهل البصرة؟ قال: قد يقال ذلك، فقال له أبو جعفر عليه السلام: هل بالبصرة أحد تأخذ عنه؟ قال: لا، قال: فجميع أهل البصرة يأخذون عنك؟ قال: نعم، فقال أبو جعفر عليه السلام: سبحان الله لقد تقلّدت عظيماً من الأمر، بلغني عنك أمر فما أدري أكذاك أنت أم يكذب عليك؟ قال: ماهو؟ قال: زعموا أنّك تقول: إنّ الله خلق العباد ففوض إليهم ⇐

وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْأَخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾

وعن السجّاد عليه السلام: إنّما عنى بالقرى: الرجال، ثمّ تلا آيات في هذا المعنى من القرآن، قيل: فمن هم؟ قال: نحن هم، قال: أولم تسمع إلى قوله: «سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّاماً ءَامِنِينَ»، قال: آمنين من الزيغ[١].

وفي الإكمال: عن القائم عليه السلام في هذه الآية، قال: نحن والله القرى التي بارك الله فيها، وأنتم القرى الظاهرة[٢].

وفي العلل: عن الصادق عليه السلام في حديث أبي حنيفة الذي سبق صدره في آخر المقدّمة الثانية[٣] «سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّاماً ءَامِنِينَ»، قال: مع قائمنا أهل البيت عليهم السلام[٤].

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾: صدق في ظنّه وهو قوله: لاضلنّهم ولأغوينّهم، وقرئ بالتشديد أي حقّقه.

﴿فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾:

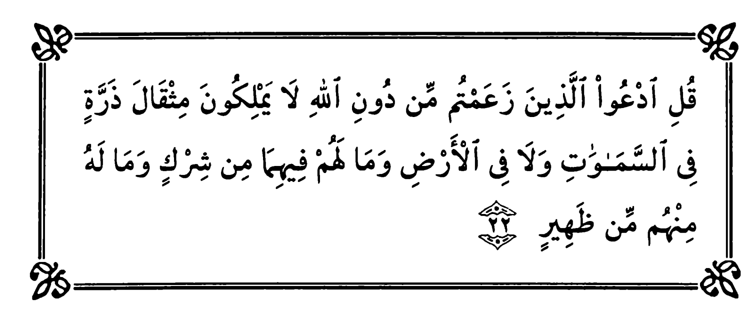
⇐ أُمورهم، قال: فسكت الحسن، فقال: رأيت من قال الله له في كتابه: أنّك آمن هل عليه خوف بعد هذا القول منه، فقال الحسن: لا، فقال أبو جعفر عليه السلام: إني أعرض عليك آية وأنهي إليك خطاباً، ولا أحسبك إلّا وقد فسّرته على غير وجهه فإن كنت فعلت ذلك فقد هلكت وأهلكت، فقال له: ما هو؟ قال: أرأيت حيث يقول: «وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرىً ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّاماً ءَامِنِينَ»، يا حسن بلغني أنّك أفتيت الناس فقلت: هي مكة، فقال أبو جعفر عليه السلام: فهل يقطع على من حج مكة، وهل يخاف أهل مكة، وهل تذهب أموالهم؟ قال: بلى، قال: فمتى يكونون آمنين... إلى آخر الحديث الموجود في المتن.

١ ـ الإحتجاج: ج ٢، ص ٤٣، احتجاج زين العابدين عليه السلام في أشياء شتّى من علوم الدين.

٢ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٤٨٣، ح ٢، باب ٤٥ ـ ذكر التوقيعات الواردة عن القائم عليه السلام.

٣ ـ أُنظر ج ١، ص ٥٨ ـ ٥٩ من كتابنا تفسير الصافي.

٤ ـ علل الشرائع: ص ٩١، ذيل ح ٥، باب ٨١ ـ علّة المرارة في الأُذنين، والعذوبة في الشفتين، والملوحة في العينين، والبرودة في الأنف.



تسلّط وإستيلاء بوسوسة وإستغواء.

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْأَخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾: ليتميّز المؤمن من الشاكّ، أراد بحصول العلم حصول متعلّقه.

﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾: في الكافي: عن الباقر عليه السلام قال: كان تأويل هذه الآية لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله والظنّ من إبليس حين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: أنّه ينطق عن الهوى، فظنّ بهم إبليس ظنّاً فصدّقوا ظنّه[1].

والقمّي: عن الصادق عليه السلام لمّا أمر الله نبيّه صلى الله عليه وآله أن ينصب أمير المؤمنين عليه السلام للناس في قوله: «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ»[2] في علي بغدير خم، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، فجاءت الأبالسة إلى إبليس الأكبر وحثّوا التراب على رؤوسهم، فقال لهم إبليس: مالكم؟ قالوا: إنّ هذا الرجل قد عقد اليوم عقدة لا يحلّها شيء إلى يوم القيامة، فقال لهم إبليس: كلّا إنّ الذين حوله قد وعدوني فيه عدة لن يخلفوني، فأنزل الله عزّ وجلّ على رسوله: «وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ» الآية[3].

﴿قُلِ﴾: للمشركين.

﴿ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾: آلهة.

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: فيما يهمّكم من جلب نفع أو دفع ضرّ.

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: من خير أو شرّ.

﴿فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: في أمرهما.

---

١ ـ الكافي: ج ٨، ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥، ح ٥٤٢. ٢ ـ المائدة: ٦٧.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠١، س ٩.

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾

﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾: من شركة لا خلقاً ولا ملكاً.

﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾: يعينه على تدبير أمرهما.

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ﴾: ولا تنفعهم شفاعة أيضاً كما يزعمون.

﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾: أن يشفع، وقرئ بضمّ الهمزة.

القمّي: قال: لا يشفع أحد من أنبياء الله ورسله يوم القيامة حتّى يأذن الله له إلّا رسول الله صلى الله عليه وآله فإنّ الله عزّ وجلّ قد أذن له في الشفاعة من قبل يوم القيامة، والشفاعة له وللأئمّة عليهم السلام، ثمّ بعد ذلك للأنبياء(١).

وعن الباقر عليه السلام: ما من أحد من الأوّلين والآخرين إلّا وهو محتاج إلى شفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة، ثمّ قال: إنّ لرسول الله صلى الله عليه وآله الشفاعة في اُمّته، ولنا الشفاعة في شيعتنا، ولشيعتنا الشفاعة في أهاليهم، ثمّ قال: وأنّ المؤمن ليشفع في مثل ربيعة ومضر، وأنّ المؤمن ليشفع حتّى لخادمه، يقول يا ربّ حق خدمتي كان يقيني الحرّ والبرد(٢).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾: يعني يتربّصون فزعين حتّى إذا كشف الفزع عن قلوبهم، وقرئ على البناء للفاعل.

﴿قَالُوا۟﴾: قال بعضهم لبعض.

﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾: ذو العلوّ والكبرياء.

القمّي: عن الباقر عليه السلام وذلك أنّ أهل السماوات لم يسمعوا وحياً فيما بين أن بعث عيسى ابن مريم عليهما السلام إلى أن بعث محمّد صلى الله عليه وآله فلمّا بعث الله عزّ وجلّ جبرئيل إلى محمّد صلى الله عليه وآله سمع أهل السماوات صوت وحي القرآن كوقع الحديد على الصفا، فصعق أهل السماوات فلمّا فرغ من الوحي انحدر جبرئيل عليه السلام كلّما مرّ بأهل سماء فزع عن قلوبهم، يقول: كشف عن قلوبهم، فقال

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠١، س ١٩.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠٢، س ٦.

قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾

بعضهم لبعض: «مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ»[١].

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: تقرير لقوله «لا يملكون».

﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾: إذ لا جواب سواه، وفيه إشعار بأنّهم إن سكتوا أو تلعثموا[٢] في الجواب مخافة الإلزام فهم مقرّون به بقلوبهم.

﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾: أي وإنّ أحد الفريقين من الموّحدين والمشركين لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال المبين، وهو أبلغ من التصريح لأنّه في صورة الإنصاف المسكت للخصم المشاغب.

قيل: اختلاف الحرفين لأنّ الهادي كمن صعد مناراً ينظر الأشياء ويطّلع عليها أو ركب جواداً يركضه حيث يشاء، والضال: كأنّه منغمس في ظلام مرتبك[٣] لا يرى، أو محبوس في مطمورة لا يستطيع أن يتفصّى منها[٤].

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: هذا أدخل في الإنصاف، وأبلغ في الإخبات، حيث أسند الإجرام إلى أنفسهم والعمل إلى المخاطبين.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾: يوم القيامة.

﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾: يحكم ويفصل بأن يدخل المحقّين الجنّة والمبطلين النار.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠٢، س ١٢.

٢ ـ تلعثم: تمكّث وتوقّف وتأنّى، أو نكص عنه وتبصّره. القاموس المحيط: ج ٤، ص ١٧٦، مادة «لعثم».

٣ ـ ارتبك: اختلط، وارتبك الرجل: أي نشب ولم يتخلّص. منه ﷺ.

٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٦١، س ٩.

قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَآءَ كَلَّا بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾

﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ﴾: الحاكم الفاصل.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بما ينبغي أن يقضي به.

﴿قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَآءَ﴾: لأرى بأي صفة ألحقتموهم بالله في استحقاق العبادة، وهو استفسار عن شبهتهم بعد إلزام الحجّة عليهم زيادة في تبكيتهم.

﴿كَلَّا﴾: ردع لهم عن المشاركة بعد إبطال المقايسة.

﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: الموصوف بالغلبة، وكمال القدرة والحكمة، وهؤلاء الملحقون متّسمة بالذلّة متأبية عن قبول العلم والقدرة رأساً.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾: إلّا إرسالة عامّة لهم من الكفّ، فإنّها إذا عمّتهم فقد كفّتهم أن يخرج منها أحد منهم.

﴿بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: فيحملهم جهلهم على مخالفتك، في الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى أعطى محمّداً شرايع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى على نبيّنا وآله وعليهم السلام، إلى أن قال: وأرسله كافّة إلى الأبيض والأسود والجن والإنس[1].

وفي روضة الواعظين: عن السجاد عليه السلام إنّ أبا طالب سأل النبي عليه السلام يا بن أخ إلى الناس كافّة أُرسلت أم إلى قومك خاصّة؟ قال: لا بل إلى الناس أُرسلت كافّة الأبيض والأسود والعربي والعجمي، والذي نفسي بيده لأدعونّ إلى هذا الأمر الأبيض والأسود ومن على رؤوس الجبال، ومن في لجج البحار، ولأدعونّ السنة فارس والروم[2].

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ١٧، ح ١، باب الشرائع.　　٢ ـ روضة الواعظين: ص ٥٤.

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

والقمّي: عن الصادق عليه السلام إنّه قال لرجل: أخبرني عن الرسول صلّى الله عليه وآله كان عامّاً للناس بشيرا؟ أليس قد قال الله عزّ وجلّ في محكم كتابه: «وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ»، لأهل الشرق والغرب وأهل السماء والأرض من الجنّ والإنس هل بلّغ رسالته إليهم كلّهم؟ قال: لا أدري، قال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لم يخرج من المدينة فكيف أبلغ أهل الشرق والغرب، ثمّ قال عليه السلام: إنّ الله تعالى أمر جبرئيل عليه السلام فاقتلع الأرض بريشة من جناحه ونصبها لرسول الله صلّى الله عليه وآله فكانت بين يديه مثل راحته في كفّه ينظر إلى أهل الشرق والغرب، ويخاطب كلّ قوم بألسنتهم، ويدعوهم إلى الله عزّ وجلّ وإلى نبوّته بنفسه، فما بقيت قرية ولا مدينة إلّا ودعاهم النبي صلّى الله عليه وآله بنفسه[١].

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾: الموعود بقوله: «يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا»[٢].

﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾: يخاطبون به رسول الله صلّى الله عليه وآله والمؤمنين.

﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾: إذا فاجأكم، وهو جواب تهديد في مقابل تعنّتهم وإنكارهم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: ولا بما تقدّمه من الكتب الدالّة على البعث.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠٢، س ٢١.　　٢ ـ سبأ: ٢٦.

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَاداً وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِيٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: في موضع المحاسبة.

﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾: يتحاورون ويتراجعون القول.

﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ﴾: الأتباع.

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾: للرؤساء.

﴿لَوْلَآ أَنتُمْ﴾: لولا إضلالكم وصدّكم إيّانا عن الإيمان.

﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾: باتّباع الرسول.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾: أنكروا أنّهم كانوا صادّين لهم عن الإيمان، وأثبتوا أنّهم هم الذين صدّوا أنفسهم حيث أعرضوا عن الهدى، وآثروا التقليد عليه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: إضراب عن إضرابهم، أي لم يكن إجرامنا الصاد بل مكركم لنا دائباً ليلاً ونهاراً حتّى أغرتم علينا رأينا.

﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَاداً وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾: وأضمر الفريقان الندامة عن الضلالة والإضلال وأخفاها كلّ عن صاحبه مخافة التعيير.

وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

القمّي: قال: يسرّون الندامة في النار إذا رأوا ولي الله، فقيل: يا ابن رسول الله وما يغنيهم إسرارهم الندامة وهم في العذاب؟ قال: يكرهون شماتة الأعداء[١].

﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: أي في أعناقهم فجاء بالظاهر تنويهاً بذمّهم، وإشعاراً بموجب إغلالهم.

﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: أي لا يفعل بهم ما يفعل إلّا جزاءاً على أعمالهم.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾: تسلية لرسول الله ﷺ ممّا مني به من قومه وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لأنّ الداعي المعظم إلى التكبّر والمفاخرة بزخارف الدنيا والإنهماك في الشهوات والإستهانة بمن لم يحظ منها، ولذلك ضمّ المفاخرة والتهكّم إلى التكذيب.

﴿وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾: فنحن أولى بما تدعونه إن أمكن.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾: إمّا لأنّ العذاب لا يكون، أو لأنّه أكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب.

﴿قُلْ﴾: ردّاً لحسبانهم.

﴿إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾: يوسّع لمن يشاء، ويضيّق على من يشاء، وليس ذلك لكرامة وهوان.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠٣، س ١٤.

وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحاً فَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِيٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُوْلَـٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾

﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: إنّ ذلك كذلك، في نهج البلاغة: وأمّا الأغنياء من مترفة الأُمم فتعصّبوا لآثار مواقع النعم فقالوا: «نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلاً وَأَوْلَـٰداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ» فإن كان لابدّ من العصبيّة فليكن تعصّبكم لمكارم الخصال، ومحامد الأفعال، ومحاسن الأُمور، التي تفاضلت فيها المجد والنّجد من بيوتات العرب، ويعاسيب[1] القبائل بالأخلاق الرغيبة، والأحلام العظيمة، والأخطار الجليلة، والآثار المحمودة[2].

﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾: قربة.

﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحاً﴾: بانفاق ماله في سبيل الله، وتعليم ولده الخير والصلاح.

﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ﴾: من المكاره، وقرئ بالتوحيد.

القمّي: عن الصادق عليه السلام وقد ذكر رجل الأغنياء ووقع فيهم، فقال عليه السلام: اسكت فإنّ الغني إذا كان وصولاً برحمه بارّاً بإخوانه، أضعف الله له الأجر ضعفين، لأنّ الله يقول «وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ» الآية[3]. وفي العلل ما يقرب منه[4].

﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِيٓ ءَايَـٰتِنَا﴾: بالردّ والطعن.

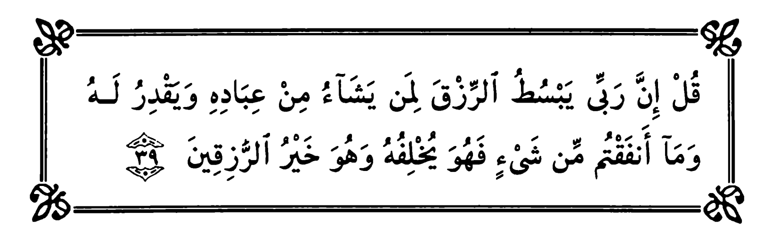
---

١ ـ اليعسوب: أمير النحل وكبيرهم وسيّدهم، تضرب به الأمثال، لأنه إذا خرج من كورة تبعه النحل بأجمعه، واليعاسيب: رؤساء القبائل وساداتها. مجمع البحرين: ج ٢، ص ١٢١، مادة «عسب».

٢ ـ نهج البلاغة: ص ٢٩٥، الخطبة ١٩٢ المسمّاة بالقاصعة. «عصبيّة المال». وفيه: «التي تفاضلت فيها المجداء والنجداء».

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠٣، س ١٩.

٤ ـ علل الشرائع: ص ٦٠٤، ح ٧٣، باب ٣٨٥ ـ نوادر العلل.



﴿مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ * قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ﴾: هذا في شخص واحد باعتبار وقتين، وما سبق في شخصين فلا تكرير.

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾: عوضاً إمّا عاجلاً أو آجلاً.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: فإنّ غيره وسط في إيصال رزقه لا حقيقة لرازقيّته.

القمّي: عن الصادق عليه السلام قال: إنّ الربّ تبارك وتعالى ينزل أمره كلّ ليلة جمعة إلى السماء الدنيا من أوّل الليل، وفي كلّ ليلة في الثلث الأخير، وأمامه ملك ينادي هل من تائب فيتاب عليه؟ هل من مستغفر فيغفر لهم؟ هل من سائل فيعطى سؤله؟ اللّهمّ اعط كلّ منفق خلفاً، وكلّ ممسك تلفاً إلى أن يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر عاد أمر الربّ إلى عرشه فيقسم الأرزاق بين العباد، ثمّ قال: وهو قول الله: «وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ»[١].

وفي الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام من بسط يده بالمعروف إذا وجده يخلف الله له ما أنفق في دنياه ويضاعف له في آخرته[٢].

وعن النبي صلى الله عليه وآله من صدّق بالخلف جاد بالعطيّة[٣].

وفي رواية: من أيقن بالخلف سخت نفسه بالنفقة[٤].

وقيل للصادق عليه السلام: إنّي أنفق ولا أرى خلفاً، قال: أفترى الله عزّ وجلّ أخلف وعده؟ قيل: لا، قال: فمم ذلك؟ قيل: لا أدري، قال: لو أنّ أحدكم اكتسب المال من حلّه لم ينفق درهماً

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠٤، س ٣. ٢ ـ الكافي: ج ٢، ص ١٥٤، ح ١٩، باب صلة الرحم.
٣ ـ الكافي: ج ٤، ص ٢، ح ٤، باب فضل الصدقة.
٤ ـ الكافي: ج ٤، ص ٤٣، ح ٣، باب الإنفاق.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعاً وَلَا ضَرّاً وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾

إلّا أخلف عليه[١].

وعن الرضا عليه السلام قال لمولى له: هل أنفقت اليوم شيئاً؟ فقال: لا والله، فقال عليه السلام: فمن أين يخلف الله علينا؟[٢].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً﴾: المستكبرين والمستضعفين.

﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ﴾: تقريعاً للمشركين وتبكيتاً وإقناطاً لهم عمّا يتوقّعون من شفاعتهم، وتخصيص الملائكة لأنّهم أشرف شركائهم، والصالحون للخطاب منهم، وقرئ بالياء فيها.

﴿قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾: أنت الذي نواليه من دونهم، لا موالاة بيننا وبينهم، كأنّهم يبيّنوا بذلك براءتهم عن الرضا بعبادتهم، ثمّ أضربوا عن ذلك ونفوا أنّهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم:

﴿بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾: أي الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله.

﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ * فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعاً وَلَا ضَرّاً﴾: إذ الأمر فيه كلّه له لأنّ الدار دار جزاء وهو المجازي وحده.

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٤٨٦، ح ٨، باب الثناء قبل الدعاء.

٢ ـ الكافي: ج ٤، ص ٤٤، ح ٩، باب الإنفاق.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُواْ مَا هَـٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَـٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ فَكَذَّبُواْ رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾

﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ * وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُواْ مَا هَـٰذَآ﴾: يعنون به النبي صلى الله عليه وآله.

﴿إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾: فيستتبعكم بما يستبدعه.

﴿وَقَالُواْ مَا هَـٰذَآ﴾: يعنون القرآن.

﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾: كذب.

﴿مُّفْتَرًى﴾: على الله.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَمَآ ءَاتَيْنَـٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾: تدعوهم إلى ما هم عليه.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾: ينذرهم على تركه، فمن أين وقع لهم هذه الشبهة.

﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: كما كذّبوا.

﴿وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ﴾: قيل: وما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا أُولئك من القوّة، وطول العمر، وكثرة المال، أو ما بلغ أُولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البيّنات والهدى[1].

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٦٤، س ١٠.

قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾

أقول: كأنّه أُريد على التقديرين أنّ أُولئك كانوا أحرى بتكذيب رسلهم من هؤلاء، وعليه يحمل ما رواه القمّي مرفوعاً، قال: كذّب الذين من قبلهم رسلهم وما بلغ ما آتينا رسلهم معشار ما آتينا محمّداً وآل محمّد عليهم السلام[1]. أو يحمل على أنّ المراد أنّ فضائل محمّد وآله أحرى بالحسد والتكذيب، وإيتاء محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله إيتاء لهم، فلا ينافي الحديث ظاهر القرآن.

﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِي﴾: لا تكرير فيه لأنّ الأوّل مطلق، والثاني مقيّد.

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: أي إنكار لهم بالتدمير، فليحذر هؤلاء من مثله.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾: أرشدكم وأنصح لكم بخصلة واحدة.

﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ﴾: معرضين عن المراء والتقليد.

﴿مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾: متفرّقين اثنين اثنين وواحداً واحداً، فإنّ الإزدحام يشوّش الخاطر ويخلط القول.

﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾: في أمري وما جئت به لتعلموا حقيّته.

﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾: فتعلموا ما به من جنون يحمله على ذلك.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: أي قدّامه، في الكافي[2]، والقمّي: عن الباقر عليه السلام قال: إنّما أعظكم بولاية علي عليه السلام هي الواحدة التي قال الله[3].

وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث إنّ الله جلّ ذكره أنزل عزائم الشرائع على نبيّه صلى الله عليه وآله وآيات الفرائض في أوقات مختلفة، كما خلق السماوات والأرض في ستّة أيّام،

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠٤، س ١٤.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٢٠، ح ٤١، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠٤، س ١٨.

قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

ولو شاء أن يخلقها في أقلّ من لمح البصر لخلق، ولكنّه جعل الإناة والمداراة مثالاً لأُمنائه، وإيجاباً للحجّة على خلقه، فكان أوّل ما قيّدهم به الإقرار بالوحدانيّة والربوبيّة والشهادة بأن لا إله إلّا الله، فلمّا أقرّوا بذلك تلاه بالإقرار لنبيّه ﷺ بالنبوّة والشهادة له بالرسالة، فلمّا انقادوا لذلك فرض عليهم الصلاة، ثمّ الصوم، ثمّ الحجّ، ثمّ الجهاد، ثمّ الزكاة، ثمّ الصدقات، وما يجري مجراها من مال الفيء، فقال المنافقون: هل بقي لربك علينا بعد الذي فرض علينا شيء آخر يفرضه فتذكره لتسكن أنفسنا إلى أنّه لم يبق غيره، فأنزل الله في ذلك: «قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ» يعني الولاية، فأنزل الله «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ» الآية[1][2].

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾: على الرسالة.

﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال: وذلك أنّ رسول الله ﷺ سأل قومه أن يودّوا أقاربه ولا يؤذوهم، وأمّا قوله: «فَهُوَ لَكُمْ»: يقول: ثوابه لكم[3].

وفي المجمع: عنه عليه السلام معناه إنّ أجر ما دعوتكم إليه من إجابتي وذخره هو لكم دوني[4].

وفي الكافي: عنه عليه السلام يقول: أجر المودّة الذي لم أسئلكم غيره فهو لكم تهتدون به وتنجون من عذاب يوم القيامة[5].

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: مطّلع، يعلم صدقي، وخلوص نيّتي.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾: يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده.

---

١ ـ المائدة: ٥٥. ٢ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٩، إحتجاجه عليه السلام على زنديق في آي متشابهة.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠٤، س ١٩. ٤ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٣٩٦، س ٢٤.

٥ ـ الكافي: ج ٨، ص ٣٧٩، ح ٥٧٤.

قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾

﴿عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ * قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾: الإسلام.

﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾: وزهق الباطل أي الشرك بحيث لم يبق له أثر.

في الأمالي: عن الرضا، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله مكّة وحول البيت ثلاثمائة وستّون صنماً، فجعل يطعنها بعود في يده، وهو يقول: «جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقاً»[1] «جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ»[2].

وفي المجمع: مثله عن ابن مسعود[3].

﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ﴾: عن الحقّ.

﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾: فإنّ وبال ضلالي عليها.

﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾: يسمع كلّ قول، ويرى كلّ فعل وإن كان خفيّاً.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟﴾: لرأيت فظيعاً.

﴿فَلَا فَوْتَ﴾: فلا يفوتون الله بهرب أو حصن.

القمّي: عن الباقر عليه السلام قال: إذ فزعوا من الصوت، وذلك الصوت من السماء[4].

﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾: قال: من تحت أقدامهم خسف بهم[5].

---

١ ـ الإسراء: ٨١.

٢ ـ الأمالي للشيخ الطوسي: ص ٣٣٦ ـ ٣٣٧، ح ٦٨٣/ ٢٣، المجلس الثاني عشر.

٣ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٣٩٦، س ٢٨.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠٥، س ٢٢.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُ وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ ﴿٥٤﴾

وعنه عليه السلام: لكأنّي أنظر إلى القائم عليه السلام وقد أسند ظهره إلى الحجر، وساق الحديث إلى أن قال: فإذا جاء إلى البيداء يخرج إليه جيش السفياني فيأمر الله عزّ وجلّ الأرض فتأخذ بأقدامهم، وهو قوله عزّ وجلّ: «وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ»[١].

﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾: قال: يعني بالقائم من آل محمّد[٢]. وقيل: بمحمّد صلّى الله عليه وآله[٣].

﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾: التناول، يعني تناول الإيمان.

﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾: يعني بعد انقضاء زمان التكليف، قال: إنّهم طلبوا الهدى من حيث لا ينال، وقد كان لهم مبذولاً من حيث ينال[٤].

﴿وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُ﴾: يعني أوان التكليف.

﴿وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾: ويرجمون بالظنّ، ويتكلّمون بما لم يظهر لهم.

﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾: من جانب بعيد من أمره.

﴿وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ﴾: قال: يعني أن لا يعذّبوا[٥].

﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُ﴾: قال: يعني من كان قبلهم من المكذّبين هلكوا[٦].

﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ﴾: في المجمع: عن السجّاد والحسن بن علي عليهما السلام في هذه الآية هو جيش البيداء يؤخذون من تحت أقدامهم، وعن النبي صلّى الله عليه وآله أنّه ذكر فتنة تكون

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠٥، س ٢.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠٥، س ١٨.
٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٦٥، س ١٩.
٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠٦، س ٣.
٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠٥، س ١٩.
٦ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠٥، س ٢٠.

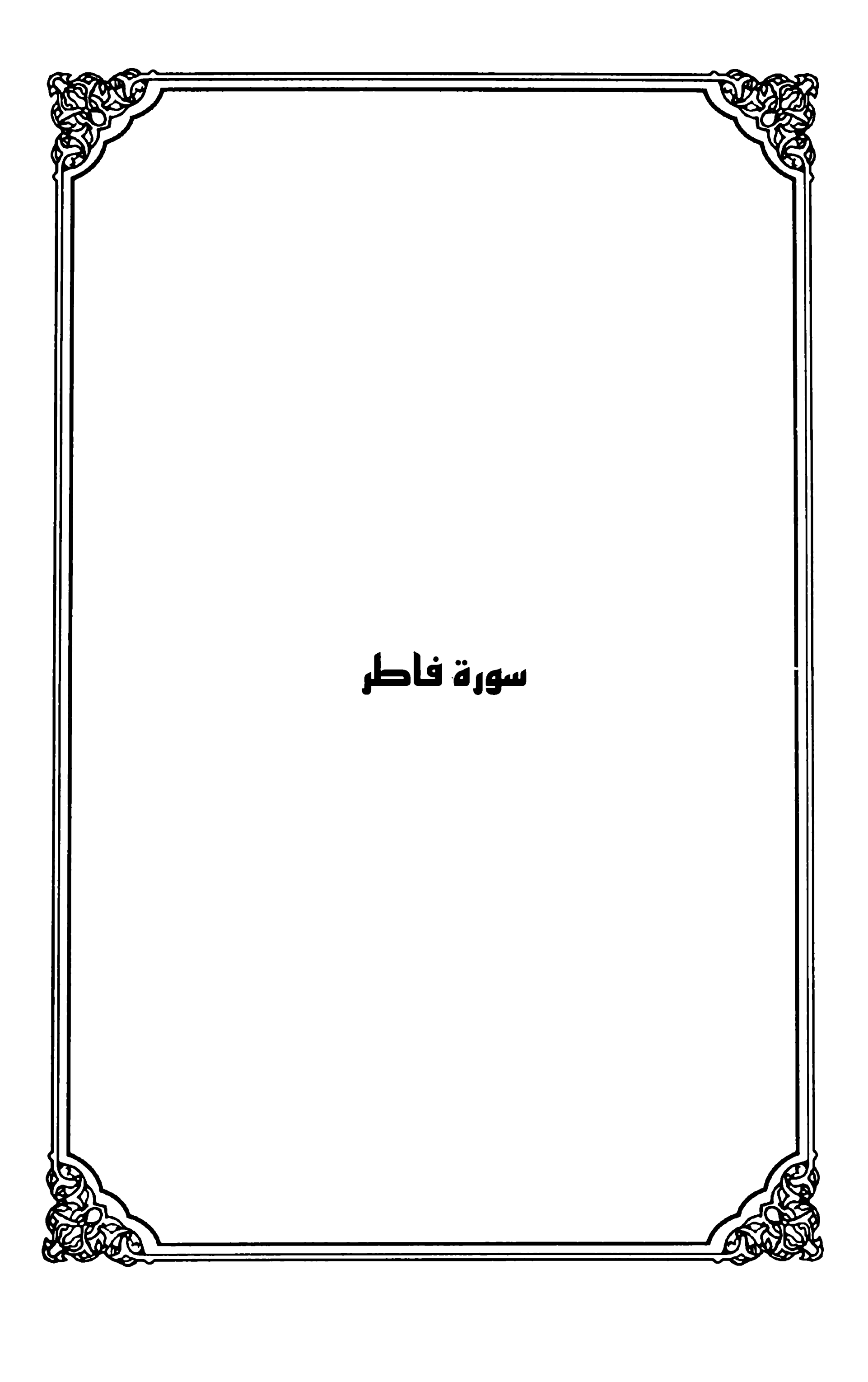
بين أهل المشرق والمغرب، قال: فبينا هم كذلك يخرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فور ذلك حتّى ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشاً إلى المشرق وآخر إلى المدينة حتّى ينزلوا بأرض بابل من المدينة الملعونة يعني بغداد، فيقتلون فيها أكثر من ثلاثة آلاف، ويفضحون أكثر من مائة إمرأة، ويقتلوا بها ثلاثمائة كبش من بني العبّاس، ثمّ ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ما حولها، ثمّ يخرجون متوجّهين إلى الشام فتخرج راية هدى من الكوفة فتلحق ذلك الجيش فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر، ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم، ويحلّ الجيش الثاني بالمدينة فينهبونها ثلاثة أيّام بلياليها، ثمّ يخرجون متوجّهين إلى مكّة حتّى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبرئيل فيقول: يا جبرئيل اذهب فأبدهم[١]، فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم عندها ولا يفلت منهم إلّا رجلان من جهينة، فلذلك جاء القول: «وعند جهينة الخبر اليقين» فذلك قوله تعالى: «وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ» الآية، قال: وروى أصحابنا في أحاديث المهدي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام مثله[٢].

وفي ثواب الأعمال[٣]، والمجمع: عن الصادق عليه السلام: من قرأ الحمدين جميعاً: حمد سبأ، وحمد فاطر في ليلة لم يزل في ليلته في حفظ الله وكلاءته، فإن قرأهما في نهاره لم يصبه في نهاره مكروه وأُعطي من خير الدنيا وخير الآخرة ما لم يخطر على قلبه ولم يبلغ مناه[٤].

* * *

---

١ ـ الإبادة: بمعنى الإهلاك. منه قدّس سرّه.
٢ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨.
٣ ـ ثواب الأعمال: ص ١١٠، ثواب من قرأ سورة حمد سبأ وحمد فاطر.
٤ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٣٧٥ في فضلها.



سورة فاطر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾

سورة فاطر: مكيّة، قال الحسن إلّا آيتين «إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ» الآيـة[1] «ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ» الآية[2]، عدد آيها ست وأربعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: مبدعهما، من الفطر بمعنى الشقّ، كأنّه شق العدم بإخراجهما منه.

﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾: وسائط بين الله وبين أنبيائه، والصالحين من عباده، يبلّغون إليهم رسالاته بالوحي والإلهام والرؤيّا الصادقة.

﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾: ذوي أجنحة متعدّدة ينزلون بها، ويعرجون، ويسرعون بها نحو ما أُمروا به.

في الكافي: عن النبي صلّى الله عليه وآله الملائكة على ثلاثة أجزاء جزء له جناحان، وجزء له ثلاثة أجنحة، وجزء له أربعة أجنحة[3].

---

١ ـ فاطر: ٢٩. ٢ ـ فاطر: ٣٢.

٣ ـ الكافي: ج ٨، ص ٢٧٢، ح ٤٠٣.

قيل: لعلّه لم يرد خصوصيّة الأعداد، ونفي ما زاد عليها لما روي عنه عليه السلام أنّه رأى جبرئيل عليه السلام ليلة المعراج وله ستّمائة ألف جناح[١].

أقول: ولعلّه إلى ذلك أُشير بقوله تعالى: «يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ»[٢].

وفي الإكمال: عنه عليه السلام إنّ لله تبارك وتعالى ملكاً يقال له: دردائيل كان له ستّة عشر ألف جناح، ما بين الجناح والجناح هواء، والهواء كما بين السماء والأرض[٣].

والقمّي: عن الصادق عليه السلام قال: خلق الله الملائكة مختلفة، وقد رأى رسول الله صلّى الله عليه وآله جبرئيل عليه السلام، وله ستمائة جناح، على ساقه الدرّ مثل القطر على البقل قد ملأ ما بين السماء والأرض، وقال: إذا أمر الله عزّ وجلّ ميكائيل بالهبوط إلى الدنيا صارت رجله اليمنى في السماء السابعة والأُخرى في الأرض السابعة، وأنّ لله ملائكة أنصافهم من برد، وأنصافهم من نار، يقولون: يا مؤلّفاً بين البرد والنار ثبّت قلوبنا على طاعتك، وقال: إنّ لله ملكاً بعد ما بين شحمة أُذنه إلى عينه مسيرة خمسمائة عام بخفقان الطير، وقال: إنّ الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، وإنّما يعيشون بنسيم العرش، وأنّ لله عزّ وجلّ ملائكة ركّعاً إلى يوم القيامة، وأنّ لله عزّ وجلّ ملائكة سجّداً إلى يوم القيامة، ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ما من شيء ممّا خلق الله عزّ وجلّ أكثر من الملائكة، وأنّه ليهبط في كلّ يوم أو في كلّ ليلة سبعون ألف ملك فيأتون البيت الحرام فيطوفون به، ثمّ يأتون رسول الله صلّى الله عليه وآله، ثمّ يأتون أمير المؤمنين عليه السلام فيسلّمون عليه، ثمّ يأتون الحسين عليه السلام فيقيمون عنده فإذا كان عند السحر وضع لهم معراج إلى السماء، ثمّ لا يعودون أبداً[٤].

وقال أبو جعفر عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ خلق إسرافيل وجبرائيل وميكائيل عليهم السلام، من تسبيحة واحدة، وجعل لهم السمع، والبصر، وجودة العقل، وسرعة الفهم، وقال أمير

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٦٦، س ١٨. وفيه: «ستمائة جناح» كما ورد في الكشاف: ج ٣، ص ٥٩٥، «أنّه صلّى الله عليه وآله رأى جبرئيل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح». وفي مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٤٠٠، س ١١، نفس الرواية موجودة عن ابن عباس «وان له ستمائة جناح». إذن ما ذكره قدّس سرّه من ستمائة ألف جناح قد يكون سهواً من قلمه أو من النساخ.

٢ ـ فاطر: ١.

٣ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢٨٢، ح ٣٦، باب ٢٤ ـ ما روي عن النبي صلّى الله عليه وآله في النص على القائم عليه السلام وأنّه الثاني عشر من الأئمّة عليهم السلام.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠٦، س ٨.

المؤمنين عليه السلام في خلقة الملائكة: وملائكة خلقتهم وأسكنتهم سماواتك فليس فيهم فترة، ولا عندهم غفلة، ولا فيهم معصية، هم أعلم خلقك بك، وأخوف خلقك لك، وأقرب خلقك منك، وأعملهم بطاعتك، لا يغشاهم نوم العيون، ولا سهو العقول، ولا فترة الأبدان، لم يسكنوا الأصلاب، ولم يضمّهم الأرحام، ولم تخلقهم من ماء مهين، أنشأتهم إنشاءاً فأسكنتهم سماواتك، وأكرمتهم بجوارك، وائتمنتهم على وحيك، وجنّبتهم الآفات، ووقيتهم البليّات، وطهّرتهم من الذنوب، ولولا قوّتك لم يقووا، ولولا تثبيتك لم يثبتوا، ولولا رحمتك لم يطيعوا، ولولا أنت لم يكونوا، أما إنّهم على مكانتهم منك، وطاعتهم إيّاك ومنزلتهم عندك، وقلّة غفلتهم عن أمرك، لو عاينوا ما خفي عنهم منك لاحتقروا أعمالهم، ولازرؤوا[1] على أنفسهم، ولعلموا أنّهم لم يعبدوك حقّ عبادتك، سبحانك خالقاً ومعبوداً ما أحسن بلاءك عند خلقك[2].

وفي التوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام: إنّه سئل عن قدرة الله عزّ وجلّ فقام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: إنّ لله تبارك وتعالى ملائكة لو أنّ ملكاً منهم هبط إلى الأرض ما وسعته لعظم خلقته وكثرة أجنحته، ومنهم من لو كلّفت الجنّ والإنس أن يصفوه ما وصفوه، لبعد ما بين مفاصله، وحسن تركيب صورته، وكيف يوصف من ملائكته من سبع مائة عام ما بين منكبه وشحمة أُذنيه، ومنهم من يسدّ الأُفق بجناح من أجنحته دون عظم بدنه، ومنهم من السماوات إلى حجزته[3]، ومنهم من قدمه على غير قرار في جوّ الهواء الأسفل والأرضون إلى ركبتيه، منهم من لو أُلقي في نقرة إبهامه جميع المياه لوسعتها، ومنهم لو أُلقيت السفينة من دموع عينيه لجرت دهر الداهرين، «فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ»[4][5].

وفي الكافي: عن الثمالي قال: دخلت على علي بن الحسين عليه السلام فاحتبست في الدار ساعة، ثمّ دخلت البيت، وهو يلتقط شيئاً وأدخل يده من وراء الستر فناوله من كان في البيت، فقلت: جعلت فداك، هذا الذي أراك تلتقطه أي شيء هو؟ قال: هو فضلة من

---

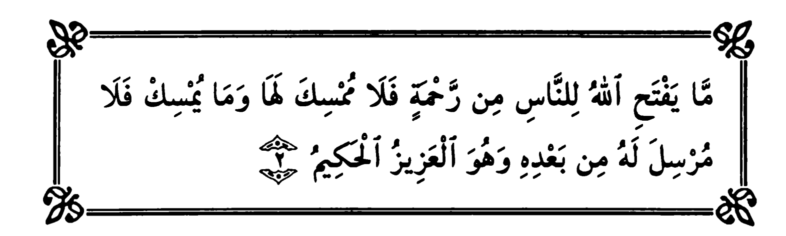
١ ـ الإزراء: يقال أزريت به، إذا قصّرت به. الصحاح: ج ٦، ص ٢٣٦٨، مادة «زرى».

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠٦، س ٢٢. وفيه: «تضمنتهم الأرحام».

٣ ـ الحجزة ـ بضم الحاء المهملة وإسكان الجيم وبالزاي ـ: معقد الأزار. مجمع البحرين: ج ٤، ص ١٤، مادة «حجز».

٤ ـ المؤمنون: ١٤.

٥ ـ التوحيد: ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨، ح ٢، باب ذكر عظمة الله جلّ جلاله.



زغب[1] الملائكة نجمعه إذا خلون نجعله سنحاً[2] لأولادنا، قلت: جعلت فداك، فإنّهم ليأتونكم؟ فقال: يا أبا حمزة إنّهم ليزاحمونا على تكائنا[3][4].

وفي هذا المعنى أخبار كثيرة فيه[5]، وفي البصائر[6].

﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾: على مقتضى حكمته. في التوحيد: عن الصادق عليه السلام إنّ القضاء والقدر خلقان من خلق الله، والله يزيد في الخلق ما يشاء[7].

وفي المجمع: عن النبي صلى الله عليه وآله هو الوجه الحسن، والصوت الحسن، والشعر الحسن[8].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ﴾: ما يطلق لهم.

﴿مِن رَّحْمَةٍ﴾: كنعمة، وأمن، وصحّة، وعلم، ونبوّة، وولاية.

والقمّي: عن الصادق عليه السلام قال: والمتعة من ذلك[9].

---

١ ـ الزغب ـ محرّكة ـ: صغار الشعر والريش ولينه، وأوّل ما يبدو منهما، وما يبقى في رأس الشيخ عند رقة شعره. القاموس المحيط: ج ١، ص ٧٩، مادة «زغب».

٢ ـ قال الطريحي في مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣٧٥، السنح ـ بالضم ـ: اليمن والبركة. قال في القاموس: ولعلّ منه ما ورد عنه صلى الله عليه وآله في زغب الملائكة: «إنا نجمعه إذا خلونا سنحاً لأولادنا» أي بركة لهم ويمناً.

أقول: لم نجده في القاموس، ويحتمل أن الحديث موجود في النسخة الخطية فأُسقط عمداً في المطبوع، ومن الواضح أن عملية إسقاط بعض الأحاديث عند الطباعة الحديثة أصبح أمراً مشهوداً لدى الجميع.

٣ ـ التكاء ـ بضم التاء والتحريك ـ: ما يتكأ عليه. مجمع البحرين: ج ١، ص ٤٥٤، مادة «وكا».

٤ ـ الكافي: ج ١، ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤، ح ٣، باب أنّ الائمّة تدخل الملائكة بيوتهم وتطأ بسطهم وتأتيهم بالأخبار. وفيه: «سيحاً»، والسيح: ضرب من البرود. الصحاح: ج ١، ص ٣٧٧، مادة «سيح».

٥ ـ أُنظر الكافي: ج ١، ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤، ح ١ و ٢ و ٤، باب أنّ الأئمّة عليهم السلام تدخل الملائكة بيوتهم وتطأ بسطهم وتأتيهم بالأخبار.

٦ ـ أُنظر بصائر الدرجات: ص ١١١ و ١١٤، الجزء الثاني، ح ٥ و ٢٠ و ٢١، باب ١٧.

٧ ـ التوحيد: ص ٣٦٤، ح ١، باب ٦٠ ـ القضاء والقدر والفتنة والأرزاق والأسعار والآجال.

٨ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٤٠٠، س ١٣.

٩ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠٧، س ١٥.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾

﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾: يحبسها.

﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ﴾: يطلقه.

﴿مِن بَعْدِهِ﴾: من بعد إمساكه.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالب على ما يشاء، ليس لأحد أن ينازعه فيه.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: لا يفعل إلّا بعلم وإتقان.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: إحفظوها بمعرفة حقّها والإعتراف بها وطاعة منعمها.

﴿هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: فمن أيّ وجه تصرفون عن التوحيد إلى إشراك غيره به، وقرئ «غير» مجروراً.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾: أي فتأسّ بهم في الصبر على تكذيبهم.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾: فيجازيك وإيّاهم على الصبر والتكذيب.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾: بالحشر والجزاء.

﴿حَقٌّ﴾: لا خلف فيه.

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: فيذهلكم التمتّع بها عن طلب الآخرة، والسعي لها.

﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾: الشيطان بأن يمنّيكم المغفرة مع الإصرار على المعصية.

إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾: عداوة عامّة قديمة.

﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾: في عقائدكم وأفعالكم، وكونوا على حذر منه في مجامع أحوالكم.

﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾: تقرير لعداوته وبيان لغرضه.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾: وعيد لمن أجاب دعاءه ووعد لمن خالفه.

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾: كمن لم يزيّن له، بل وفّق حتّى عرف الحقّ فحذف الجواب لدلالة ما بعده عليه.

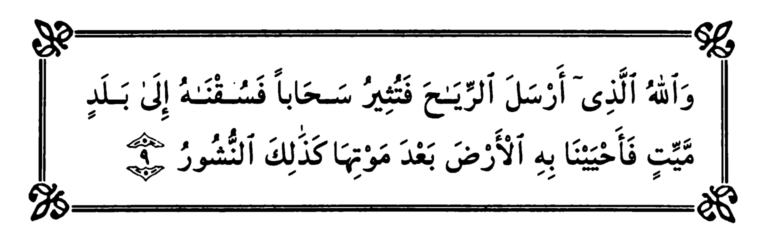
﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾: في الكافي: عن الكاظم عليه السلام أنّه سئل عن العجب الذي يفسد العمل؟ فقال: للعجب درجات: منها: أن يزيّن للعبد سوء عمله فيراه حسناً فيعجبه، ويحسب أنّه يحسن صنعاً[1].

﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾: فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيّهم وإصرارهم على التكذيب.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾: فيجازيهم عليه.

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣١٣، ح ٣، باب العجب.



القمّي: مرفوعاً قال: نزلت في زُريق وحبتر[١][٢].

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ﴾: وقرئ الريح.

﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَـٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾: بالمطر النازل منه.

﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: بعد يبسها، في الكافي[٣]، والقمّي: عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه سئل عن السحاب أين يكون؟ قال: يكون على شجر على كثيب على شاطئ البحر يأوي إليه، فإذا أراد الله عزّ وجلّ أن يرسله أرسل ريحاً فأثارته، فوكّل به ملائكة يضربونه بالمخاريق، وهو البرق فيرتفع[٤].

وزاد في الكافي: ثمّ قرأ هذه الآية «وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ» الآية، قال: والملك اسمه الرعد[٥].

﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾: أي مثل إحياء الموات إحياء الأموات.

وقد سبق من تفسير الإمام عليه السلام في قصّة البقرة أنّ الله عزّ وجلّ ينزل بين نفختي الصور بعدما ينفخ النفخة الأُولى من دون السماء الدنيا من البحر المسجور الذي قال الله تعالى: «وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ»[٦] وهو منّي كمنّي الرجال فيمطر ذلك على الأرض فيلق الماء المني مع الأموات البالية فينبتون من الأرض ويحيون[٧].

---

١ ـ زريق: ـ بتقديم المعجمة على المهملة ـ: مصغر أزرق، والحبتر بالمهملة ثمّ الموحدة من تحت، ثمّ المثنّاة من فوق، ثمّ الراء على وزن جعفر: الثعلب، قيل: إنّما كنّي عنهما لزرقة عين أحدهما وتشبيه الآخر بالثعلب في حيلته، وقد مضى مثله في سورة الأنعام، ذيل الآية ١١٢. منه قدّس سرّه.

أقول: أُنظر ج ٣، ص ٨٦ ـ ٨٧ من كتابنا تفسير الصافي.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠٧، س ١٨.

٣ ـ الكافي: ج ٨، ص ٢١٨، ح ٢٦٨.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٧٦، س ١٢.

٥ ـ الكافي: ج ٨، ص ٢١٨ ـ ٢١٩، ذيل ح ٢٦٨.

٦ ـ الطور: ٦.

٧ ـ تفسير الإمام العسكري: ص ٢٨٢.

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَـٰئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾

وفي المجالس[١]، والقمّي: عن الصادق عليه السلام إذا أراد الله أن يبعث الخلق أمطر السماء على الأرض أربعين صباحاً فاجتمعت الأوصال ونبتت اللحوم[٢].

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ﴾: الشرف والمنعمة[٣].

﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾: أي فليطلبها من عنده فإنّ كلّها له.

في المجمع: عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إنّ ربّكم يقول كلّ يوم أنا العزيز فمن أراد عزّ الدارين فليطع العزيز[٤].

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُ﴾: قيل: بيان لما يطلب به العزّة وهو التوحيد والعمل الصالح[٥].

والقمّي: قال: كلمة الإخلاص والإقرار بما جاء به محمّد صلى الله عليه وآله من عند الله من الفرائض والولاية ترفع العمل الصالح إلى الله[٦].

وعن الصادق عليه السلام: الكلم الطيّب: قول المؤمن لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، علي ولي الله وخليفة رسول الله، صلوات الله عليهما، قال: والعمل الصالح: الإعتقاد بالقلب، أنّ هذا هو الحقّ من عند الله لا شكّ فيه من ربّ العالمين[٧].

---

١ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ص ١٤٩، ح ٥، المجلس الثالث والثلاثون.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٥٣، س ٦.

٣ ـ هكذا في الأصل، والصحيح: «الشرف والمَنَعَة». وقال الطريحي في مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣٩٣، وامتنع بقومه: تقوّى بهم في مَنَعَةٍ بفتح النون أي في عزّ قومه، فلا يقدر عليه من يريده.

٤ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٤٠٢، س ٨.

٥ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٦٨، س ١٧.

٦ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠٨، س ٢.

٧ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠٨، س ٣.

وعن الباقر عليه السلام: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ لكلّ قول مصداقاً من عمل يصدّقه أو يكذّبه، فإذا قال ابن آدم وصدّق قوله بعمله رفع قوله بعمله إلى الله، وإذا قال وخالف عمله قوله ردّ قوله على عمله الخبيث وهوى به في النار[١].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال: ولايتنا أهل البيت وأومى بيده إلى صدره، فمن لم يتولّنا لم يرفع الله له عملاً[٢].

وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام: من قال: لا إله إلّا الله مخلصاً طمست ذنوبه كما يطمس الحرف الأسود من الرق الأبيض، فإذا قال ثانية: لا إله إلّا الله مخلصاً خرقت أبواب السماء وصفوف الملائكة حتّى تقول الملائكة بعضها لبعض اخشعوا لعظمة أمر الله، فإذا قال ثالثة: مخلصاً لا إله إلّا الله لم تنته دون العرش، فيقول الجليل: اسكني فوعزّتي وجلالي لأغفرنّ لقائلك بما كان فيه، ثمّ تلا هذه الآية: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ» يعني إذا كان عمله خالصاً ارتفع قوله وكلامه[٣].

﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: المكرات: السيئات، قيل: يعني مكرات قريش للنبي صلى الله عليه وآله في دار الندوة[٤] وتدارأهم[٥] الرأي في إحدى ثلاث: حبسه وقتله وإجلائه[٦].

أقول: ويشمل مكرات أصحاب السقيفة في ردّ وصيّة النبي صلى الله عليه وآله للوصي صلوات الله عليهما وغير ذلك.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: لا يؤبه دونه بما يمكرون به.

﴿وَمَكْرُ أُوْلَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾: يفسد ولا ينفذ وفي العاقبة يحيق بهم.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠٨، س ٧.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٣٠، ح ٨٥، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية. وفيه: «أهوى بيده إلى صدره».

٣ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٨٦ ـ ٣٨٧، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام وأجوبته على مسائل ابن الكوا.

٤ ـ الندوة: الإجتماع للمشورة، ومنه دار الندوة بمكّة التي بناها قصي، لأنّهم يندون فيها، أي يجتمعون، مجمع البحرين: ج ١، ص ٤١٢، مادة «ندا».

٥ ـ يدرؤون: أي يدفعون. وفي الحديث: يتدارؤون الحديث أي يتدافعون، وذلك أنّ كلّ واحد منهم يدفع قول صاحبه بما ينفع له من القول. مجمع البحرين: ج ١، ص ١٣٦، مادة «درأ».

٦ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَـٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجاً﴾: ذكراناً وأُناثاً.

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾: إلّا معلومة له.

﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَـٰبٍ﴾: القمّي: يعني يكتب في كتاب، قال: وهو ردّ على من ينكر البداء[1].

وفي الجوامع: قيل: معناه لا يطول عمر ولا ينقص إلّا في كتاب، وهو أن يكتب في اللوح لو أطاع الله فلان بقي إلى وقت كذا، وإذا عصى نقص من عمره الذي وُقّت له، وإليه أشار رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله: إنّ الصدقة وصلة الرحم تعمران الديا وتزيدان في الأعمار[2].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام ما نعلم شيئاً يزيد في العمر إلّا صلة الرحم، حتّى أنّ الرجل يكون أجله ثلاث سنين فيكون وصولاً للرحم فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة فيجعلها ثلاثاً وثلاثين سنة، ويكون أجله ثلاثاً وثلاثين سنة فيكون قاطعاً للرحم فينقصه الله عزّ وجلّ ثلاثين سنة ويجعل أجله إلى ثلاث سنين[3]. والأخبار في هذا المعنى كثيرة جدّاً[4].

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾: إشارة إلى الحفظ والزيادة والنقص.

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُ وَهَـٰذَا مِلْحٌ

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠٨، س ١١. ٢ ـ جوامع الجامع: ج ٣، ص ٣٦٩، س ١٠.

٣ ـ الكافي: ج ٢، ص ١٥٢ ـ ١٥٣، ح ١٧، باب صلة الرحم. ٤ ـ أُنظر الخصال: ص ٣٢، ح ١١٢، باب الواحد، وص ١٢٤، ح ١١٩، باب الثلاثة، وص٨٨، ح٢١، باب الثلاثة، وغير ذلك.

يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾

أُجَاجٌ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام الأُجاج: هو المرّ[1]. قيل: هو مثل للمؤمن والكافر[2].

﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾: اللئالىء واليواقيت.

﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾: تشقّ الماء بجريها.

القمّي: يقول الفلك مقبلة ومدبرة بريح واحدة[3].

﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِ﴾: من فضل الله بالنقلة فيها.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: على ذلك.

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾: القمّي: قال: الجلدة الرقيقة التي على ظهر النوى[4].

﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾: لأنّهم جماد.

﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟﴾: على سبيل الفرض.

﴿مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾: لعدم قدرتهم عليها.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠٨، س ١٢.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٦٩، س ١١.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠٨، س ١٢.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠٨، س ١٦.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾: ولا يخبرك بالأمر مخبر مثل خبير به أخبرك وهو الله سبحانه فإنّه الخبير به على الحقيقة دون سائر المخبرين، والمراد تحقيق ما أخبر به عن حال آلهتهم، ونفي ما يدّعون لهم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾: في أنفسكم وأحوالكم.

﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾: المستغني على الإطلاق، المنعم على سائر الموجودات حتّى استحقّ عليهم الحمد.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: بقوم آخرين أطوع منكم.

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: بمتعذّر أو متعسّر.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾: ولا تحمل نفس آثمة اثم نفس أُخرى، وأمّا قوله: «وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ»[١] ففي الضالّين المضلّين فإنّهم يحملون أثقال أضلالهم مع أثقال ضلالهم، وكلّ ذلك أوزارهم ليس فيها شيء من أوزار غيرهم.

﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾: نفس أثقلها الأوزار.

﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾: تحمل بعض أوزارها.

﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ﴾: لم تجب بحمل شيء منها، نفى أن يحمل عنها ذنبها كما نفى أن

---

١ ـ العنكبوت: ١٣.

وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾

يحمل عليها ذنب غيرها.

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾: ولو كان المدعوّ ذا قرابتها، أضمر المدعوّ لدلالة «إِنْ تَدْعُ» عليه.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: فإنّهم المنتفعون بالإنذار لا غير.

﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾: ومن تطهّر عن دنس المعاصي.

﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾: إذ نفعه لها.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: فيجازيهم على تزكيتهم.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾: الكافر والمؤمن.

﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾: ولا الباطل، ولا الحق.

﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾: ولا الثواب، ولا العقاب، و«لا» لتأكيد نفي الإستواء، وتكريرها على الشقّين لمزيد التأكيد، و«الحرور»: من الحرّ غلب على السموم.

القمّي: الظلّ: الناس، والحرور: البهائم[1].

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾: تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين أبلغ من الأوّل، ولذلك كرّر الفعل. وقيل: للعلماء والجهلاء[2].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾: هدايته فيوفّقه لفهم آياته، والإتعاظ بعظاته.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٧١، س ٥.

إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَـٰتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾

﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾: المصرّين على الكفر.

﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾: فما عليك إلّا الإنذار، وأمّا الإسماع فلا عليك ولا حيلة لك إليه في المطبوع على قلوبهم.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ﴾: أهل عصر.

﴿إِلَّا خَلَا﴾: مضى.

﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾: من نبي أو وصي نبي، القمّي: قال: لكلّ زمان إمام[1].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام لم يمت محمّد إلّا وله بعيث نذير، قال: فإن قيل: لا فقد ضيّع رسول الله صلى الله عليه وآله من في أصلاب الرجال من أُمّته، قيل: وما يكفيهم القرآن؟ قال: بلى إن وجدوا له مفسّراً، قيل: وما فسّره رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: بلى قد فسّره لرجل واحد، وفسّر للأُمّة شأن ذلك الرجل، وهو علي بن أبي طالب عليه السلام[2].

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَـٰتِ﴾: بالمعجزات الشاهدة على نبوّتهم.

﴿وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾: كصحف إبراهيم عليه السلام والتوراة والإنجيل.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: أي إنكاري بالعقوبة.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠٩، س ٤.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠، ح ٦، باب في شأن إنّا أنزلناه في ليلة القدر وتفسيرها.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌ﴾: أي ذو جدد، أي خطط وطرائق.

﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾: بالشدّة والضعف.

﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾: ومنها غرابيب متحدة اللون، والغربيب تأكيد للأسود، وحقّه أن يتبع المؤكّد، قدّم لمزيد التأكيد لما فيه من التأكيد باعتبار الإضمار والإظهار.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ﴾: كاختلاف الثمار والجبال.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾: إذ شرط الخشية معرفة المخشي، والعلم بصفاته وأفعاله، فمن كان أعلم به كان أخشى منه، ولذلك قال النبي ﷺ: إنّي أخشاكم لله وأتقاكم له[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾: تعليل لوجوب الخشية لدلالته على أنّه معاقب للمصرّ على طغيانه، غفور للتائب من[2] عصيانه.

في المجمع: عن الصادق عليه السلام يعني بالعلماء من صدّق قوله فعله، ومن لم يصدّق فعله قوله فليس بعالم، وفي الحديث أعلمكم بالله أخوفكم لله[3].

وفي الكافي: عن السجّاد عليه السلام وما العلم بالله والعمل إلّا إلفان مؤتلفان، فمن عرف الله

---

١ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٧٢، س ٣.   ٢ ـ وفي نسخة: [عن].

٣ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٤٠٧، س ٣.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾

خافه وحثّه الخوف على العمل بطاعة الله، وأنّ أرباب العلم وأتباعهم الذين عرفوا الله فعملوا له ورغبوا إليه، وقد قال الله: «إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ»[١].

وعن الصادق عليه السلام: إنّ من العبادة شدّة الخوف من الله، ثمّ تلا هذه الآية[٢].

وفي مصباح الشريعة: عنه عليه السلام دليل الخشية التعظيم لله، والتمسّك بخالص الطاعة وأوامره، والخوف والحذر، ودليلها العلم، ثمّ تلا هذه الآية[٣].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾: لن تكسد ولن تهلك بالخسران، والتجارة: تحصيل الثواب بالطاعة.

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾: على ما يقابل أعمالهم، في المجمع: عن النبي صلى الله عليه وآله هو الشفاعة لمن وجبت له النار ممّن صنع إليه معروفاً في الدنيا[٤].

﴿إِنَّهُ غَفُورٌ﴾: لفرطاتهم.

﴿شَكُورٌ﴾: لطاعاتهم، أي مجازيهم عليها.

﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾: يعني القرآن.

---

١ ـ الكافي: ج ٨، ص ١٦، ح ٢، س ٣. ٢ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦٩، ح ٧، باب الخوف والرجاء.
٣ ـ مصباح الشريعة: ص ٢٣، باب التاسع ـ في الرعاية.
٤ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٤٠٧، س ١٧.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾

﴿هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من الكتب السماويّة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾: عالم بالبواطن والظواهر.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾: يعني العترة الطاهرة خاصّة

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾: لا يعرف إمام زمانه.

﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾: يعرف الإمام.

﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: هو الإمام، في البصائر: عن الباقر عليه السلام هي في ولد علي وفاطمة عليهما السلام[1].

وفي الكافي: عنه عليه السلام قال: السابق بالخيرات: الإمام. والمقصتد: العارف للإمام، والظالم لنفسه: الذي لا يعرف الإمام[2].

وعن الصادق عليه السلام: إنّه قيل له: إنّها في الفاطميّين، فقال: ليس حيث تذهب، ليس يدخل في هذا من أشار بسيفه، ودعا الناس إلى ضلال، فقيل: أي شيء الظالم لنفسه؟ قال: الجالس في بيته لا يعرف حقّ الإمام، والمقتصد: العارف بحق الإمام، والسابق بالخيرات: الإمام[3].

وعن الكاظم عليه السلام: أنّه تلا هذه الآية، قال: فنحن الذين اصطفانا الله تعالى عزّ وجلّ وأورثنا هذا الكتاب، فيه تبيان كلّ شيء[4].

---

١ ـ بصائر الدرجات: ص ٦٥، ح ٣، الجزء الأوّل، باب ٢١ ـ في الأئمة عليهم السلام أنّهم الذين قال الله فيهم أنّهم أورثهم الكتاب وأنّهم السابقون بالخيرات.

٢ ـ الكافي: ج١، ص٢١٤ و٢١٥، ح١و٢، باب في أنّ من اصطفاه الله من عباده وأورثهم كتابه هم الأئمة عليهم السلام.

٤ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٢٦، ح ٧، باب أنّ الأئمة عليهم السلام ورثوا علم النبي صلى الله عليه وآله وجميع الأنبياء والأوصياء الذين من قبلهم.

وعن الرضا عليه السلام: إنّه سئل عنها؟ فقال: ولد فاطمة عليها السلام، والسابق بالخيرات: الإمام، والمقتصد: العارف بالإمام، والظالم لنفسه: الذي لا يعرف الإمام[١].

وفي العيون: عنه عليه السلام أراد الله بذلك العترة الطاهرة، ولو أراد الأُمّة لكانت بأجمعها في الجنّة لقول الله: «فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ» الآية، ثمّ جمعهم كلّهم في الجنّة فقال: «جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا» الآية[٢]، فصارت الوراثة للعترة الطاهرة، لا لغيرهم[٣].

وفي الخرائج: عن الزكي عليه السلام كلّهم من آل محمّد صلى الله عليه وآله الظالم لنفسه: الذي لا يقرّ بالإمام عليه السلام، والمقتصد: العارف بالإمام، والسابق بالخيرات: هو[٤] الإمام عليه السلام[٥].

وعن الصادق عليه السلام: أنّ فاطمة عليها السلام لعظمها على الله حرّم الله ذريّتها على النار، وفيهم نزلت «ثمّ أورثنا الكتاب» الآية، ثمّ فسّر الفرق الثلاث بما مرّ[٦].

وفي المجمع: عنه عليه السلام الظالم لنفسه منّا: من لا يعرف حق الإمام، والمقتصد منّا: من يعرف حق الإمام، والسابق بالخيرات: هو الإمام، وهؤلاء كلّهم مغفور لهم[٧].

وفي الإحتجاج: عنه عليه السلام أنّه سئل عنها وقيل له: إنّها لولد فاطمة عليها السلام خاصّة، فقال: أمّا من سلّ سيفه ودعا الناس إلى نفسه إلى الضلال من ولد فاطمة عليها السلام فليس بداخل في هذه الآية، قيل: من يدخل فيها؟ قال: الظالم لنفسه، الذي لا يدعو الناس إلى ضلال ولا هدى، والمقتصد منّا أهل البيت: العارف حقّ الإمام، والسابق بالخيرات: الإمام[٨].

وفي المناقب: عنه عليه السلام نزلت في حقّنا، وحقّ ذريّاتنا[٩].

وفي رواية: عنه وعن أبيه عليهما السلام هي لنا خاصّة، وإيّانا عنا[١٠].

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ٢١٥، ح ٣، باب في أنّ من اصطفاه الله من عباده وأورثهم كتابه هم الأئمّة عليهم السلام.

٢ ـ الرعد: ٢٣.

٣ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٢٩، ح ١، ب ٢٣ ـ ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والأُمّة.

٤ ـ وفي نسخة: [السابق بالخيرات: الإمام]، كما في المصدر.

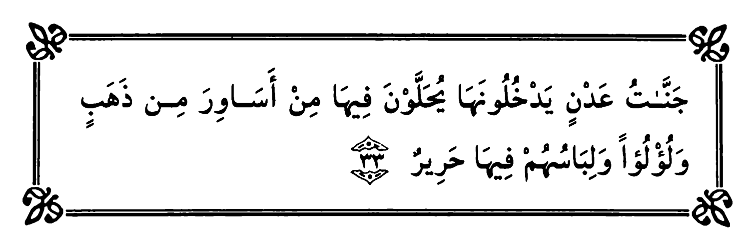
٥ ـ الخرائج والجرائح: ج ٢، ص ٦٨٧، ح ٩، باب من اعلام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام.

٦ ـ الخرائج والجرائح: ج ١، ص ٢٨١، ح ١٣، باب ٦ ـ في معجزات الإمام محمّد بن علي الباقر عليهما السلام.

٧ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٤٠٩، س ١.

٨ ـ الإحتجاج: ج ٢، ص ١٣٨ ـ ١٣٩، احتجاجات الإمام الصادق عليه السلام.

٩ ـ مناقب ابن شهرآشوب: ج ٤، ص ١٣٠، س ٥. ١٠ ـ مناقب ابن شهرآشوب: ج ٤، ص ١٣٠، س ٦.



وعن الباقر عليه السلام: هم آل محمّد صلوات الله عليهم[1].

وفي المعاني: عنه عليه السلام أنّه سئل عنها فقال: نزلت فينا أهل البيت، فقيل: من الظالم لنفسه؟ قال: من استوت حسناته وسيّئاته منّا أهل البيت فهو الظالم لنفسه، فقيل: من المقتصد منكم؟ قال: العابد لله في الحالين حتّى يأتيه اليقين، فقيل: فمن السابق منكم بالخيرات؟ قال: من دعا والله إلى سبيل ربّه، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، ولم يكن للمضلّين عضداً، ولا للخائنين خصيماً[2]، ولم يرض بحكم الفاسقين إلّا من خاف على نفسه ودينه ولم يجد أعواناً[3].

وعن الصادق عليه السلام: أنّه سئل عنها؟ فقال: الظالم يحوم حول نفسه، والمقتصد يحوم حول قلبه، والسابق يحوم حول ربّه عزّ وجلّ[4].

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام: أمّا الظالم لنفسه منّا: فمن عمل عملاً صالحاً وآخر سيّئاً، وأمّا المقتصد: فهو المتعبّد المجتهد، وأمّا السابق بالخيرات: فعلي والحسن والحسين عليهما السلام، ومن قتل من آل محمّد صلوات الله عليهم شهيداً[5].

وفي سعد السعود: عنه عليه السلام هي لنا خاصّة، أمّا السابق بالخيرات: فعلي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهما السلام، والشهيد منّا، وأمّا المقتصد: فصائم بالنهار وقائم بالليل، وأمّا الظالم لنفسه: ففيه ما في الناس، وهو مغفور له[6].

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾: إشارة إلى التوريث أو الإصطفاء أو السبق.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾: في المعاني: عن الصادق عليه السلام يعني المقتصد

---

١ ـ مناقب ابن شهرآشوب: ج ٤، ص ١٣٠، س ٧.

٢ ـ الخصم: هو الذي يدافع عن الدعوى وما في حكمها، ويقصد بالنهي هنا أن لا يكون المؤمن في محل الخصام مكان الخائنين ضد من يطالبهم بحقوقه فيدافع عن الخائنين، ويبطل حقوق المحقّين من أهل الدعوى.

٣ و٤ ـ معاني الأخبار: ص ١٠٥ و١٠٤، ح ٣ و١، باب معنى الظالم لنفسه والمقتصد والسابق.

٥ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٤٠٩، س ٣.

٦ ـ سعد السعود: ص ١٠٧، س ١٩.

وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾

والسابق[١].

وفي المجمع: عن النبي صلى الله عليه وآله في هذه الآية قال: وأمّا السابق فيدخل الجنّة بغير حساب، وأمّا المقتصد فيحاسب حساباً يسيراً، وأمّا الظالم لنفسه فيحبس في المقام، ثمّ يدخل الجنّة، فهم الذين قالوا: «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ»[٢].

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً﴾: وقرئ لؤلؤاً بالنصب.

﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾: للمذنبين.

﴿شَكُورٌ﴾: للمطيعين.

﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾: دار الإقامة.

﴿مِن فَضْلِهِ﴾: من إنعامه وتفضّله.

﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾: تعب.

﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾: كلال، إذ لا تكليف فيها ولا كدّ، أتبع نفي النصب نفي ما يتبعه مبالغة.

القمّي: قال: النصب: العناء، واللغوب: الكسل والضجر، ودار المقامة: دار البقاء[٣].

وفي الكافي[٤]، والقمّي: عن الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا أُدخل المؤمن

---

١ ـ معاني الأخبار: ص ١٠٤ ـ ١٠٥، ح ٢، باب معنى الظالم لنفسه والمقتصد والسابق. والرواية منقولة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام مع تقديم وتأخير، وإليك نصّه، قال: «يعني السابق والمقتصد».

٢ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٤٠٨، س ٢٧.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠٩، س ١٦.

٤ ـ الكافي: ج ٨، ص ٩٧، س ٧، ح ٦٩، حديث الجنان والنوق. وفيه: «فهمّ أن يقوم إليها».

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾

منازله في الجنّة وضع على رأسه تاج الملك والكرامة، وأُلبس حلل الذهب والفضّة والدرّ والياقوت منظوماً في الإكليل تحت التاج، وأُلبس سبعين حلّة حرير بألوان مختلفة منسوجة بالذهب والفضّة واللؤلؤ والياقوت الأحمر، وذلك قوله تعالى: «يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ» الآية.

قال: فتخرج عليه زوجته الحوراء من خيمتها تمشي مقبلة وحولها وصفاؤها، عليها سبعون حلّة منسوجة بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد، صبغن بمسك وعنبر، وعلى رأسها تاج الكرامة، وفي رجلها نعلان من ذهب مكلّلتان بالياقوت واللؤلؤ، شراكهما من ياقوت أحمر، فإذا أدنت من ولي الله وهمّ أن يقوم إليها شوقاً تقول له: يا ولي الله ليس هذا يوم تعب ولا نصب، ولا تقم أنا لك وأنت لي فيغشيها مقدار خمسمائة عام من أعوام الدنيا لا يملّها ولا تملّه، قال: فينظر إلى عنقها فإذا عليها قلادة من قصب من ياقوت أحمر وسطها لوح مكتوب أنت يا ولي الله حبيبي، وأنا الحوراء حبيبتك، إليك تناهت نفسي، وإليّ تناهت نفسك، ثمّ يبعث الله إليه ألف ملك يهنئونه بالجنّة، ويزوّجونه الحوراء، الحديث[١]. وقد مرّ تمامه في سورة الرعد[٢].

وفي سعد السعود: عن النبي ﷺ في حديث يذكر فيه ما أعدّ الله لمحبّي علي عليه السلام يوم القيامة، قال: فإذا دخلوا منازلهم وجدوا الملائكة يهنّئونهم بكرامة ربّهم حتّى إذا استقرّوا قرارهم، قيل لهم: «هل وجدتّم ما وعد ربّكم حقّاً»[٣] قال: نعم ربنّا رضينا فارض عنّا، قال: برضاي عنكم وبحبّكم أهل بيت نبييّ حللتم داري، وصافحتم الملائكة فهنيئاً هنيئاً «عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ»[٤]، وليس فيه تنغيص فعندها قالوا: «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ» الآية[٥].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: لا يحكم عليهم بموت ثان.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٤٦ ـ ٢٤٨. ٢ ـ ذيل الآية: ٢٣، اُنظر ج ٤، ص ٢٠٣ من كتابنا تفسير الصافي.

٣ ـ اقتباس من قوله تعالى: «فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّاً»، الأعراف: ٤٤.

٤ ـ هود: ١٠٨. ٥ ـ سعد السعود: ص ١١١، س ٩.

وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحاً غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُـمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَـٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

﴿فَيَمُوتُواْ﴾: ويستريحوا.

﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾: بل كلّما خبت زيدوا سعيراً.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾: وقرئ يجزى على بناء المفعول.

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾: يستغيثون بالصراخ.

﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحاً غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾: بإضمار القول.

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾: جواب من الله وتوبيخ لهم، وما يتذكّر فيه يتناول كلّ عمر يمكن فيه من التذكّر.

وفي الفقيه[1]، والخصال[2]، والمجمع: عن الصادق عليه السلام وهو توبيخ لابن ثماني عشرة سنة[3].

وفي نهج البلاغة: العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستّون سنة[4].

وفي المجمع: عن النبي صلى الله عليه وآله مرفوعاً: من عمّره الله ستّين سنة فقد أعذر عليه[5].

﴿فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾: يدفع العذاب عنهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَـٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: لا يخفى عليه خافية، فلا يخفى عليه أحوالهم.

---

١ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ١١٨، ح ٥٦١/ ٣، باب ٢٧ ـ النوادر.

٢ ـ الخصال: ص ٥٠٩، ح ٢، باب ١٨ ـ ما وبّخ الله عزّ وجلّ به ابن ثمان وعشرة سنة.

٣ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٤١٠، س ٣٠.

٤ ـ نهج البلاغة: ص ٥٣٢، قصار الحكم ٣٢٦.

٥ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٤١٠، س ٢٩.

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَاراً ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰباً فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّـٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضاً إِلَّا غُرُوراً ﴿٤٠﴾

﴿إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ * هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: ألقى إليكم مقاليد التصرّف فيها، أو جعلكم خلفاً بعد خلف.

﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾: جزاء كفره.

﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَاراً﴾: بيان له، والتكرير للدلالة على أنّ اقتضاء الكفر لكلّ واحد من الأمرين مستقلّ باقتضاء قبحه ووجوب التجنّب عنه، والمراد بالمقت وهو أشد البغض: مقت الله، وبالخسار: خسار الآخرة.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ﴾: أخبروني عن هؤلاء الشركاء.

﴿ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: يعني آلهتهم، والإضافة إليهم لأنّهم جعلوهم شركاء لله أو لأنفسهم فيما يملكونه.

﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾: بدل من أرأيتم.

﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾: شركة مع الله في خلقها فاستحقّوا بذلك شركة في الألوهيّة ذاتية.

﴿أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ﴾: أي الشركاء أو المشركين.

﴿كِتَـٰباً﴾: ينطق على إنّا اتخذنا شركاء.

إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُواْ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُوراً ﴿٤٢﴾

﴿فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾: على حجّة من ذلك الكتاب بأنّ لهم شركة جعليّة، وقرئ على بيّنات إشارة إلى أنّه لابدّ في مثله من تعاضد الدلائل.

﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّـٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضاً إِلَّا غُرُوراً﴾: بأنّهم شفعاؤهم عند الله يشفعون لهم بالتقرّب إليهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِۦ﴾: من بعد الله أو من بعد الزوال.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾: حيث أمسكها وكانتا جديرتين بأن تهدّا هدّاً، كما قال عزّ وجلّ: «تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ»(١).

في الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّه سئل عن الله عزّ وجلّ يحمل العرش أم العرش يحمله؟ فقال عليه السلام: الله عزّ وجلّ حامل العرش والسماوات والأرض، وما فيهما وما بينهما، وذلك قول الله تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا» الآية(٢).

وفي الإكمال: عن الرضا عليه السلام في حديث بنا يمسك الله السماوات والأرض أن تزولا(٣).

وعنهم عليهم السلام: لولا ما في الأرض منّا لساخت بأهلها(٤).

﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾: قيل: وذلك أنّ قريشاً لمّا بلغهم أنّ أهل الكتاب كذّبوا رسلهم، قالوا: لعن الله اليهود

---

١ ـ مريم: ٩٠.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ١٢٩، ح ١، باب العرش والكرسي.

٣ و ٤ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢٠٢ و ٢٠٧، ح ٦ و ٢٢، باب ٢١ ـ العلّة التي من أجلها يحتاج إلى الإمام عليه السلام.

ٱسْتِكْبَاراً فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّىِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللهِ تَحْوِيلاً ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللهُ لِيُعجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً ﴿٤٤﴾

والنصارى لو أتانا رسول لنكونن أهدى من إحدى الأُمم[1].

ويأتي في هذا المعنى حديث في سورة صٓ إن شاء الله[2].

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾: يعني محمّد صلى الله عليه وآله.

﴿مَّا زَادَهُمْ﴾: أي النذير، أو مجيئه.

﴿إِلَّا نُفُوراً﴾: تباعداً عن الحقّ.

﴿ٱسْتِكْبَاراً فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّىِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾: وهو الماكر، قيل: وقد حاق بهم يوم بدر[3].

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾: ينتظرون.

﴿إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: سنّة الله فيه بتعذيب مكذّبيهم.

﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللهِ تَحْوِيلاً﴾: إذ لا يبدّلها بجعل التعذيب غيره، ولا يحوّلها بنقله إلى غيرهم.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾:

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٧٤، س ٢٠.

٢ ـ هكذا في الأصل. ولكن لم نعثر عليه في سورة «صٓ»، بل عثرنا عليه في سورة الصافّات: ذيل الآيـة ١٧٠، أُنظر ص ٢٠٨ من هذا الجزء.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٧٥، س ٥.

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾

قيل: استشهاد عليهم بما يشاهدونه في مسايرهم إلى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين[1].

والقمّي: قال: أولم ينظروا في القرآن،وفي أخبار الأُمم الهالكة[2].

﴿وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ﴾: ليسبقه ويفوته.

﴿فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيماً﴾: بالأشياء كلّها.

﴿قَدِيراً﴾: عليها.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟﴾: من المعاصي.

﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾: ظهر الأرض.

﴿مِن دَآبَّةٍ﴾: تدبّ عليها بشؤم معاصيهم.

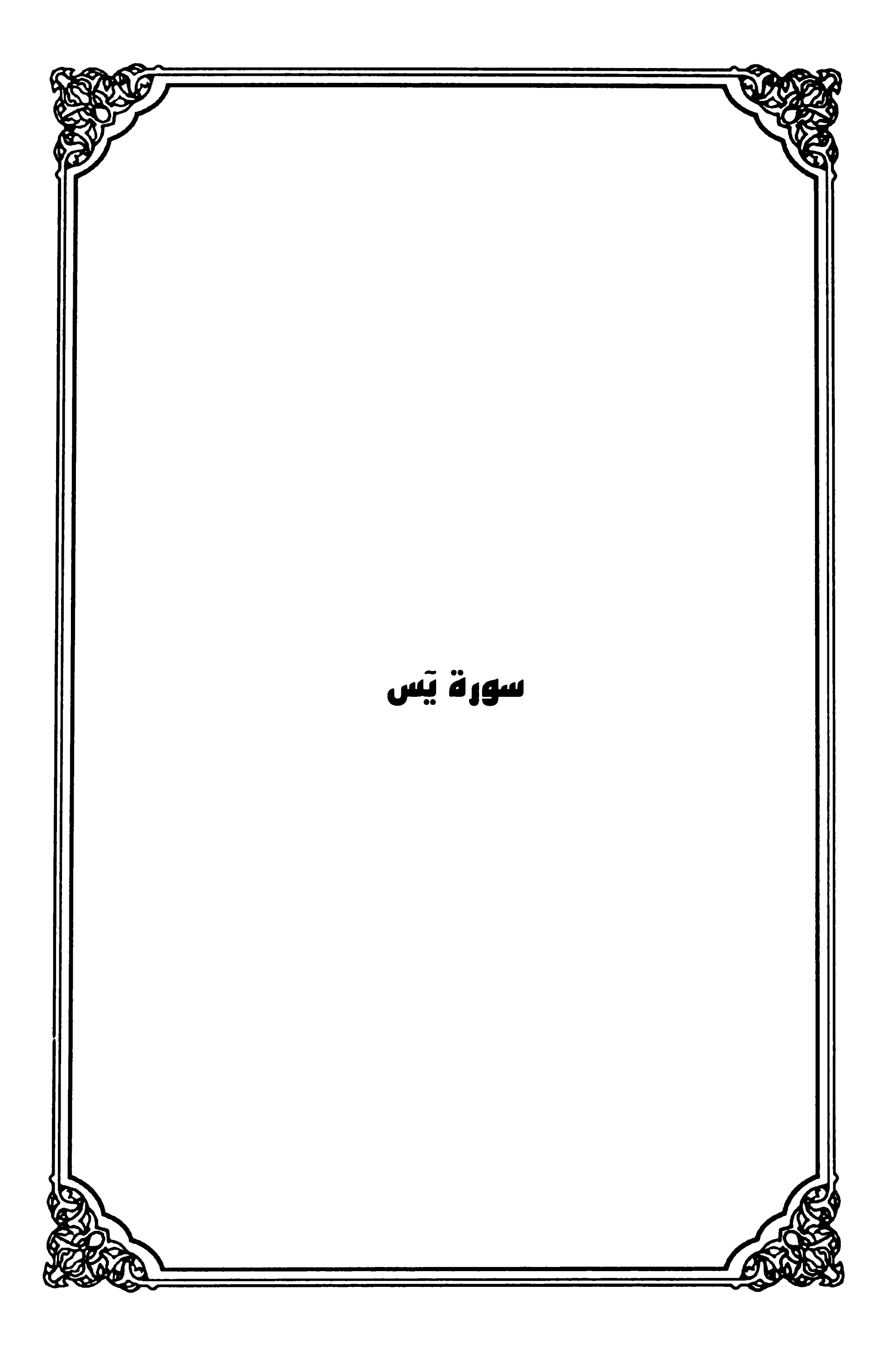
﴿وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا﴾: فيجازيهم على أعمالهم، وقد سبق ثواب قراءتها في آخر سورة سبأ.

* * *

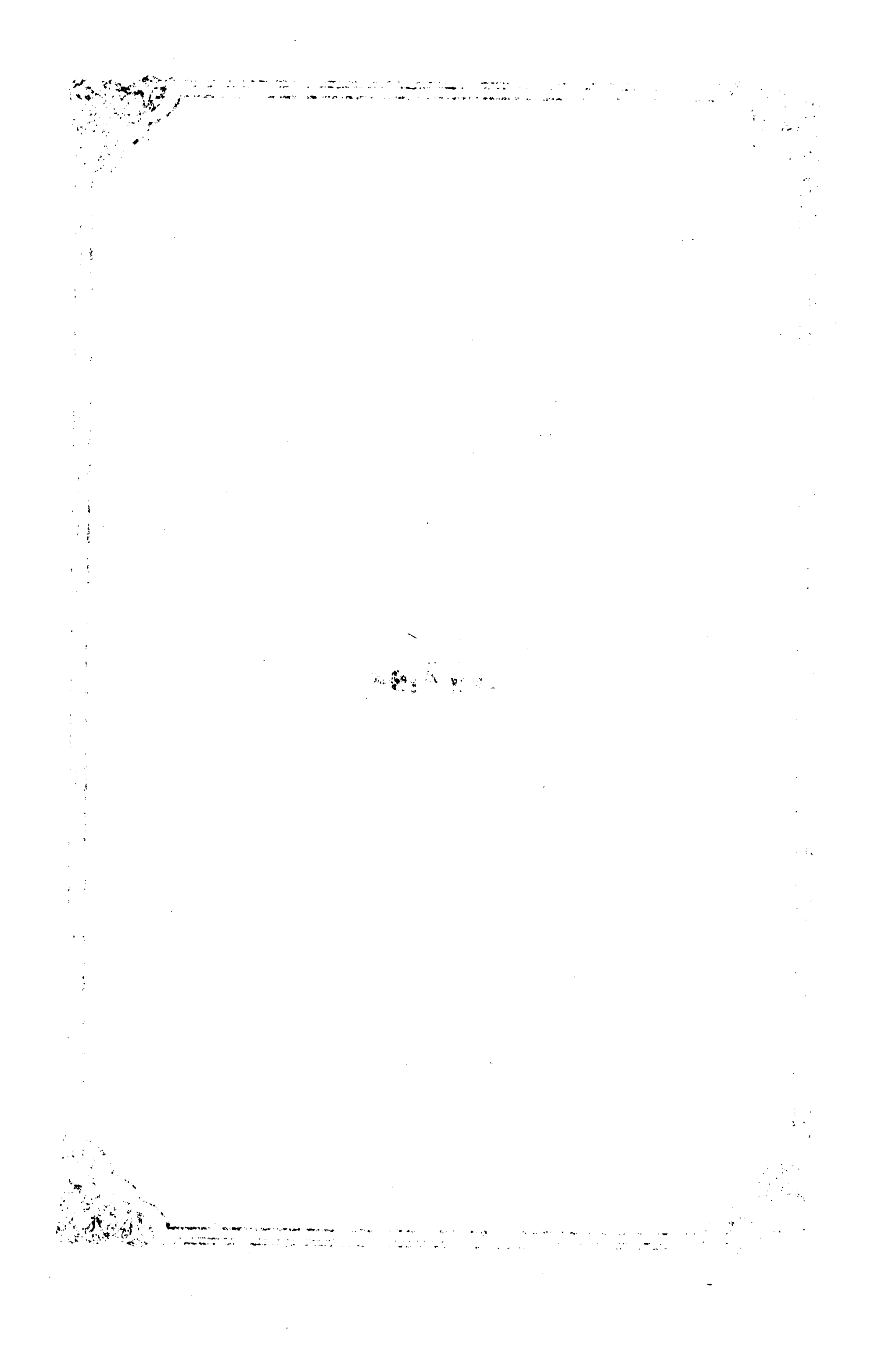
---

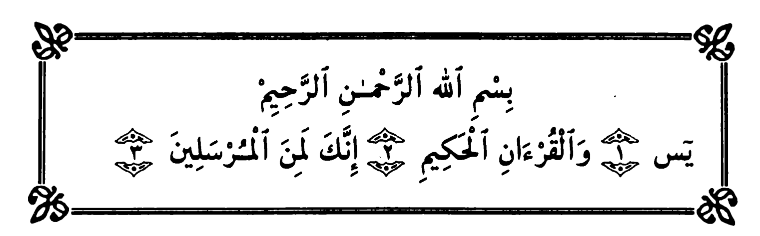
١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٧٥، س ٩.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢١٠، س ١٣.

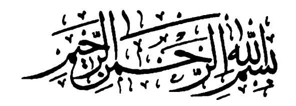


سورة يٓس





سورة يٓس: مكيّة عند الجميع، قال ابن عبّاس: إلّا آية منها، وهي قوله: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ»[1] نزلت بالمدينة، عدد آيها ثلاث وثمانون آية كوفي، واثنتان في الباقين.



﴿يٓس﴾: قيل معناه: يا إنسان بلغة طي[2].

وفي المعاني عن الصادق عليه السلام وأما «يٓس» فإسم من أسماء النبي صلى الله عليه وآله، ومعناه يا أيها السامع الوحي[3].

وفي الخصال: عن الباقر عليه السلام قال: إن لرسول الله صلى الله عليه وآله عشرة أسماء: خمسة في القرآن، وخمسة ليست في القرآن، فأما التي في القرآن: فمحمد، وأحمد، وعبد الله، ويٓس، ونٓ[4].

وفي الكافي: عنهما عليهما السلام، هذا محمد أذن لهم في التسمية به فمن أذن لهم في «يٓس» يعني التسمية وهو إسم النبي صلى الله عليه وآله[5].

وفي العيون: عن الرضا عليه السلام وفي حديث له في مجلس المأمون، قال: أخبروني عن قول الله تعالى: «يٓس * وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ» من عني

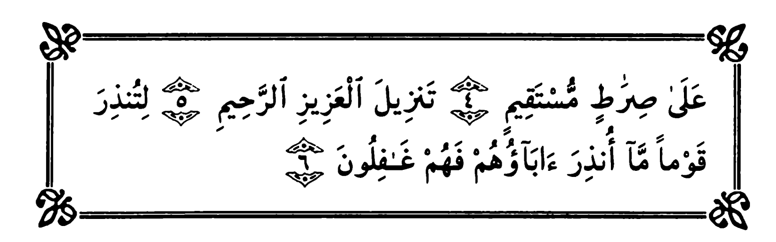
---

١ ـ يٓس: ٤٧.　　٢ ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص٢٧٦، س٦.

٣ ـ معاني الأخبار: ص٢٢، ح١، باب معنى الحروف المقطعة في أوائل السور من القرآن.

٤ ـ الخصال: ص٤٢٦، ح٢، باب العشرة، أسماء النبي صلى الله عليه وآله عشرة.

٥ ـ الكافي: ج٦، ص٢٠، ح١٣، باب الأسماء والكنى.



بقوله: «يٓس»؟ قالت العلماء: «يٓس» محمد لم يشك فيه أحد الحديث[1].

وقد سبق تمامه في سورة الاحزاب عند قوله تعالى: «صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً»[2].

ويأتي أيضاً في سورة الصافات[3] مع حديث آخر من الإحتجاج[4] في ذلك إن شاء الله.

وفي المجالس: عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: «سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِين»[5] قال: «يٓس» محمد، ونحن آل محمد[6].

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾: الواو للقسم.

﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: وهو التوحيد، والإستقامة في الأمور.

والقمي: قال الصادق عليه السلام: «يٓس» إسم رسول الله صلى الله عليه وآله، والدليل على ذلك قوله تعالى: «إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ» قال: على الطريق الواضح[7].

﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾: قال: القرآن، وقرئ بالنصب.

﴿لِتُنذِرَ قَوْماً مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَـٰفِلُونَ﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: لتنذر القوم الذين أنت فيهم كما أُنذر آباؤهم فهم غافلون عن الله، وعن رسوله، وعن وعيده[8].

١ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص٢٣٦، باب ٢٣ ـ ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والامة.

٢ـ الأحزاب: ٥٦.

٣ـ ذيل الآية: ١٣٠، أُنظر ص ٢٠٠ من هذا الجزء.

٤ـ الإحتجاج: ج١، ص٣٧٧، احتجاجه عليه السلام على زنديق في آي متشابهة.

٥ـ الصافات: ١٣٠.

٦ـ الامالي للشيخ الصدوق: ص٣٨١، ح١، المجلس الثاني والسبعون. وفيه: «ونحن آل يس».

٧ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢١١، س١٣.

٨ـ الكافي: ج١، ص٤٣١ـ ٤٣٢، ذيل ح٩٠، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلاً فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾: قال: ممّن لا يقرّون بولاية علي أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام من بعده[١].

﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: قال: بإمامة أمير المؤمنين والأوصياء عليهم السلام من بعده عليه السلام فلما لم يقرّوا كانت عقوبتهم ما ذكر الله[٢].

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلاً فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾: القمّي: قد رفعوا رؤوسهم[٣].

﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام يقول: فأعميناهم فهم لا يبصرون الهدى أخذ الله سمعهم وأبصارهم وقلوبهم فأعماهم عن الهدى[٤].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: هذا في الدنيا، وفي الآخرة في نار جهنم مقمحون[٥][٦].

القمّي: نزلت في أبي جهل بن هشام ونفر من أهل بيته، وذلك انّ النّبي صلّى الله عليه وآله قام يصلي

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٣١ ـ ٤٣٢، ذيل ح ٩٠، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

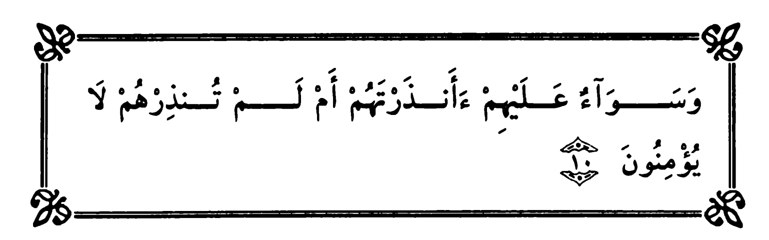
٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٣١ ـ ٤٣٢، ذيل ح ٩٠، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢١٢، س ٢.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢١٢، س ٢.

٥ ـ القمح: رفع الرأس «فهم مقمحون» أي رافعون رؤوسهم مع غض أبصارهم، لأنّ الأغلال إلى الأذقان فلا تخليه يطأطئ رأسه فلا يزال مقمحاً يقال: أقمحه الغلّ: إذا ترك رأسه مرفوعاً من ضيقه، فهو مقمح. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٤٠٥ مادة «قمح».

٦ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٣١ ـ ٤٣٢، ذيل ٩٠، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.



وقد حلف أبو جهل لعنه الله لئن رآه يصلي ليدمغنّه[1] فجاءه ومعه حجر والنبي ﷺ قائم يصلي، فجعل كلّما رفع الحجر ليرميه أثبت الله عزّ وجلّ يده، إلى عنقه، ولا يدور الحجر بيده، فلما رجع إلى أصحابه سقط الحجر من يده، ثم قام رجل آخر وهو من رهطه أيضاً، فقال: أنا أقتله، فلمّا دنا منه جعل يسمع[2] قراءة رسول الله ﷺ فأُرعب، فرجع إلى أصحابه فقال: حال بيني وبينه كهيئة الفحل[3] يخطر بذنبه فخفت أن أتقدم[4].

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: قال: فلم يؤمن من أولئك الرّهط من بني مخزوم أحد[5].

وفي الكافي: في الحديث السّابق فهم لايؤمنون بالله ولا بولاية علي عليه السلام، ومن بعده[6].

قيل: «إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلاً فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ * وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً» الآيتين تقرير لتصميمهم على الكفر والطّبع على قلوبهم بحيث لا تغني الآيات والنّذر بتمثيلهم بالّذين غلّت أعناقهم، والأغلال واصلة إلى أذقانهم فلا يخليهم يطأطؤون، فهم مقمحون، رافعون رؤوسهم، غاضون أبصارهم، في أنّهم لا يلتفتون لفت الحق، ولا يعطفون أعناقهم نحوه، ولا يطأطؤون رؤوسهم له، وبمن أحاط بهم سدّان فغطى أبصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم في أنهم محبوسون في مطمورة الجهالة، ممنوعون عن النظر في الآيات والدلائل[7]، وقرئ سدّاً بالضم وهو لغة فيه.

---

١ ـ دمغه دمغاً: أي شجه بحيث يبلغ الدماغ فيهلكه، ودمغته دمغاً من باب نفع: كسرت عظم دماغه في الشجّة. مجمع البحرين: ج٥، ص٨، مادة «دمغ».

٢ ـ وفي نسخة: [يستمع].

٣ ـ الفحل: واحد الفحول، والفحال: وهو الذكر من ذي الحافر والظلف والخف من ذي الروح. مجمع البحرين: ج٥، ص٤٣٩، مادة «فحل».

٤ و٥ ـ تفسير القمي: ج٢، ص٢١٢، س٥ و١١.

٦ ـ الكافي: ج١، ص٤٣١ ـ ٤٣٢، ذيل ح٩٠، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٧ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٢٧٦ ـ ٢٧٧.

إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾: في الكافي: في الحديث السابق يعني أمير المؤمنين عليه السلام[1].

﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ * إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: الأموات بالبعث والجهال بالهداية.

﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟﴾: ما أسلفوا من الأعمال الصّالحة والطّالحة.

﴿وَءَاثَـٰرَهُمْ﴾: كعلم علموه، وخطوة مشوا بها إلى المساجد، كإشاعة باطل، وتأسيس ظلم.

في المجمع: أن بني سلمة كانوا في ناحية من المدينة، فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بعد منازلهم من المسجد والصلاة معه، فنزلت الآية[2].

﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾: قيل: يعني اللّوح المحفوظ[3].

والقمّي: يعني في كتاب مبين[4].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: أنا والله الإمام المبين أُبيّن الحقّ من الباطل، وورثته من رسول الله صلى الله عليه وآله[5].

وفي المعاني: عن الباقر عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال: لما نزلت هذه الآيه على رسول الله صلى الله عليه وآله «وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ» قام أبو بكر، وعمر من مجلسهما، وقالا: يا رسول الله هو التوراة؟ قال: لا، قالا: فهو الانجيل؟ قال: لا، قالا: فهو القرآن؟ قال: لا، قال: فأقبل أمير

---

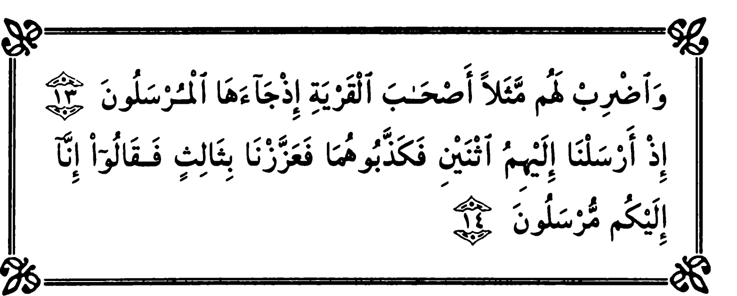
١ ـ الكافي: ج١، ص٤٣١ ـ ٤٣٢، ذيل ح٩٠، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٢ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٤١٨، س٢٠.

٣ ـ قاله البيضاوي: في تفسير أنوار التنزيل: ج٢، ص٢٧٧، س١٢.

٤ ـ تفسير القمي: ج ٢، ص ٢١٢، س ١٤.

٥ ـ تفسير القمي: ج٢، ص٢١٢، س١٥.



المؤمنين عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله هو هذا إنه الإمام الذي أحصى الله فيه علم كلّ شيء[١].

وفي الإحتجاج: عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث قال: معاشر الناس ما من علم إلّا علمنيه ربي وأنا علّمته علياً، وقد أحصاه الله فيّ، وكلّ علم علّمت فقد أحصيته في إمام المتقين، وما من علم إلّا علّمته علياً[٢].

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾: قرية أنطاكية.

﴿إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: قيل: أرسلهم الله أو أرسلهم عيسى على نبينا وآله وعليه السلام بأمر الله[٣].

﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا﴾: فقوينا.

﴿بِثَالِثٍ﴾: وهو شمعون.

﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام إنه سئل عن تفسير هذه الآية فقال: بعث الله رجلين إلى أهل مدينة أنطاكيه فجاءاهم بما لا يعرفون، فغلظوا عليهما، فأخذوهما وحبسوهما في بيت الأصنام، فبعث الله الثالث: فدخل المدينة فقال: أرشدوني إلى باب الملك قال: فلما وقف على الباب قال: أنا رجل كنت أتعبّد في فلاة من الأرض وقد أحببت أن أعبد إلـه الملك، فأبلغوا كلامه الملك فقال: أُدخلوه إلى بيت الآلهة، فأدخلوه فمكث سنة مع صاحبيه فقال: لهما بهذا ينقل قوم من دين إلى دين بالخرق أفلا رفقتما، ثم قال لهما: لا تقران بمعرفتي، ثم أدخل على الملك، فقال له الملك: بلغني إنك كنت تعبد إلـهي فلم أزل وأنت أخي

---

١ ـ معاني الأخبار: ص ٩٥، ح ١، باب معنى الإمام المبين.

٢ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٧٤، حديث الغدير، س ١٠.

٣ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٤١٨، س ٣١ ـ ٣٢.

فسلني حاجتك؟ فقال: مالي من حاجة أيها الملك، ولكن رأيت رجلين في بيت الآلهة فما حالهما؟ قال الملك: هذان رجلان أتياني ببطلان ديني ويدعواني إلى إلـه سماوي فقال: أيها الملك فمناظرة جميلة فإن يكن الحق لهما أتبعناهما، وإن يكن الحق لنا دخلا معنا في ديننا وكان لهما ما لنا وعليهما ما علينا، قال: فبعث الملك إليهما فلما دخلا إليه قال لهما صاحبهما: ما الذي جئتماني به؟ قالا: جئنا ندعوه إلى عبادة الله الذي خلق السموات والأرض ويخلق في الأرحام ما يشاء، ويصوّر كيف يشاء وأنبت الأشجار والثمار وأنزل القطر من السماء، قال: فقال لهما: إلـهكما هذا الذي تدعوان إليه وإلى عبادته إن جئنا بأعمى أيقدر أن يرده صحيحاً؟ قالا: إن سألناه ان يفعل فعل إن شاء، قال: أيها الملك علي بأعمى لم يبصر شيئاً قط، قال: فأُتي به، فقال لهما: أُدعوا إلـهكما أن يردّ بصر هذا، فقاما وصليا ركعتين فإذا عيناه مفتوحتان وهو ينظر إلى السماء، فقال: أيها الملك علي بأعمى آخر فأُتي به قال: فسجد سجدة ثم رفع رأسه فإذا الأعمى يبصر، فقال: أيها الملك حجة بحجة علي بمقعد فأُتي به فقال لهما مثل ذلك، فصليا ودعوا الله فإذا المقعد قد أطلقت رجلاه وقام يمشي، فقال: أيها الملك علي بمقعد آخر فأُتي به فصنع به كما صنع أول مرة فانطلق المقعد، فقال: أيها الملك قد أتيا بحجتين وأتينا بمثلهما، ولكن بقي شيء واحد فإن كان هما فعلاه دخلت معهما في دينهما، ثم قال: أيها الملك بلغني أنه كان للملك ابن واحد ومات فإن أحياه إلـههما دخلت معهما في دينهما، فقال: له الملك: وأنا أيضاً معك ثم قال لهما: قد بقيت هذه الخصلة الواحدة قد مات ابن الملك فادعوا آلهكما أن يحييه، قال: فخرّا ساجدين لله عزّوجلّ وأطالا السجود ثم رفعاً رؤوسهما، وقالا للملك ابعث إلى قبر ابنك تجده قد قام من قبره إن شاء الله، قال: فخرج الناس ينظرون فوجدوه قد خرج من قبره ينفض رأسه من التراب، قال: فأُتي به الملك فعرف أنّه ابنه فقال له: ما حالك يا بنّي؟ قال: كنت ميّتا فرأيت رجلين بين يدي ربي الساعة ساجدين يسألانه أن يحيني فأحياني، قال: يا بني تعرفهما إذا رأيتهما؟ قال: نعم قال: فأخرج الناس جملة إلى الصحراء فكان يمرّ عليه رجل رجل فيقول: له أبوه: أُنظر، فيقول: لا، ثم مرّوا عليه بأحدهما بعد جمع كثير فقال: هذا أحدهما وأشار بيده إليه، ثم مرّوا أيضاً بقوم كثيرين حتى رأى صاحبه الآخر فقال: وهذا الآخر قال: فقال: النبي عليه السلام صاحب الرجلين أما أنا فقد آمنت بإلـهكما، وعلمت أنّ ما جئتما به هو الحق، قال: فقال الملك:

وأنا أيضاً آمنت بإلـهكما وآمن أهل مملكته كلّهم[1].

وفي المجمع: قال وهب بن منبه: بعث عيسى هذين الرسولين إلى أنطاكية فأتياها ولم يصلا إلى ملكها وطالت مدة مقامهما، فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله فغضب وأمر بحبسهما وجلد كل واحد منهما مائة جلدة، فلما كذب الرسولان وضربا، بعث عيسى عليه السلام شمعون الصفا رأس الحواريين على أثرهما لينصرهما، فدخل شمعون البلدة منكراً فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره إلى الملك، فدعاه ورضي عشرته وأنس به وأكرمه، ثم قال له ذات يوم: أيها الملك بلغني أنك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك إلى غير دينك فهل سمعت قولهما؟ قال الملك: حال الغضب بيني وبين ذلك، قال: فإن رأى الملك دعاهما حتى يتطلّع[2] ما عندهما، فدعاهما الملك، فقال لهما شمعون: من أرسلكما إلى هاهنا؟ قالا: الله الذي خلق كل شيء لا شريك له، قال: وما آيتكما؟ قالا: ما تتمنّاه، فأمر الملك حتى جاؤوا بغلام مطموس العينين[3] وموضع عينيه، كالجبهة فما زالا يدعوان الله حتى انشق موضع البصر فأخذا بندقتين من الطين فوضعاهما في حدقتيه فصارا مقلتين[4] يبصر بهما، فتعجب الملك فقال شمعون للملك: أرأيت لو سألت إلـهك حتى يصنع صنعاً[5] مثل هذا، فيكون لك ولإلـهك شرفاً؟ فقال الملك: ليس لي عنك سراً إنّ إلـهنا الذي نعبده لا يضر ولا ينفع، ثم قال الملك: للرّسولين إن قدر إلـهكما على إحياء ميّت آمنّا به وبكما، قالا: إلـهنا قادر على كل شيء، فقال: الملك: إن هاهنا ميّتا مات منذ سبعة أيّام لم ندفنه حتى يرجع أبوه، وكان غائباً فجاؤوا بالميّت وقد تغير وأروح، فجعلا يدعوان ربّهما علانيّة، وجعل شمعون يدعو ربّه سِرّاً، فقام الميت وقال لهم: إني قد مت منذ سبعة أيّام وأُدخلت في سبعة أوديه من النار، وأنا أُحذركم ما أنتم فيه فآمنوا بالله، فتعجب الملك، فلمّا علم شمعون أنّ قوله أثّر في الملك دعاه إلى الله فآمن وآمن من أهل مملكته قوم وكفر آخرون، وقد روى مثل ذلك العياشي: بإسناده عن

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢١٢، س١٨.
٢ ـ وفي المصدر: «نتطلّع»، وهذا هو الأصح.
٣ ـ طمست الشيء طمساً ـ من باب ضرب ـ محوته «فإذا النجوم طمست»: أي ذهب ضوؤها. مجمع البحرين ج٤، ص٨٣، مادة «طمس».
٤ ـ المقل ـ جمع مقلة كغرفة ـ وهي شحمة العين التي تجمع سوادها وبياضها. مجمع البحرين: ج٥، ص٤٧٣، مادة «مقل».
٥ ـ وفي نسخة: [صنيعاً]، كما في المصدر.

قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾

الثمالي وغيره عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام، إلّا أنّ في بعض الروايات بعث الله الرسولين إلى أنطاكيه، ثم بعث الثالث، وفي بعضها أن عيسى عليه السلام أوحى الله إليه أن يبعثهما، ثم بعث وصيّه شمعون ليخلّصهما وأنّ الميّت الذي أحياه الله بدعائهما كان ابن الملك، وأنّه قد خرج من قبره ينفض التراب عن رأسه، فقال له: يا بني ما حالك؟ قال: كنت ميتاً فرأيت رجلين ساجدين يسألان الله أن يحييني، قال: يا بني فتعرفهما إذا رأيتهما؟ قال: نعم، فأخرج الناس إلى الصحراء فكان يمرّ عليه رجل بعد رجل، فمرّ أحدهما بعد جمع كثير، فقال: هذا أحدهما، ثم مرّ الآخر فعرفهما وأشار بيده إليهما، فآمن الملك وأهل مملكته، إلى هنا كلام صاحب المجمع[1].

﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾: لامزية لكم علينايقتضي اختصاصكم بما تدّعون.

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مِن شَيْءٍ﴾: وحي ورسالة.

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾: في دعوى رسالته.

﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾: الاستشهاد بعلم الله يجري مجرى القسم.

﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ * قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾: تشأمنا بكم.

قيل: ذلك لاستغرابهم ما ادّعوه به وتنفّرهم عنه[2].

والقمّي: «تطَيَّرْنَا بِكُمْ» قال: بأسمائكم[3].

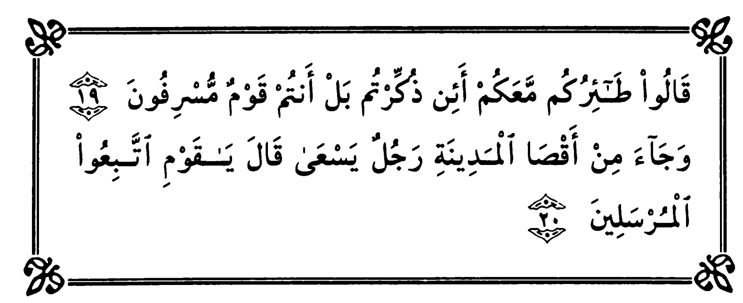
﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ﴾: عن مقالتكم هذه.

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٤١٩، في القصة.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٧٨، س ١٣.

٣ ـ تفسير القمي: ج٢، ص٢١٤، س ٢٠.



﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالُواْ طَـٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾: سبب شؤمكم معكم، وهو سوء عقيدتكم وأعمالكم.

﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾: أئن وعظتم به تطيرتم أو توعدتم بالرجم،والتعذيب فحذف الجواب.

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: عادتكم الإسراف.

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾:

القمّي: قال: نزلت في حبيب النّجار إلى قوله: «وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ»(١)(٢).

قيل: إنه ممن آمن بمحمد صلى الله عليه وآله وبينهما ستمائة سنه(٣).

وقيل: كان في غار يعبد الله فلمّا بلغه خبر الرّسل أظهر دينه(٤).

وفي المجالس: عن النّبي صلى الله عليه وآله قال: الصّدّيقون ثلاثه: حبيب النجار مؤمن آل يٓس الذي يقول «ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ» الآية، وحزقيل مؤمن آل فرعون، وعلي بن أبي طـالب عليه السلام وهـو أفضلهم(٥).

وفي الجوامع: عنه صلى الله عليه وآله قال: سبّاق الأُمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين: علي بن أبي طالب عليه السلام، وصاحب يٓس، ومؤمن آل فرعون، فهم الصّدّيقون، وعلي عليه السلام أفضلهم(٦).

وفي الخصال: عنه عليه السلام قال: ثلاثة لم يكفروا بالوحي طرفة عين مؤمن آل يٓس، وعلي

---

١ ـ يٓس: ٢٧. ٢ ـ تفسير القمي: ج ٢، ص ٢١٤، س ٢١.

٣ ـ قاله البيضاوي: في تفسيره أنواء التنزيل: ج ٢، ص ٢٧٨، س ٢٠.

٤ ـ قاله البيضاوي: في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٧٨، س ٢١.

٥ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٣٨٥، ح ١٨، المجلس الثاني والسبعون.

٦ ـ جوامع الجامع: ج ٣، ص ٣٨٤، س ١٠.

ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْئَلُكُمْ أَجْراً وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذاً لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

ابن أبي طالب عليه السلام، وآسية امرأة فرعون[١].

﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْئَلُكُمْ أَجْراً﴾: على النصح وتبليغ الرسالة.

﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾: إلى خير الدارين.

﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾: تلّطف في الإرشاد بإيراده في معرض المناصحة لنفسه، وإمحاض النّصح حيث أراد لهم ما أراد لنفسه، والمراد: تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم إلى عبادة غيره، ولذلك قال: «وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ».

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: مبالغه في التهديد، ثم عاد إلى المساق الأول فقال:

﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْئاً﴾: لا تنفعني شفاعتهم.

﴿وَلَا يُنقِذُونِ﴾: بالنصر والمضاهرة.

﴿إِنِّىٓ إِذاً لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بيّن لا يخفى على عاقل.

﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ﴾: الذي خلقكم أوهو خطاب للرّسل بعدماأرادالقوم أن يقتلوه.

﴿فَاسْمَعُونِ﴾: فاسمعوا إيماني.

﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾: قيل له ذلك لما قتلوه، بشرى بأنه من أهل الجنة أو إكراماً

---

١ ـ الخصال: ص١٧٤، ح ٢٣٠، باب ٣ ـ ثلاثه لم يكفروا بالوحي طرفة عين.

بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَـٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾

وإذناً في دخولها[1].

﴿قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾: في الجوامع: ورد في حديث مرفوع أنّه نصح قومه حيّاً وميّتاً[2].

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: لإهلاكهم كما أرسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا أمرهم بصيحة.

﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾: وما صحّ في حكمتنا أن ننزل إذ قدرنا لكل شيء سبباً وجعلنا ذلك سبباً لانتصارك من قومك.

وقيل: «ما» موصولة معطوفة على جند، أي وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وأمطار شديده[3].

﴿إِن كَانَتْ﴾: ما كانت الأخذة.

﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾: صاح بها جبرئيل عليه السلام.

﴿فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ﴾: ميتون، شبّهوا بالنار رمزاً إلى أن الحي كالنار الساطع والميت كرمادها.

﴿يَـٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾: تعالى فهذا أوانك.

---

١ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٧٩.

٢ ـ جوامع الجامع: ج ٣، ص ٣٨٥، س ١٨.

٣ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٧٩، س ١٨.

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾

وفي الجوامع: عن السجاد عليه السلام يا حسرة العباد على الإضافة إليهم لاختصاصها بهم من حيث أنها موجهة إليهم[1].

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: فإنّ المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين أحقّاء بأن يتحسّروا، ويتحسّر عليهم، وقد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ * وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾: «إن» مخففة من الثقيلة و«ما» مزيدة للتأكيد، وقرئ لمّا بالتشديد بمعنى إلّا فيكون «إن» نافية.

﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ﴾: وقرئ بالتشديد.

﴿أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾: قيل: قدّم الصلة للدلالة على أن الحب معظم ما يؤكل ويعاش به[2].

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ﴾: ثمر ما ذكر، وقرئ بضمتين.

﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾: ممّا يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما، وقرئ بلا هاء،

---

١ ـ جوامع الجامع: ج ٣، ص ٣٨٧، س ٥.

٢ ـ قاله البيضاوي: في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٨٠، س ١١.

سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾

وقيل: «ما» نافية[١].

﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ * سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾: الأنواع والأصناف.

﴿مِمَّا تُنبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾: من النبات والشجر.

﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾: الذكر والأُنثى.

﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾: وأزواجاً ممّا لا يطلعهم الله عليه.

القّمي: عن الصادق عليه السلام أن النطفة تقع من السماء إلى الأرض على النبات، والثمر، والشجر، فيأكل الناس منه والبهائم فتجري فيهم[٢].

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾: نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من سلخ الشاة.

﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾: داخلون في الظلام.

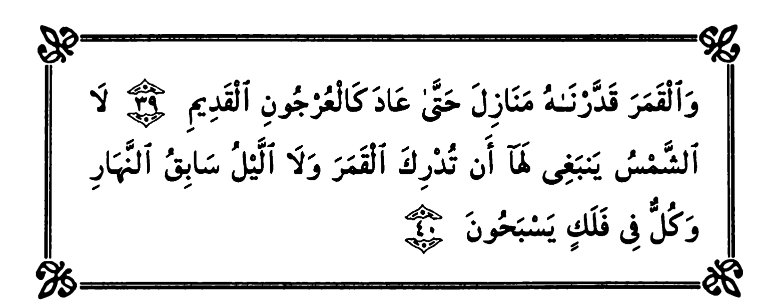
في الكافي: عن الباقر عليه السلام يعني قبض محمد صلى الله عليه وآله، وظهرت الظلمة فلم يبصروا فضل أهل بيته[٣].

﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾: لحد معيّن ينتهي إليه دورها.

وفي المجمع: عنهما عليهما السلام «لا مستقر لها» بنصب الراء[٤] أي لا سكون لها فإنّها متحركة دائما.

---

١ ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص٢٨٠، س١٨.
٢ ـ تفسير القمي: ج٢، ص٢١٥، س٣.
٣ ـ الكافي: ج٨، ص٣٧٩، قطعة من ح٥٧٤.
٤ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٤٢٣، في القراءة.



﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ * وَٱلْقَمَرَ﴾: وقرئ بالنصب.

﴿قَدَّرْنَـٰهُ﴾: قدرنا مسيره.

﴿مَنَازِلَ﴾: وهى ثمانية وعشرون منزلاً، ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه، ولا يتقاصر عنه.

﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾(١): كالشمراخ(٢) المعوج العتيق.

﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنبَغِى لَهَآ﴾: يصح لها ويتسهّل.

﴿أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾: يسيرون فيه بانبساط.

القمّي: عن الباقر عليه السلام يقول: الشمس: سلطان النهار، والقمر: سلطان الليل، لا ينبغي للشمس أن تكون مع ضوء القمر في الليل، ولا يسبق الليل النهار، يقول: لا يذهب الليل حتى يدركه النهار(٣).

«وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» يقول: يجيىء وراء الفلك(٤) الإستدارة(٥).

أقول: يعني يجيء تابعاً لسير الفلك على الإستدارة.

وفي المجمع: عن العياشي عن الرضا عليه السلام إنّ النهار خلق قبل الليل، وفي قوله تعالى:

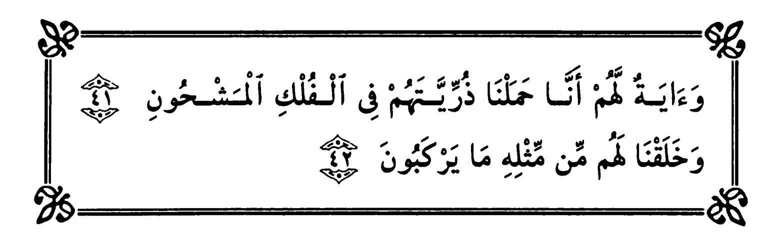
---

١ ـ القمّي: قال: العرجون طلع النخل وهو مثل الهلال في أول طلوعه ج٢، ص٢١٥. أقول: وصفه بالقديم لا يلائم هذا التفسير منه رحمه الله.

٢ ـ الشمراخ ـ بالكسر ـ: العثكال عليه بسرأو رطب كالشمروخ. القاموس المحيط: ج١، ص٢٦٣، مادة «شمخ».

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢١٤. ٤ ـ الفلك: واحد وجمع مذكر ومؤنث وبها جميعاً ورد في القرآن منه رحمه الله.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢١٤، س ١٩.



«وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ» قال: أي قد سبقه النهار[١].

وفي الإحتجاج: عن الصادق عليه السلام خلق النهار قبل الليل، والشمس قبل القمر، والأرض قبل السماء[٢].

وزاد في الكافي: وخلق النور قبل الظلمة[٣].

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾: المملوّ أي فلك نوح كما في قوله: «ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ»[٤] وحمل الله ذريتهم فيها حمل آبائهم الأقدمين، وفي أصلابهم ذرياتهم، وتخصيص الذرية لأنه أبلغ في الامتنان، وأدخل في التعجب مع الايجاز.

وفي الخصال: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث أنه سئل فما التسعون؟ فقال: الفلك المشحون اتخذ نوح فيه تسعين بيتاً للبهائم[٥].

وقيل: ذريتهم: أولادهم الذين يبعثونهم إلى تجاراتهم، أو صبيانهم ونسائهم الذين يستصحبونهم، فإنّ الذريّة تقع عليهن لأنهن مزارعها، وتخصيصهم لأن استقرارهم فيها أشق وتماسكهم فيها أعجب[٦].

القمّي: قال: السفن الممتلية[٧]، وكأنه ناظر إلى المعني الأخير لتعميمه الفلك.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ﴾: من مثل الفلك.

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٤٢٥، س١٩.
٢ ـ الإحتجاج: ج٢، ص١٠٠، احتجاج الصادق عليه السلام على اليماني في علم النجوم.
٣ ـ الكافي: ج٨، ص١٤٥، ح١١٦.
٤ ـ الاسراء: ٣.
٥ ـ الخصال: ص ٥٩٨، س ٦، قطعة من حديث ١، باب الواحد إلى المائة.
٦ ـ قاله البيضاوي: في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٢٨١، س٢٢.
٧ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢١٥، س١٩.

وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعاً إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾

﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾: من الأنعام والدواب، ولا سيما من الإبل فإنّها سفائن البرّ، أو من السفن والزوارق.

﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾: فلا مغيث لهم يحرسهم من الغرق.

﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾: ينجون من الموت.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعاً﴾: إلّا لرحمته ولتمتيع بالحياة.

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: زمان قدر لآجالهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾: في المجمع: عن الصادق عليه السلام معنى اتقوا ما بين أيديكم من الذنوب، وما خلفكم من العقوبة[1].

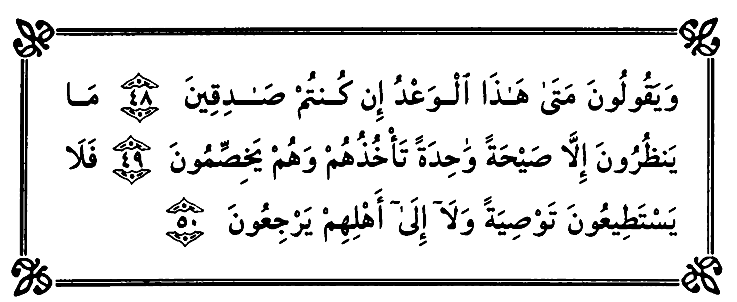
﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: لتكونوا راجين رحمة الله، وجواب «إذا» محذوف، دل عليه ما بعده كأنه قيل: أعرضوا.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾: لأنهم إعتادوا وتمرّنوا عليه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾: على محاويجكم.

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٤٢٧، س٧.



﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾: إمّا تهكّم به من إقرارهم بالله وتعليقهم الأُمور بمشيئة الله، وإمّا إيهام بـأنّ الله لمّـا كـان قـادراً أن يطعمهم فلم يطعمهم فنحن أحق بذلك وهذا من فرط جهالتهم فإنّ الله يطعم بأسباب منها حث الأغنياء على إطعام الفقراء وتوفيقهم له.

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: يعنون وعد البعث.

﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾: هي النفخة الأُولى.

﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾: أصله يختصمون، يعني يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم أمرها كقوله: «فأخذتهم» الساعة بغتة.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾: القمّي: قال: ذلك في آخر الزمان يصاح فيهم صيحة وهم في أسواقهم يتخاصمون فيموتون كلهم في مكانهم لا يرجع أحد إلى منزله، ولا يوصى بوصية[١].

وفي المجمع: في الحديث تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعان فما يطويانه حتى تقوم الساعة، والرجل يرفع أكلته إلى فيه فما تصل إلى فيه حتى تقوم الساعة، والرجل يليط[٢] حوضه ليسقي ماشيته فما يسقيها حتى تقوم[٣].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢١٥، س٢١.

٢ ـ لطت الحوض بالطين لوطاً: أي ملطّته وطيّنته. مجمع البحرين: ج٤، ص٢٧٢ ـ ٢٧٣، مادة «لوط».

٣ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٤٢٧، س٢٤.

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُواْ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾: أي مرة ثانية كما يأتي في سورة الزمر[١].

﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾: من القبور.

﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾: يسرعون.

﴿قَالُواْ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾: في الجوامع: عن علي عليه السلام إنّه قرأ «من بعثنا» على «من» الجارة والمصدر[٢].

﴿هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام قال: فإن القوم كانوا في القبور فلما قاموا حسبوا أنّهم كانوا نياماً «قَالُواْ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا» قالت الملائكة: «هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ»[٣].

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾: هي النفخة الأخيرة.

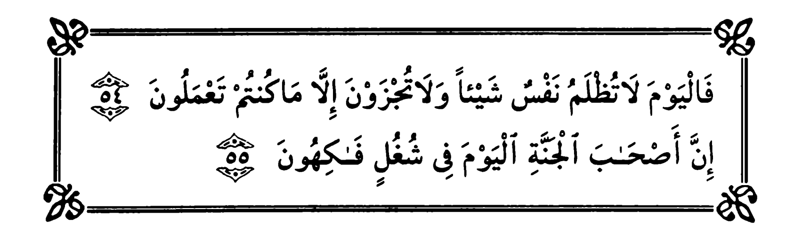
﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾: بمجرد الصيحة، وفي ذلك تهوين أمر البعث والحشر واستغناؤه عن الأسباب التي ينوط بها فيما يشاهدونه.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: كان أبو ذر رضي الله عنه يقول في خطبته: وما بين الموت والبعث إلّا كنومة نمتها، ثم استيقظت منها الحديث[٤].

والقمّي: عنه: عليه السلام قال: إذا أمات الله أهل الأرض لبث كمثل ما خلق الله الخلق ومثل ما أماتهم وأضعاف ذلك، ثم أمات أهل سماء الدنيا، ثم لبث مثل ما خلق الله الخلق، ومثل ما

---

١ ـ ذيل الآية: ٦٨.
٢ ـ جوامع الجامع: ج ٣، ص ٣٩٢، س ١٥.
٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢١٦، س ٤.
٤ ـ الكافي: ج ٢، ص ١٣٤، ح ١٨، باب ذم الدنيا والزهد فيها.



أمات أهل الأرض وأهل سماء الدنيا وأضعاف ذلك، ثم أمات أهل السماء الثانية، ثم لبث مثل ما خلق الله الخلق، ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا والسماء الثانية وأضعاف ذلك، ثم أمات أهل السماء الثالثة، ثم لبث مثل ما خلق الله الخلق، ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا، والسماء الثانية والثالثة وأضعاف ذلك في كل سماء مثل ذلك وأضعاف ذلك، ثم أمات ميكائيل، ثم لبث مثل ما خلق الله الخلق، ومثل ذلك كلّه وأضعاف ذلك، ثم أمات جبرائيل، ثم لبث مثل ما خلق الله الخلق، ومثل ذلك كلّه وأضعاف ذلك، ثم أمات إسرافيل، ثم لبث مثل ما خلق الله الخلق، ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك، ثم أمات ملك الموت، ثم لبث مثل ما خلق الله الخلق، ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك، ثم يقول الله عزّ وجلّ: لمن الملك اليوم؟ فيردّ على نفسه لله الواحد القهار، أين الجبارون؟ أين الذين ادعوا معي إلـهً آخر؟ أين المتكبّرون ونخوتهم؟ ثم يبعث الخلق، قال الراوي: فقلت: إنّ هذا الأمر كائن طول ذلك؟ فقال عليه السلام: أرأيت ما كان هل علمت به؟ فقلت: لا، قال: فكذلك هذا[١].

﴿فَالْيَوْمَ لَاتُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَاكُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ﴾: متلذذون في النعمة، وإبهامه لتعظيم ما هم فيه. القمّي: قال: في افتضاض[٢] العذارى[٣] فاكهون[٤]، قال: يفاكهون النساء ويلاعبونهن[٥].

---

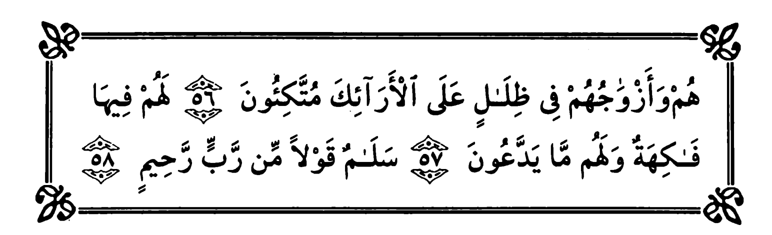
١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٥٦ ـ ٢٥٧.

٢ ـ أصل الفض الكسر، يقال: فضضت الختم فضّاً من باب ـ قتل ـ: كسرته، وفضضت البكارة: أزلتها على التشبيه بالختم. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣، مادة «فضض».

٣ ـ عذرة الجارية: بكارتها، وإمرأة عذراء ـ مثل حمراء ـ: البكر، لأنّ عذرتها وهي جلدة البكارة باقية، ودم العذرة: دم البكارة، وجمعها عذارى. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٣٩٨، مادة «عذر».

٤ ـ الفكاهة ـ بالضم ـ: المزاح، والفاكه: الناعم. لسان العرب: ج ١٠، ص ٣١٠، مادة «فكه».

٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢١٦، س٨.



وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام شغلوا بافتضاض العذارى، قال: وحواجبهن كـالأهلة، وأشفار أعينهن كقوادم[١] النسور[٢].

﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ﴾: وقرئ في ظلل.

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: السرر المزينة.

﴿مُتَّكِـُٔونَ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام قال: الأرائك: السرر عليها الحجال[٣][٤].

وعنه عليه السلام قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وآله إذا جلس المـؤمن عـلى سريـره اهـتز سريـره فرحاً[٥] في حديث قد سبق بعضه في أواخر سورة فاطر[٦].

﴿لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾: قيل: افتعال من الدعاء[٧].

وقيل: أي يتمنّون من قولهم اُدّع عليّ ما شئت أي تمنّه[٨].

وقيل: ما يدعونه في الدنيا من الجنّة ودرجاتها[٩].

﴿سَلَـٰمٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾: يقال لهم: قولاً كائناً من جهته يعني أن الله يسلم عليهم. القمّي: قال: السلام منه: هو الأمان[١٠].

---

١ ـ قوادم الطير: مقاديم ريشه، وهي عشرة في كل جناح. مجمع البحرين: ج ٦، ص ١٣٦، مادة «قدم».

٢ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٤٢٩، س١٦.

٣ ـ الحجلة ـ بالتحريك ـ: واحدة حجال، وهي بيت يزيّن بالثياب والأسرّة والتور. مجمع البـحرين: ج ٥، ص ٣٤٩، مادة «حجل».

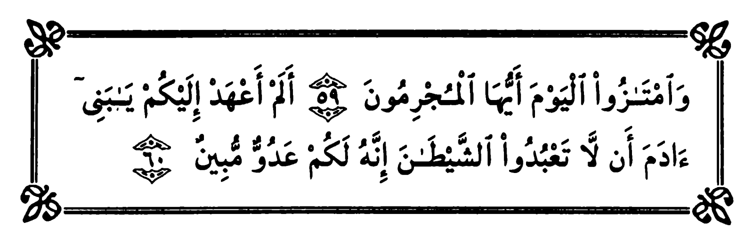
٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢١٦، س١٠.

٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص ٢٤٧، س ٦.

٦ ـ ذيل الآية: ٣٥، اُنظر ص ١٣٢ ـ ١٣٣ من هذا الجزء.

٧ و٨ و٩ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٢٨٤.

١٠ ـ تفسير القمّي: ح٢، ص٢١٦، س١١.



﴿وَٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: وانفردوا عن المؤمنين، وذلك حين يسار بالمؤمنين إلى الجنة كقوله تعالى: «وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ»[١].

القمّي: قال: إذا جمع الله الخلق يوم القيامة بقوا قياماً على أقدامهم حتى يلجمهم العرق فينادوا يا رب حاسبنا ولو إلى النار، قال: فيبعث الله عزوجل رياحاً فتضرب بينهم وينادي مناد: «وَٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ» فيميّز بينهم فصار المجرمون في النار، ومن كان في قلبه الإيمان صار في الجنة[٢].

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ﴾: جعلها عبادة الشيطان لأنه الآمر بها المزين لها[٣]، وقد ثبت أن كل من أطاع المخلوق في معصيت الخالق فقد عبده كما قال الله عزوجل: «ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ»[٤] حيث أحلوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فأطاعوهم، ومن عبد غير الخالق فقد عبد هواه كما قال الله تعالى: «أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ»[٥] ومن عبد هواه فقد عبد الشيطان.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام من أطاع رجلاً في معصية فقد عبده[٦].

وعن الباقر عليه السلام من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق يروي عن الله فقد عبد الله عزّ وجلّ، وإن كان الناطق يروي عن الشيطان فقد عبد الشيطان[٧].

---

١ ـ الروم: ١٤.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢١٦. وفيه: «فصار المجرمون إلى النار ومن كان في قلبه إيمان صار إلى الجنّة».

٣ ـ العبارة غير واضحة ولا نعرف لها مفهوماً صحيحاً، وقد اقتبسها من أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٨٤، س٩.

٤ ـ التوبة: ٣١. ٥ ـ الجاثية: ٢٣.

٦ ـ الكافي: ج٢، ص٣٩٨، ح٨، باب الشرك.

٧ ـ الكافي: ج ٦، ص ٤٣٤، ح ٢٤، باب الغناء. وفيه: «يؤدي» بدل «يروي» في الموردين. وجاء مثله في الإعتقادات في دين الإمامية للشيخ الصدوق: ص٨٤، باب ٣٩ ـ الاعتقاد في التقية.

وَأَنِ ٱعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾

﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ ٱعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾: إشارة إلى ما عهد إليهم أو إلى عبادة الله.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيراً﴾: أي خلقاً كثيراً، وفيه لغات متعددة، وقرئ بها.

﴿أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ * هَٰذِهِ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: ذوقوا حرّها اليوم بكفركم في الدنيا.

﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾: نمنعهم عن الكلام.

﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾: القمّي: قال: إذا جمع الله عزّ وجلّ الخلق يوم القيامة دفع إلى كل إنسان كتابه فينظرون فيه فينكرون أنهم عملوا من ذلك شيئاً، فتشهد عليهم الملائكة فيقولون: يا رب ملائكتك يشهدون لك، ثم يحلفون أنهم لم يعملوا من ذلك شيئاً، وهو قول الله عزّ وجلّ «يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ»[1] فإذا فعلوا ذلك ختم الله على ألسنتهم، وتنطق جوارحهم بما كانوا يكسبون[2].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام وليست تشهد الجوارح على مؤمن إنما تشهد على من حقّت عليه كلمة العذاب فأما المؤمن فيعطى كتابه بيمينه، قال الله عزّ وجلّ: «فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُ بِيَمِينِهِ»[3] «فَأُوْلَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا»[4][5].

---

١ ـ المجادلة: ١٨.
٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢١٦، س١٧.
٣ ـ الانشقاق: ٧.
٤ ـ الإسراء: ٧١.
٥ ـ الكافي: ج٢، ص٣٢، ح١، باب آخر منه. وفيه: أنّ الإسلام قبل الإيمان.

وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيّاً وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾: لمسحنا أعينهم حتى تصير ممسوحة[١].

﴿فَاسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ﴾: فاستبقوا إلى الطريق الذي اعتادوا سلوكه.

﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾: الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾: بتغيير صورهم وإبطال قواهم.

﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾: مكانهم بحيث يخمدون فيه.

القمّي: يعني في الدنيا[٢]، وقرئ مكاناتهم.

﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيّاً﴾: ذهاباً.

﴿وَلَا يَرْجِعُونَ﴾: ولا رجوعاً، أو لا يرجعون عن تكذيبهم.

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ﴾: نطل عمره[٣].

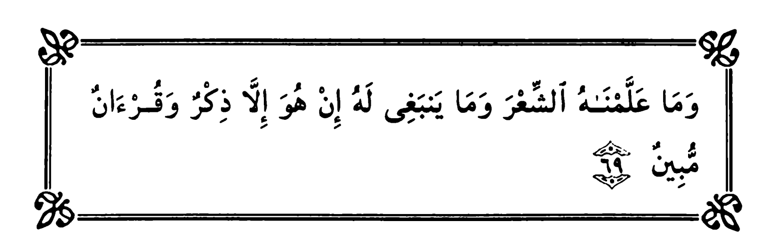
﴿نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ﴾: نقلّبه فيه، فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدو أمره، وقرئ بالتخفيف.

﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾: إنّ من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ، فإنه مشتمل عليهما

---

١ ـ المسح ـ بالمهملتين ـ: المحو. منه ﷺ. ٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢١٧، س: ١.

٣ ـ القمّي: قوله: «وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ» ردّ على الزنادقة الذين يبطلون التوحيد، ويقولون: إنّ الرجل إذا نكح المرأة وصارت النطفة في رحمها تلقته أشكال من الغذاء، ودار عليه الفلك، ومرّ عليه الليل والنهار فيولد الإنسان بالطبايع، فقال الله تعالى: لو كان هذا كما يقولون ينبغي أن يزيد الإنسان أبداً مادامت الأشكال قائمة، والليل والنهار قائمين والفلك يدور، فكيف صار يرجع إلى النقصان كلما ازداد في الكبر؟ منه ﷺ. اُنظر تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢١٧، س ٢.



وزيادة، غير أنه على تدرج، وقرئ بالتاء.

﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾: بتعليم القرآن، يعني ليس ما أنزلناه عليه من صناعة الشعر في شيء أي مما يتوخّاه الشعراء من التخيّلات المرغبة والمنفرة ونحوها مما لا حقيقة له، ولا أصل، وإنّما هو تمويه محض موزونا كان أو غير موزون.

﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾: يعني هذه الصناعة.

القمّي: قال كانت قريش تقول: إنّ هذا الذي يقوله محمد ﷺ شعر، فردّ الله عزّ وجلّ عليهم قال[١]: ولم يقل رسول الله ﷺ شعراً قط[٢].

أقول: كأنّ المراد: أنّه لم يقل كلاما شعرياً، لا أنه لم يقل كلاماً موزوناً، فإن الشعر يطلق على المعنيين جميعاً، ولهذا عدّوا القرآن شعراً مع أنه ليس بمقفى ولا موزون، وقد ورد في الحديث أن من الشعر لحكمة[٣] يعني من الكلام الموزون، وقد نقل عنه ﷺ كلمات موزونة كقوله:

أنــا النـبي لا كــذب ... أنا ابن عـبد المـطلب[٤]

وقوله:

هل أنت إلّا اصبع دميت ... وفي سبيل الله ما لقيت[٥]

وغير ذلك، وما روته العامة: أنّه ﷺ كان يتمثل بالأبيات على غير وجهها لتصير غير

---

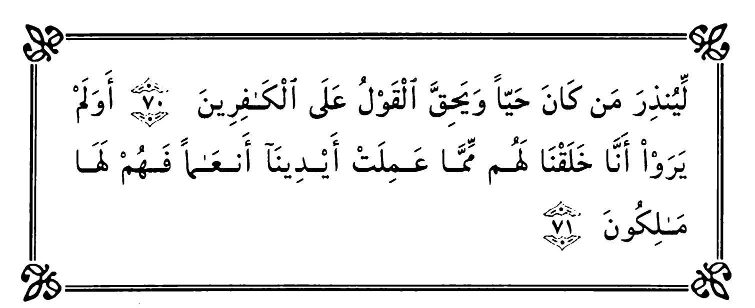
١ ـ أي قال الله: «وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ».

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢١٧، س ١١.

٣ ـ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان المعروف «بتفسير النيسابورى» بهامش تفسير الطبري المجلد العاشر: ج ٢٣ ص ٣٣.

٤ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٨٥، س ١١.

٥ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٨٥، س ١١.



موزونة لم يثبت، فإن صح فلعلّه إنّما فعل ذلك لئلا يتوهموا أنه شاعر، وأنّ كلامه كلام شعري، فإنّ الوزن والقافية ليسا بنقص في الكلام، ولو كان نقصاً ما أتى بهما أمير المؤمنين عليه السلام، وقد استفاض عنه الأبيات، وكذا عن ساير الأئمة، وإنما النقص في الكلام الشعري.

قال في المجمع: وقد صح أنه صلى الله عليه وآله كان يسمع الشعر ويحث عليه، وقال لحسان بن ثابت: لا تزال يا حسان مؤيدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك[1].

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عظة.

﴿وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾: كتاب سماوي يتلى في المعابد.

﴿لِّيُنذِرَ﴾: وقرئ بالتاء.

﴿مَن كَانَ حَيّاً﴾: في المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام أي عاقلا[2].

والقمّي: يعني مؤمناً حي القلب[3] وفي معناه خبر آخر مرّ في سورة الأنعام عند قوله: «أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَـٰهُ»[4] والمعنيان متقاربان.

﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ﴾: وتجب كلمة العذاب.

﴿عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: المصرّين على الكفر.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾: قيل: يعني ممّا تولينا إحداثه ولم يقدر على إحداثه غيرنا، وذكر الأيدي وإسناد العمل إليها إستعارة تفيد مبالغة في الإختصاص والتفرد بالإحداث[5].

---

١ و ٢ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٤٣٢. ٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢١٧، س١٤.

٤ ـ ذيل الآية: ١٢٢، اُنظر ج ٣، ص ٩٣ ـ ٩٤ من كتابنا تفسير الصافي.

٥ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٢٨٥، س ٢٠.

وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾

والقمّي: أي بقوتنا خلقناها[١].

﴿أنعَـٰماً﴾: خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنافع.

﴿فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ﴾: يتصرّفون فيها بتسخيرنا إيّاها لهم.

﴿وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ﴾: فصيّرناها منقادة لهم، فإنّ الإبل مع قوتها وعظمها يسوقها الطفل.

﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾: مركوبهم.

﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾: أي يأكلون لحمه.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ﴾: بما يكسبون بها، و[٢]من الجلود، والأصواف، والأوبار.

﴿وَمَشَارِبُ﴾: من ألبانها.

﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾: نعم الله في ذلك.

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً﴾: أشركوها به في العبادة.

﴿لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾: رجاء أن ينصروهم.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام يقول: لا يستطيع الآلهة لهم نصراً «وَهُمْ» للآلهة «جُندٌ مُّحْضَرُونَ»[٣].

قيل: أي معدّون لحفظهم والذب عنهم أو محضرون أثرهم في النار[٤].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢١٧، س ١٦.

٢ ـ هكذا في الأصل، والظاهر أنّ حرف «الواو» زائد.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢١٧، س ٢٠. وفيه: «لَا يَسْتَطِيعُونَ»: الآلهة لهم نصراً، «وَهُمْ لَهُمْ» أي للآلهة «جُندٌ مُّحْضَرُونَ».

٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٨٦، س ٩.

فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾: في الله بالشرك والإلحاد، أو فيك بالتكذيب والتهجين.

﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: فنجازيهم عليه، وكفى بذلك تسلية لك.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾: القمّي: أي ناطق عالم بليغ[١].

قيل: تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه في إنكارهم الحشر[٢].

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾: أمراً عجيباً وهو نفي القدرة على إحياء الموتى.

﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾: خلقنا إيّاه.

﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾: منكراً إياه مستبعداً له، والرميم: ما بلى من العظام.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: فإنّ قدرته كما كانت.

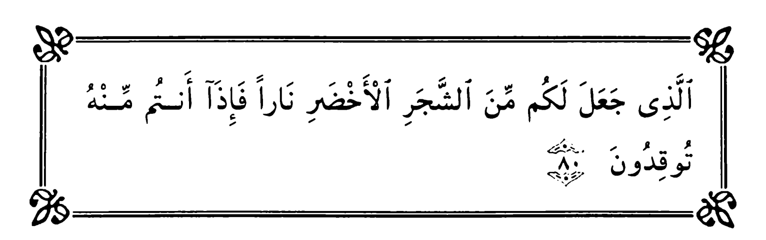
﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾: يعلم تفاصيل المخلوقات وكيفيّة خلقها وأجزائها المتفتّتة المتبددة أصولها وفصولها ومواقعها، وطريق تميزها، وضم بعضها إلى بعض.

العياشي: عن الصادق عليه السلام قال: جاء أُبيّ بن خلف فأخذ عظما بالياً من حائط ففتّه ثم

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢١٨، س١.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٢٨٦، س١٣.



قال: يا محمد: إذا كنا عظاماً ورفاتاً أئنا لمبعوثون خلقاً[١] فنزلت[٢].

وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام مثله[٣].

وعن الصادق عليه السلام: أن الروح مقيمة في مكانها، روح المحسن في ضياء وفسحة، وروح المسيء في ضيق وظلمة، والبدن يصير ترابا كما منه خلق، وما تقذف به السباع والهوام من أجوافها مما أكلته ومزقته كل ذلك في التراب محفوظ عند من لا يعزب[٤] عنه مثقال ذرة في ظلمات الارض، وبعلم عدد الأشياء ووزنها وأن تراب الروحانيين بمنزلة الذهب في التراب فإذا كان حين البعث مطرت الأرض مطر النشور فتربو[٥] الأرض ثم تمخض مخض السّقاء فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب إذا غسل بالماء، والزبد من اللبن إذا مخض، فيجمتع تراب كل قالب إلى قالبه فينتقل بإذن الله القادر إلى حيث الروح فتعود الصور بإذن المصور كهيئتها وتلج الروح فيها فاذا قد استوى لا ينكر من نفسه شيئا[٦].

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَاراً﴾: قيل: بأن يسحق المرخ[٧] على العفار[٨] وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتنقدح النار[٩].

١ـ اقتباس من قوله تعالى: «وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰماً وَرُفَـٰتاً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً». الإسراء: ٤٩و٩٨.

٢ـ تفسير العياشي: ج٢، ص٢٩٦ ـ ٢٩٧، ح٨٩.

٣ـ الاحتجاج: ج١، ص٣١٨، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على اليهود من أحبارهم ممن قرأ الصحف والكتب.

٤ـ يعزب: أي لا يغيب عن عمله، ولا يخفى. مجمع البحرين: ج ٢، ص ١٢٠، مادة «عزب».

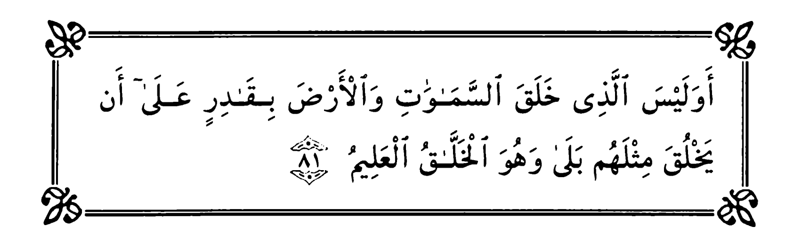
٥ـ الربوة ـ مثلث الراء ـ: الإرتفاع من الأرض. مجمع البحرين: ج ١، ص ١٧٤، مادة «ربا».

٦ـ الاحتجاج: ج٢، ص٩٨، احتجاج الصادق عليه السلام على الزنديق.

٧ـ المرْخ: شجر كثير الورْي سريعة. لسان العرب: ج ١٣، ص ٦٨، مادة «مرخ».

٨ـ العفار: شجر يتخذ منه الزناد. لسان العرب: ج ٩، ص ٢٨٧، مادة «عفر».

٩ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٢٨٧، س٣.



القمّي: وهو المرخ والعفار يكون في ناحية من بلاد العرب فاذا أرادوا أن يستوقدوا أخذوا من ذلك الشجر ثم أخذوا عودا فحركوه فيه فيستوقدون منه النار[١].

﴿فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾: لا تشكّون في أنّها نار تخرج منه.

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: مع كبر جرمها وعظم شأنها.

﴿بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾: في الصغر والحقارة، وقرئ يقدر.

﴿بَلَىٰ﴾: جواب من الله.

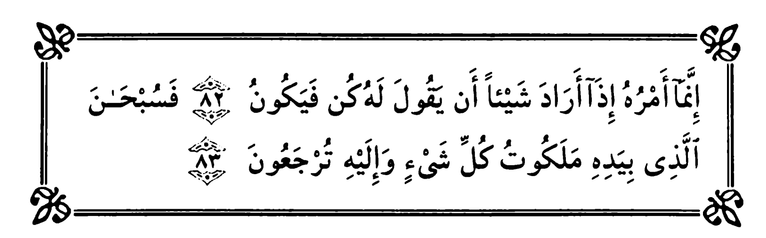
﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾: كثير المخلوقات والمعلومات.

في الإحتجاج: عن الصادق عليه السلام وأما الجدال بالتي هي أحسن فهو ما أمر الله به نبيه صلى الله عليه وآله أن يجادل به من جحد البعث بعد الموت وإحيائه، له فقال حاكيا عنه: «وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ» الآية فأراد من نبيّه صلى الله عليه وآله أن يجادل المبطل الذي قال: كيف يجوز أن يبعث هذه العظام وهي رميم؟ قال: «قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِى أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ» أفيعجز من ابتداه لا من شيء أن يعيده بعد أن يبلي؟ بل ابتداؤه أصعب عندكم من إعادته، ثم قال: «ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَاراً» أي إذا أكمن النار الحارة في الشجر الأخضر الرطب، ثم يستخرجها فعرفكم أنه على إعادة من بلى أقدر، ثم قال: «أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ» الآية أي إذا كان خلق السماوات والأرض أعظم وأبعد في أوهامكم وقدركم أن تقدروا عليه من إعادة البالي فكيف جوزتم من الله خلق هذا الأعجب عندكم والأصعب لديكم، ولم تجوزوا منه ما هو أسهل عندكم من إعادة البالي[٢].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢١٨، س ٨.

٢ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ١٥، س ٢، احتجاجات النبي صلى الله عليه وآله برواية العسكري عليه السلام.



﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ﴾: إنّما شأنه.

﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن﴾: تكون.

﴿فَيَكُونُ﴾: فهو يكون أي يحدث، وقرئ بالنصب، وهو تمثيل لتأثير قدرته في مراده، بأمر المطاع للمطيع في حصول المأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار إلى مزاولة عمل، واستعمال آلة قطعاً لمادة الشبهة.

في العيون: عن الرضا عليه السلام «كن» منه: صنع، وما يكون به: المصنوع[١].

وفي نهج البلاغة: إنّما كلامه سبحانه فِعْلٌ منه أنشأه، قال: يقول ولا يلفظ، ويريد ولا يضمر[٢].

وقال: يريد بلا همّة[٣]. وقد سبق أخبار أُخر في هذا المعني في سورة البقرة[٤] وغيرها.

والقمّي: قال: خزائنه في الكاف والنون[٥].

﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾: تنزيه له عمّا ضربوا له، وتعجيب ممّا قالوا فيه و«مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ» ما يقوم به ذلك الشيء من عالم الأرواح والملائكة.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: وعد ووعيد للمقرين والمنكرين، وقرئ بفتح التاء.

في ثواب الأعمال: عن الباقر عليه السلام من قرأ يٓس في عمره مرة واحدة كتب الله له بكل

---

١ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص١٧٣ ـ ١٧٤، باب١٢ـ ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع أهل الأديان وأصحاب المقالات في التوحيد عند المأمون.

٢ ـ نهج البلاغة: ص٢٧٤، مع تقديم وتأخير، الخطبة ١٨٦.

٣ ـ لم نعثر عليه. بل وجدنا ما يقرب منه. نهج البلاغة: ص ٢٥٨، الخطبة ١٧٩، وإليك نصّه: «مريد بلا همّة».

٤ ـ ذيل الآية ١١٧، أُنظر ج ١، ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ من كتابنا تفسير الصافي.

٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢١٨، س١٢.

خلق في الدنيا وبكل خلق في الآخرة، وفي السماء بكل واحد ألفي ألف حسنة، ومحى عنه مثل ذلك، ولم يصبه فقر، ولا غرم، ولا هدم، ولا نصب، ولا جنون، ولا جذام، ولا وسواس، ولا داء يضرّه، وخفف الله عنه سكرات الموت وأهواله، وولي قبض روحه، وكان ممّن يضمن الله له السعة في معيشته، والفرج[1] عند لقائه، والرضا بالثواب في آخرته، وقال الله للملائكة أجمعين من في السماوات ومن في الأرض: قد رضيت عن فلان فاستغفروا له[2].

وفيه[3]، وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام أن لكل شيء قلباً، وقلب القرآن يٓس، الحديث[4]، وذكر فيه ثواباً كثيراً لقراءتها.

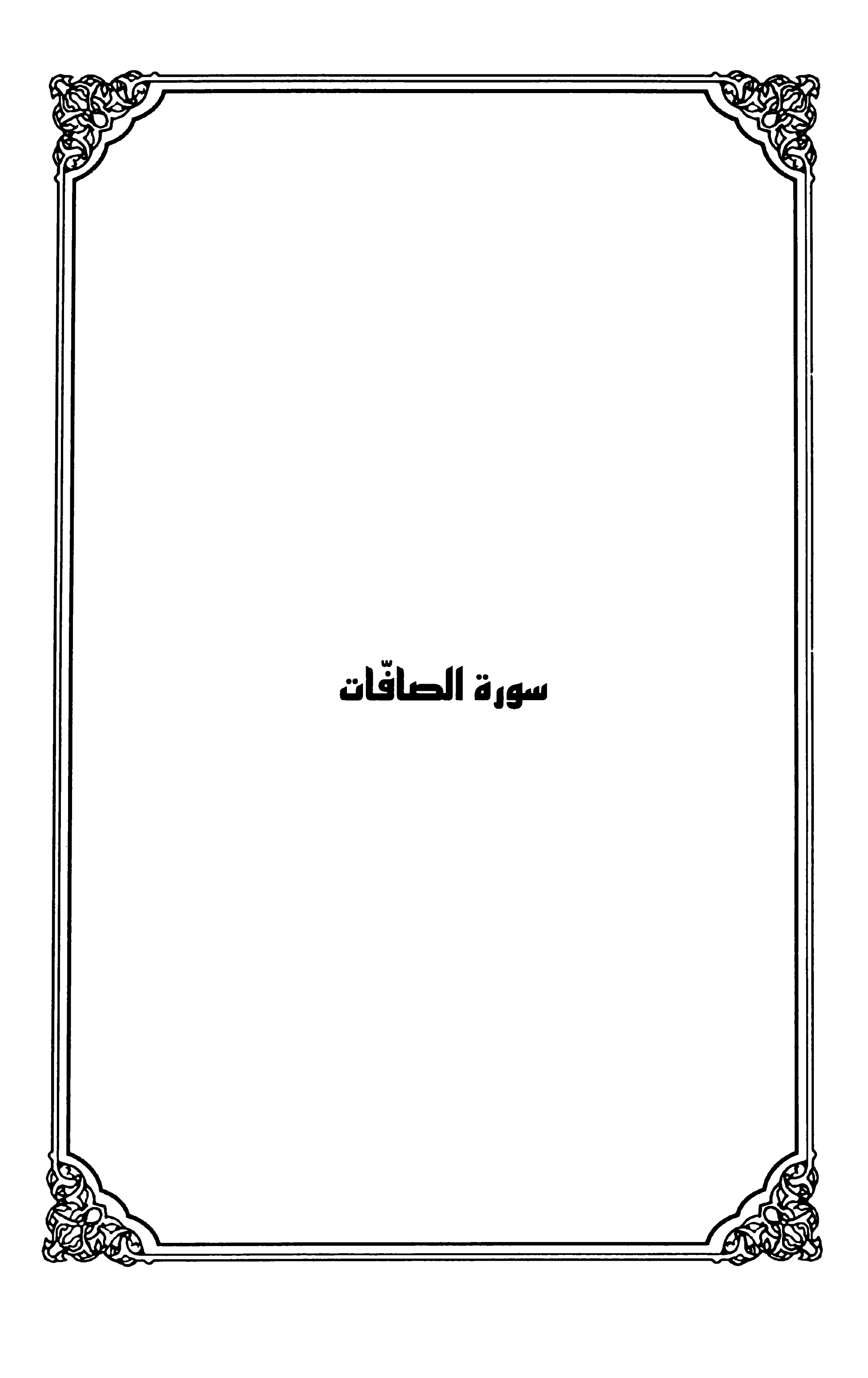
* * *

١ ـ وفي نسخة: [والفرح].

٢ ـ ثواب الأعمال: ص١١١، ح٢، ثواب من قرأ سورة يٓس.

٣ ـ ثواب الأعمال: ص١١٠ ـ ١١١، ح١، ثواب من قرأ سورة يس. وفيه: «وأن قلب القرآن يٓس».

٤ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٤١٣، في فضلها.



سورة الصافّات

[illegible]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّاً ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْراً ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْراً ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾

سورة الصّافّات: مكيّة، عدد آيها مائة وإحدى وثمانون آية بصري، وآيتان في الباقي، واختلافها آيتان «وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ»[1] غير البصري، وكلّهم يعدّون «وَإِنْ كَانُواْ لَيَقُولُونَ»[2] غير أبي جعفر.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّاً﴾: القمّي: قال: الملائكة والأنبياء، ومن صف لله وعبده[3].

﴿فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْراً﴾: قال: الذين يزجرون الناس[4].

﴿فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْراً﴾: قال: الذين يقرؤون الكتاب من الناس، قال: فهو قسم وجوابه[5].

﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ * رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾: مشارق الكواكب أو مشارق الشمس، فإنّ لها كلّ يوم مشرقاً، وبحسبها

---

١ ـ الصافات: ٢٢.
٢ ـ الصافات: ١٦٧.
٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢١٨، س ١٥.
٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢١٨، س ١٦.
٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢١٨، س ١٧.

إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظاً مِّن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾

المغارب ولذلك إكتفى بذكرها مع أن الشروق أدل على القدرة وأبلغ في النعمة.

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾: القربى منكم.

﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾: وقرئ بتنوين زينة وجر الكواكب ونصبها.

﴿وَحِفْظاً مِّن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ مَّارِدٍ﴾: برمي الشهب.

القمّي: قال: المارد: الخبيث[1].

﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: الملائكة وأشرافهم، وقرئ بالتشديد من التسمّع، وهو تطلّب السماع.

﴿وَيُقْذَفُونَ﴾: ويرمون. القمّي: يعني الكواكب التي يرمون بها[2].

﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾: من جوانب السماء إذا قصدوا صعوده.

﴿دُحُوراً﴾: للدحور، وهو الطرد.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام أي دائم موجع قد وصل إلى قلوبهم[3].

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ﴾: اختلس كلام الملائكة مسارقة.

﴿فَأَتْبَعَهُ﴾: فتبعه.

﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾: مضيء كأنّه يثقب الجو بضوئه، والشهاب ما يرى كأنّ كوكباً انقض.

القمّي: وهو ما يرمون به فيحرقون[4].

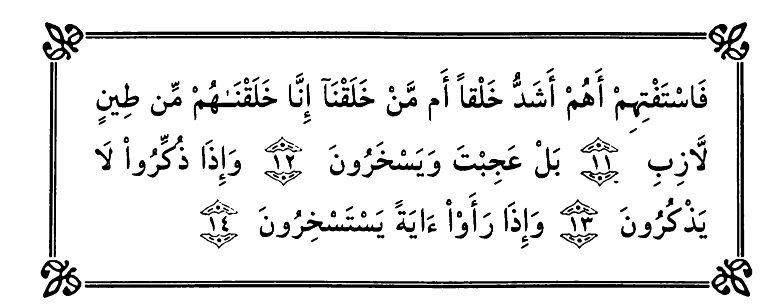
---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٢٠، س ١.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٢١، س ١.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٢١، س ٣.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٢١، س ٤.



وعن الصادق عليه السلام في حديث المعراج، قال: فصعد جبرائيل عليه السلام فصعدت معه إلى سماء الدنيا وعليها ملك يقال له: إسماعيل، وهو صاحب الخطفة التي قال الله: «إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ» وتحته سبعون ألف ملك، وتحت كل ملك سبعون ألف ملك الحديث[١]، وقد مرّ[٢].

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾: فاستخبرهم.

﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾: من الملائكة، والسماوات والأرض وما بينهما، والمشارق والكواكب والشهب الثواقب.

﴿إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾: القمّي: يعني يلزق باليد[٣].

﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾: من قدرة الله وانكارهم البعث.

وقرئ بضم التاء ونسبها في الجوامع: إلى علي عليه السلام[٤].

﴿وَيَسْخَرُونَ﴾: من تعجبك أو ممّن يصفني بالقدرة.

﴿وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذْكُرُونَ﴾: وإذا وعظوا بشيء لا يتعظون به، وإذا ذكر لهم ما يدلّ على صحة الحشر ما ينتفعون به، لبلادتهم، وقلة فكرهم.

﴿وَإِذَا رَأَوْاْ ءَايَةً﴾: معجزة تدل على صدق القائل به.

﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾: يبالغون في السخرية، ويقولون: إنّه سحر أو يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٤ ـ ٥.
٢ ـ أُنظر ج ٤، ص ٣٧٦ من كتابنا الصافي.
٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٢٢، س ١.
٤ ـ جوامع الجامع: ج ٣، ص ٤٠٥، س ٥.

وَقَالُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَـٰماً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ يَـٰوَيْلَنَا هَـٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَـٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾

﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ﴾: يعنون ما يرونه.

﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: ظاهر سحريته.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَـٰماً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾: بالغوا في الإنكار[1]، ولا سيما في هذه الحال[2]، وقرئ بطرح الهمزة الأولى تارة والثانية أُخرى.

﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾: وقرئ بسكون الواو في «أو».

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾: صاغرون.

﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾: فإنّما البعثة صيحة واحدة هي: النفخة الثانية، من زجر الراعي نعمه إذا صاح عليها.

﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾: فإذا هم قيام من مراقدهم أحياء يبصرون، أو ينتظرون ما يفعل بهم.

﴿وَقَالُواْ يَـٰوَيْلَنَا هَـٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾: يوم الحساب والمجازاة.

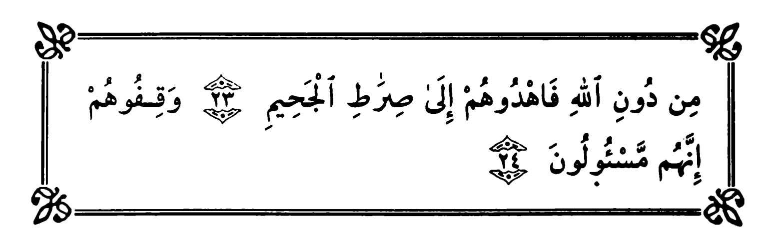
﴿هَـٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾: جواب الملائكة، أو قول بعضهم لبعض، والفصل: القضاء، والفرق بين المحسن والمسيء.

﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: القمّي: قال: الذين ظلموا آل محمد صلوات الله عليهم

---

١ ـ أي تكرار همزة الاستفهام في قوله تعالى: «أَءِذَا» و«أَءِنَّا» للمبالغة في الإنكار.

٢ ـ هكذا في الأصل، والصحيح: «في هذه الحالة أو في هذا الحال».



حقهم[1].

﴿وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾: وأشباههم.

﴿وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ * مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: من الأصنام وغيرها، زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم.

﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام يقول: ادعوهم إلى طريق الجحيم[2].

﴿وَقِفُوهُمْ﴾: إحبسوهم في الموقف.

﴿إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾: قيل عن عقائدهم وأعمالهم[3].

والقمّي: قال: عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام[4].

ومثله في الأمالي[5]، والعيون عن النبي صلى الله عليه وآله[6].

وفي العلل: عنه عليه السلام انه قال: في تفسير هذه الآية: لا يجاوز قدما عبد حتّى يسئل عن أربع: عن شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين جمعه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت عليهم السلام[7].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٢٢، س ٤. ٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٢٢، س ٦.

٣ ـ قاله البيضاوى في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٩١، س ٧.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٢٢، س ٧.

٥ ـ الأمالى للشيخ الطوسى: ص ٢٩٠، ح ٥٦٤/ ١١، المجلس الحادى عشر.

٦ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٣١٣ ـ ٣١٤، ذيل ح ٨٦، باب ٢٨ ـ فيما جاء عن الامام على بن موسى عليهما السلام من الأخبار المتفرقة.

٧ ـ علل الشرائع: ص ٢١٨، س ٣، ح ١، باب ١٥٩ ـ العلة التى من أجلها صالح الحسن بن على صلوات الله عليه معاوية بن أبي سفيان وداهنه ولم يجاهده.

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُم عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْماً طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾: لا ينصر بعضكم بعضاً بالتخليص، وهو توبيخ وتقريع.

﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾: منقادون لعجزهم أو متسالمون يسلم بعضهم بعضاً، ويخذله.

القمّي: يعني للعذاب(١).

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُم عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾: يسأل بعضهم بعضاً للتوبيخ.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾: قيل: يعني عن أقوى الوجوه وأيمنه(٢).

﴿قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْماً طَٰغِينَ * فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾: قال: القمّي: قال: العذاب(٣).

﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ * فَإِنَّهُمْ﴾: فإنّ الأتباع والمتبوعين.

﴿يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾: كما كانوا في الغواية مشتركين.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾: بالمشركين.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٢٢، س ٨.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٩١، س ١١.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٢٢، س ١١.

إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾

﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾: يعنون النبي ﷺ.

﴿بَلْ جَآءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: رد عليهم بأن ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون.

﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ﴾: بالإشراك وتكذيب الرسول.

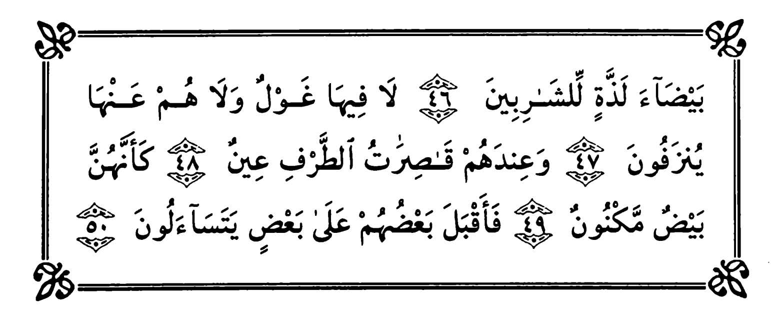
﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: إستثناء منقطع.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ * فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾: في الكافي: عن الباقر عليه السلام عن النبي ﷺ في حديث يصف فيه أهل الجنة، قال: وأما قوله: «أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ» قال يعلمه الخدام فيأتون به أولياء الله قبل أن يسألوهم إياه وأما قوله: «فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ» قال: فإنهم لا يشتهون شيئاً في الجنة إلّا أُكرموا به[1].

﴿فِي جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ * عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ * يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ﴾: بإناء فيه خمر.

---

١ ـ الكافي: ج٨، ص ١٠٠، ذيل ح ٦٩ من حديث الجنان والنوق.



﴿مِّن مَّعِينٍ﴾: من شراب معين، أو نهر معين أي جار ظاهر للعيون، أو خارج من العيون، وصف به خمر الجنة لأنّها تجري كالماء.

﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾: قيل: وصفها بلذة إمّا للمبالغة أو لأنّها تأنيث لذّ بمعنى لذيذ[١].

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾: غائلة وفساد كما في خمر الدنيا كالخمار[٢].

﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾: قيل: أي يسكرون من نزف إذا ذهب عقله[٣].

والقمّي: أى لا يطردون منها[٤]، وقرئ بكسر الزاى.

﴿وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾: قصرن أبصارهن على أزواجهن.

﴿عِينٌ﴾: جمع عيناء، فسّرت تارة بواسعات العيون لحسانها وأُخرى بالشديدة بياض العين، الشديدة سوادها.

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾: شبههنّ ببيض النعام الذي تكنّه[٥] بريشها مصونا من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بأدنى صفرة فإنه أحسن ألوان الأبدان كذا قيل[٦].

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾: عن المعارف، والفضائل، وما جرى

---

١ ـ قاله البيضاوى في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٩٢، س ١٥.

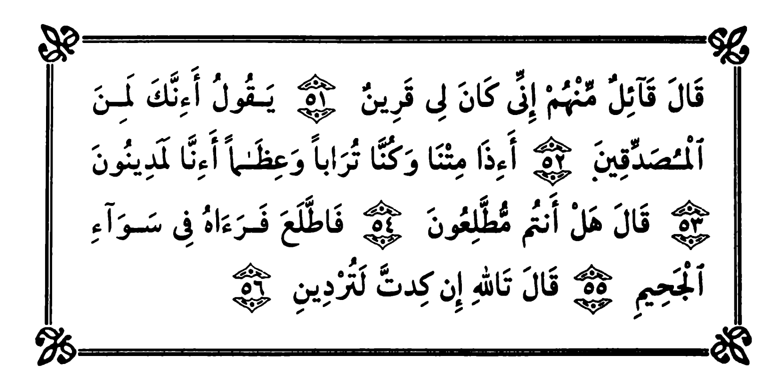
٢ ـ العبارة غير واضحة إلّا بتكلّف وتأمّل.

٣ ـ قاله البيضاوى في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٩٢، س ١٨.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٢٢، س ١٦.

٥ ـ الكِنّ: السِتْرَة، وأكننته في نفسي أسررته. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٣٠٢، مادة «كنن».

٦ ـ قاله البيضاوى في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣.



هم، وعليهم في الدنيا، فإنّه ألذ اللذات كما قيل:

وما بقيت من اللذات إلّا أحاديث الكرام على المدام[١].

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾: في مكالمتهم.

﴿إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ﴾: جليس في الدنيا.

﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾: يوبخني على التصديق بالبعث.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَـٰماً أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾: لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء.

﴿قَالَ﴾: أي ذلك القائل لجلسائه.

﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾: إلى أهل النار لأُريكم ذلك القرين، وقيل: والقائل هو الله أو بعض الملائكة يقول لهم: هل تحبّون أن تطلّعوا على أهل النار لأُريكم ذلك القرين فتعلموا أين منزلتكم من منزلتهم[٢].

﴿فَاطَّلَعَ﴾: عليهم.

﴿فَرَءَاهُ﴾: أي قرينه.

﴿فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام يقول: في وسط الجحيم[٣].

﴿قَالَ تَاللهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾: إن كدت لتهلكني بالاغواء.

---

١ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٩٣، س ٣.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٩٣، س ٧.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٢٣، س ١.

وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى﴾: بالهداية والعصمة.

﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾: معك فيها.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾: عطف على محذوف أي نحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين أي بمن شأنه الموت.

﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾: التي كانت في الدنيا.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾: كالكفّار.

﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار جيئ بالموت فيذبح كالكبش بين الجنة والنار، ثم يقال: خلود فلا موت أبداً، فيقول أهل الجنة: «أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ» الآيات[1].

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾: شجرة ثمرها نزل أهل النار، وفيه دلالة على أن ما ذكر من النعيم لأهل الجنة بمنزلة ما يقام للنازل، ولهم ما وراء ذلك ما يقصر عنه الأفهام، وكذلك الزقوم لأهل النار.

قيل: هو اسم شجرة صغيرة الورق ذفرة مرة تكون بتهامه سميت به الشجرة الموصوفة[2].

﴿إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ﴾: محنة وعذاباً لهم في الآخرة أو ابتلاءاً في الدنيا.

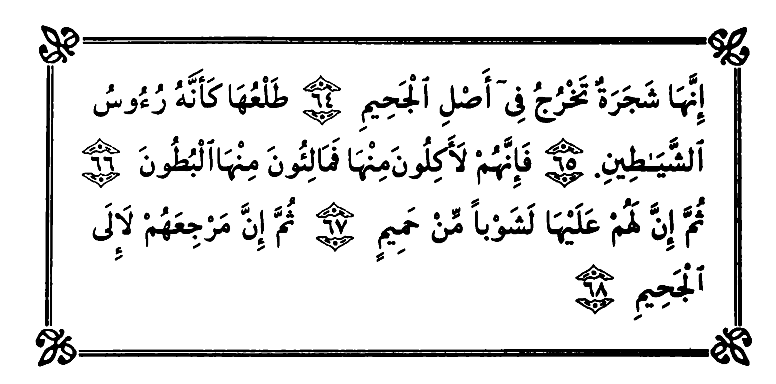
في المجمع: روي أن قريشاً لما سمعت هذه الآية: «إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ * طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ»[3]

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٢٣، س ٤.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٩٣، س ٢٢.

٣ ـ الدخان: ٤٣ ـ ٤٤.



قالت: ما نعرف هذه الشجرة، قال ابن الزبعرى: الزقوم بكلام البربر[١]: التمر والزبد، وفي رواية بلغة اليمن، فقال أبو جهل لجاريته: يا جارية زقمينا فأتته الجارية بتمر وزبد، فقال لأصحابه: تزقموا بهذا الذي يخوّفكم به محمد ﷺ فيزعم أن النار تنبت الشجر، والنار تحرق الشجر، فأنزل الله سبحانه: «إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ»[٢].

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾: منبتها في قعر جهنم وأغصانها ترفع إلى دركاتها.

﴿طَلْعُهَا﴾: حملها، مستعار من طلع التمر.

﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾: في تناهي القبح والهول.

قيل: هو تشبيه بالمتخيّل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك[٣].

﴿فَإِنَّهُمْ لَأَكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾: لغلبة الجوع.

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾: أي بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال إستسقاؤهم.

﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾: لشراباً من غساق أو صديد مشوباً بماء حميم يقطع أمعاءهم.

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾: فإنّ الزقوم والحميم: نزل، يقدّم إليهم قبل دخولها.

---

١ ـ البربر: جيل من الناس، يقال أوّل من سمّاهم بهذا الإسم أفريقيس الملك لما ملك بلادهم. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٢٢٠، مادة «برر».

٢ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٤٤٥ ـ ٤٤٦.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٢٩٤، س٥.

إِنَّهُمْ أَلْفَوْاْ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

وقيل: الحميم خارج عنها لقوله تعالى «هَٰذِهِ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ»[١] يوردون إليه كما يورد الإبل إلى الماء ثم يردون إلى الجحيم[٢].

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْاْ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ * فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾: تعليل لإستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد الآباء في الظلال،والإهراع: الإسراع الشديد كأنهم يزعجون على الإسراع على أثرهم، وفيه إشعار بأنهم بادروا إلى ذلك من غير توقف على بحث ونظر.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾: قبل قومك.

﴿أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾: أنبياء أنذروهم من العواقب.

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾: من الشدة والفظاعة.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: إلّا الذين تنبهوا بإنذارهم فأخلصوا دينهم لله، وقرئ بالفتح أي الذين أخلصهم الله لدينه، والخطاب مع الرسول صلى الله عليه وآله والمقصود خطاب قومه فإنهم أيضاً سمعوا أخبارهم ورأوا آثارهم.

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ﴾: شروع في تفصيل القصص بعد إجمالها، أي ولقد دعانا حين أيس من قومه.

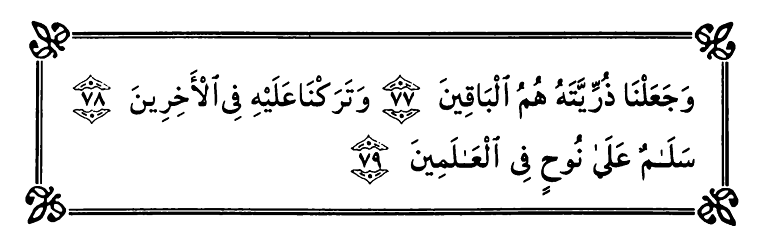
﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾: أي فأجبناه بأحسن الإجابة فوالله لنعم المجيبون نحن.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾: من أذى قومه والغرق.

---

١ ـ الرحمن: ٤٣ ـ ٤٤.

٢ ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص٢٩٤، س١٠.



﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾: إذ هلك من هلك.

القمّي: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية يقول الحق والنبوة والكتاب والإيمان في عقبه، وليس كل من في الأرض من بنى آدم من ولد نوح قال الله عزّ وجلّ في كتابه: «ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ»[1] منهم «وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ»[2] وقال أيضاً: «ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ»[3][4].

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْأَخِرِينَ﴾: من الأمم.

﴿سَلَـٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: قيل: أي تركنا عليه فيهم التحية بهذه الكلمة، والدعاء بثبوتها في الملائكة والثقلين[5].

وقيل: بل هو سلام من الله عليه، ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء[6].

وفي الإكمال: عن الصادق عليه السلام في حديث طويل وبشرهم نوح بهود، وأمرهم باتباعه، وأن يقوموا الوصية كل عام فينظروا فيها، ويكون عيداً لهم كما أمرهم آدم عليه السلام فظهرت الجبرية من ولد حام ويافث فاستخفى ولد سام بما عندهم من العلم وجرت على سام بعد نوح الدولة لحام ويافث وهو قول الله عزّ وجلّ: «وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْأَخِرِينَ» يقول: تركت على نوح دولة الجبارين، ويعزي الله محمد صلى الله عليه وآله بذلك قال: وولد لحام: السند والهند والحبش، وولد لسام: العرب والعجم، وجرت عليهم الدولة وكانوا يتوارثون الوصية عالم بعد عالم حتى بعث الله عزّ وجلّ هوداً[7].

---

١ ـ هود: ٤٠.
٢ ـ هود: ٤٠.
٣ ـ الاسراء: ٣.
٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٢٣، س ١٤.
٥ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٩٥، س ٢.
٦ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٩٥، س ٣.
٧ ـ اكمال الدين واتمام النعمة: ص ١٣٤ ـ ١٣٥، قطعة من ح ٣، باب ٢، في ذكر ظهور نوح عليه السلام بالنبوة بعد ذلك.

إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْأَخَرِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: يعني إنه مجازاة له على إحسانه.

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْأَخَرِينَ﴾: يعني كفّار قومه.

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾: ممّن شايعه في الإيمان وأُصول الشريعة.

في المجمع[1]، والقمّي: عن الباقر عليه السلام ليهنئكم الاسم، قيل: وما هو؟ قال: الشيعة، قيل: إن الناس يعيروننا بذلك قال: أما تسمع قول الله: «وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ» وقوله: «فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ»[2][3].

﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾: من حب الدنيا، وقد مضى في معناه أخبار في سورة الشعراء[4].

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾: أتريدون آلهة دون الله إفكاً، فقدم للعناية.

﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: بمن هو حقيق بالعبادة حتى أشركتم به غيره وآمنتم به من عذابه.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ﴾: فرأى مواقعها وإتصالاتها.

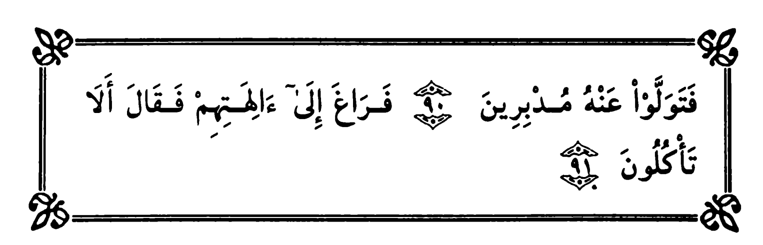
﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾: قيل: أراهم إنه استدل بها على إنه مشارف للسقم لئلا يخرجوه

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٤٤٨، في اللغة. ٢ ـ القصص: ١٥.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٢٣، س١٨.

٤ ـ ذيل الآية ٨٩، أنظر ج ٥، ص ٣٣٤ من كتابنا تفسير الصافي.



إلى معيدهم لأنهم كانوا منجّمين، وذلك حين سألوه أن يعيد معهم، وكان أغلب أسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى[(١)].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام والله ما كان سقيماً، وما كذب[(٢)].

وفي المعاني[(٣)]، والقمّي: عن الصادق عليه السلام مثله[(٤)]، وزاد[(٥)] وإنّما عنى سقيماً في دينه مرتاداً[(٦)].

قال في المعاني: وقد روى أنه عني بقوله: «إِنِّى سَقِيمٌ» أي سأسقم، وكل ميّت سقيم، وقد قال الله عزّ وجلّ لنبيه صلى الله عليه وآله: «إِنَّكَ مَيِّتٌ»[(٧)] أي ستموت[(٨)].

وفي الكافي: عن الصاق عليه السلام في هذه الآية قال: انه حسب فرأى ما يحل بالحسين عليه السلام، فقال: «إِنِّى سَقِيمٌ» لما يحل بالحسين[(٩)].

والعياشي: عنه عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى خلق روح القدس، فلم يخلق خلقاً أقرب إليه منها، وليست بأكرم خلقه إليه فإذا أراد أمراً ألقاه إليها فألقته إلى النجوم فجرت به[(١٠)].

﴿فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾: إلى عيد هم.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٢٩٥، س١٨. مع تقديم وتأخير وتصرّف.

٢ ـ الكافي: ج٨، ص٣٦٨ ـ ٣٦٩، ح٥٥٩.

٣ ـ معاني الأخبار: ص٢٠٩ ـ ٢١٠، ذيل ح١، باب معنى قول إبراهيم عليه السلام «إني سقيم».

٤ ـ لم نعثر عليه في تفسير القمّي، بل وجدناه في تفسير العياشي: ج٢، ص١٨٤، ح٤٩.

٥ ـ أي الصدوق رحمه الله في كتابه معاني الأخبار.

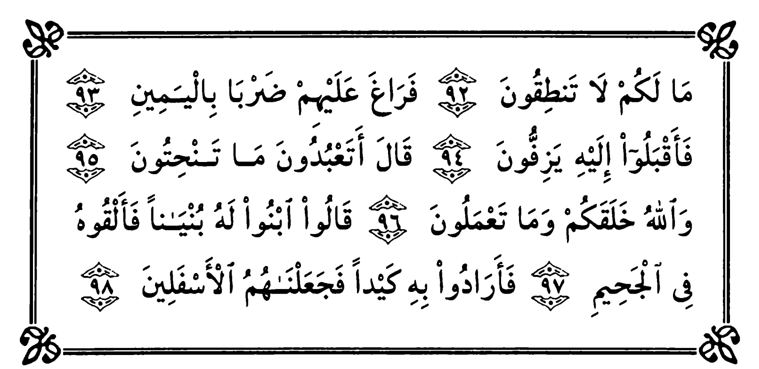
٦ ـ معانى الأخبار: ص ٢٠٩ ـ ٢١٠، ذيل حديث ١، باب معنى قول إبراهيم عليه السلام «إِنِّى سَقِيمٌ».

٧ ـ الزمر: ٣٠.

٨ ـ معانى الأخبار: ص٢٠٩ ـ ٢١٠، ذيل ح١، باب معنى قول إبراهيم عليه السلام «اني سقيم».

٩ ـ الكافي: ج١، ص٤٦٥، ح٥، باب مولد الحسين بن علي عليهما السلام.

١٠ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص٢٧٠، ح٧٠. وفيه: «وليست بأكرم خلقه عليه».



مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾
فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾
وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ
فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾[١]: فذهب إليها في خفية.

﴿فَقَالَ﴾: أي للأصنام إستهزاءاً.

﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾: يعني الطعام الذي كان عندهم.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾: بجوابي.

﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ﴾: فمال عليهم مستخفياً والتعدية بـ«على» للإستعلاء وكراهة الميل.

﴿ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾: يضربهم ضرباً بها.

﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ﴾: إلى إبراهيم بعدما رجعوا فرأوا أصنامهم منكسرة[٢]، وبحثوا عن كاسرها فظنوا أنه هو كما شرحه في قوله: «مَنْ فَعَلَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ» الآية[٣].

﴿يَزِفُّونَ﴾: يسرعون، وقرئ على البناء للمفعول أي يحملون على الزفيف[٤].

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾: ما تنحتونه من الأصنام.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾: وما تعملونه، فإن جوهرها بخلقه، ونحتها بإقتداره.

﴿قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾: في النار الشديدة.

﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا﴾: فإنّه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم.

---

١ ـ راغ: من روغة الثعلب، وأصله الميل بحيلة. منه ﷺ. وذكر الطريحي في مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٠: قوله تعالى: «فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ» أي مال إليهم في خفاء ولا يكون الرّوغ إلّا كذلك.

٢ ـ وفي نسخة: [مكسّرة].

٣ ـ الأنبياء: ٥٩.

٤ ـ زفيف النعامة: وهو أول عدوها وآخر مشيها، وزففت العروس إلى زوجها: إذا أهديتها، والزفاف: الإهداء.

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾

﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾: الأذلين بإبطال كيدهم وجعله برهاناً نيّراً على علوّ شأنه حيث جعل النار عليه برداً وسلاماً وقد مضت قصته في سورة الأنبياء[1].

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام يعني بيت المقدس[2].

وفي التوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام في جواب من اشتبه عليه من الآيات قال: ولقد أعلمتك إن ربّ شيء من كتاب الله تأويله على غير تنزيله ولا يشبه كلام البشر، وسأنبّئك بطرف منه فيكفي إن شاء الله من ذلك قول إبراهيم: «إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ» فذهابه إلى ربه توجهه إليه عبادة واجتهاداً وقربة إلى الله جل وعز ألا ترى أن تأويله على غير تنزيله[3].

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة، ويونسني في الغربة، يعني الولد، لان لفظة الهبة غالبة فيه.

﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾: قيل: ما نعت الله نبيّاً بالحلم لعزة وجوده غير إبراهيم وابنه عليهما السلام[4].

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾: أي فلما وجد وبلغ أن يسعى معه في أعماله.

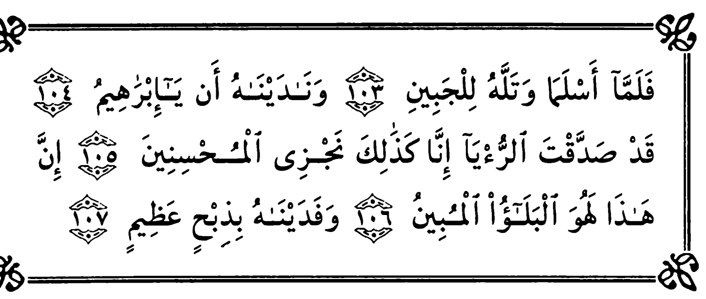
---

١ ـ ذيل الآيات: ٥٩ ـ ٧٠، أُنظر ج ٥، ص ٨٥ ـ ٨٧ من كتابنا تفسير الصافي.

٢ ـ الكافي: ج٨، ص٣٧١، س١٢، قطعة من ح ٥٦٠.

٣ ـ التوحيد: ص٢٦٦، ح٥، باب ٣٦ ـ الرد على الثنوية والزنادقة.

٤ ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص٢٩٦، س٢٢.



﴿قَالَ يَـٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾: من الرأي، قيل: وإنّما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه إن جزع ويأمن عليه إن سلّم وليوطن نفسه عليه فيهون و يكتسب المثوبة بالإنقياد له قبل نزوله(١).

وقرئ ماذا تُرى بضم التاء وكسر الراء.

﴿قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾: ما تؤمر به، وإنّما ذكر بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا.

﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ * فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾: استسلما لأمر الله أو أسلم الذبيح نفسه وإبراهيم ابنه.

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين والصادق عليهما السلام انهما قرءا فلما سلما من التسليم(٢).

﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾:صرعه على شقه فوقع جبينه على الأرض،وهوأحد جانبي الجبهة.

﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾: بالعزم والإتيان بما كان تحت قدرتك من ذلك وجواب «لما» محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما لله على ما أنعم عليهما من رفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله وإظهار فضلهما به على العالمين مع إحراز الثواب العظيم إلى غير ذلك.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾: الابتلاء البين الذي يتميّز فيه المخلص من غيره أو المحنة البينة الصعوبة فإنه لا أصعب منها.

﴿وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾: بما يذبح بدله عظيم القدر أو الجثة سمين.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٢٩٧، س١٤.

٢ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٤٥١، في القراءة.

العياشي: عن الصادق عليه السلام إنه سئل كم كان بين بشارة إبراهيم عليه السلام باسماعيل وبين بشارته بإسحاق؟ قال: كان بين البشارتين خمس سنين، قال الله سبحانه: «فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ» يعني إسماعيل وهي أول بشارة بشر الله بها إبراهيم عليه السلام في الولد، ولما ولد لابراهيم إسحاق عليه السلام من سارة وبلغ إسحاق ثلاث سنين أقبل إسماعيل إلى اسحاق وهو في حجر إبراهيم فنحاه وجلس في مجلسه فبصرت به سارة فقالت: يا إبراهيم ينحي ابن هاجر ابني من حجرك ويجلس هو مكانه؟ لا والله لا تجاورني هاجر وابنها في بلاد أبدا فنحهما عني، وكان إبراهيم عليه السلام مكرماً لسارة، يعزّها ويعرف حقها، وذلك لأنّها كانت من ولد الأنبياء، وبنت خالته، فشق ذلك على إبراهيم عليه السلام واغتم لفراق إسماعيل، فلمّا كان في الليل أتى إبراهيم آت من ربه فأراه الرؤيا في ذبح ابنه إسماعيل عليه السلام بموسم مكة، فأصبح إبراهيم عليه السلام حزينا للرؤيا التي رآها فلما حضر موسم ذلك العام حمل إبراهيم عليه السلام هاجر وإسماعيل في ذي الحجة من أرض الشام فانطلق بهما إلى مكة ليذبحه في الموسم فبدأ بقواعد البيت الحرام فلما رفع قواعده خرج إلى منى حاجاً وقضى نسكه بمنى ثم رجع إلى مكة فطاف بالبيت اسبوعا ثم انطلقا فلما صارا في السعي قال إبراهيم عليه السلام لاسماعيل: «يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ» في الموسم عامي هذا فماذا ترى؟ «قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ» فلمّا فرغا من سعيهما انطلق به إبراهيم عليه السلام إلى منى وذلك يوم النحر، فلما انتهى إلى الجمرة الوسطى وأضجعه لجنبه الأيسر وأخذ الشفرة ليذبحه نودي «أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۞ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ» إلى آخره، وفدي إسماعيل عليه السلام بكبش عظيم، فذبحه وتصدق بلحمه على المساكين(١).

وعنه عليه السلام أنه سئل عن صاحب الذبح فقال: هو إسماعيل عليه السلام(٢).

وعن الباقر عليه السلام مثله(٣).

والقمّي: عن الصادق عليه السلام مثله(٤).

وفي الفقيه: عنه عليه السلام إنه سئل عن الذبيح من كان؟ فقال: إسماعيل لأنّ الله تعالى ذكر

---

١ ـ لم نعثر عليه في تفسير العيّاشي، بل وجدناه في مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٤٥٥، س ٥. نقلاً عن العيّاشي.
٢ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٤٥٥، س٢١. ٣ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٤٥٥، س٢١.
٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٢٦، س١٠.

قصته في كتابه ثم قال: «وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ نَـبِيّاً مِّـنَ ٱلصَّـٰـلِحِينَ»[1] قال: وقد اختلفت الروايات في الذبيح فمنها: ما ورد أنه[2] إسماعيل، ومنها: ما ورد بأنه إسحاق، ولا سبيل إلى رد الأخبار متى صح طرقها، وكان الذبيح إسماعيل لكن إسحاق لمّا ولد بعد ذلك تمنى أن يكون هو الذي أمر أبوه بذبحه، وكان يصبر لأمر الله ويسلم له كصبر أخيه وتسليمه فينال بذلك درجته في الثواب، فعلم الله ذلك من قلبه فسماه الله بين الملائكة ذبيحاً لتمنيه لذلك، قال: وقد ذكرت إسناد ذلك في كتاب النبوة متصلاً بالصادق عليه السلام[3].

أقول: ويؤيد هذا أن البشارة بإسحاق كانت مقرونه بولادة يعقوب فلا يناسب الأمر بذبحه مراهقاً.

وفي الكافي: عنهما عليهما السلام يذكران أنه لما كان يوم التروية قال جبرئيل عليه السلام لإبراهيم: ترو[4] من الماء فسمّيت التروية، ثم أتى منى فأباته بها، ثم غدا به إلى عرفات فضرب خباءه بنمرة دون عرفة، فبنى مسجداً بأحجار بيض، وكان يعرف أثر مسجد إبراهيم عليه السلام حتى أدخل في هذا المسجد الذي بنمرة حيث يصلي الإمام يوم عرفة فصلى بها الظهر والعصر، ثم عمد به إلى عرفات فقال: هذه عرفات فاعرف بها مناسكك، واعترف بذنبك، فسمّي عرفات، ثم أفاض إلى المزدلفة فسمّيت المزدلفة، لأنّه إزدلف إليها، ثم قام على المشعر الحرام فأمره الله أن يذبح ابنه، وقد رأى فيه شمائله وخلائقه وأنس ما كان إليه، فلمّا أصبح أفاض من المشعر إلى منى، فقال لأمّه: زوري البيت أنت واحتبس الغلام، فقال: يا بني هات الحمار والسكّين حتى أُقرّب القربان، سأل الراوي ما أراد بالحمار والسكّين؟ قال: أراد أن يذبحه، ثم يحمله فيجهّزه ويدفنه، قال: فجاء الغلام بالحمار والسكّين، فقال: يا أبت أين القربان؟ قال: ربك يعلم أين هو. يا بني أنت والله هو، إنّ الله قد أمرني بذبحك فانظر ماذا ترى؟ «قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ» قال: فلما عزم على الذّبح، قال: يا أبت خمّر وجهي، وشدّ وثاقي، قال: يا بني الوثاق مع الذبح والله لا أجمعهما عليك اليوم، قال الباقر عليه السلام:

---

١ ـ الصافات: ١١٢.
٢ ـ وفي نسخة: [بأنّه] كما في المصدر.
٣ ـ من لا يحضره الفقيه: ج٢، ص١٤٨، ح٦٥٥/٥، باب ٦٣ ـ نكت في حج الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين.
٤ ـ وفي المصدر: «تروّه». أقول: الهاء للسكت.

فطرح له قرطان[١] الحمار، ثم أضجعه عليه وأخذ المدية فوضعها على حلقه، قال: فأقبل شيخ فقال: ما تريد من هذا الغلام؟ قال: أريد أن أذبحه، فقال: سبحان الله غلام لم يعص الله طرفة عين تذبحه؟ فقال: نعم، إنّ الله قد أمرني بذبحه، فقال: بل ربك ينهاك عن ذبحه، وإنما أمرك بهذا الشيطان في منامك، قال: ويلك الكلام الذي سمعت هو الذي بلغ بي ما ترى لا والله لا أُكلّمك، ثم عزم على الذّبح فقال الشيخ: يا إبراهيم إنّك إمام يقتدى بك فإن ذبحت ولدك ذبح الناس أولادهم فهلاً، فأبى أن يكلّمه، ثم قال عليه السلام: فأضجعه عند الجمرة الوسطى، ثم أخذ المدية فوضعها على حلقه، ثم رفع رأسه إلى السماء، ثم انتحى[٢] عليه فقلبها جبرئيل عن حلقه، فنظر إبراهيم فإذا هي مقلوبة، فقلبها إبراهيم عليه السلام على حدها وقلبها جبرئيل على قفاها، ففعل ذلك مراراً، ثم نودي من ميسرة مسجد الخَيف «يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ» واجترّ الغلام من تحته، وتناول جبرئيل الكبش من قلة ثبير فوضعه تحته، وخرج الشيخ الخبيث حتى لحق بالعجوز حين نظرت إلى البيت والبيت في وسط الوادي، فقال: ما شيخ رأيته بمنى فنعت نعت إبراهيم عليه السلام قالت: ذاك بعلي، قال: فما وصيف رأيته معه؟ ونعت نعتة، قالت: ذاك ابني، قال: فإنّي رأيته أضجعه وأخذ المدية ليذبحه، قالت: كلّا ما رأيت إبراهيم إلّا أرحم الناس، وكيف رأيته يذبح ابنه؟ قال: ورب السماء والأرض، ورب هذه البنية لقد رأيته أضجعه وأخذ المدية ليذبحه، قالت: لم؟ قال: زعم أن ربّه أمره بذبحه، قالت: فحقّ له أن يطيع ربّه، قال: فلمّا قضت مناسكها فرقّت أن يكون قد نزل في ابنها شيء فكأني أنظر إليها مسرعة في الوادي واضعة يدها على رأسها، وهي تقول: رب لا تؤخذني بما عملت بأُم إسماعيل، قال: فلمّا جاءت سارة فاخبرت الخبر قامت إلى إبنها تنظر، فإذا أثر السكين خدوشاً في حلقه، ففزعت واشتكت، وكان بدو مرضها الذي هلكت فيه، قال عليه السلام: أراد أن يذبحه في الموضع الذي حملت أُم رسول

---

١ ـ القرطاط ـ بالضم ـ: البردعة، وكذلك القرطان بالنون. قال الخليل: هي الحلس الذي يلقى تحت الرحل. الصحاح ج٣، ص١١٥١، مادة «قرط».

٢ ـ انتحى في سيره: أي اعتمد على الجانب الأيسر، ومثله «الإنتحاء» ثمّ صار للإعتماد والميل في كل وجه. ومنه حديث إبراهيم عليه السلام «وبيده مدية ليذبح ابنه ثم انتحى عليه» أي مال عليه ليذبحه فقلبها جبرئيل عن حلقه. مجمع البحرين: ج ١، ص ٤١٠، مادة «نحا».

الله ﷺ عند الجمرة الوسطى، فلم يزل مضربهم يتوارثون به كابر عن كابر حتى كان آخر من ارتحل منه علي بن الحسين عليهما السلام في شيء كان بين بني هاشم وبين بني أُميّة فارتحل فضرب بالعرين[١][٢].

والعياشي[٣]، والقمّي: عن الصادق عليه السلام ما يقرب منه بزيادة ونقصان[٤].

وزاد القمّي: ونزل الكبش على الجبل الذي عن يمين مسجد منى من السماء،وكان يأكل في سواد، ويمشي في سواد، أقرن، قيل: ما كان لونه؟ قال: أملح أغبر[٥].

وفي العيون: عن الرضا عليه السلام قال: لما أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يذبح مكان ابنه إسماعيل الكبش الذي أنزله عليه تمنّى إبراهيم عليه السلام أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل بيده وأنه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذي يذبح أعز ولده بيده فيستحق بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب فأوحى الله عزّ وجلّ إليه يا إبراهيم من أحب خلقي إليك؟ قال: يا رب ما خلقت خلقاً هو أحب إلى من حبيبك محمد ﷺ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم هو أحب إليك أو نفسك؟ قال: بل هو أحب إليّ من نفسي، قال: فولده أحب إليك أو ولدك؟ قال: بل ولده، قال: فذبح ولده ظلماً على أيدي أعدائه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي؟ قال: يا رب بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي، قال: يا إبراهيم إن طائفة تزعم أنها من أُمّة محمد ﷺ ستقتل الحسين عليه السلام ابنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يذبح الكبش، ويستوجبون بذلك سخطي فجزع إبراهيم عليه السلام لذلك، فتوجع قلبه فأقبل[٦] يبكي، فأوحى الله تعالى إليه يا إبراهيم قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل عليه السلام لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين عليه السلام وقتله، وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، وذلك قول الله عزّ وجلّ: «وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ» ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي

---

١ ـ في الحديث:«ارتحل فضرب بالعرين» هوكأمير :فناءالداروالبلد مجمع البحرين:ج٦،ص٢٨١،مادة «عرن».

٢ ـ الكافي: ج٤، ص٢٠٧ ـ ٢٠٩، ح٩، باب حج إبراهيم وإسماعيل وبنائهما لبيت ومن ولي البيت بعدهما عليهما السلام.

٣ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٥٢ ـ ١٥٣، ح٤٤ و٤٦.

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٢٤ ـ ٢٢٦.

٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٢٦، س٦.

٦ ـ وفي نسخة: [وأقبل يبكي].

العظيم[١].

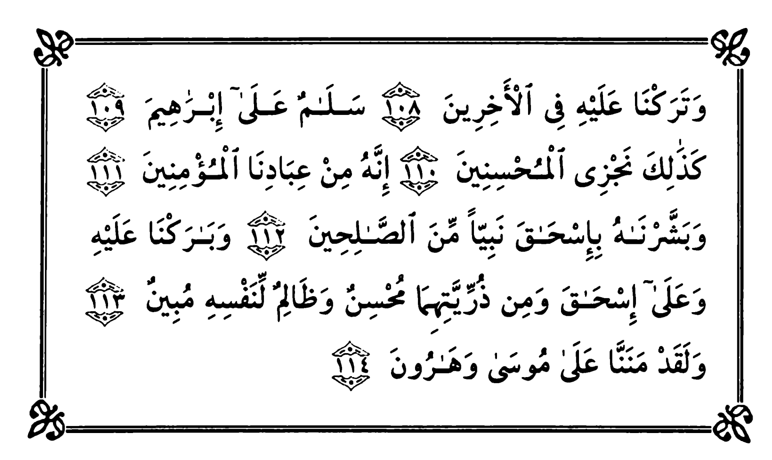
وسئل عليه السلام عن معنى قول النبي صلى الله عليه وآله أنا ابن الذبيحين؟ قال: يعني إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام، وعبدالله بن عبد المطلب، أما إسماعيل فهو الغلام الحليم الذي بشر الله تعالى به إبراهيم عليه السلام فلمّا بلغ معه السعي وهو لمّا عمل مثل عمله: «قَالَ يَـٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ» ولم يقل يا أبت افعل ما رأيت «سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ» فلمّا عزم على ذبحه فداه الله بذبح عظيم، بكبش أملح، يأكل في سواد، ويشرب في سواد، وينظر في سواد، ويمشي في سواد، ويبول في سواد، ويبعر في سواد، وكان يرتع قبل ذلك في رياض الجنة أربعين عاماً، وما خرج من رحم أُنثى، وإنّما قال الله له: «كُن فَيَكُونُ»[٢] فكان ليفتدي به إسماعيل، فكل ما يذبح بمنى فهو فدية لإسماعيل إلى يوم القيامة، فهذا أحد الذبيحين، ثم ذكر قصة الذبيح الآخر[٣]، ثمّ قال: والعلة التي من أجلها دفع الله عزّوجلّ الذبح، عن إسماعيل، هي العلة التي من أجلها دفع الله الذبح عن عبدالله، وهي كون النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام في صلبهما فببركة النبي صلى الله عليه وآله والائمة عليهم السلام دفع الذبح عنهما فلم تجر السنة في الناس بقتل أولادهم، ولولا ذلك لوجب على الناس كل أضحى التقرب إلى الله تعالى ذكره

---

١ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص ٢٠٩، ح١، باب ١٧ ما جاء عن الرضا عليه السلام في تفسير قول الله عزّ وجلّ: «وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ».

٢ ـ يٓس: ٨٢.

٣ ـ وإليك القصة: فإن عبدالمطلب كان تعلّق بحلقة باب الكعبة، ودعا الله أن يرزقه عشرة بنين، ونذر لله عزّ وجلّ أن يذبح واحداً منهم متى أجاب الله دعوته، فلمّا بلغوا عشرة، قال: قد وفى الله لي، فلأُوفين لله عزّ وجلّ فأدخل ولده الكعبة، وأسهم بينهم فخرج سهم عبدالله أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وكان أحب ولده إليه، ثم أجالها ثانية فخرج سهم عبدالله، ثمّ أجالها ثالثة فخرج سهم عبدالله، فأخذه وحبسه وعزم على ذبحه، فاجتمعت قريش ومنعته من ذلك، واجتمع نساء عبدالمطلب يبكين ويصحن، فقالت له ابنته عاتكة: يا أبتاه اعذر فيما بينك وبين الله عزّ وجلّ في قتل ابنك قال: وكيف أعذر يا بنية، فإنك مباركة؟ قالت: اعمد إلى تلك السوائم التي لك في الحرم، فاضرب بالقداح على ابنك وعلى الإبل واعط ربك حتّى يرضى، فبعث عبدالمطلب إلى ابله فأحضرها وأعزل منها عشراً، وضرب بالسهام، فخرج سهم عبدالله، فمازال يزيد عشراً عشراً حتّى بلغت مائة فضرب، فخرج السهم على الابل، فكبّرت قريش تكبيرة ارتجّت لها جبال تهامة، فقال عبدالمطلب: لا، حتّى أضرب بالقداح ثلاث مرّات، فضرب ثلاثاً كلّ ذلك يخرج السهم على الإبل، فلما كانت في الثلاثة اجتذبه الزبير وأبو طالب واخواتهما من تحت رجليه فحملوه، وقد انسلخت جلدة خدّه الذي كانت على الأرض، وأقبلوا يرفعونه، ويقبّلونه ويمسحون عنه التراب، فأمر عبدالمطلب أن تنحر الإبل بالحزورة ولا يمنع أحد منها. الحديث.



بقتل أولادهم، وكل ما يتقرب به الناس من أضحية فهو فداء لإسماعيل إلى يوم القيامة[١].

وفي الكافي: عنه عليه السلام لو خلق الله مضغة هي أطيب من الضأن لفدى بها إسماعيل[٢].

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾: سبق بيانه في قصة نوح عليه السلام[٣].

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ﴾: على إبراهيم عليه السلام.

﴿وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾: أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾: بالكفر والمعاصي.

﴿مُبِينٌ﴾: ظاهر ظلمه وفي ذلك تنبيه على أن النسب لا أثر له في الهدى والضلال وأن الظلم في أعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة وعيب.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾: أنعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينيّة والدنيويّة.

---

١ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص ٢١٠ ـ ٢١٢، ح١، باب ٨ ـ ما جاء عن الرضا عليه السلام في قول النبي صلى الله عليه وآله أنا ابن الذبيحين.

٢ ـ الكافي: ج٦، ص ٣١٠، ح١، باب فضل لحم الضأن على المعز.

٣ ـ ذيل الآية: ٧٩ من نفس السورة، أنظر ص ١٨٧ من هذا الجزء.

وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَـٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُمَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَـٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾

﴿وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾: من تغلب الفرعون أو الغرق.

﴿وَنَصَرْنَـٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ﴾: على فرعون وقومه.

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُمَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ﴾: البليغ في بيانه وهو التوراة.

﴿وَهَدَيْنَـٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: الطريق الموصل إلى الحق والصواب.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ * سَلَـٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ * إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: سبق مثل ذلك.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾: أتعبدونه وتطلبون الخير منه، القمّي: قال:كان لهم صنم يسمّونه بعلاًقال: وسمي الرب بعلاً[1].

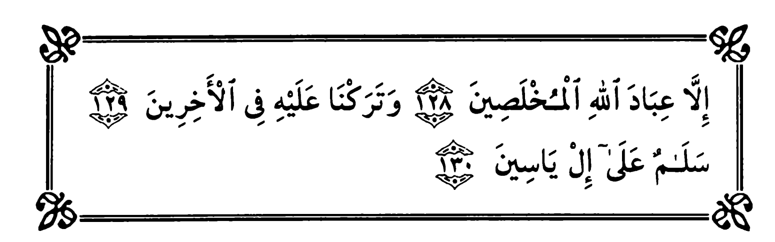
﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾: وتتركون عبادته.

﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: وقرئ بالنصب.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾: أي في العذاب.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٢٢٦، ح ١٩.



﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: مستثني من الواو لا من المحضرين، لفساد المعنى.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ * سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾: القمّي: ثم ذكر عزّ وجلّ آل محمد صلى الله عليه وآله فقال: «وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ * سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ» فقال: يٓس: محمّد، وآل محمد: الأئمة عليهم السلام[1].

وفي المعاني: عن الصادق عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه، عن علي عليهم السلام في هذه الآية قال: يٓس: محمد صلى الله عليه وآله، ونحن آل ياسين[2].

وفي الجوامع: عن ابن عباس آل يس: آل محمد صلى الله عليه وآله، ويٓس اسم من أسمائه[3].

وقد مضى في سورة الأحزاب عند قوله تعالى: «وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً»[4] وفي أول سورة يٓس[5] أخبار في تسمية النبي صلى الله عليه وآله بـ«يٓس»، ويؤيد هذه القراءة كونهما مفصولين في مصحف امامهم، وقرئ آلياسين فقيل: هو لغة في إلياس كسينا وسينين[6].

وقيل جمع له أريد به هو وأتباعه[7].

وفيه: أنه لو كان كذلك لكان معرفاً.

وقيل: يٓس اسم أبي إلياس على قراءة آل ياسين ليناسب ما بعده، ونظم سائر القصص كما في قراءة آلياسين[8].

وفي الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ان الله سمى النبي صلى الله عليه وآله بهذا الاسم حيث

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٢٦، س ٢٢.
٢ ـ معاني الاخبار: ص ١٢٢، ح ٢ و ٣، باب معنى آل يٓس.
٣ ـ جوامع الجامع: ج ٣، ص ٤١٩، س ٦.
٤ ـ ذيل الآية: ٥٦، أنظر ص ٦٤ ـ ٦٦ من هذا الجزء.
٥ ـ ذيل الآية ١، راجع ص ١٤١ ـ ١٤٢ من هذا الجزء.
٦ و ٧ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٩٩، س ١١.
٨ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٩٩، س ١٤.

إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطاً لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزاً فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْأَخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾

قال: «يٓس * وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ»[1]. لعلمه أنّهم يسقطون سلام على آل محمد ﷺ كما اسقطوا غيره[2].

وفيه دلالة على قراءة آل يٓس وأن المراد بهم آل محمد صلوات الله عليهم.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ لُوطاً لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ نَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزاً فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ * ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْأَخَرِينَ﴾: وقد مضى تفسيرها[3].

﴿وَإِنَّكُمْ﴾: يا أهل مكّة.

﴿لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم﴾: قيل: أي على منازلهم في متاجركم إلى الشام فإن سدوم في طريقه[4].

﴿مُّصْبِحِينَ﴾: داخلين في الصباح.

﴿وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أفليس فيكم عقل تعتبرون به؟

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية، فقال: تمرّون عليهم في القرآن إذا قرأتم القرآن تقرأ: ما قص الله عزّ وجلّ عليكم من خبرهم[5].

---

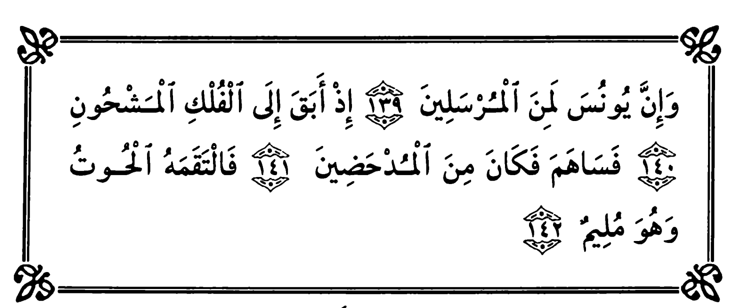
١ ـ يٓس: ١ ـ ٤.

٢ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٧، احتجاجه عليه السلام على زنديق في آي متشابهة.

٣ ـ ذيل الآية ٨٣ من سورة هود، أُنظر ج ٤، ص ٦٣ ـ ٦٨ من كتابنا تفسير الصافي.

٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٩٩، س ١٨.

٥ ـ الكافي: ج ٨، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩، ذيل ح ٣٤٩.



﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ﴾: هرب، وأصل الإباق: الهرب من السيد، لكن لما كان هربه من قومه بغير إذن ربه حسن اطلاقه عليه.

﴿إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾: المملوّ.

﴿فَسَاهَمَ﴾: فقارع أهله.

﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾: فصار من المغلوبين بالقرعة وأصله المزلق عن مقام الظفر.

في الفقيه: عن الباقر عليه السلام في حديث قال: انه لما ركب مع القوم فوقفت السفينة في اللجّة واستهموا فوقع السهم على يونس ثلاث مرات، قال: فمضى يونس إلى صدر السفينة فإذا الحوت فاتح فاه فرمى بنفسه[1].

وعن الصادق عليه السلام: ما تقارع قوم ففوضوا أمرهم إلى الله عزّ وجلّ إلّا خرج سهم المحق، وقال: أي قضيّة أعدل من القرعة إذا فوّضوا الأمر إلى الله، أليس الله عزّ وجلّ يقول: «فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ»؟[2]. وفي الكافي: عنه عليه السلام ما يقرب منه[3].

﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: داخل في الملامة أو آت بما يلام عليه، أو مليم نفسه.

القمّي: عن الصادق عليه السلام في قصة يونس وقومه كما سبق ذكر صدرها في سورته [4][5].

قال: فغضب يونس ومرّ على وجهه مغاضباً لله كما حكى الله حتى انتهى إلى ساحل البحر فإذا سفينة قد شحنت وأرادوا أن يدفعوها فسألهم يونس أن يحملوه فحملوه، فلمّا توسطوا البحر بعث الله حوتاً عظيماً فحبس عليهم السفينة فنظر إليه يونس ففزع منه، وصار

---

١ و ٢ ـ من لا يحضره الفقيه: ج٣، ص٥١ و٥٢، ح١٧٣ / ١ و١٧٥ / ٣، باب ٣٨ ـ الحكم بالقرعة.

٣ ـ الكافي: ج٧، ص١٥٨، ح٣، باب آخر منه.　　　٤ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣١٨، س٧.

٥ ـ ذيل الآية: ٩٨، أنظر ج ٣، ص ٥٤٥ ـ ٥٥٢ من كتابنا تفسير الصافي.

فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَـٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾

إلى مؤخرة السفينة فدار إليه الحوت ففتح فاه، فخرج أهل السفينة فقالوا: فينا عاص فتساهموا فخرج سهم يونس وهو قول الله عزّ وجلّ: «فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ» فأخرجوه فألقوه في البحر فالتقمه الحوت، ومرّ به في الماء[1].

﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾: الذاكرين لله كثيراً بالتسبيح.

﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَـٰهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾: بالمكان الخالي عمّا يغطّيه من شجر أو نبت.

﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾: ممّا ناله.

﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾: من شجرة تنبسط على وجه الأرض ولا تقوم على ساق، والقمّي: قال: الدُّباء[2][3].

﴿وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾: وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام إنّه قرأ «وَيَزِيدُونَ» بالواو[4].

وفي الكافي: عنه عليه السلام «يَزِيدُونَ» ثلاثين ألفاً[5].

﴿فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلى أجلهم المقضي، القمّي: عن أمير المؤمنين عليه السلام

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣١٨، س ٧.

٢ ـ الدُّبّاء ـ بالضم ـ: القرع. مجمع البحرين: ج ١، ص ١٣٣، مادة «دبا».

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٢٧، س ٥.

٤ ـ أي بدل «أَوْ يَزِيدُونَ»، راجع مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٤٥٧، في القراءة.

٥ ـ الكافي: ج ١، ص ١٧٤ ـ ١٧٥، ح ١، باب طبقات الأنبياء والرسل والأئمة.

إن الحوت قد طاف به في أقطار الأرض والبحار ومرّ بقارون إلى أن قال: «فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَـٰتِ أَنْ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنْتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ»[١] كما سبق ذكره في سورة القصص[٢].

قال: فاستجاب له وأمر الحوت أن يلفظه فلفظه على ساحل البحر، وقد ذهب جلده ولحمه، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين، وهي الدُّباء فأظلّته من الشمس فسكن، ثم أمر الله الشجرة فتنحت عنه، ووقعت الشمس عليه فجزع فأوحى الله إليه يا يونس لِمَ لَمْ ترحم مائة ألف أو يزيدون وأنت تجزع من ألم ساعة؟ قال: يارب عفوك عفوك، فردّ الله عليه بدنه، ورجع إلى قومه، وآمنوا به[٣].

وعن الباقر عليه السلام قال: لبث يونس في بطن الحوت ثلاثة أيام، ونادى في الظلمات: ظلمة بطن الحوت، وظلمة الليل، وظلمة البحر، «أَنْ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنْتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ»[٤] فاستجاب له ربّه فأخرجه الحوت إلى الساحل، ثم قذفه فألقاه بالساحل، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين، وهو القرع، فكان يمصّه ويستظل به وبورقه، وكان تساقط شعره ورقّ جلده وكان يونس يسبّح الله ويذكر الله بالليل والنهار، فلما أن قوى واشتد بعث الله دودة فأكلت أسفل القرع فذبلت القرعة ثم يبست فشقّ ذلك على يونس فظلّ حزيناً، فأوحى الله إليه ما لك حزيناً يا يونس؟ قال: يا رب هذه الشجرة التي كانت تنفعني سلطت عليها دودة فيبست، قال: يا يونس أحزنت لشجرة لم تزرعها، ولم تسقها، ولم تعن بها أن يبست حين استغنيت عنها، ولم تحزن لأهل نينوى أكثر من مائة ألف أردت أن ينزل عليهم العذاب؟ إن أهل نينوى قد آمنوا واتقوا فارجع إليهم، فانطلق يونس إلى قومه فلما دنى من نينوى إستحى أن يدخل فقال لراع لقيه: إئت أهل نينوى فقل لهم: إن هذا يونس قد جاء، قال الراعي: أتكذب أما تستحي ويونس قد غرق في البحر وذهب؟ قال له يونس: اللّهمّ إن هذه الشاة تشهد لك إني يونس ونطقت الشاة له بأنّه يونس، فلما أتى الراعى قومه وأخبرهم أخذوه وهمّوا بضربه، فقال: إن لي بيّنة بما أقول: قالوا: فمن يشهد لك؟ قال: هذه الشاة تشهد، فشهدت

---

١ ـ الأنبياء: ٨٧.

٢ ـ ذيل الآية: ٨١، أنظر ج ٥، ص ٤٤٩ ـ ٤٥٠ من كتابنا تفسير الصافي.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣١٩، س ٥.

٤ ـ الأنبياء: ٨٧.

فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِنَـٰثاً وَهُمْ شَـٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَـٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُواْ بِكِتَـٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾

بأنّه صادق، وأنّ يونس قد ردّه الله إليكم، فخرجوا يطلبونه فوجدوه فجاؤوا به وآمنوا وحسن إيمانهم فمتّعهم الله إلى حين، وهو الموت وأجارهم من ذلك العذاب[١].

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾: القمّي: قال: قالت: قريش إن الملائكة هم بنات الله فردّ الله عليهم[٢].

﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِنَـٰثاً وَهُمْ شَـٰهِدُونَ﴾: إذ لا يمكن معرفة مثل ذلك إلّا بالمشاهدة.

﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ ٱللهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾: فيما يتدينون به.

﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ﴾: إستفهام إنكار وإستبعاد، وقرئ بكسر الهمزة لدلالة «أم» بعدها عليها، أو بإضمار القول، أي لكاذبون في قولهم: «اصطفى».

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾: بما لا ترضيه عقل.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: أنّه منزّه عن ذلك.

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَـٰنٌ مُّبِينٌ﴾: حجّة واضحة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة بناته.

﴿فَأْتُواْ بِكِتَـٰبِكُمْ﴾: الذي أُنزل عليكم.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣١٩ ـ ٣٢٠. وفيه: «يسبح ويذكر الله الليل والنهار».

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٢٧، س ٦.

وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَباً وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَـٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾

﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾: في دعواكم.

﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَباً﴾: القمّي: يعني إنهم قالوا: إنّ الجن بنات الله[1].

وقيل: يعني الملائكة سموا بها لاستتارهم[2].

وقيل: قالوا: إنّ الله صاهر الجن فخرجت الملائكة[3].

وقيل قالوا: الله والشيطان أخوان[4] تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيراً.

﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾: إنّ المشركين.

﴿لَمُحْضَرُونَ﴾: القمّي: يعني إنّهم في النار[5].

﴿سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: من الولد والنسب.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ * فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾: عود إلى خطابهم.

﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾: على الله.

﴿بِفَـٰتِنِينَ﴾: مفسدين الناس بالإغواء.

﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾: إلّا من سبق في علمه أنّه من أهل النار يصلاها لامحالة.

---

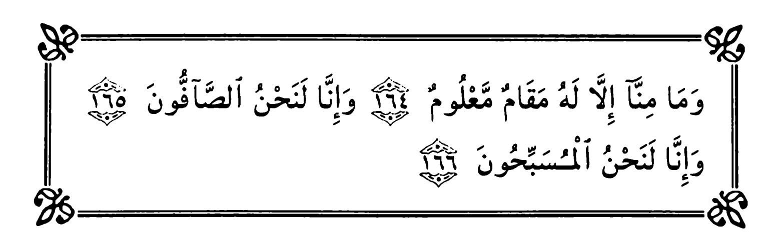
١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٢٧، س ٨.

٢ ـ قاله مجاهد وقتادة والجبائي. راجع مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٤٦٠، س ٢١.

٣ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٤٦٠، س ٢٢؛ وأنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٠١، س ١٤.

٤ ـ هذا هو قول الزنادقة. راجع مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٤٦٠، س ٢٠. وفيه: «إنّ الله وإبليس اخوان». وهكذا راجع أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٠١، س ١٤.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٢٧، س ٩.



﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾: القمّي: عن الصادق عليه السلام قال: نزلت في الائمة والأوصياء من آل محمد عليهم السلام[١].

وقيل: هي حكاية اعتراف الملائكة بالعبوديّة للرد على عبدتهم، والمعنى وما منا أحد إلّا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة والإنتهاء إلى أمر الله في تدبير العالم[٢].

قيل: ويحتمل أن يكون من قوله: «سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ» حكاية قولهم[٣].

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾: في أداء الطاعة ومنازل الخدمة.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾: المنزهون الله عمّا لا يليق به، ولعل الأول إشارة إلى درجاتهم في الطاعة، وهذا في المعرفة.

في نهج البلاغة في وصف الملائكة: صافون لا يتزايلون، ومسبحون لا يسأمون[٤].

والقمّي: قال جبرائيل: يا محمد: «إِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ»[٥].

وعن الصادق عليه السلام: كنّا أنواراً صفوفاً حول العرش نسبّح، فيسبّح أهل السماء بتسبيحنا إلى أن هبطنا إلى الأرض فسبّحنا فسبّح أهل الأرض بتسبيحنا «وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ» الحديث»[٦].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨.

٢ و ٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٠٢، س ١.

٤ ـ نهج البلاغة: ص ٤١، الخطبة ١.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٢٧، س ١٣.

٦ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٢٨، س ٥. وإليك نصّه: قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: يا شهاب نحن شجرة النبوّة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ونحن عهد الله وذمّته، ونحن ودايع الله وحجّته، كنّا أنواراً صفوفاً حول العرش نسبّح فيسبّح أهل السماء بتسبيحنا إلى أن هبطنا إلى الأرض فسبّحنا فسبّح أهل الأرض بتسبيحنا. وإنّا لنحن الصافّون وإنّا لنحن المسبّحون فمن وفى بذمّتنا فقد وفى بعهد الله عزّ وجلّ وذمّته، ومن خفر ذمّتنا فقد خفر ذمّة الله عزّ وجلّ وعهده.

وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْراً مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُواْ بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾

﴿وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ﴾: أي مشركوا قريش.

﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْراً مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: كتاباً من الكتب التي نزلت عليهم.

﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: أخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم.

﴿فَكَفَرُواْ بِهِ﴾: لمّا جاءهم الذكر الذي هو أشرف الأذكار والمهيمن عليها.

القمّي: عن الباقر عليه السلام هم كفار قريش كانوا يقولون: قاتل الله اليهود والنصارى كيف كذبوا أنبياءهم؟ أما والله لو كان «عِندَنَا ذِكْراً مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللهِ ٱلْمُخْلَصِينَ» يقول الله عزّ وجلّ: «فَكَفَرُواْ بِهِ» حين جاءهم به محمد صلى الله عليه وآله[1].

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: عاقبة كفرهم.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: أي وعدنالهم بالنصر والغلبة وهو قوله: «إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ...».

﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَالِبُونَ * فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: فأعرض عنهم.

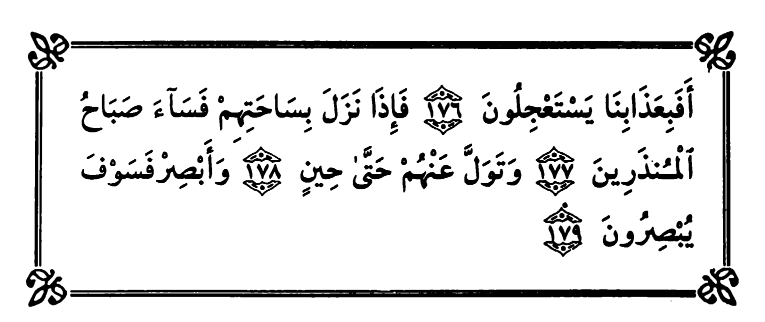
﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾: هو الموعد لنصرك عليهم. قيل: هو يوم بدر[2]. وقيل: يوم الفتح[3].

﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾: على ما ينالهم حينئذ والمراد بالأمر الدلالة على أن ذلك كائن قريب

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٢٧، س ١١.

٢ و ٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٠٢، س ١٤.



كأنّه قدّامه.

﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾: ما قضينا لك من التأييد، والنصرة، والثواب في الآخرة، وسوف للوعيد، لا للتبعيد.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾: روي أنّه لما نزل «فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ» قالوا: متى هذا؟ فنزل «فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ»[1].

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾: فإذا نزل العذاب بفنائهم شبهه بجيش هجمهم فأناخ بفنائهم بغتة.

﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾: صباحهم قيل: الصباح: مستعار من صباح الجيش المبيّت لوقت نزول العذاب، ولمّا كثرت فيهم الهجوم والغارة في الصباح سموا الغارة صباحاً وإن وقعت في وقت آخر[2].

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ * وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾: تأكيد إلى تأكيد، وإطلاق بعد تقيد للإشعار بأنّه يبصر وأنّهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من أصناف المسرّة وأنواع المساءة، أو الأول لعذاب الدنيا والثاني لعذاب الآخرة.

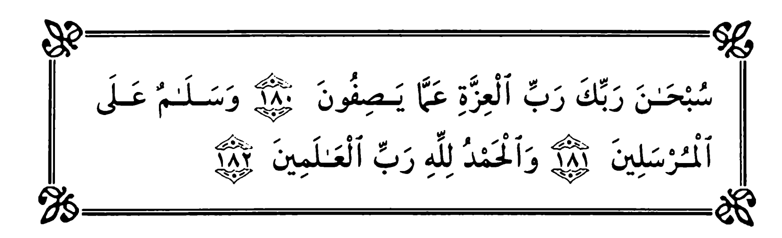
والقمّي: «فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ» يعني العذاب إذا نزل ببني أُميه وأشياعهم في آخر الزمان[3].

---

١ ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص٣٠٢، س١٦.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٣٠٢، س١٩.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٢٧، س١٥.



«فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ» قال: أبصروا حين لا ينفعهم البصر[١].

قال: فهذه في أهل الشبهات والضلالات من أهل القبلة[٢].

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: عمّا قاله المشركون.

في التوحيد: عن الباقر عليه السلام إن الله علا ذكره كان ولا شيء غيره، وكان عزيزاً ولا عزّ كان قبل عزّه، وذلك قوله سبحانه «سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ»[٣].

وفي الكافي: عنه عليه السلام ما يقرب منه[٤].

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم.

﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: على ما أفاض عليهم، وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة، وفيه تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلّمون على رسله.

في الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام من أراد أن يكتال بالمكيال الأوفى: فليقل إذا أراد أن يقوم من مجلسه «سُبْحَٰنَ رَبِّكَ» الآيات الثلاث[٥].

وفي الفقيه[٦]، والمجمع: عنه عليه السلام ما يقرب منه[٧].

وفي ثواب الأعمال[٨]، والمجمع، عن الصادق عليه السلام: من قرأ سورة الصافات في كل يوم

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٢٧، س١٧. ٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٢٧، س١٧.

٣ ـ التوحيد: ص٦٦ ـ ٦٧، ح٢٠، باب ٢ ـ التوحيد ونفي التشبيه.

٤ ـ الكافي: ج٨، ص٩٤، ح٦٧.

٥ ـ الكافي: ج٢، ص٤٩٦، ح٣، باب ما يجب من ذكر الله عزّ وجلّ في كل مجلس.

٦ ـ من لا يحضره الفقيه: ج١، ص٢١٣، ح٩٥٤ / ٧، باب ٤٦ ـ التعقيب.

٧ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٤٦٣، س١.

٨ ـ ثواب الاعمال: ص١١٢، ح١، باب ثواب من قرأ سورة الصافات.

جمعة لم يزل محفوظاً من كل آفة، مدفوعاً عنه كل بليّة في الحياة الدنيا، مرزوقاً في الدنـيا في أوسع ما يكون من الرزق، ولم يصبه الله في ماله وولده ولا بدنه بسوء من كل شيطان رجيم، ولا من جبّار عنيد وإن مات في يومه أوليلته بعثه الله شهيداً وأماته شهيداً[١] وأدخله الجنة مع الشهداء في درجة من الجنة[٢].

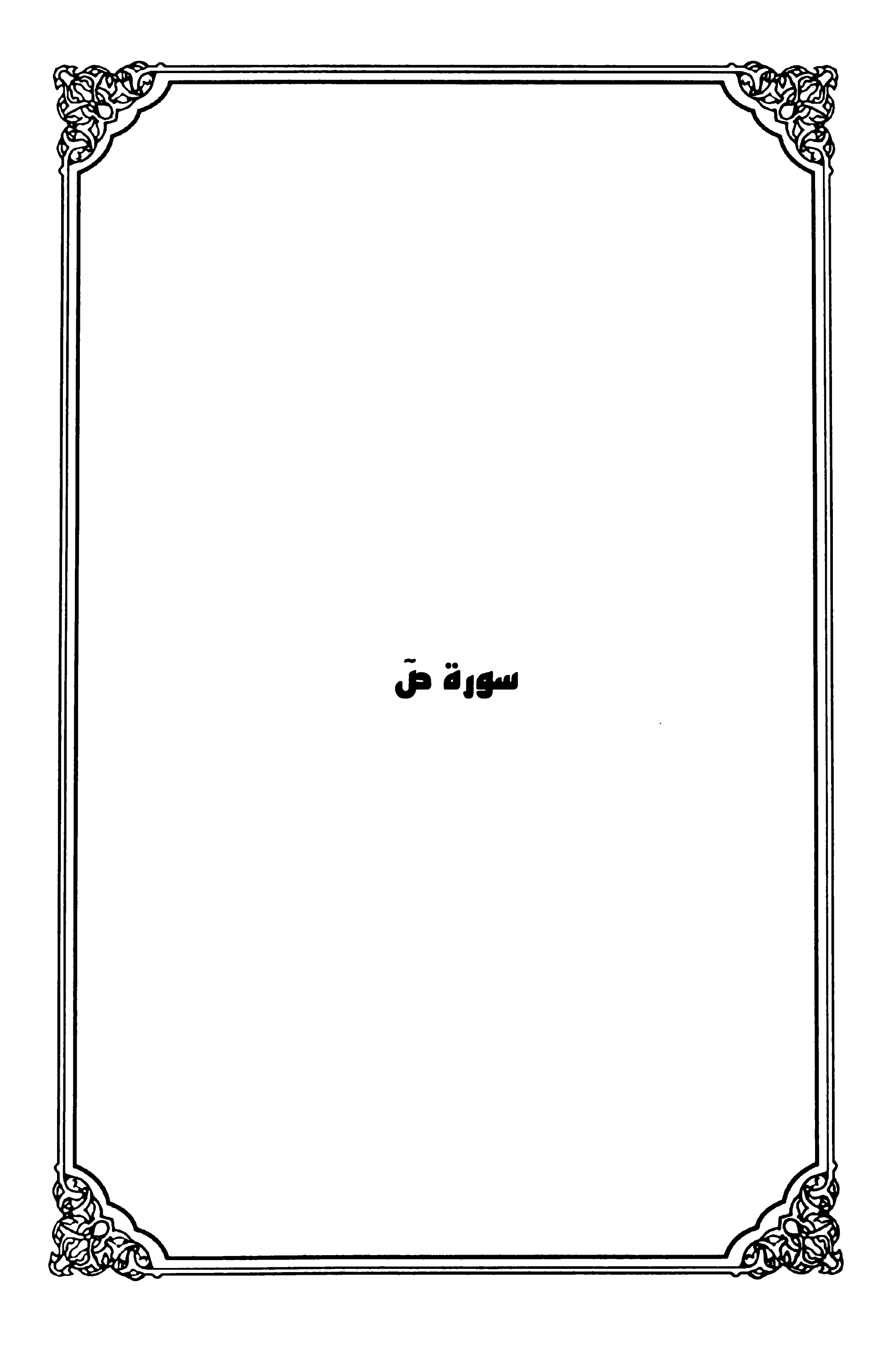
وفي الكافي: عن الكاظم عليه السلام إنّها لم تقرأ عند مكروب من موت قط إلّا عجل الله تعالى راحته[٣].

* * *

١ ـ كما تقدّم سابقاً ج ٢، ص ١٦٠ في كتابنا الصافي نقلاً عن العيّاشي ج ١، ص ٢٠٢، ح ١٦٢: من قتل ينشر حتّى يموت، ومن مات ينشر حتّى يقتل. وغير ذلك من الأحاديث الدالّة على ذلك.

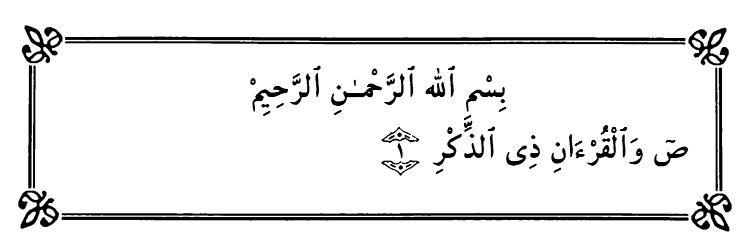
٢ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٤٣٦ في فضلها.

٣ ـ الكافي: ج ٣، ص ١٢٦، ذيل ح ٥، باب إذا عسر على الميت واشتد عليه النزع. وفيه: «يـا بـني لم يـقرأ عـبدٌ مكروب من موت قط إلّا عجّل الله راحته».

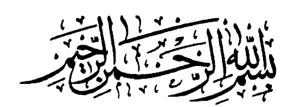


سورة صٓ

৩য় খণ্ড



سورة صٓ: مكيّة، عدد آيها ثمان وثمانون آية كوفي، ست حجازي بصري شامي.



﴿صٓ﴾: قد سبق تأويله، وفي المعاني: عن الصادق عليه السلام، وأما «صٓ» فعين تنبع من تحت العرش، وهي التي توضّأ منها النبي صلى الله عليه وآله لمّا عرج به، ويدخلها جبرئيل كل يوم دخلة فينغمس فيها، ثم يخرج منها فينفض أجنحته، فليس من قطرة تقطر من أجنحته إلّا خلق الله تبارك وتعالى منها ملكاً يسبح الله ويقدّسه ويكبّره ويحمده إلى يوم القيامه[1].

وفي الكافي: عنه عليه السلام في حديث المعراج، ثم أوحى الله إلي: يا محمد اُدن من صاد فاغسل مساجدك وطهّرها وصلّ لربك، فدنى رسول الله صلى الله عليه وآله من صاد، وهو ماء يسيل من ساق العرش الأيمن[2] الحديث.

وفي العلل: عن الكاظم عليه السلام في حديث أنه سئل وما صاد الذي اُمر أن يغتسل منه؟ يعني النبي صلى الله عليه وآله لما أسرى به، فقال: عين تنفجّر[3] من ركن من أركان العرش يقال: لها ماء الحياة وهو ما قال الله عزّ وجلّ «صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ»[4].

---

١ ـ معاني الاخبار: ص ٢٢، ح ١، باب معنى الحروف المقطعة في أوائل السور من القرآن.

٢ ـ الكافي: ج ٣، ص ٤٨٥، س ٥، قطعة من حديث ١، باب النوادر.

٣ ـ وفي نسخة: [تنفجر]، كما في المصدر.

٤ ـ علل الشرائع: ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥، ذيل حديث ١، باب ٣٢ ـ العلة التي من أجلها صارت الصلاة ركعتين وأربع سجدات.

بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَـٰهاً وَٰحِداً إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾

وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام أنه اسم من أسماء الله تعالى أقسم به[1].

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِي ٱلذِّكْرِ﴾: مقسم به عطفاً على صاد، وجوابه محذوف، أي أنه لحق يدل عليه قوله تعالى: «بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ».

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾: أي ما كفر به من كفر لخلل وجد فيه «بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ» في إستكبار عن الحق، وخلاف لله ولرسوله، ولذلك كفروا به.

والقمّي: قال: هو قسم وجوابه «بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ» وهو يرجع إلى ما قلناه[2].

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾: وعيد لهم على كفرهم به إستكباراً وشقاقاً.

﴿فَنَادَواْ﴾: إستغاثة.

﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾: أي ليس الحين حين منجىءٍ ومفرٍ، زيدت «التاء» على «لا» للتأكيد.

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾: بشر مثلهم.

﴿وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾: وضع فيه الظاهر موضع الضمير، غضباً عليهم، وذماً لهم، وإشعاراً بأنّ كفرهم جسّرهم على هذا القول.

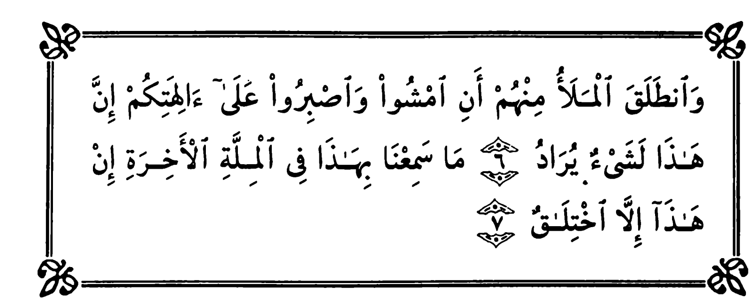
﴿هَـٰذَا سَـٰحِرٌ﴾: فيما يظهره معجزة.

﴿كَذَّابٌ﴾: فيما يقول على الله.

﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَـٰهاً وَٰحِداً إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾: بليغ في العجب. فإنّه

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٤٦٥، س١٦.
٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٢٨، س١٣.



خلاف ما أطبق عليه آباؤنا.

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ﴾: قائلين بعضهم لبعض امشوا.

﴿وَٱصْبِرُواْ﴾: واثبتوا.

﴿عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾: على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾: قيل: أي إن هذا الشيء من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له[1].

وقيل: إنّ هذا الذي يدعيه من الرياسة، والترفّع على العرب لشيء يريده كل أحد[2].

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾: بالّذي يقوله.

﴿فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْأٓخِرَةِ﴾: في الملة التي أدركنا عليها آباءنا.

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾: كذب اختلقه.

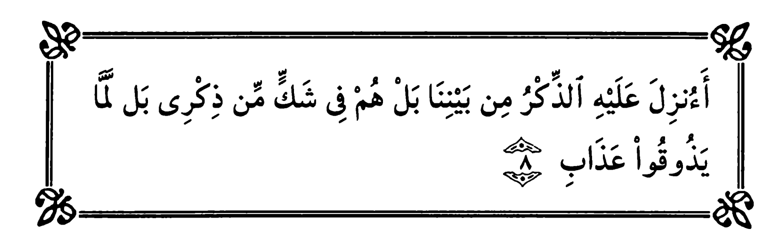
القمّي: قال: نزلت بمكة لما أظهر رسول الله ﷺ الدعوة بمكة اجتمعت قريش إلى أبي طالب عليه السلام وقالوا: يا أبا طالب إنّ ابن أخيك قد سفّه أحلامنا، وسبّ آلهتنا، وأفسد شبّاننا[3]، وفرّق جماعتنا، فإن كان الذي يحمله على ذلك العدم، جمعنا له مالاً حتى يكون أغنىٰ رجل في قريش، ونملّكه علينا، فأخبر أبو طالب رسول الله ﷺ بذلك، فقال: لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ما أردته، ولكن يعطوني كلمة يملكون بها العرب، ويدين لهم بها العجم، ويكونون ملوكاً في الجنّة، فقال لهم أبو طالب: ذلك، فقالوا: نعم وعشر كلمات، فقال لهم رسول الله ﷺ: تشهدون أن لا إلـه إلّا الله، وأنّي رسول الله ﷺ، فقالوا: ندع ثلاثمائة وستين إلـهاً

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٠٥، س ٢.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٠٥، س ٣.

٣ ـ وفي نسخة: [شبابنا]، كما في المصدر.



ونعبد إلٰهاً واحداً فأنزل الله سبحانه: «بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ»[١] إلى قوله: «إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ» أي تخليط «أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ» إلى قوله: «مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ»[٢][٣].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام قال: أقبل أبو جهل بن هشام، ومعه قوم من قريش، فدخلوا على أبي طالب، فقالوا: إنّ ابن أخيك قد آذانا وآذى آلهتنا، فادعه ومره فليكفّ عن آلهتنا ونكف عن إلٰهه، قال: فبعث أبو طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فدعاه فلما دخل النبي صلى الله عليه وآله لم ير في البيت إلّا مشركاً فقال: «ٱلسَّلَـٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ»[٤]، ثم جلس فخبّره أبو طالب بما جاؤوا له، فقال: أوهل لهم في كلمة خير لهم من هذا يسودون بها العرب ويطأون أعناقهم، فقال: أبو جهل: نعم وما هذه الكلمة؟ قال: تقولون: لا إلٰه إلّا الله، قال: فوضعوا أصابعهم في آذانهم وخرجوا هراباً، وهم يقولون: «مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ» فأنزل الله في قولهم: «صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ» إلى قوله: «إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ»[٥].

﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا﴾: انكار لإختصاصه بالوحي، وهو مثلهم أو أدون منهم في الشرف والرياسة لقولهم: «لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ»[٦] وأمثال ذلك دليل على ان مبدأ تكذيبهم لم يكن إلّا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوي.

﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾: من القرآن والوحي لميلهم إلى التقليد، وإعراضهم عن الدليل.

---

١ ـ قٓ: ٢. والظاهر أنّ هنا سهو من قلمه الشريف أو من النسّاخ، لأنّ الآية في هذه السورة تكون هكذا: «وَعَجِبُوٓاْ» إلى آخرها، وليس فيها «بل عجبوا».

٢ ـ ص: ٨ ـ ١١.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٢٨، س ١٦.

٤ ـ طٰه: ٤٧.

٥ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦٤٩، ح ٥، باب التسليم على أهل الملل.

٦ ـ الزخرف: ٣١.

أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَـٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾

﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾: بل لم يذوقوا عذابي بعد فإذا ذاقوه زال شكهم، والمعنى أنّهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب فيلجأهم إلى تصديقه.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾: بل أعندهم خزائن رحمته وفي تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاؤوا أو يصرفوها عمّن شاؤوا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم، يعني أنّ النبوة عطيّة من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع له، فإنّه العزيز الغالب الذي لا يغلب، الوهاب الذي له أن يهب كل ما يشاء لمن يشاء.

﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: أم لهم مدخل في هذا العالم الذي هو جزء يسير من خزائنه.

﴿فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَـٰبِ﴾: أي إن كان لهم ذلك فليصعدوا في المعارج التى يتوصل بها إلى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم فينزلوا الوحي إلى من يستصوبون، وهو غاية التهكم بهم.

وقيل: أُريد بالأسباب: السماوات، لأنّها أسباب الحوادث السفليّة[1].

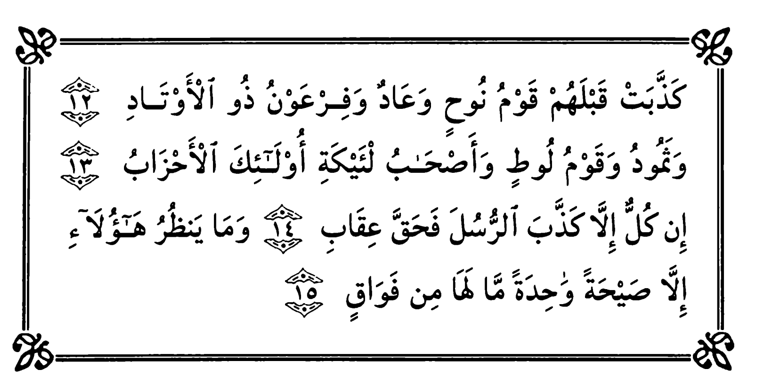
﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾: أي هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل. القمي: يعني الذين تحزّبوا عليك يوم الخندق[2].

قيل: مهزوم أي مكسور عمّا قريب فمن أين لهم التدابير الإلـٰهيّة، والتصرف في الأُمور الربانيّة، أو فلا تكترث لما يقولون، وهنالك إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الإبتداء

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٠٥، س ١٧.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٢٩، س ٦.



﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ١٢ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ١٣ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ١٤ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ١٥﴾

لهذا القول[١].

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾: في العلل: عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن قوله تعالى: «وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ» لأي شيء سمي ذو الأوتاد؟ فقال: لأنه كان إذا عذّب رجلاً بسطه على الأرض وجهه، ومد يديه ورجليه، فأوتدها بأربعة أوتاد في الأرض، وربما بسطه على خشب منبسط فوتد رجليه ويديه بأربعة أوتاد، ثم تركه على حاله حتى يموت فسمّاه الله عزّ وجلّ «فِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ»[٢].

والقمّي: عمل الأوتاد التي أراد أن يصعد بها إلى السماء[٣].

﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾[٤]: وأصحاب الغيضة[٥]، وهم قوم شعيب.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾: يعني المتحزبين على الرسل الذين جُعِل «الجند المهزوم» منهم.

﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ * وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: وما ينتظر

---

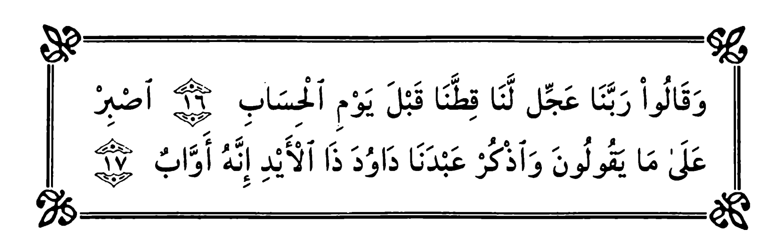
١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص٣٠٥، س ٢٠.

٢ ـ علل الشرائع: ص٦٩ ـ ٧٠، ح١، باب ٦٠ ـ العلة التي من أجلها سمي فرعون ذو الاوتاد.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٤٢٠، س ٣.

٤ ـ الأيكة: واحدة الأيك وهو الشجر الملتف الكثير، ويقال: الأيكة اسم قرية، والليكة: اسم بلد. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٢٥٦، مادة «أيك».

٥ ـ الغيضة: الأجمّة، وهي مغيض ماءٍ يجتمع فيه الشجر، والجمع غياض وأغياض. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٢٠، مادة «غيض».



قومك أو الأحزاب جميعاً.

﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾: هي النفخة.

﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾: قيل: أي من توقف مقدار فواق، وهو ما بين الحلبتين، أو رجوع وترداد فإنّه فيه يرجع اللبن إلى الضرع[1].

والقمّي: أي لا يفيقون من العذاب[2]، وقرئ بضم الفاء وهما لغتان.

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾: قسطنا من العذاب الذي توعدنا به.

في المعاني: عن أمير المؤمنين عليه السلام في معناه قال: نصيبهم من العذاب[3].

﴿قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾: استعجلوا ذلك استهزاءاً.

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾: في التوحيد: عن الباقر عليه السلام اليد في كلام العرب القوة والنعمة، ثم تلا هذه الآية[4].

﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: قيل أي رجّاع إلى مرضاة الله لقوته في الدين[5].

والقمّي: أي دعّاء[6].

قيل: كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ويقوم نصف الليل[7].

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٣٠٦، س٩.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص ٢٢٩، س ٩.

٣ ـ معاني الأخبار: ص ٢٢٥، ح ١، باب معنى القط.

٤ ـ التوحيد: ص١٥٣، ح١، باب ١٣ ـ تفسير قول الله عزّ وجلّ «يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي».

٥ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٣٠٦، س١٦.

٦ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٢٩، س١١.

٧ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٣٠٦، س١٦.

إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ﴾: قد سبق تفسيره في سورتي الأنبياء[١] وسبأ[٢].

﴿بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾: حين تشرق الشمس أي تضيئ، ويصفو شعاعها.

﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾: إليه من كل جانب.

﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: كل من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجّاع التسبيح.

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾: وقويناه بالهيبة، والنصرة، وكثرة الجنود.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾: قيل: هو فصل الخصام بتميز الحق عن الباطل[٣].

وقيل: الكلام المفصول الذي لا يشتبه على السامع[٤].

وفي العيون: عن الرضا عليه السلام إنه معرفة اللغات[٥].

وفي الجوامع: عن علي عليه السلام هو قوله: البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه[٦].

وقد ورد أخبار كثيرة بأن أئمتنا عليهم السلام أُعطوا الحكمة وفصل الخطاب[٧].

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ﴾: فيه تعجيب، وتشويق إلى إستماعه.

---

١ و ٢ ـ ذيل الآيتين: ٧٩ و ١٠، أنظر ج٥، ص٩٣ من كتابنا تفسير الصافي، وص٨٢ ـ ٨٣ من هذا الجزء.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٣٠٧، س٥، وتفسيرأبي السعود: ج٧، ص٢٢٠.

٤ ـ جوامع الجامع: ج٣، ص ٤٣١ نقلاً بالمعنى.

٥ ـ عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٢٢٨، ح٣، باب ٥٤ معرفته عليه السلام بجميع اللغات.

٦ ـ جوامع الجامع: ج٣، ص ٤٣١، س ١٥؛ والكشاف: ج ٤، ص ٨٠، س ١١.

٧ ـ أنظر الخصال: ص٤١٥، ح٤، ب٩ و٦٤٦، ح٣٠، باب ما بعد الألف؛ وإكمال الدين: ص٢٦٣، ح١٠، باب ٢٤ ـ نص النبي صلى الله عليه وآله على القائم عليه السلام؛ والكافي: ج١، ص١٩٧، ح١و٣ وغير ذلك.

إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَـٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّـٰهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾

﴿إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾: إذ تصعّدوا سور الغرفة.

﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾: لأنّهم نزلوا عليه من فوق، وفي يوم الإحتجاب والحرس على الباب.

﴿قَالُواْ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾: ولا تجر في الحكومة.

﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾: إلى وسطه، وهو العدل.

﴿إِنَّ هَـٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾: هي الأنثى من الضأن، وقد تكنى بها عن المرأة.

﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾: ملكنيها، وأصله واجعلني أكفلها أو اجعلها كفلي أي نصيبي.

﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾: وغلبني في مخاطبته إيّاي.

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾: الشركاء الذين خلطوا أموالهم، جمع خليط.

﴿لَيَبْغِى﴾: ليتعدى.

﴿بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾:

فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

وهم قليل، «ما» مزيدة للإبهام، والتعجيب من قلّتهم.

﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّـٰهُ﴾: امتحنّاه بتلك الحكومة، هل تنبّه بها.

﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا﴾: ساجداً.

﴿وَأَنَابَ﴾: ورجع إلى الله بالتوبة.

﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾: أي ما استغفر عنه.

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾: لقربة بعد المغفرة.

﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾: مرجع في الجنة.

﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾: قد سبق في سورة لقمان كلام في خلافة داود عليه السلام[(١)].

وفي العيون: عن الرضا عليه السلام في حديث عصمة الأنبياء عليهم السلام قال: وأما داود فما يقول من قبلكم فيه؟ فقيل: يقولون: إن داود عليه السلام كان يصلّي في محرابه إذ تصوّر له إبليس على صورة طير أحسن ما يكون من الطيور فقطع داود عليه السلام صلاته وقام ليأخذ الطير، فخرج الطير إلى الدار فخرج في أثره فطار الطير إلى السطح فصعد السطح في طلبه فسقط الطير في دار أُوريا ابن حيان، فاطّلع داود عليه السلام في أثر الطير فإذا بامرأة أُوريا تغتسل فلما نظر إليها هواها، وكان قد أخرج أُوريا في بعض غزواته فكتب إلى صاحبه أن قدّم أُوريا أمام التابوت فقدم فظفر أُوريا

---

١ ـ ذيل الآية: ١٢، أُنظر ج ٥، ص ٥١٩ من كتابنا تفسير الصافي.

بالمشركين فصعب ذلك على داود عليه السلام، فكتب إليه ثانية أن قدّمه أمام التابوت فقدّم فقتل أُوريا فتزوج داود عليه السلام بإمرأته، قال: فضرب الرضا عليه السلام يده على جبهته، وقال إنا لله وإنا إليه راجعون، لقد نسبتم نبياً من أنبياء الله عليهم السلام إلى التهاون بصلاته حتى خرج في أثر الطير ثم، بالفاحشة، ثم بالقتل، فقيل: يا ابن رسول الله فما كانت خطيئته؟ فقال: ويحك إن داود عليه السلام إنما ظنّ أنّه ما خلق الله عزّ وجلّ خلقاً هو أعلم منه فبعث الله عزّ وجلّ إليه الملكين فتسورا المحراب فقالا له: «خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ * إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ» فعجل داود عليه السلام على المدعى عليه فقال: لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ولم يسأل المدعى البيّنة على ذلك، ولم يقبل على المدعى عليه فيقول له: ما تقول: فكان هذا خطيئة في رسم الحكم لا ما ذهبتم إليه، ألا تسمع الله تعالى يقول: «يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ» إلى آخر الآية؟ فقيل: يا ابن رسول الله فما قصته مع أُوريا؟ قال الرضا عليه السلام: إن المرأة في أيام داود عليه السلام كانت إذا مات بعلها أو قتل لا تتزوج بعده أبداً، فأوّل من أباح الله تعالى أن يتزوج بامرأة قتل بعلها داود عليه السلام، فتزوج بامرأة أُوريا لما قتل وانقضت عدّتها منه فذلك الذي شق على الناس من قبل أُوريا[١].

والقمّي: عن الصادق عليه السلام ما يقرب ممّا روته العامة، وكذّبه الرضا عليه السلام كما مرّ مع زيادات، وفيه ما فيه[٢].

وعن الباقر عليه السلام في قوله: «وَظَنَّ دَاوُودُ» عليه السلام أي علم، «وَأَنَابَ» أي تاب، وذكر أن داود عليه السلام كتب إلى صاحبه أن لا تقدّم أُوريا بين يدي التابوت ورده فقدم أُوريا إلى أهله ومكث ثمانية أيام ثم مات[٣].

وفي المجالس: عن الصادق عليه السلام قال: ان رضا الناس لا يملك، وألسنتهم لا تضبط، ألم ينسبوا إلى داود عليه السلام أنه تبع الطير حتى نظر إلى إمرأة أُوريا فهواها؟ وأنّه قدّم زوجها أمام

---

١ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص١٩٣ ـ ١٩٤، قطعة من ح١، باب ١٤ ـ ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون مع أهل الملل والمقالات وما أجاب به علي بن محمد بن الجهم في عصمة الأنبياء عليهم السلام

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٢٩ ـ ٢٣٠. ٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٣٤، س١.

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلاً ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾

التابوت حتى قتل ثم تزوج بها(١).

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: لا أوتي برجل يزعم أن داود عليه السلام تزوّج إمرأة أُوريا إلّا جلّدته حدّين حداً للنبوّة وحداً للإسلام(٢).

وروي أنه قال من حدّث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصّاص جلدته مائة وستين(٣).

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلاً﴾: لا حكمة فيه.

﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾: بسبب هذا الظن.

﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: إنكار للتسوية.

﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾: قيل: كأنه أنكر التسوية أولاً بين المؤمنين والكافرين، ثم بين المتّقين من المؤمنين والمجرمين منهم، ويجوز أن يكون تكريراً للإنكار الأول باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم(٤).

والقمّي: عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية فقال: «ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ» أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه، «كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ» قال: حبتر(٥)

---

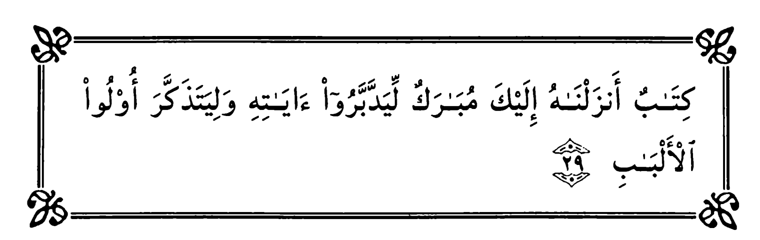
١ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٩١ ـ ٩٢، ح ٣، المجلس الثاني والعشرون.

٢ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٤٧٢، س ٢١.

٣ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٠٨، س ١٥.

٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٠٩، س ٥.

٥ ـ الحبتر بالمهملة ثمّ الموحدة من تحت، ثمّ المثنّاة من فوق، ثمّ الراء على وزن جعفر: الثعلب، قيل: إنّما كنّي عنه لتشبيهه بالثعلب في حيلته. منه قدس سره.



وزريق[١] وأصحابهما «أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ» أمير المؤمنين عليه السلام «كَالْفُجَّارِ» حبتر، وزلام[٢] وأصحابهما، وهذه الألفاظ: كنايات عن الثلاثة[٣].

وفي الكافي: عنه عليه السلام قال: لا ينبغي لأهل الحقّ أن ينزلوا أنفسهم منزلة أهل الباطل لأن الله لم يجعل أهل الحق عنده بمنزلة أهل الباطل ألم يعرفوا وجه قول الله في كتابه إذ يقول: «أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ» الآية [٤].

في الخصال: عن أمير المؤمنين عليه السلام إن لأهل التقوى علامات يعرفون بها: صدق الحديث، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، وقلّة الفخر، والتحمل [٥]، وصلة الأرحام، ورحمة الضعفاء، وقلة المؤاتاة[٦] للنساء، وبذل المعروف، وحسن الخلق، وسعة الحلم، واتباع العلم فيما يقرب إلى الله تعالى[٧].

وفي رواية أُخرى عنه عليه السلام قال: الفاجر إن ائتمنته خانك، وإن صاحبته شانك، وإن وثقت به لم ينصحك[٨].

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾: نفّاع.

---

١ ـ زريق: ـ بتقديم المعجمة على المهملة ـ: مصغر أزرق، قيل: إنّما كنّى عنه لزرقة عينه. منه رحمه الله.

٢ ـ زليم وزلام: اسمان. لسان العرب: ج ٦، ص ٧٦، مادة «زلم».

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٣٤، س ٥.

٤ ـ الكافي: ج ٨، ص ١٢، س ٨، ح ١، باب رسالة أبي عبد الله عليه السلام إلى جماعة الشيعة.

٥ ـ وفي حديث صفات المؤمن «ان لا يتحمل على الأصدقاء» أي لا يرمي كلّه على أصدقائه مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣٥٧، مادة «حمل».

٦ ـ المواتاة: حسن المطاوعة والموافقة، وأصله الهمزة، وخفف وكثر حتى صار يقال: بالواو الخالصة مجمع البحرين: ج ١، ص ٢١، مادة «أتا».

٧ ـ الخصال: ص ٤٨٣، ح ٥٦، باب ١٢ ـ لأهل التقوى اثنتا عشرة علامة.

٨ ـ الخصال: ص ١١٦، ذيل ح ٩٦، باب ٣ ـ الرجال ثلاثة.

وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَـٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾

﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾: الثاقبة، القمّي: عن الصادق عليه السلام «لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ» أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام فهم أولو الألباب، قال: وكان أمير المؤمنين عليه السلام يفتخر بها ويقول: ما أُعطي أحد قبلي ولا بعدي مثل ما أُعطيت(١).

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَـٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾: أي نعم العبد سليمان.

﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: كثير الرجوع إلى الله بالتوبة والذكر.

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ﴾: بعد الظهر.

﴿ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾: الصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد أو رجل، وهو من الصفات المحمودة في الخيل. والجياد: قيل: جمع جواد أو جود، وهو الذي يسرع في جريه(٢). وقيل: الذي يجود بالركض(٣). وقيل جمع جيد(٤).

﴿فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾: قيل: أصل أحببت أن يعدى بعلى، لأنّه بمعنى آثرت، لكن لما أُنيب مناب أنبت عدّى تعديته(٥).

وقيل: هو بمعنى تقاعدت، و«حُبَّ ٱلْخَيْرِ» مفعول له، و«ٱلْخَيْرِ»: المال الكثير، والمراد به هنا: الخيل التي شغلته عن الذكر(٦). وفي الحديث: الخيل معقود بنواصيها الخير(٧).

﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾: أي غربت الشمس، شبّه غروبها بتواري المخبأة بحجابها، وإضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليه.

﴿رُدُّوهَا عَلَىَّ﴾: الضمير للشمس.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٣٤، س٨.

٢ و٣ و٤ و٥ و٦ و٧ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنور التنزيل: ج ٢، ص ٣٠٩ و ٣١٠.

﴿فَطَفِقَ مَسْحَا﴾: فأخذ يسمح مسحاً.

﴿بِالسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾: في الفقيه: عن الصادق عليه السلام قال: إنّ سليمان بن داود عرض عليه ذات يوم بالعشي الخيل فاشتعل بالنظر إليها حتى توارث الشمس بالحجاب، فقال: للملائكة ردّوا الشمس عليّ حتى أُصلّي صلاتي في وقتها، فردّوها، فقام فمسح ساقيه وعنقه، وأمر أصحابه الذين فأتتهم الصلاة معه بمثل ذلك، وكان ذلك وضوءهم للصلاة، ثم قام فصلى، فلمّا فرغ غابت الشمس وطلعت النجوم، وذلك قول الله عزّ وجلّ: «وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَـٰنَ» إلى قوله: «وَٱلْأَعْنَاقِ»(١).

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام إن هذه الخيل كانت شغلته عن صلاة العصر حتى فات وقتها(٢).

قال: وفي روايات أصحابنا أنه فاته أول الوقت(٣).

وفي الكافي(٤)، والفقيه: عن الباقر عليه السلام أنه سئل عن قول الله عزّ وجلّ «إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰباً مَّوْقُوتاً»(٥) قال: يعني مفروضاً، وليس يعني وقت فوتها إذا جاز ذلك الوقت ثم صلاها لم تكن صلاته هذه مؤداة، ولو كان ذلك كذلك لهلك سليمان بن داود عليهما السلام حين صلاها لغير وقتها، ولكنه متى ما ذكرها صلّاها(٦).

وفي العلل: عنه عليه السلام ما يقرب منه(٧).

وفي المجمع: قال ابن عباس: سألت علياً عليه السلام عن هذه الآية فقال: ما بلغك فيها يا ابن عباس؟ قلت: بلى سمعت كعباً يقول: اشتغل سليمان عليه السلام بعرض الأفراس حتى فاتته الصلاة، فقال: ردها عليّ يعني الأفراس، وكانت أربعة عشر فأمر بضرب سوقها وأعناقها بالسيف فقتلها، فسلبه الله ملكه أربعة عشر يوماً لأنّه ظلم الخيل بقتلها، فقال عليّ عليه السلام: كذب كعب لكن

---

١ ـ من لا يحضره الفقيه: ج١، ص١٢٩، ح٦٠٧ / ٨، باب ٢٩ ـ فرض الصلاة.

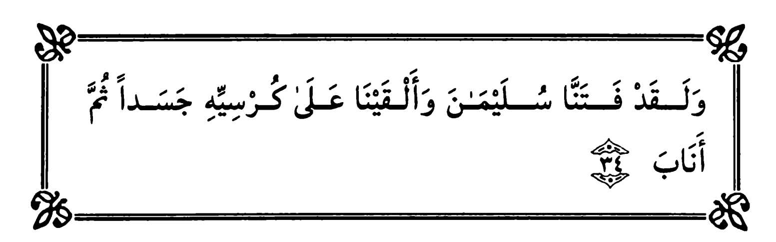
٢ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٤٧٥، س ٥.　　٣ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٤٧٥، س٥.

٤ ـ الكافي: ج٣، ص٢٩٤، ح١٠، باب من نام عن الصلاة أو سهى عنها.

٥ ـ النساء: ١٠٣.

٦ ـ من لا يحضره الفقيه: ج١، ص١٢٥، ح٦٠١/٢، باب ٢٩، فرض الصلاة. والرواية منقولة عن الصادق عليه السلام.

٧ ـ علل الشرائع: ص٦٠٥، ح٧٩، باب ٣٨٥ ـ نوادر العلل.



اشتغل سليمان عليه السلام بعرض الأفراس ذات يوم لأنّه أراد جهاد العدو حتى توارت الشمس بالحجاب، فقال: بأمر الله للملائكة الموكلين بالشمس ردّوها عليّ فردّت فصلّى العصر في وقتها، وأنّ أنبياء الله لا يظلمون ولا يأمرون بالظلم لأنّهم معصومون مطهّرون(١).

القمّي: ذكر قريباً مماقاله كعب(٢). ثم روى قصة خاتمه عن الصادق عليه السلام(٣) وأنّه ضلّ عنه أربعين يوماً ما بسبب قتله الخيل، سرقه شيطان وجلس مكانه في تلك المدّة إلى آخر ما ذكره مما لا يليق بالأنبياء إلّا إذا كان مرموزاً وأريد به شيء آخر كما سبق مثله في قصة هاروت وماروت(٤).

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾: في المجمع: عن النبي صلى الله عليه وآله أن سليمان عليه السلام قال: يوماً في مجلسه: لأطوفن الليلة على سبعين إمراة تلد كل إمراة منهن غلاماً يضرب بالسيف في سبيل الله، ولم يقل إن شاء الله، فطاف عليهن فلم تحمل منهن إلّا إمراة واحدة جاءت بشق ولد، قال: ثم قال: فوالذي نفس محمد صلى الله عليه وآله بيده لو قال: إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً، والجسد الذي كان على كرسيّه كان هذا(٥).

وعن الصادق عليه السلام: أن الجن والشياطين لما ولد لسليمن ابن قال بعضهم لبعض: إن عاش له ولد لنلقين منه ما لقينا من أبيه من البلاء فأشفق عليه السلام منهم عليه فاسترضعه في المزن وهو السحاب فلم يشعر إلّا وقد وضع على كرسيه ميتاً تنبيهاً على أن الحذر لا ينفع من القدر، وإنما عوتب عليه السلام على خوفه من الشيطان(٦).

وقيل: الجسد: ذاك الشيطان الذي كان قد جلس مكانه على كرسيّه، سمّي بالجسد الذي لا روح فيه، لأنه كان متمثّلاً بما لم يكن كذلك(٧).

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٤٧٥، س ١٩.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥.
٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٣٦ ـ ٢٣٨.
٤ ـ أنظر تفسير القمّي: ج ١، ص ٥٦ ـ ٥٧.
٥ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٤٧٥، س ٢٨.
٦ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٤٧٥ ـ ٤٧٦.
٧ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣١٠.

قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾

وهذا قول العامة الراوين لتلك القصة التي فيها ذكر الخاتم إلّا أنهم ذكروا في سبب ابتلائه بسلب ملكه أنّه كانت إمرأته تعبد في بيته صورة أربعين يوماً، وهو لم يشعر بذلك.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ * فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾: فذللناها لطاعته اجابة لدعوته.

﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَآءً﴾: لينة لا تزعزع.

﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾: أراد.

﴿وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ * وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾: قرن بعضهم مع بعض في السلاسل ليكفوا عن الشر، كذا قيل[١].

والقمّي: هم الذين عصوا سليمان حين سلبه الله ملكه[٢].

وقد سبق بعض هذه القصة في سورة سبأ[٣].

﴿هَـٰذَا عَطَآؤُنَا﴾: أي هذا الذي أعطيناك من الملك، والبسطة، والتسلط على ما لم يسلط غيرك عطاؤنا.

﴿فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾: فاعط من شئت وامنع من شئت.

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: غير محاسب على منّة، وإمساكه لتفويض التصرف فيه إليك.

﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾: في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣١١، س ٧.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٣٦.

٣ ـ الآيات ١١ ـ ١٤، اُنظر ص ٨٣ ـ ٨٧ من هذا الجزء.

﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾: هو الجنة.

وفي العلل: عن الكاظم عليه السلام انه سئل أيجوز أن يكون نبي الله بخيلاً؟ فقال: لا فقيل: فقول سليمان عليه السلام: «رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِيٓ» ما وجهه وما معناه؟ فقال: الملك ملكان: ملك مأخوذ بالغلبة والجور وإجبار الناس، وملك مأخوذ من قبل الله تعالى ذكره كملك آل ابراهيم، وملك طالوت، وذي القرنين، فقال سليمان عليه السلام: «هَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِيٓ» أن يقول: أنه مأخوذ بالغلبة والجور وإجبار الناس، فسخر الله عزّ وجلّ: «لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ» وجعل غدوها شهراً ورواحها شهراً وسخّر له عزّ وجلّ: «ٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ»، وعلم منطق الطير، ومكن له. في الأرض، فعلم الناس في وقته وبعده أنّ ملكه لا يشبه ملك الملوك الجبارين من الناس والمالكين بالغلبة والجور.

قيل: فقول رسول الله صلى الله عليه وآله رحم الله أخي سليمان بن داود عليه السلام ما كان أبخله؟ فقال: لقوله صلى الله عليه وآله: وجهان أحدهما: ما كان أبخله بعرضه وسوء القول فيه، والوجه الآخر يقول: ما كان أبخله إن كان أراد ما كان يذهب إليه الجهال[1].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «هَـٰذَا عَطَآؤُنَا» الآية قال أُعطي سليمان ملكاً عظيماً، ثم جرت هذه الآية في رسول الله صلى الله عليه وآله، فكان له أن يعطي من شاء ما شاء ويمنع من شاء، وأعطاه أفضل ممّا أعطى سليمان عليه السلام لقوله «مَآ أَتَـٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَـٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ»[2][3].

وعن الرضا عليه السلام أنّه قيل له: حقّاً علينا أن نسألكم؟ قال: نعم، قيل: حقاً عليكم أن تجيبونا؟ قال: لا، ذاك إلينا إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل، أما تسمع قول الله تعالى: «هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ»[4].

---

١ ـ علل الشرائع: ص٧١، ح١، باب ٦٢ ـ العلة التي من أجلها قال سليمان عليه السلام: «رب اغفر لي ووهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي».

٢ ـ الحشر: ٧.

٣ ـ الكافي: ج١، ص٢٦٨، ح١٠، باب التفويض إلى رسول الله صلى الله عليه وآله والى الأئمة عليهم السلام في أمر الدين.

٤ ـ الكافي: ج١، ص٢١٠ ـ ٢١١، ح٣، باب ان أهل الذكر الذين أمر الله الخلق بسؤالهم هم الأئمة عليهم السلام.

وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ﴾: بتعب، وقرئ بفتح النون وبفتحتين.

﴿وَعَذَابٍ﴾: ألم، وهو حكاية لكلامه عليه السلام.

﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾: حكاية لما أُجيب به، أي اضرب برجلك الأرض.

﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾: أي فضربها فنبعت عين فقيل: هذا مغتسل أي تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك[١].

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾: بأن أحييناهم بعد موتهم.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام إنه سئل كيف أُوتي مثلهم معهم؟ قال: أحيى له من ولده الذين كانوا ماتوا قبل ذلك بآجالهم مثل الذين هلكوا يومئذ[٢].

والقمّي: عنه عليه السلام قال: أحيىٰ الله عزّ وجلّ له أهله الذين كانوا قبل البلية، وأحيىٰ له الذين ماتوا وهو في البلية[٣].

﴿رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: لينتظروا الفرج بالصبر، واللجأ إلى الله فيما يحيق بهم.

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾: حزمة صغيرة من خشب.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣١١، س ٢٣.

٢ ـ الكافي: ج ٨، ص ٢٥٢، ح ٣٥٤.   ٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٧٤، س ١٢.

﴿فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾: وذلك أنّه حلف أن يضرب زوجته في أمر ثم ندم عليه فحل الله يمينه بذلك، وهي رخصة باقية في الحدود كما ورد عنهم عليهم السلام.

﴿إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِراً﴾: فيما أصابه في النفس والأهل والمال.

﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾: أيّوب.

﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾: مقبل بشراشره[١] على الله، وفي العلل: عن الصادق عليه السلام قال: إنما كانت بليّة أيوب عليه السلام التي ابتلى بها في الدنيا لنعمة أنعم الله بها عليه فأدى شكرها، وكان إبليس في ذلك الزمان لا يحجب دون العرش فلما صعد عمل أيوب عليه السلام بأداء شكر النعمة حسده إبليس فقال: يا رب إن أيوب عليه السلام لم يؤدّ شكر هذه النعمة إلّا بما أعطيته من الدنيا، فلو حلت بينه وبين دنياه ما أدّى إليك شكر نعمة، فسلطني على دنياه حتى تعلم أنه لا يؤدّي شكر نعمة[٢]، فقال: قد سلطتك على دنياه فلم يدع له دنيا ولا ولداً إلّا أهلك كل ذلك، وهو يحمد الله عزّ وجلّ، ثم رجع إليه فقال: يا رب أن أيوب يعلم إنك سترد إليه دنياه التي أخذتها منه، فسلطني على بدنه حتّى تعلم أنه لا يؤدّي شكر نعمة، قال الله عزّ وجلّ: قد سلطتك على بدنه ما عدا عينيه، وقلبه، ولسانه، وسمعه، قال: فانقض[٣] مبادراً خشية أن تدركه رحمة الله عزّ وجلّ فتحول بينه وبينه فنفخ في منخريه من نار السوم فصار جسده نقطاً نقطاً[٤].

وعن الكاظم عليه السلام مثله، وزاد: فلمّا اشتدّ به البلاء، وكان في آخر بليّته جاءه أصحابه فقالوا: يا أيوب ما نعلم أحداً ابتلي بمثل هذه البليّة، إلّا لسريرة شرٍّ فلعلّك أسررت سوءاً في الذي تبدي لنا؟ قال: فعند ذلك ناجى أيوب ربّه عزّ وجلّ، فقال: رب ابتليتني بهذه البليّة وأنت تعلم أنه لم يعرض لي أمران قط إلّا التزمت أخشنهما على بدني، ولم آكل أكلة قط إلّا وعلى خواني يتيم، فلو أن لي منك مقعد الخصم لأدليت بحجتي، قال: فعرضت له سحابة فنطق فيها ناطق، فقال: يا أيوب أدل بحجتك، قال: فشدّ عليه ميزره، وجثا على ركبتيه فقال:

---

١ ـ الشراشر: النفس، والأثقال، والمحبّة، وجميع الجسد. القاموس المحيط: ج ٢، ص ٥٧، مادة «شرر».

٢ ـ وفي نسخة: [النعمة].

٣ ـ انقض الطائر: إذا هوى في طيرانه، ومنه انقضاض الكوكب. مجمع البحرين: ج٤، ص٢٢٨، مادة «قضض».

٤ ـ علل الشرائع: ص٧٥، ح١، باب ٦٥ ـ العلة التي من اجلها ابتلي أيوب النبي عليه السلام.

ابتليتني بهذه البليّة وأنت تعلم أنه لم يعرض لي أمران قط إلّا إلتزمت أخشنهما على بدني، ولم آكل أكلة من طعام إلّا وعلى خواني يتيم، قال: فقيل له: يا أيوب من حبب إليك الطاعة؟ قال: فأخذ كفّاً من تراب فوضعه في فيه، ثم قال: أنت يارب[١].

وعن الصادق عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى إبتلى أيوب عليه السلام بلا ذنب، فصبر حتّى عيّر، وإنّ الأنبياء لا يصبرون على التعيير[٢].

وفي الكافي: عنه عليه السلام إن الله تعالى يبتلي المؤمن بكل بليّة ويميته بكلّ ميتة، ولا يبتليه بذهاب عقله، أما ترى أيوب عليه السلام كيف سلط إبليس على ماله، وعلى أهله، وعلى كل شيء منه، ولم يسلط على عقله، ترك له يوحد الله عزّ وجلّ[٣].

وفي رواية: فسلّط على أيوب فشوّه خلقه ولم يسلّط على دينه[٤].

وفي الخصال[٥]، والعلل: عنه عليه السلام ابتلى أيوب سبع سنين بلا ذنب[٦].

وفي الخصال: عنه، عنه أبيه عليهما السلام، قال: إنّ أيوب عليه السلام أُبتلي سبع سنين بغير ذنب[٧]، وأن الأنبياء معصومون لا يذنبون ولا يزيغون ولا يرتكبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً.

وقال عليه السلام: إنّ أيوب مع جميع ما أُبتلي به، لم تنتن له رائحة، ولا قبحت له صورة، ولا خرجت منه مدّة[٨] من دم ولا قيح، ولا استقذره أحد رآه، ولا استوحش منه أحد شاهده، ولا تدود شيء[٩] من جسده، وهكذا يصنع الله عزّ وجلّ بجميع من يبتليه من أنبيائه، وأوليائه

---

١ ـ علل الشرائع: ص٧٦، ح٥، باب ٦٥ ـ العلة التي من أجلها ابتلي أيوب النبي عليه السلام.
٢ ـ علل الشرائع: ص٧٥ ـ ٧٦، ح٤، باب ٦٥ ـ العلة التي من أجلها ابتلى أيوب النبي صلى الله عليه وآله
٣ ـ الكافي: ج٢، ص٢٥٦، ح٢٢، باب شدة إبتلاء المؤمن. وفيه: «ترك له ليوحد الله».
٤ ـ تفسير العياشي: ج٢، ص٢٦٩، ح٦٦.
٥ ـ الخصال: ص٣٩٩، ح١٠٧، باب ٧ ـ ابتلى أيوب عليه السلام سبع سنين بلا ذنب.
٦ ـ علل الشرائع: ص٧٥، ح٣، باب ٦٥ ـ العلة التي من أجلها ابتلى أيوب النبي عليه السلام.
٧ ـ وفي نسخة: [ابتلي بغير ذنب سبع سنين]، وفي الخصال: إنّ أيّوب عليه السلام ابتلي من غير ذنب، وأنّ الأنبياء لا يذنبون لأنّهم معصومون مطهّرون.
٨ ـ المدّة ـ بالكسر وتشديد المهملة: ما يجتمع في الجرح من القيح الغليظ منه، وأما الرقيق فهو الصديد. مجمع البحرين ج٣، ص١٤٤، مادة «مدة».
٩ ـ هكذا في الأصل، وفي المصدر: «ولا يدود شيء».

المكرمين عليه، وإنما اجتنبه الناس لفقره وضعفه في ظاهر أمره، لجهلهم بماله عند ربه تعالى ذكره من التأييد والفرج، وقد قال النبي ﷺ: أعظم الناس بلاءاً الأنبياء، ثم الأولياء، ثم الأمثل فالأمثل، وإنّما ابتلاه الله عزّ وجلّ بالبلاء العظيم الذي يهون معه على جميع الناس لئلّا يدعوا له الربوبية إذا شاهدوا ما أراد الله تعالى ذكره أن يوصله إليه من عظائم نعمه متى شاهدوه ليستدلوا بذلك، على أن الثواب من الله تعالى ذكره على ضربين استحقاق وإختصاص، ولئلّا يحقّروا ضعيفاً لضعفه، ولا فقيراً لفقره، ولا مريضاً لمرضه، وليعلموا أنّه يسقم من يشاء، ويشفي من يشاء، متى شاء كيف شاء، بأي شيء شاء، ويجعل ذلك عبرة لمن يشاء، وشقاوة لمن يشاء، وسعادة لمن يشاء، وهو عزّ وجلّ في جميع ذلك عدل في قضائه وحكيم في أفعاله لا يفعل بعباده إلّا الأصلح لهم، ولا قوة إلّا بالله[1].

والقمّي: عن الصادق عليه السلام إنّه سئل عن بليّة أيوب التي أُبتلي بها في الدنيا لأي علّة كانت؟ قال: لنعمة أنعم الله عزّ وجلّ عليه بها في الدنيا وأدى شكرها، وكان في ذلك الزمان لا يحجب ابليس عن دون العرش، فلمّا صعد ورأى شكر نعمة أيوب عليه السلام حسده ابليس، فقال: يا رب إن أيوب لم يؤدّ إليك شكر هذه النعمة إلّا بما أعطيته من الدنيا ولو حرمته دنياه ما أدّى إليك شكر نعمة أبداً فسلطني على دنياه حتى تعلم أنه لا يؤدي إليك شكر نعمة أبداً، فقيل له: قد سلطتك على ما له وولده، قال: فانحدر ابليس فلم يبق له مالاً ولا ولداً إلّا أعطبه، فازداد أيوب لله شكراً وحمداً، قال: فسلطني على زرعه، قال: قد فعلت فجمع شياطينه فنفخ فيه فاحترق، فازداد أيّوب لله شكراً وحمداً، فقال: يا ربّ فسلطني على غنمه، فسلطه على غنمه فأهلكها، فازداد أيوب لله شكراً وحمداً، فقال: يا رب سلطني على بدنه، فسلطه على بدنه ما خلا عقله وعينيه، فنفخ فيه ابليس فصار قرحة واحدة من قرنه إلى قدمه، فبقي في ذلك دهراً طويلاً يحمد الله ويشكره حتى وقع في بدنه الدود فكانت تخرج من بدنه فيردّها فيقول لها: ارجعي إلى موضعك الذي خلقك الله منه، ونتن حتى أخرجه أهل القرية من القرية، وألقوه في المزبلة خارج القرية، وكانت امرأته رحمة بنت يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم

١ـ الخصال: ص٣٩٩ ـ ٤٠٠، ح١٠٨، باب ٧ ـ ابتلى أيوب عليه السلام سبع سنين بلا ذنب.

صلوات الله عليهم أجمعين وعليها تتصدق من الناس وتأتيه بما تجده، قال عليه السلام: فلمّا طال عليه البلاء، ورأى ابليس صبره أتى أصحاباً لأيّوب كانوا رهباناً في الجبال، وقال لهم: مرّو بنا إلى هذا العبد المبتلى فنسأله عن بليّته، فركبوا بغالاً شهباء[١] وجاؤوا، فلما دنوا منه نفرت بغالهم من نتن ريحه، فنظر بعضهم إلى بعض، ثم مشوا إليه، وكان فيهم شاب حدث السن فقعدوا إليه فقالوا: يا أيوب لو أخبرتنا بذنبك لعل الله كان يملكنا إذا سألناه[٢] وما نرى ابتلائك بهذا البلاء الذي لم يبتل به أحد إلّا من أمر كنت تستره، فقال: أيوب عليه السلام وعزّة ربي أنه ليعلم إني ما أكلت طعاماً إلّا ويتيم أو ضعيف يأكل معي[٣]، وما عرض لي أمران كلاهما طاعة، لله إلّا أخذت بأشدهما على بدني، فقال الشاب سوأة لكم عيّرتم نبيّ الله حتّى أظهر من عبادة ربه ما كان يسترها، فقال: أيوب عليه السلام يا رب لو جلست مجلس الحكم منك لأدليت بحجتي، فبعث الله عزّ وجلّ إليه غمامة فقال: يا أيوب أدل بحجتك، فقد أقعدت مقعد الحكم، وها أنا ذا قريب ولم أزل، فقال: يارب إنك لتعلم أنه لم يعرض لي أمران قط كلاهما لك طاعة إلّا أخذت بأشدّهما على نفسي، ألم أحمدك؟ ألم أشكرك؟ ألم أُسبّحك؟ قال: فنودي من الغمامة بعشرة الآف لسان، يا أيوب من صيرك تعبد الله والناس عنه غافلون؟ وتحمده، وتسبّحه، وتكبّره، والناس عنه غافلون؟ أتمن على الله بما لله فيه المنّة عليك؟ قال: فأخذ التراب فوضعه في فيه، ثم قال: لك العتبى يا رب، أنت فعلت ذلك بي، فأنزل الله عليه ملكاً فركض برجله فخرج الماء فغسله بذلك الماء فعاد أحسن ما كان، وأطرأ وأنبت الله عليه روضة خضراء وردّ عليه أهله وماله وولده وزرعه، وقعد معه الملك يحدّثه ويونسه، فأقبلت إمراته معها الكسرة فلما إنتهت إلى الموضع إذ الموضع متغيّر، وإذا رجلان جالسان، فبكت وصاحت، وقالت: يا أيوب ما دهاك[٤]؟ فناداها أيوب، فأقبلت، فلمّا رأته وقد ردّ الله عليه بدنه ونعمته، سجدت لله عزّ وجلّ شكراً فرأى ذؤابتها مقطوعة، وذلك أنها سألت قوماً أن يعطوها ما تحمله إلى أيوب من

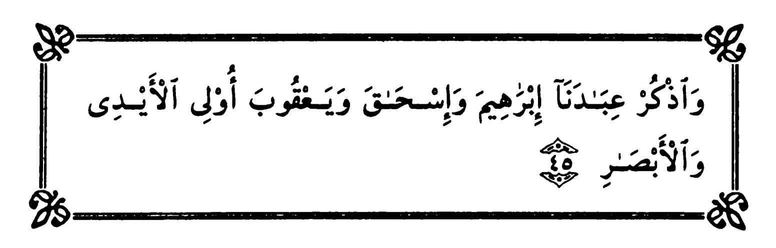
---

١ ـ هذا في الأصل، وفي المصدر «فركبوا بغالاً شهباً»، وهذا هو الأصح.

٢ ـ هكذا في الأصل، وفي المصدر: «لعل الله يهلكنا إذا فعلناه»، وهذا هو الصحيح.

٣ ـ هكذا في الأصل، وفي المصدر: «أو ضيف يأكل معي»، وهذا هو الأصح.

٤ ـ الداهية: النائبة العظيمة النازلة. والجمع: الدواهي، وهي فاعل من دهاه الأمر يدهاه إذا نزل به. مجمع البحرين: ج ١، ص ١٥٢، مادة «دها».



الطعام، وكانت حسنة الذوائب، فقالوا لها: تبيعينا ذوائبك هذه حتى نعطيك؟ فقطعتها ودفعتها إليهم وأخذت منهم طعاماً لأيّوب، فلما رآها مقطوعة الشعر غضب وحلف عليها أن يضربها مائة فأخبرته أنه كان سببه كيت وكيت، فاغتمّ أيوب من ذلك، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه «خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ»، فأخذ عذقاً مشتملاً على مائة شمراخ[١] فضربها ضربة واحدة فخرج عن يمينه[٢]، قال: فردّ الله عليه أهله الذين ماتوا قبل البلاء، وردّ عليه أهله الذين ماتوا بعد ما أصابهم البلاء كلّهم أحياهم الله له فعاشوا معه، وسئل أيوب عليه السلام بعد ما عافاه الله، أي شيء كان أشد عليك ممّا مرّ عليك؟ فقال: شماتة الأعداء، قال: فأمطر الله عليه في داره جرادة الذهب[٣]، وكان يجمعه فكان إذا ذهبت الريح منه بشيء عدا خلفه فردّه، فقال له جبرئيل عليه السلام: أما تشبع يا أيوب؟ قال: ومن يشبع من رزق ربّه عزّ وجلّ[٤].

أقول: لعل المراد ببدنه الذي قيل في الرواية الأُولى: أنّه لم تنتن رائحته، ولم يتدوّد بدنه الأصلي الذي يرفع من الأنبياء والأوصياء إلى السماء الذي خلق من طينة خلقت منها أرواح المؤمنين، وببدنه الذي قيل: في هذه الرواية أنه أنتن وتدوّد: بدنه العنصري الذي هو كالغلاف لذلك ولا مبالاة للخواص، فلا تنافي بين الروايتين.

﴿وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام قال: أُولو القوة في العبادة والبصر فيها[٥].

---

١ ـ الشمراخ ـ بالكسر ـ والشمروخ ـ بضم ـ: العثكال، وهو ما يكون فيه الرطب، والجمع شماريخ. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٤٣٦، مادة «شمخ».
٢ ـ وفي نسخة: [من يمينه].
٣ ـ هكذا في الأصل، وفي المصدر: «فراش الذهب».
٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٢.
٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٤٢، س ٨. وفيه «والصبر فيها».

إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَـٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾

﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ﴾: جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لا شوب فيها.

﴿ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾: أي تذكرهم للآخرة دائماً، فإن خلوصهم في الطاعة بسببها، وذلك لأنّه كان مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون جوار الله والفوز بلقائه، واطلاق الدار للإشعار بأنها الدار الحقيقية، والدنيا معبر.

﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ * وَٱذْكُرْ إِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ﴾: قيل: هو ابن أخطوب استخلفه إلياس على بني اسرائيل، ثم استنبئ[١].

﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾: هو يوشع بن نون كما مر في سورة الأنبياء[٢].

﴿وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ * هَـٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾: مرجع.

﴿جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ * مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾: قيل: الإقتصار على الفاكهة للإشعار بأن مطاعمهم لمحض التلذذ، فإنّ التغذي للتحلل ولا تحلل ثمة[٣].

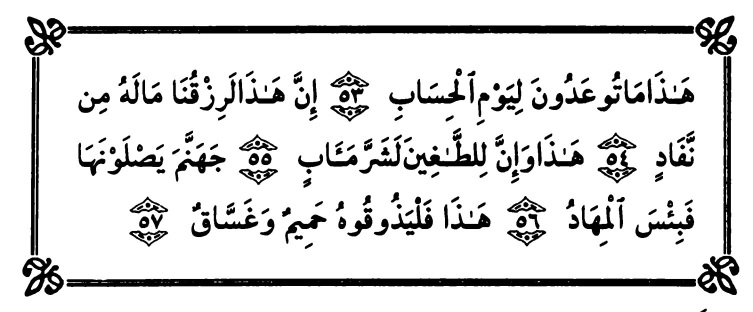
﴿وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾: لا ينظرن إلى غير أزواجهن.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٣١٢، س١٧.

٢ ـ ذيل الآية: ٨٥، أنظر ج ٥، ص ٩٦ من كتابنا تفسير الصافي.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٣١٣، س٤.



﴿أَتْرَابٌ﴾: لدّات[1] بعضهم لبعض لا عجوز فيهن ولا صبيّة.

﴿هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾: لأجله، وقرئ بالياء.

﴿إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾: انقطاع.

﴿هَـٰذَا﴾: الأمر هذا.

﴿وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: القمّي: وهم الأول، والثاني، وبنو أُمية[2].

﴿هَـٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾: وقرئ بالتخفيف هو ما يغسق أي يسيل من صديد النار.

والقمّي: قال: الغساق: واد في جهنم فيه ثلاثمائة وثلاثون قصراً، في كل قصر ثلاثمائة بيت، في كل بيت أربعون زاوية، في كل زاوية شجاع[3]، في كل شجاع ثلاثمائة وثلاثون عقرباً، في حمة كل عقرب ثلاثمائة وثلاثون قلّة[4] من سم لو أن عقرباً منها نضحت سمها على أهل جهنم لوسعهم سمها[5].

---

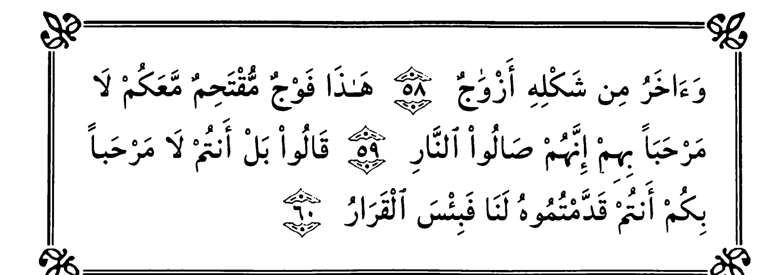
١ ـ اللدة مَنْ ولد معك، والجمع لدّات، ويأتي تمام تفسير الأتراب في سورة الواقعة. منه ﷺ.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٤٢، س ١٨.

٣ ـ الشجاع ـ بالكسر والضم ـ: الحيّة العظيمة التي تواثب الفارس والرجل، وتقوم على ذنبها، وربّما قلعت رأس الفارس، تكون في الصحاري. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣٥١، مادة «شجع».

٤ ـ القلّة ـ بضم القاف وتشديد اللام ـ: إناء للعرب كالجرّة الكبيرة تسع قربتين أو أكثر. قال في المُغرب: القلّة حبّ عظيم وهي معروفة بالحجاز والشام. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٤٥٤، مادة «قلل».

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٤٢، س ١٤.



وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَـٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُواْ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾

﴿وَءَاخَرُ﴾: وقرئ وأُخر على الجمع.

﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾: قيل: من مثل المذوق أو العذاب في الشدة أو مثل الذائق[1].

﴿أَزْوَٰجٌ﴾: أصناف. والقمّي: وهم بنو العباس[2].

﴿هَـٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾: حكاية ما يقال لرؤساء الطاغين، اذا دخلوا النـار، ودخل معهم فوج تبعهم في الضلال، والاقتحام: ركوب الشدة، والدخول فيها.

في المجمع[3]، والقمّي: عن النبي ﷺ: أن النار تضيق عليهم كضيق الزج بالرمح[4][5].

﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾: دعاء من المتبوعين على اتباعهم.

﴿إِنَّهُمْ صَالُواْ ٱلنَّارِ﴾: القمّي: فيقول بنو أُمية: «لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ»[6].

﴿قَالُواْ﴾: أي الأتباع للرؤساء.

﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾: بل أنتم أحق بما قلتم لضلالكم وإضلالكم.

﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾: القمّي: فيقول بنو فلان «بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا»، بدأتم بظلم آل محمد صلوات الله عليهم[7].

﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾: فبئس المقر جهنّم.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣١٣.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٤٢ س ٢٠. وفيه: «وهم بنو السباع».

٣ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٤٨٣، س ١٧.

٤ ـ الزج ـ بالضم ـ: الحديدة التي في أسفل الرمح. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣٠٤، مادة «زجج».

٥ ـ لم نعثر عليه، والظاهر أنّه سهو منه ﵀ أو من النسّاخ.

٦ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٤٢، س ٢٠. وفيه: «ويقولون بنو أُميّة».

٧ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٤٣، س ١. وفيه: «فيقولون بنو فلان».

قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـٰذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَـٰهُمْ سِخْرِيّاً أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾

﴿قَالُواْ﴾: القمّي: ثم يقول: بنو أُميّة[١].

﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـٰذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي ٱلنَّارِ﴾: وذلك أن يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين من العذاب، قال[٢]: يعنون الأول والثاني[٣].

﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾: القمّي: ثم يقول: أعداء آل محمد صلوات الله عليهم في النار، «مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ» في الدنيا، وهم شيعة أمير المؤمنين عليه السلام[٤].

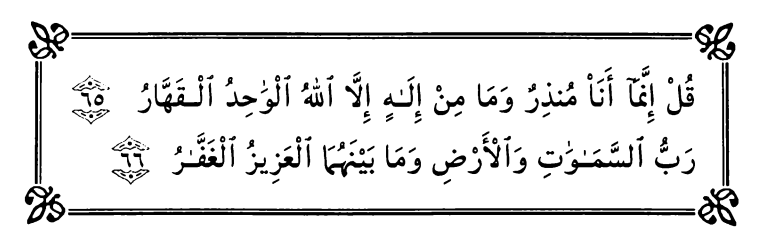
﴿أَتَّخَذْنَـٰهُمْ سِخْرِيّاً﴾: هزواً، صفة أُخرى لـ «رِجَالاً»، وقرئ بالضم، وبهمزة الإستفهام على أنّه إنكار لأنفسهم وتأنيب لها في الإستسخار منهم.

﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾: مالت فلا نراهم و«أم» معادلة لـ «مَا لَنَا لَا نَرَىٰ» على أن المراد نفي رؤيتهم لغيبتهم كأنهم قالوا ليسوا هاهنا أم زاغت عنهم أبصارنا.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾: فيما بينهم القمّي: وذلك قول الصادق عليه السلام: إنكم لفي الجنة تحبرون[٥]، وفي النار تطلبون[٦]. وزاد في البصائر فلا توجدون[٧].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٤٣، س ٢.
٢ ـ أي القمّي.
٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٤٣، س ٣.
٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٤٣، س ٣.
٥ ـ الحبرة في اللغة: النعمة التامّة، وقوله تعالى «أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ» معناه تكرمون إكراماً يبالغ فيه. والحَبَرة: المبالغة فيما وصف بجميل. لسان العرب: ج ٣، ص ١٦، مادة «حبر».
٦ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٤٣، س ٦.
٧ ـ بصائر الدرجات: ص ٢٩٠، س ١٧، ح ٤، الجزء السادس، باب ٣ ـ في ان الائمة عليهم السلام يحيون الموتى ويبرؤون الأكمه والأبرص بإذن الله.



وفي الكافي: عنه عليه السلام قال: لقد ذكركم الله إذ حكى عن عدوّكم في النار بقوله: «وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا» الآية قال: والله ما عنى الله ولا أراد بهذا غيركم، صرتم عند أهل هذا العالم من أشرار الناس، وأنتم والله في الجنة تحبرون، وفي النار تطلبون[1].

وفي رواية أما والله لا يدخل النار منكم اثنان، ولا والله ولا واحد والله أنكم الذين قال الله تعالى: «وَقَالُواْ مَا لَنَا» الآية ثم قال: طلبوكم والله في النار فما وجدوا منكم أحداً[2].

وفي آخرى إذا استقر أهل النار في النار يتفقدونكم فلا يرون منكم أحداً فيقول بعضهم لبعض: «مَا لَنَا» الآية قال: وذلك قول الله تعالى «إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ» يتخاصمون فيكم كما كانوا يقولون في الدنيا[3].

وفي المجمع[4]، والجوامع، ما يقرب منه[5].

﴿قُلْ﴾: يا محمّد صلى الله عليه وآله للمشركين.

﴿إِنَّمَآ أَنَاْ مُنذِرٌ﴾: أُنذركم عذاب الله.

﴿وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ﴾: الذي لا شريك له ولا يتبعض.

﴿ٱلْقَهَّارُ﴾: لكل شيء.

﴿رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: منه خلقها وإليه أمرها.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: الذي لا يغلب إذا عاقب.

﴿ٱلْغَفَّـٰرُ﴾: الذي يغفر ما يشاء من الذنوب لمن يشاء، وفي هذه الأوصاف تقرير للتوحيد، ووعد ووعيد للموحيدين والمشركين، وتكرير ما يشعر بالوعيد وتقديمه، لأنّ المدّعى هو الإنذار.

---

١ و ٢ و ٣ ـ الكافي: ج٨، ص٣٦ و ١٤١ و ٧٨، ذيل ح ٦ و ١٠٤ و ٣٢.

٤ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٤٨٤.   ٥ ـ جوامع الجامع: ج ٣، ص ٤٤٣، س ١.

قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَاْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ * أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾: قيل: أي ما أنبأكم به[١].

وقيل: ما بعده من نبأ آدم[٢].

والقمّي: يعني أمير المؤمنين عليه السلام[٣].

وفي البصائر: عن الباقر عليه السلام هو والله أمير المؤمنين عليه السلام[٤].

وعن الصادق عليه السلام النبأ: الإمامة[٥].

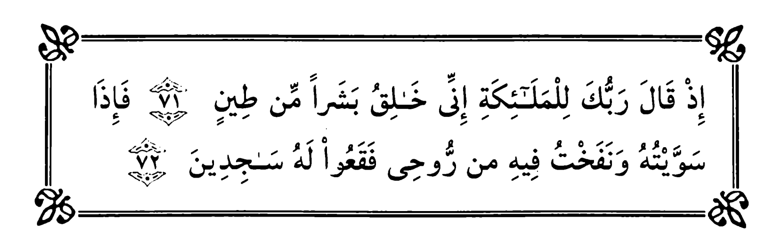
﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾: إذ الإطلاع على كلام الملائكة وتقاولهم لا يحصل إلّا بالوحي.

﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَاْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: أي: إلّا لأنما، وقرئ إنما بالكسر على الحكاية.

القمّي: عن الباقر عليه السلام في حديث المعراج، وقد مرّ صدره في أول سورة بني اسرائيل[٦] قال: فلما انتهى به إلى سدرة المنتهى تخلف عنه جبرئيل عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل في هذا الموضع تخذلني؟ فقال: تقدم أمامك فوالله لقد بلغت مبلغاً لم يبلغه أحد من خلق الله قبلك فرأيت من نور ربي، وحال بيني وبينه السبحة، سئل الإمام عليه السلام وما السبحة؟ فأومى بوجهه إلى الأرض وبيده إلى السماء وهو يقول: جلال ربي ثلاث مرّات، ثمّ قال: يا محمد قلت

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢ ص ٣١٤، س ١٤.
٢ ـ أنوار التنزيل: ج ٢ ص ٣١٤، س ١٤.
٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٤٣، س ٨.
٤ ـ بصائر الدرجات: ص ٩٦ ـ ٩٧، ح ٣، الجزء الثاني، باب النوادر من الأبواب في الولاية.
٥ ـ بصائر الدرجات: ص ٢٢٧، ح ١، الجزء الرابع، باب نادر من الباب.
٦ ـ ذيل الآية: ١، راجع ج ٤، ص ٣٧٤ ـ ٣٨٦ من كتابنا تفسير الصافي.



لبيك يا رب، قال: فيم اختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت سبحانك لا علم لي إلّا ما علّمتني، قال فوضع يده أي يد القدرة بين كتفي فوجت برد‌ها بين ثديي، قال: فلم يسألني عمّا مضى ولا عمّا بقي إلّا علمته، فقال: يا محمد فيم اختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: في الكفارات والدرجات والحسنات، فقال لي: يا محمد قد انقطع أكلك وانقضت نبوتك فمن وصيّك؟ فقلت: يا رب إنّي قد بلوت[1] خلقك فلم أر أحداً من خلقك أطوع لي من علي، فقال: ولي يا محمد، فقلت يا ربّ إني قد بلوت خلقك فلم أر في خلقك أحداً أشد حباً لي من علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: ولي يا محمد، فبشره بأنه راية الهدى، وإمام أوليائي، ونور لمن أطاعني، والكلمة الباقية التي ألزمتها المتقين من أحبّه فقد أحبني، ومن أبغضه فقد أبغضني مع ما أني أخصّه بما لم أخص به أحداً، فقلت: يا رب أخي، وصاحبي، ووزيري، ووارثي، فقال: إنّه أمر قد سبق، إنّه مبتلى ومبتلى به مع ما أني قد نحلته، ونحلته، ونحلته، ونحلته، أربعة أشياء عقدها بيده ولا يفصح بها عقدها[2].

وفي المجمع: عن النبي صلى الله عليه وآله قال: قال ربي: أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: لا، قال: اختصموا في الكفارات، والدرجات، فأما الكفارات: فإسباغ الوضوء في السبرات[3]، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، وأما الدرجات: فافشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام[4]. وفي الخصال: بنحو آخر قريب منه[5].

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقُۢ بَشَراً مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾: عدّلت

---

١ ـ بلاه يبلوه: إذا اختبره وامتحنه. مجمع البحرين: ج ١، ص ٦٠، مادة «بلا».

٢ ـ تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

٣ ـ السبرات: جمع سبرة ـ بسكون الباء ـ وهي شدّة البرد. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٣٢٢، مادة «سبر».

٤ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٤٨٥، س ٤.

٥ ـ الخصال: ص ٨٥، ذيل ح ١٢، باب ٣ ـ ثلاث درجات، وثلاث كفارات، وثلاث موبقات، وثلاث منجيات.

فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾

خلقته.

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾: وأحييته بنفخ الروح فيه، وإضافته إلى نفسه لشرفه وطهارته.

﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ﴾: فخرّوا له.

﴿سَٰجِدِينَ﴾: تكرمة وتبجيلاً له، وقد مرّ الكلام فيه في سورة البقرة[1].

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ﴾: تعظّم.

﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: في علم الله.

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾: في العيون[2]، والتوحيد عن الرضا عليه السلام قال: يعني بقدرتي وقوتي[3].

والقمّي: عن الصادق عليه السلام لو أن الله تعالى خلق الخلق كلهم بيده لم يحتج في خلق آدم أنه خلقه بيده فيقول: «مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ» أفترى الله يبعث الأشياء بيده[4].

﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾: تكبرت من غير استحقاق، أو كنت ممّن علا وإستحق التفوق.

﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾: مرّ بيانه في سورة

---

١ ـ ذيل الآية: ٣٤، أنظر ج ١، ص ١٦٨ ـ ١٧٠ من كتابنا تفسير الصافي.

٢ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٢٠، ح ١٣، باب ١١ ـ ماجاء عن الرضا علي بن موسى عليه السلام من الأخبار في التوحيد.

٣ ـ التوحيد: ص ١٥٣، ح ١، باب ١٣ ـ تفسير قول الله عزّ وجلّ يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٤٤، س ١٥.

قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾

الأعراف[١].

﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾: مر بيانه في سورة الحجر[٢].

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾: فبسلطانك وقهرك.

﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾: الذين أخلصهم الله، أو أخلصوا قلوبهم لله، على إختلاف القرائين.

﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾: أقول: أي فأُحق الحق وأقوله.

والقمّي: فقال الله: الحق[٣] أي إنّك تفعل ذلك، والحقّ أقوله. وقرئ برفع الأول على الإبتداء أي الحق يميني أو الخبر أي أنا الحق.

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ * قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ

---

١ ـ ذيل الآية: ١٢، أُنظر ج ٣، ص ١٤٨ ـ ١٤٩ من كتابنا تفسير الصافي.

٢ ـ ذيل الآية: ٣٨، أُنظر ج ٤، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠، من كتابنا تفسير الصافي.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٤٥، س ٨.

أَجْرٍ﴾: على التبليغ.

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾: المتصنعين، في الكافي: عن الباقر عليه السلام قال: لأعداء الله، أولياء الشيطان، أهل التكذيب والإنكار «قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ» يقول متكلّفاً أن أسألكم مالستم بأهله فقال المنافقون عند ذلك بعضهم لبعض: أما يكفي محمد صلى الله عليه وآله أن يكون قهرنا عشرين سنة حتى يريد أن يحمل أهل بيته على رقابنا؟ فقالوا: ما أنزل الله هذا وما هو إلّا شيء يتقوّله، يريد يرفع أهل بيته على رقابنا، ولئن قتل محمد صلى الله عليه وآله أو مات لننزعنّها من أهل بيته، ثم لا نعيدها فيهم أبداً[١].

وفي التوحيد: عن الرضا عليه السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّ المسلمين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: لو أكرهت يا رسول الله من قدرت عليه من الناس على الإسلام لكثر عددنا وقوينا على عدونا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما كنت لألقى الله تعالى ببدعة لم يحدث إليّ فيها شيئاً، وما أنا من المتكلّفين[٢].

وفي الجوامع: عن النبي صلى الله عليه وآله قال: للمتكلف ثلاث علامات: ينازع من فوقه، ويتعاطى ما لا ينال، ويقول ما لا يعلم[٣].

وفي الخصال: عن الصادق عليه السلام عن لقمان مثله[٤].

وعنه عليه السلام: ومن العلماء من يضع نفسه للفتاوي ويقول: سلوني، ولعلّه لا يصيب حرفاً واحداً، والله لا يحبّ المتكلفين، فذاك في الدرك السادس من النار[٥].

وفي مصباح الشريعة: عنه عليه السلام قال: المتكلف: مخطئ وإن أصاب، والمتكلف: لا يستجلب في عاقبة أمره إلّا الهوان، وفي الوقت إلّا التعب والعناء والشقاء والمتكلّف ظاهره رياء وباطنه نفاق، وهما جناحان بهما يطير المتكلّف وليس في الجملة من أخلاق الصالحين ولا من، شعار المتقين، المتكلّف في أي باب كان، قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله: «قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ

---

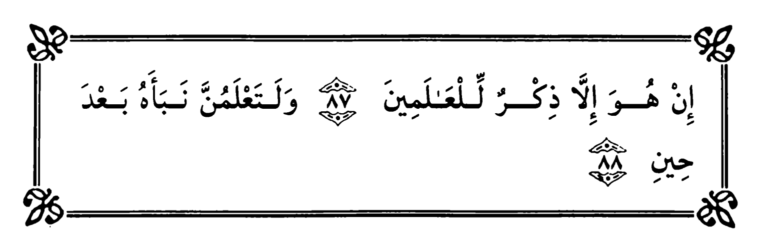
١ ـ الكافي: ج٨، ص٣٧٩، ح٥٧٤.

٢ ـ التوحيد: ص٣٤١ ـ ٣٤٢، ح١١، باب ٥٥ ـ المشيئة والإرادة.

٣ ـ جوامع الجامع: ج ٣، ص ٤٤٥، س ١٢.

٤ ـ الخصال: ص١٢١، ح١١٣، باب ٣ ـ العلامات الثلاث.

٥ ـ الخصال: ص٣٥٢ ـ ٣٥٣، ذيل ح٣٣، باب ٧ ـ سبعة من العلماء في النار.



مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ»(١).

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عظة.

﴿لِّلْعَٰلَمِينَ * وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ﴾: من الوعد والوعيد.

﴿بَعْدَ حِينٍ﴾: في الكافي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: عند خروج القائم عليه السلام(٢).

وفي ثواب الأعمال(٣)، والمجمع: عن العياشي: عن الباقر عليه السلام، قال: من قرأ سورة «صٓ» في ليلة الجمعة أُعطي من خير الدنيا والآخرة ما لم يعط أحداً من الناس، إلّا نبي مرسل، أو ملك مقرب، وأدخله الله الجنّة، وكل من أحب من أهل بيته حتّى خادمه الذي يخدمه، وإن كان لم يكن في حد عياله ولا في حد من يشفع فيه(٤).

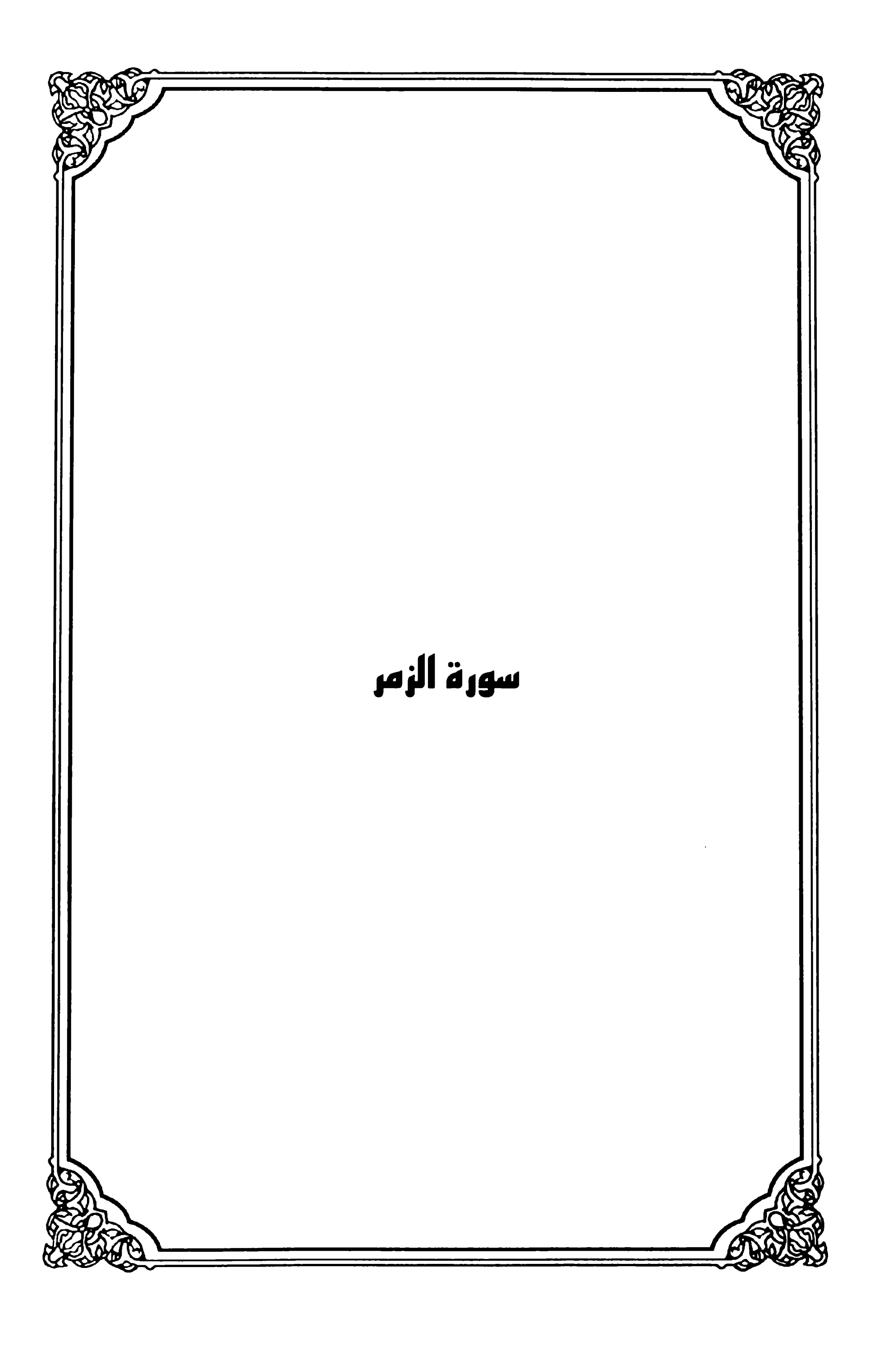
* * *

١ـ مصباح الشريعة: ص ١٤٠، ح ١، باب ٦٦ ـ في المتكلّف.

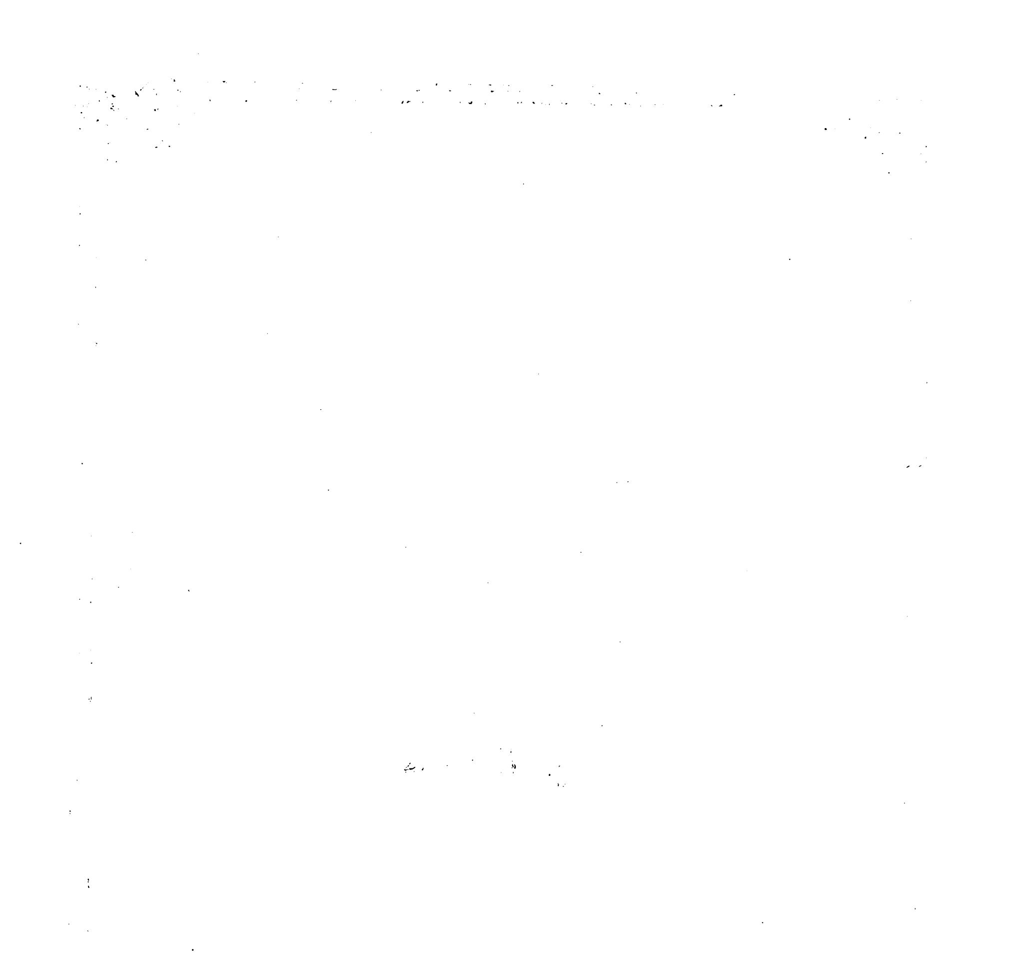
٢ـ الكافي: ج٨، ص٢٨٧، ح٤٣٢.

٣ـ ثواب الأعمال: ص ١١٢، ح ١، باب ثواب قراءة سورة «صٓ».

٤ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٤٦٣، في فضلها.



سورة الزمر



بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمْ

تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللهَ مُخْلِصاً لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾

سورة الزمر: وتسمّى أيضاً سورة الغرف، وهي مكيّة كلّها، وقيل: سوى ثلاث آيات نزلن بالمدينة في وحشي قاتل حمزة «قُلْ يَـٰعِبَادِىَ» إلى آخرهن[1]، وقيل: غير آية «قُلْ يَـٰعِبَادِىَ»، عدد آيها خمس وسبعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

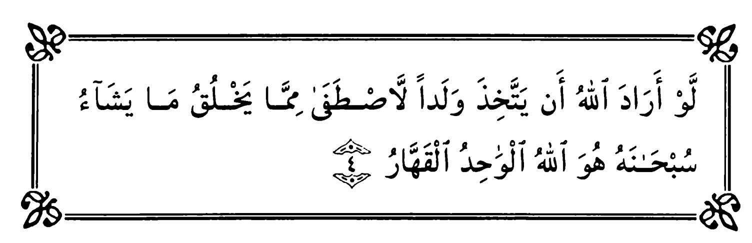
﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ * إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللهَ مُخْلِصاً لَّهُ ٱلدِّينَ﴾: من الشرك والرياء.

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾: لأنّه المتفرّد بصفات الأُلوهيّة، والإطلاع على الأسرار والضمائر.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللهِ زُلْفَىٰٓ﴾: بإضمار القول.

---

١ ـ الزمر: ٥٣ ـ ٥٦.



﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: من أُمور الدين فيعاقب كُلّاً بقدر استحقاقه، وقيل: بإدخال المحقّ الجنّة، والمبطل النار، والضمير للكفرة، ومقابليهم أولهم ولمعبودهم فإنّهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم [١].

وفي الإحتجاج: عن النبي صلّى الله عليه وآله في حديث ثمّ أقبل صلّى الله عليه وآله على مشركي العرب فقال: وأنتم فلم عبدتم الأصنام من دون الله؟ فقالوا: نتقرب بذلك إلى الله تعالى، فقال لهم: أوهي سامعة مطيعة لربّها عابدة له حتى تتقرّبوا بتعظيمها إلى الله؟ قالوا: لا، قال: فأنتم الذين نحتّموها بأيديكم؟ قالوا: نعم: قال عليه السلام: فلأن تعبدكم هي لو كان يجوز منها العبادة أحرى من أن تعبدوها إذا لم يكن أمركم بتعظيمها من هو العارف بمصالحكم وعواقبكم والحكيم فيما يكلفكم [٢].

وفي قرب الإسناد: عن الصادق، عن أبيه عليهما السلام، إن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: إن الله تبارك وتعالى يأتي يوم القيامة بكل شيء يعبد من دونه من شمس أو قمر أو غير ذلك، ثم يسأل كل إنسان عمّا كان يعبد فيقول: مَن عبد غيره ربنّا إنّا كنّا نعبدها لتقرّبنا إليك زلفى، قال: فيقول الله تبارك وتعالى للملائكة: إذهبوا بهم، وبما كانوا يعبدون إلى النار، وما خلا من استثنيت فإنّ أولئك عنها مبعدون [٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾: لا يوفق للإهتداء إلى الحق [٤].

﴿مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾: فإنّهما فاقدا البصيرة.

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً﴾: كما زعموا، ونسبوا إليه الملائكة، والمسيح، وعزيراً.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٣١٦ ـ ٣١٧.

٢ ـ الإحتجاج: ج١، ص٢٢، س٤، احتجاجات النبي من الجدال والمحاجة والمناظرة.

٣ ـ قرب الإسناد: ص٨٥، ح٢٧٩، باب أحاديث متفرّقة.

٤ ـ هكذا في الأصل، وهو مقتبس من أنوار التنزيل، ج ٢، ص ٣١٧، س ١، وهو غير صحيح بتفسيره لهذا المقطع من الآية، فلو تمها لما وقع بهذا المحذور.

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾

﴿لَّٱصْطَفَىٰ﴾: لاختار.

﴿مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾: قيل: أي ما كان يتخذ الولد باختيارهم حتى يضيفوا إليه من شاؤوا بل كان يختص من خلقه من يشاء لذلك، نظيره «لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ»[1][2].

﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: عن الشريك والصاحبة والولد.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾: ليس له في الأشياء شبيه، ولا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم، كذا في التوحيد عن أمير المؤمنين عليه السلام في معنى واحديّته تعالى[3].

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾: يغشي كل واحد منهما الآخر كأنه يلفّ عليه لفّ اللباس باللابس، أو يغيّبه به كما يغيّب الملفوف باللّفافة، أو يجعله كاراً عليه كروراً متتابعاً تتابع أكوار العمامة.

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالب على كل شيء.

﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾: حيث لم يعاجل بالعقوبة.

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: قد سبق تفسيره في سورة

---

١ ـ الأنبياء: ١٧.
٢ ـ قاله الطبرسي في تفسيره مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٤٨٨، س٢٧.
٣ ـ التوحيد: ص٨٣ ـ ٨٤، ذيل ح٣، باب ٣ ـ معنى الواحد، والتوحيد، والموحد.

النساء[١].

﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾: أهلي، ووحشي من البقر، والضأن، والمعز، وبخاتي، وعراب من الإبل، كما مرّ بيانه في سورة الأنعام[٢].

في الإحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الآية قال: إنزاله ذلك خلقه إيّاه[٣].

﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقاً مِّن بَعْدِ خَلْقٍ﴾: حيواناً سويّاً من بعد العظام، مكسوة لحماً من بعد عظام عارية من بعد مضغة من بعد علقة من بعد نطفة.

في نهج البلاغة: أم هذا الذي أنشأه في ظلمات الأرحام وشغف[٤] الأستار، نطفة دهاقاً[٥]، وعلقة محاقاً[٦]، وجنينا وراضعاً، ووليداً ويافعاً[٧][٨].

﴿فِى ظُلُمَـٰتٍ ثَلَـٰثٍ﴾: في المجمع: عن الباقر عليه السلام[٩]، والقمّي: قال: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة[١٠].

وفي التوحيد[١١]: عن الصادق عليه السلام مثله، وزاد حيث لا حيلة له في طلب غذاء، ولا دفع أذى، ولا استجلاب منفعة، ولا دفع مضرّة، فإنّه يجري إليه من دم الحيض ما يغذوه كما يغذو الماء النبات، فلا يزال ذلك غذاؤه حتى إذا كمل خلقه واستحكم بدنه، وقوى أديمه[١٢] على مباشرة الهواء، وبصره على ملاقاة الضياء: هاج الطلق بأمّه فأزعجه أشد إزعاج، فأعنفه حتى يولد[١٣].

---

١ ـ ذيل الآية: ١، أُنظر ج ٢، ص ١٧٥ ـ ١٨٢ من كتابنا تفسير الصافي.

٢ ـ ذيل الآية: ١٤٣، أُنظر ج ٣، ص ١١٢ ـ ١١٣ من كتابنا تفسير الصافي.

٣ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٢، س ٧، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام علىٰ زنديق في آي متشابهة.

٤ ـ شغف: جمع شغاف وهو غلاف القلب، والمراد الأستار المتراكمة على بعض، دهاقاً: أي كثيرة. محاقاً: أي ناقصة منه رحمه الله. ٥ ـ دهاقاً: متتابعاً، دهقها: صبحها بقوة. وقد تفسر الدهاق بالممتلئة، أي ممتلئة من جراثيم الحياة.

٦ ـ علقة محاقاً: أي خفي فيها، ومحق كل شكل وصورة.

٧ ـ اليافع: الغلام، راهق العشرين.

٨ ـ نهج البلاغة: ص ١١٢، في صفة خلق الانسان، الخطبة ٨٣.

٩ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٤١٦، س ٤. ١٠ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٤٦، س ٨.

١١ ـ أي كتاب التوحيد للمفضل بن عمر. ١٢ ـ الأديم: الجلد المدبوغ. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٦، مادة «أدم».

١٣ ـ بحار الأنوار: ج ٣، ص ٦٢، قطعة من حديث ١، باب ٤ ـ الخبر المشتهر بتوحيد المفضّل بن عمر.

إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوۤاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾: الذي هذه أفعاله هو المستحق لعبادتكم والمالك.

﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: إذ لا يشاركه في الخلق غيره.

﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾: يعدل بكم عن عبادته إلى الإشراك.

﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ﴾: عن إيمانكم.

﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾: لإستضرارهم به رحمة عليهم.

﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾: لأنّه سبب فلاحكم، وقرئ بإسكان الهاء وبإشباع ضمتها. القمّي: فهذا كفر النعم[1].

وفي المحاسن مرفوعاً قال: الكفر هاهنا: الخلاف، والشكر: الولاية والمعرفة[2].

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: بالمحاسبة والمجازاة.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: فلا يخفى عليه خافية من أعمالكم.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ﴾: لزوال ما ينازع العقل في الدلالة على أن مبدأ الكل منه سبحانه.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٢٤٦، س ١٠.

٢ ـ المحاسن: ج ١، ص٢٤٦ ـ ٢٤٧، ذيل ح ٢٦٠ / ٦٥، باب ١٩ ـ المعرفة.

أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَـاجِداً وَقَآئِمـاً يَحْـذَرُ ٱلْأَخِـرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٩﴾

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ﴾: أعطاه تفضّلاً فإن التخويل مختص بالتفضل[١].

﴿نِعْمَةً مِّنْهُ﴾: من الله.

﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ﴾: أي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه.

﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبل النعمة.

﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً﴾: شركاء.

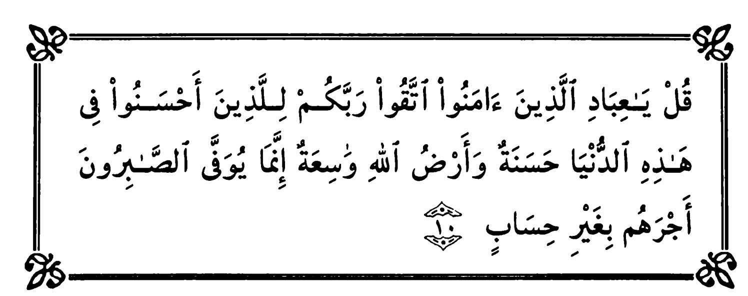
﴿لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ﴾: وقرئ بفتح الياء.

﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ﴾: أمر تهديد فيه إشعار بأن الكفر نوع تشهي لامستند له، واقناط للكافرين من التمتع في الآخرة. القمّي: نزلت في أبي فلان[٢].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام إنه سئل عن هذه الآية فقال: نزلت في أبي الفصيل[٣] إنّه كان رسول الله صلى الله عليه وآله عنده ساحراً، فكان إذا مسه الضر يعني: السقم دعا ربّه منيباً إليه، يعني نائباً إليه من قوله في رسول الله صلى الله عليه وآله ما يقول: «ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ» يعني العافية نسي ما كان يدعو إليه من قبل، يعني نسى التوبة إلى الله تعالى ممّا كان يقول في رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّه ساحر، ولذلك قال الله عزّ وجلّ: «قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ» يعني إمرتك على الناس بغير حق من الله عزّ وجلّ ومن رسوله صلى الله عليه وآله، قال: ثم عطف القول من الله عزّ وجلّ في علي عليه السلام يخبر بحاله وفضله عند الله تبارك وتعالى فقال[٤]:

﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِداً وَقَآئِماً يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ

١ـ لم نجد وجهاً لتخصيص التخويل بالتفضّل.
٢ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٢٤٦، س١٢.
٣ـ كنّي بأبي الفصيل عن أبي بكر، فإنّ الفصيل بكسر المهملة: ولد الناقة كالبكر. منه رحمه الله.
٤ـ الكافي: ج٨، ص٢٠٤ ـ ٢٠٥، ح٢٤٦.



قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾: أنّ محمداً رسول الله ﷺ.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أنّ محمداً رسول اللهأوأنّه ساحر كذّاب.

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾: ثم قال: هذا تأويله[١].

وفيه[٢]، وفي العلل: عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى «ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِداً وَقَآئِماً» قال: يعني صلاة الليل[٣].

وفي الكافي: عنه عليه السلام إنّما نحن الذين يعلمون، وعدونا الذين لا يعلمون، وشيعتنا أولو الألباب[٤].

وعن الصادق عليه السلام: لقد ذكرنا الله وشيعتنا وعدونا في آية واحدة من كتابه فقال: «قُلْ هَلْ يَسْتَوِى» الآية ثم فسرها بما ذكر[٥].

وعن الحسن المجتبى عليه السلام[٦]، والقمّي: أُولوا الألباب: هم أولوا العقول[٧].

وقرئ «أَمَنْ هُوَ» بتخفيف الميم.

﴿قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾: بلزوم طاعته.

---

١ ـ اعلم إنّ الآية التاسعة «أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ» إلى قوله هذا تأويله تكون جزءاً من الرواية الموجودة في الكافي فبالأحرى على الماتن قدس سره أن يجعل هذه الجملة جزءاً من الحديث كما في الكافي ثم يذكر بعد ذلك الآية الشريفة «أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ» ثم يشرحها كما هو دأبه.

٢ ـ الكافي: ج٣، ص٤٤٤، ح١١، باب صلاة النوافل.

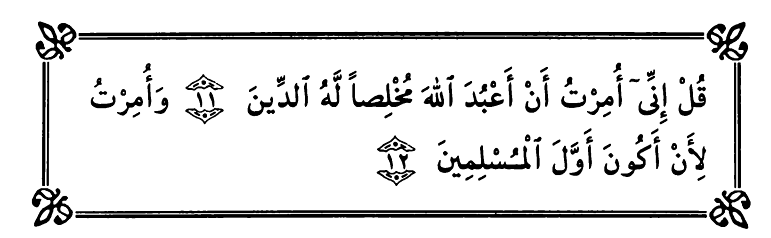
٣ ـ علل الشرائع: ص٣٦٣ ـ ٣٦٤، ح٨، باب ٨٤ ـ علة صلاة الليل.

٤ ـ الكافي: ج١، ص٢١٢، ح١، باب أنّ من وصفه الله تعالى في كتابه بالعلم: هم الأئمة عليهم السلام، ومثله ما ورد عن الصادق عليه السلام في الكافي: ج١، ص٢١٢، ح٢، باب أنّ من وصفه الله تعالى في كتابه بالعلم: هم الأئمة عليهم السلام مع تقديم وتأخير.

٥ ـ الكافي: ج٨، ص٣٥، ح٦، مقامات الشيعة وفضائلهم.

٦ ـ الكافي: ج١، ص١٩ ـ ٢٠، ح١٢، باب العقل والجهل.

٧ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٤٦، س١٥.



﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾: الظرف إمّا متعلق بأحسنوا أو بحسنة، وعلى الأول تشمل الحسنة حسنة الدارين، وعلى الثاني لاينافي نيل حسنة الآخرة أيضاً، والحسنة في الدنيا: كالصحة والعافية.

في الأمالي: عن أمير المؤمنين عليه السلام إن المؤمن يعمل لثلاث من الثواب: إمّا لخير فإن الله يثيبه بعمله في دنياه، ثم تلا هذه الآية، ثم قال: فمن أعطاهم الله في الدنيا لم يحاسبهم به في الآخرة[1].

﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾: فمن تعسر عليه التوفر على الإحسان في وطنه فليهاجر إلى حيث تمكّن منه.

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ﴾: على مشاق الطاعة من إحتمال البلاء ومهاجرة الأوطان لها.

﴿أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: أجراً لا يهتدي إليه حساب الحساب.

العياشي: عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إذا نشرت الدواوين ونصبت الموازين لم ينصب لأهل البلاء ميزان، ولم ينشر لهم ديوان، ثم تلا هذه الآية[2].

وفي الكافي: عنه عليه السلام إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنّة فيضربونه، فيقال لهم: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر، فيقال لهم: على ما صبرتم؟ فيقولون: كنّا نصبر على طاعة الله، ونصبر عن معاصي الله، فيقول الله عزّ وجلّ: صدقوا ادخلوا الجنّة، وهو قول الله عزّ وجلّ: «إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ»[3].

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ ٱلدِّينَ﴾: موحداً له.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: مقدّمهم في الدنيا والآخرة.

---

١ ـ الأمالي للشيخ الطوسي: ص٢٦، ح٣١ / ٣١، المجلس الأول.

٢ ـ لم نعثر عليه في تفسير العيّاشي، بل وجدناه في مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٤٩٢، س ٨، نقلاً عن العيّاشي.

٣ ـ الكافي: ج ٢، ص٧٥، ح٤، باب الطاعة والتقوى.

قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَـٰعِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾: بترك الإخلاص.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي﴾: امتثالاً لأمره.

﴿فَاعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ﴾: تهديد وخذلان لهم.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾: الكاملين في الخسران.

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام يقول غبنوا[1].

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ * لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: أطباق منها تظلّهم.

﴿وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾: أطباق، قيل: وهي ظلل الآخرين[2].

﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾: ذلك العذاب هو الذي يخوّفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم فيه.

﴿يَـٰعِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾: ولا تتعرّضوا لما يوجب سخطي.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾: البالغ غاية الطغيان.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٤٨، س ١٧.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣١٩، س ١٩.

ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾

﴿أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾: وأقبلوا إليه بشراشرهم عمّا سواه.

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾: بالثواب على ألسنة الرسل،وعلى ألسنة الملائكة عند حضور الموت.

في المجمع: عن الصادق عليه السلام قال: أنتم هم، ومن أطاع جباراً فقد عبده[1].

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾: يميّزون بين الحق والباطل، ويؤثرون الأفضل فالأفضل.

وفي الكافي: عن الكاظم عليه السلام إن الله تعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه، فقال: «فَبَشِّرْ» الآية[2].

وعن الصادق عليه السلام: هو الرجل يسمع الحديث فيحدّث به كما سمعه لا يزيد فيه ولا ينقص منه[3].

وفي رواية: هم المسلّمون لآل محمد صلى الله عليه وآله الذين إذا سمعوا الحديث لم يزيدوا فيه ولم ينقصوا منه جاؤوا به كما سمعوه[4].

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾: لدينه.

﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾: العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾: إنكار وإستبعاد لإنقاذه من حق عليه الكلمة من النار بالسعي في دعائه إلى الإيمان ودلالة على ان من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لإمتناع الخلف فيه.

١ـ مجمع البيان: ج٧ـ٨، ص٤٩٣، س٢٢.
٢ـ الكافي: ج١، ص١٣، ح١٢، كتاب العقل والجهل.
٣ـ الكافي: ج١، ص٥١، ح١، باب رواية الكتب والحديث وفضل الكتابة والتمسك بالكتب.
٤ـ الكافي: ج١، ص٣٩٠ـ٣٩١، ح٨، باب التسليم وفضل المسلمين.

لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَـٰماً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢١﴾

﴿لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾: علالي بعضها فوق بعض.

﴿مَّبْنِيَّةٌ﴾: بنيت بناء المنازل على الأرض.

﴿تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾: في الكافي[1]، والقمّي: عن الباقر عليه السلام سأل علي رسول الله صلوات الله عليهما عن تفسير هذه الآية بماذا بنيت هذه الغرف يا رسول الله؟ فقال: يا علي عليه السلام تلك غرف بناها الله لأوليائه بـالدّر واليـاقوت والزبرجد، سقوفها الذهب محبوكة بالفضة، لكل غرفة منها ألف باب من ذهب، وعلى كل باب منهاملك موكّل به، وفيهافرش مرفوعة بعضها فوق بعض، من الحرير والديباج بألوان مختلفة، وحشوها المسك والعنبر والكافور، وذلك قول الله تعالى: «وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ»[2] الحديث[3].

وقد سبق بعضه في سورة فاطر[4]، وبعضه في سورة الرعد[5].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: عيوناً وركايا[6].

---

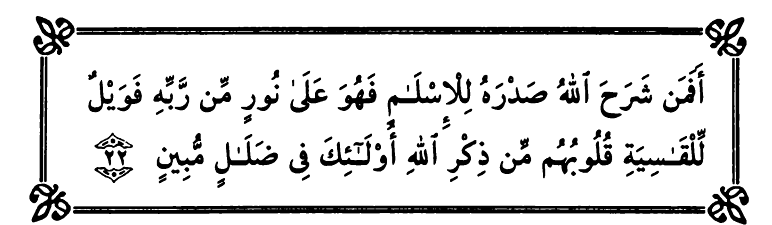
١ ـ الكافي: ج٨، ص٩٧، قطعة من ح٦٩، حديث الجنان والنوق.

٢ ـ الواقعة: ٣٤. ٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٤٦، س٢٠.

٤ ـ ذيل الآية: ٣٥، أنظر ص ١٣٢ ـ ١٣٣ من هذا الجزء.

٥ ـ ذيل الآية: ٢٣، أنظر ج ٤، ص ٢٠٣ من كتابنا تفسير الصافي.

٦ ـ الركيّة ـ بالفتح وتشديد الياء ـ: آخر البئر، والجمع ركايا، كعطيّة وعطايا. مجمع البحرين: ج ١، ص ١٩٥، مادة «ركا».



﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَٰنُهُ ثُمَّ يَهِيجُ﴾: يثور عن منبته بالجفاف.

﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرّاً﴾: من يبسه.

﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَٰماً﴾: فتاتاً.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾: لتذكير آياته لا بد من صانع حكيم دبّره وسوّاه، وبأنه مثل الحياة الدنيا فلا يغترّ بها.

﴿لِأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: إذ لا يتذكّر به غيرهم.

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾: حتى تمكن فيه بيسر.

﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: في روضة الواعظين: عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قرأ هذه الآية فقال: إنّ النور إذا وقع في القلب انفسح له وانشرح، قالوا يا رسول الله: فهل لذلك علامة يعرف بها؟ قال: التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والإستعداد للموت قبل نزوله[1].

والقمّي: قال: نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام[2].

والعامة: نزلت في حمزة، وعلي، وما بعده في أبي لهب، وولده[3].

﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: من أجل ذكره، وهي أشد تأبياً عن قبوله من القاسي عنه بسبب فـ«من» أبلغ هنا من «عن».

والقمّي: عن الصادق عليه السلام القسوة والرقة من القلب، وهو قوله: «فَوَيْلٌ» الآية [4].

---

١ ـ روضة الواعظين: ص٤٤٨، س١٦. ٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٢٤٨، س١٦.

٣ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص٣٢١، س ١؛ وأسباب النزول: ص ٢٦٠.

٤ ـ لم نعثر عليه في تفسير القمّي، بل وجدناه في تفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ٤٨٥، ح ٤١؛ وجاء في البرهان في تفسير القرآن: ج ٤، ص ٧٤، ح ٣، عن علي بن إبراهيم بإسناده عن أبي خالد القمّاط، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: القسوة والرقّة من القلب وهو قوله تعالى: «فَوَيْلٌ» الآية.

اَللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰباً مُّتَشَٰبِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾: يعني القرآن.

﴿كِتَٰباً مُّتَشَٰبِهاً﴾: يشبه بعضه بعضاً في الإعجاز، وتجاوب النظم، وصحّة المعنى، والدلالة على المنافع العامة، كذا قيل[1].

﴿مَّثَانِيَ﴾: يثنى فيه القول أي يتكرّر، كذا ورد في أحد وجوه تسمية فاتحة الكتاب بها، وقد مرّ لها معان أُخر في سورة الحجر[2] وإنّما وصف الواحد بالجمع، لأنّ الكتاب جملة ذات تفاصيل، وإن جعل مثاني تمييزاً لـ«مُّتَشَٰبِهاً» يكون المعنى متشابهة تصاريفه.

قيل: الفائدة في التكرير والتثنية: أن النفوس تنفر عن النصيحة والمواعظ فما لم يتكرر عليها عودا بعد بدء لم يرسخ فيها[3].

أقول: وهو قوله سبحانه: «وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ»[4].

﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾: تنقبض وتشمئز خوفاً ممّا فيه من الوعيد، وهو مثل في شدة الخوف.

وفي المجمع: عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إذا اقشعرّ جلد العبد من خشية الله تتحات عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها[5].

١ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٣٢١، س٤.

٢ـ ذيل الآية: ٨٧، أنظر ج ٤، ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤ من كتابنا تفسير الصافي.

٣ـ قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج٤، ص١٢٣، س٢١.

٤ـ الزمر: ٢٧.

٥ـ مجمع البيان: ج٧ـ٨، ص٤٩٥، س٢٧.

أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَـٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: تطمئن إليه بالرحمة، وعموم المغفرة.

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾: ومن يخذله.

﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾: يخرجه من الضلال.

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ﴾: يجعله درعه يقي به نفسه بأنّه تكون مغلولة يداه إلى عنقه فلا يقدر أن يتّقي إلّا بوجهه.

﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: كمن هو آمن منه، فحذف الخبر كما حذف في نظائره.

﴿وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ﴾: أي لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظل وإشعاراً بالموجب لما يقال لهم.

﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾: أي وباله.

﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَـٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: من الجهة التي كانت لا تخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها.

﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ﴾: الذل.

﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: كالمسخ، والخسف، والقتل، والسبي، والإجلاء.

﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ﴾: المعد لهم.

﴿أَكْبَرُ﴾: بشدته ودوامه.

﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾: لاعتبروا به واجتنبوا عنه.

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَاناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَـٰكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: يحتاج إليه الناظر في أمر دينه.

﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتعظون به.

﴿قُرْءَاناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾: لا اختلال فيه بوجه ما.

﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾: للمشرك والموحد.

﴿رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَـٰكِسُونَ﴾: متنازعون مختلفون.

﴿وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ﴾: خالصاً لواحد ليس لغيره عليه سبيل، وقرئ سالماً.

قيل: مثل المشرك على ما يقتضيه مذهبه من أن يدعي كل واحد من معبوديه عبوديّته، ويتنازعون فيه بعبد يتشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه[١] في مهماتهم المختلفة في تحيّره وتوزع قلبه، والموحّد بمن خلص لواحد ليس لغيره عليه سبيل[٢].

والقمّي: مثل ضربه الله عزّ وجلّ لأمير المؤمنين عليه السلام ولشركائه الذين ظلموه وغصبوه، قوله: «مُتَشَـٰكِسُونَ» أي متباغضون، وقوله: «وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ» أمير المؤمنين سلم لرسول الله صلوات الله عليهما[٣].

---

١ ـ العارة: ما تداولوه بينهم ج عواري مشددة ومخففة، وتعاوروه: تداولوه، وعاره يعوره ويعيره أخذه وذهب به أو أتلفه القاموس المحيط: ج ٢، ص ٩٧، مادة «العور».

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٢١ ـ ٣٢٢.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٤٩، س ١.

وفي المعاني: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ألا وإني مخصوص في القرآن بأسماء إحذروا أن تغلبوا عليها فتضلّوا في دينكم، أنا السلم لرسول الله صلى الله عليه وآله يقول الله عزّ وجلّ: «رَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ»[١].

وفي المجمع: عنه عليه السلام قال: أنا ذلك الرجل السلم لرسول الله صلى الله عليه وآله[٢].

والعياشي: عن الباقر عليه السلام الرجل السلم لرجل حقاً علي وشيعته[٣].

وفي الكافي: عنه عليه السلام أما الذي فيه شركاء متشاكسون: فلان الأول، يجمع المتفرقون ولايته، وهم في ذلك يلعن بعضهم بعضاً، ويبرأ بعضهم عن بعض[٤]، وأما رجل سلم لرجل: فإنّه فلان الأول حقاً وشيعته[٥][٦].

أقول: أراد عليه السلام بفلان الأول: في أول ما قال: أبا بكر، فإنه كان أول الخلفاء باطلاً، وفيما قاله ثانياً: أمير المؤمنين عليه السلام، فإنّه كان أول الخلفاء حقاً، وإنّما قيد الثاني بقوله: حقاً ولم يقيد الأول بقوله: باطلاً لإحتياج الثاني إلى تلك القرينة في فهم المراد منه، بخلاف الأول كما لا يخفى، والوجه في تخالف أصحاب أبي بكر أن أبا بكر لم يكن سلماً لله ولرسوله لا في أمر الإمارة ولا فيما يبتني عليها من الأحكام، وكان أصحابه أصحاب أهواء وآراء، وهي مما يجري فيه الاختلاف، بخلاف أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته فإنهم كانوا سلماً لله ولرسوله صلى الله عليه وآله، وكانوا أصحاب نص من الله ورسوله ولا إختلاف فيه، ولذلك أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام اعتقدوه مفترض الطاعة بخلاف أصحاب أبي بكر.

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: لا يشاركه فيه سواه لأنّه المنعم بالذات.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: فيشركون به غيره بفرط جهلهم.

١ـ معاني الأخبار: ص٥٩، س٦، وص٦٠، س١، ح٩، باب معنى أسماء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام.

٢ـ مجمع البيان: ج٧ـ٨، ص٤٩٧، س١٩.

٣ـ لم نعثر عليه في تفسير العياشي، بل وجدناه في مجمع البيان: ج٧ـ٨، ص٤٩٧، نقلاً عن العياشي.

٤ـ وفي نسخة: [من بعض]، كما في المصدر.

٥ـ أراد عليه السلام أن علياً عليه السلام وشيعته سلم لرسول الله صلى الله عليه وآله، وأبو بكر وأصحابه متشاكسون. منه قدس سره.

٦ـ الكافي: ج٨، ص٢٢٤، ح٢٨٣.

إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾: فإنّ الكل بصدد الموت.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾: القمّي: يعني أمير المؤمنين عليه السلام ومن غصبه حقّه[1].

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾: قال: يعني بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله من الحق، وولاية أمير المؤمنين عليه السلام[2].

﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾: مقام.

﴿لِّلْكَـٰفِرِينَ * وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾: في المجمع: عنهم عليهم السلام[3]، والقمّي: «جَآءَ بِٱلصِّدْقِ»: محمد صلى الله عليه وآله، «وَصَدَّقَ بِهِۦ»: أمير المؤمنين عليه السلام[4].

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ * لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ﴾: فضلاً عن غيره.

﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: فيعدهم محاسن أعمالهم

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٤٩، س ٥.

٢ ـ تفسير القمّي: ج، ص ٢٤٩، س ٧.

٣ ـ تفسير مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٤٦٨، س ٢١.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٤٩، س ٩.

أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾

بأحسنها في زيادة الأجر، وعظمه بفرط إخلاصهم فيها.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾: وقرئ عباده.

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾: قيل: قالت قريش: إنّا نخاف أن تخبلك آلهتنا بعيبك إيّاها[1].

والقمّي: يعني يقولون لك: يا محمد اعفنا من علي عليه السلام، ويخوفونك بأنّهم يلحقون بالكفار[2].

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ * وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾: إذ لا رادّ لفعله.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾: غالب منيع.

﴿ذِى ٱنتِقَامٍ﴾: ينتقم من أعدائه.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾: لوضوح البرهان على تفرده بالخالقيّة.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٣٢٣، س٣.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٤٩، س ١٠.

قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَـٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾

﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَـدْعُونَ مِـن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِـضُرٍّ هَـلْ هُـنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾: أي أرأيتم بعدما تحققتم أن خالق العالم هو الله أن آلهتكم إن أراد الله أن يصيبني ضراً هل يكشفنّه.

﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ﴾: بنفع.

﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾: فيمسكنّها عنّي، وقرئ بتنوين التائين ونصب المفعولين.

﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾: كافياً في إصابة الخير ودفع الضر.

روي أن النبي ﷺ سألهم فسكتوا فنزلت، وفي إيراد الضمائر مؤنثات على ما يصفونها به تنبيه على كمال ضعفها.

﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾: لعلمهم بأنّ الكل منه.

﴿قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: على حالكم، وقرئ مكاناتكم.

﴿إِنِّى عَـٰمِلٌ﴾: أي على مكانتي.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾: من المغلوب في الدارين، فإنّ خزي أعدائه: دليل غلبته، وقد أجزاهم الله يوم بدر.

﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائم وهو عذاب النار.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ لِلنَّاسِ﴾: لمصالحهم في معاشهم ومعادهم.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متلبساً به.

﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ﴾: نفع به نفسه.

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾: فإنّ وباله لا يتخطاها.

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾: لتجبرهم على الهدى، وإنّما عليك البلاغ.

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾: أي يقبضها عن الأبدان بأن يقطع تعلّقها عنها، وتصرّفها فيها ظاهراً وباطناً، وذلك عند الموت أو ظاهراً لا باطناً وهو في النوم.

﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾: لا يردّها إلى البدن، وقرئ «قضى» على البناء للمفعول ورفع «الموت».

﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾: أي النائمة إلى بدنها عند اليقظة.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: هو الوقت المضروب لموته.

العياشي: عن الباقر عليه السلام قال: ما من أحد ينام إلّا عرجت نفسه إلى السماء وبقيت روحه في بدنه، وصار بينهما سبب كشعاع الشمس فان أذن الله في قبض الأرواح أجابت الروح النفس، وإن أذن الله في رد الروح أجابت النفس الروح، وهو قوله سبحانه: «ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا» الآية فما رأت في ملكوت السماوات فهو مما له تأويل، وما رأت فيما بين السماء والأرض فهو مما يخيّله الشيطان ولا تأويل له[1].

وقد مضى الوجه في التوفيق بين نسبة التوفي تارة إلى الله، وأُخرى إلى ملك الموت، وأُخرى إلى ملائكة أُخر في سورة النساء[2].

---

١ ـ لم نعثر عليه في تفسير العياشي. بل وجدناه في تفسير مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٥٠١، نقلاً عن العياشي.

٢ ـ ذيل الآية: ٩٧، أُنظر ج ٢، ص ٢٩٨ ـ ٣٠٠ من كتابنا تفسير الصافي.

أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعاً لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ﴾: على كمال قدرته، وحكمته، وشمول رحمته.

﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * أَمِ ٱتَّخَذُواْ﴾: بل اتخذ قريش.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾: تشفع لهم عند الله.

﴿قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ﴾: أيشفعون ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم.

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعاً﴾: لا يشفع أحد إلّا بإذنه.

﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: لا يملك أحد أن يتكلّم في أمره دون إذنه ورضاه.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: في القيامة.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ﴾: دون آلهتهم.

﴿ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ﴾: إنقبضت ونفرت.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾: قيل: يعني الأوثان[١].

﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله سبحانه.

القمّي: نزلت في فلان وفلان[٢].

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل ج٢، ص٣٢٤، س١٤.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص ٢٥٠، س٩.

قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَـٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْاْ بِهِ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام إنه سئل عنها فقال: إذا ذكر الله وحده بطاعة من أمر الله بطاعته من آل محمد صلوات الله عليهم اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين لم يأمر الله بطاعتهم «إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ»(١).

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَـٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: فأنت وحدك تقدر أن تحكم بيني وبينهم فإني تحيّرت في كفرهم وعجزت في عنادهم وشدّة شكيمتهم(٢).

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْاْ بِهِ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: وعيد شديد وإقناط كلّي لهم من الخلاص.

﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾: زيادة مبالغة فيه، وهو نظير قوله: تعالى: «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُمْ» في الوعد(٣).

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: وأحاط بهم جزاؤه.

---

١ ـ الكافي: ج٨، ص٣٠٤، ح٤٧١.

٢ ـ فلان شديد الشكيمة: إذا كان لا ينقاد لأحد لما فيه الصلابة والصعوبة على العدو وغيره. مجمع البحرين: ج٦، ص ٩٩، مادة «شكم».

٣ ـ السجدة: ١٧.

فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا﴾: أعطيناه إيّاه تفضلاً.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: على علم مني بوجوه كسبه، أو بأنّي سأعطاه لمالي من استحقاقه كذا قيل(١).

﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾: إمتحان له أيشكر أم يكفر.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: ذلك.

﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: يعني هذه الكلمة كقارون، وقومه فإنّه قاله: ورضي به قومه.

﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾: من متاع الدنيا.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: المشركين بالعتوّ.

﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾: كما أصاب أُولئك، وقد أصابهم بالقحط والقتل.

﴿وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾: فائتين.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٣٢٥، س٥.

قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَاتَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾

لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾: أفرطوا في الجناية عليها بالإسراف في المعاصي.

﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾: والقمّي: قال: نزلت في شيعة على بن أبي طالب عليه السلام خاصة[١].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام لقد ذكركم الله في كتابه إذ يقول: «يَـٰعِبَادِيَ» الآية قال: والله ما أراد بهذا غيركم[٢].

وفي المعاني[٣]، والقمّي: عن الباقر عليه السلام قال: وفي شيعة ولد فاطمة عليها السلام أنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية خاصة[٤].

وفي المحاسن: عن الصادق عليه السلام ما على ملة إبراهيم غيركم، وما يقبل إلّا منكم، ولا يغفر الذنوب إلّا لكم[٥]. وعن أمير المؤمنين عليه السلام إنّه قال: ما في القرآن آية أوسع من: «يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ» الآية[٦].

وفي المجمع: عن النبي صلى الله عليه وآله إنه قال: ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية[٧].

﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٥٠، س١٠. ٢ ـ الكافي: ج٨، ص٣٥، س١٥، ح٦.

٣ ـ معاني الأخبار: ص١٠٧، ح٤، باب معنى ما روي أن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار.

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٥٠، س١٥. والنص للأخير.

٥ ـ المحاسن: ج١، ص٢٤٤، ح٤٥١/ ٥٦، كتاب الصفوة والنور باب ١٦ ـ ما على ملة إبراهيم غيركم.

٦ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٥٠٣، س١٤. ٧ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٥٠٣، س١٣.

وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾

تُنصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾: بمجيئه فتداركون به.

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾: كراهة أن تقول.

﴿يَا حَسْرَتَى عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾: بما قصرت.

﴿فِي جَنبِ اللَّهِ﴾: في حقّه، وطاعته، وقربه.

في المحاسن: عن الباقر عليه السلام إن أشد الناس حسرة يوم القيامة الذين وصفوا العدل ثم خالفوه، وهو قوله عزّ وجلّ: «أَن تَقُولَ نَفْسٌ» الآية[١].

وفي الكافي: عن الكاظم عليه السلام في هذه الآية قال: جنب الله أمير المؤمنين عليه السلام، وكذلك من كان بعده من الأوصياء بالمكان الرفيع إلى أن ينتهى الأمر إلى آخرهم[٢].

وفي الإكمال[٣]، والعياشي: عن الباقر عليه السلام نحن جنب الله[٤].

وفي المناقب: عنه وعن أبيه، وابنه عليهم السلام في هذه الآية: جنب الله علي عليه السلام، وهو حجة الله على الخلق يوم القيامة[٥].

وعن الرضا عليه السلام قال: في ولاية علي عليه السلام[٦].

---

١ ـ المحاسن: ج١، ص٢١٢، ح٣٨٢/ ١٦٥، باب ٦٤ ـ عقاب من وصف عدلاً وعمل بغيره، كتاب عقاب الأعمال.

٢ ـ الكافي: ج١، ص١٤٥، ح٩، باب النوادر.

٣ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص٢٠٦، س٢، ح٢٠، باب ٢١ ـ العلة التي من أجلها يحتاج إلى الامام عليه السلام.

٤ ـ لم نعثر عليه في تفسير العياشي. بل وجدناه في مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٥٠٥، نقلا عن العياشي. وهكذا في تفسير نور الثقلين: ج٤، ص٤٩٥، ح٩٣ نقلاً عنه، وورد في تفسير القمّي: ج٢، ص٢٥١، س٢.

٥ ـ مناقب ابن شهرآشوب: ج٣، ص٢٧٣، س٢٠.

٦ ـ مناقب ابن شهرآشوب: ج٣، ص٢٧٣، س٢١.

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنا جنب الله[١].

وفي الإحتجاج: عنه عليه السلام في حديث وقد زاد جل ذكره في التبيان وإثبات الحجة بقوله في أصفيائه وأوليائه عليهم السلام «أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ» تعريفاً للخليقة قربهم ألا ترى إنك تقول فلان إلى جنب فلان إذا أردت أن تصف قربه منه إنّما جعل الله تبارك وتعالى في كتابه هذه الرموز التي لا يعلمها غيره وغير أنبيائه، وحججه في أرضه لعلمه بما يحدثه في كتابه المبدّلون من إسقاط أسماء حججه منه، وتلبيسهم ذلك على الأمة ليعينوهم على باطلهم فأثبت فيه الرموز، وأعمى قلوبهم وأبصارهم لما عليهم في تركها وترك غيرها من الخطاب الدال على ما أحدثوه فيه[٢].

﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾: المستهزئين بأهله يعني فرّطت وأنا ساخر.

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي﴾: بالإرشاد إلى الحق.

﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: الشرك والمعاصي.

﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: في العقيدة والعمل و«أو» للدلالة على أنّه لا يخلو من هذه الأقوال تحيّراً أو تعلّلاً بما لا طائل تحته.

﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: رد من الله عليه لما تضمنه قوله: «لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي» من معنى النفي.

---

١ ـ مناقب ابن شهرآشوب: ج٣، ص٢٧٣، س٢٢.

٢ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦، احتجاجه عليه السلام على زنديق في آي متشابهة.

وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾

القمّي: يعني بالآيات: الأئمّة عليهم السلام[1].

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾: القمّي: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال: من إدعى أنه إمام وليس بإمام، قيل: وإن كان علوياً فاطمياً؟ قال: وإن كان علوياً فاطمياً[2].

وفي الكافي[3]، والعياشي: مثله[4].

﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾: مقام.

﴿لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾: عن الإيمان والطاعة.

القمّي: عنه عليه السلام قال: أن في جهنم لوادياً للمتكبرين يقال له: سقر شكا إلى الله شدة حرّه وسأله أن يتنفّس فأذن له فتنفس فأحرق جهنم[5].

﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ﴾: بفلاحهم، وقرئ بالجمع.

﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: يتولّى التصرّف فيه.

﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: مفاتيحها، لا يملك أمرها ولا يتمكن من

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٥١، س ٤. ٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٥١، س ٦.

٣ ـ الكافي: ج ١، ص ٣٧٢، ح ٢، باب من ادعى الامامة وليس لها بأهل، ومن جحد الأئمة أو بعضهم، ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها بأهل. ٤ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ١٧٨، ح ٦٥.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٥١، س ١٠.

قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾

التصرف فيها غيره وهو كناية عن قدرته وحفظه لها.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ * قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾: في الجوامع: روى أنهم قالوا: استلم بعض آلهتنا نؤمن بإلهك فنزلت[1].

﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾: من الرسل.

﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ * بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ﴾: رد لما أمروه به.

﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: أنعامه عليك.

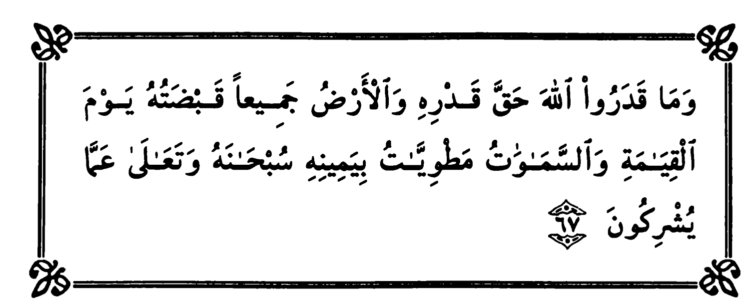
القمّي: هذه مخاطبة للنبي صلى الله عليه وآله، والمعنى لأُمته، وهو ما قال الصادق عليه السلام: إن الله عزّوجلّ بعث نبيه صلى الله عليه وآله بإياك أعني واسمعي يا جارة والدليل على ذلك قوله تعالى: «بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ»، وقد علم أن نبيه صلى الله عليه وآله يعبده ويشكره ولكن استعبد نبيه بالدعاء إليه تأديباً لأُمته[2].

وعن الباقر عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية فقال: تفسيرها لئن أمرت بولاية أحد مع ولاية علي عليه السلام من بعدك ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين[3].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام يعني إن أشرك في الولاية غيره قال: «بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن

---

١ ـ جوامع الجامع: ج ٣، ص ٤٦٤، س ٩.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٥١، س ١٤.
٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٥١، س ١٩.



مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ» يعني بل الله فاعبد بالطاعة، وكن من الشاكرين أن عضدتك بأخيك وابن عمك[١].

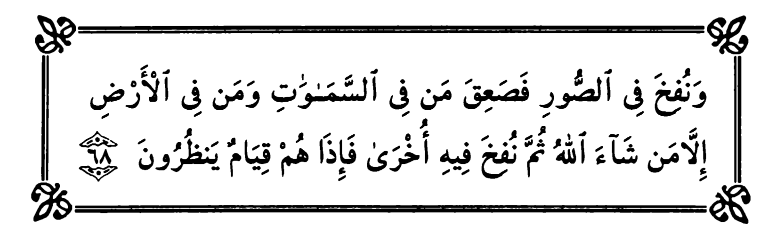
﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾: ما قدروا عظمته في أنفسهم حق تعظيمه حيث وصفوه بما لا يليق به.

في التوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له لما شبّهه العادلون بالخلق المبعّض المحدود في صفاته ذي الأقطار والنواحي المختلفة في طبقاته، وكان عزّ وجلّ الموجود بنفسه لا بأداته، انتفى أن يكون قدروه حق قدره فقال: تنزيهاً لنفسه عن مشاركة الأنداد، وارتفاعاً عن قياس المقدرين له بالحدود من كفرة العباد «وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ» الآية فما دلّك القرآن عليه من صفاته[٢] فاتبعه ليتوسل بينك وبين معرفته، وأتمّ به واستضيء بنور هدايته فإنّها نعمة وحكمة اوتيتها، فخذ ما أوتيت وكن من الشاكرين، وما دلّك الشيطان عليه مما ليس في القرآن عليك فرضه ولا في سنّة الرسول وأئمة الهدى عليهم السلام أثره، فكل علمه إلى الله عزّ وجلّ فإنّ ذلك منتهى حق الله عليك[٣].

وعن الباقر عليه السلام إن الله لا يوصف، وكيف يوصف، وقد قال في كتابه: «وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ» فلا يوصف بقدر إلّا كان أعظم من ذلك[٤].

والقمّي: قال: نزلت في الخوارج[٥].

١ ـ الكافي: ج١، ص٤٢٧، ح٧٦، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.
٢ ـ وفي نسخة: [من صفته]، كما في المصدر.
٣ ـ التوحيد: ص٥٥، س١، ح١٣، باب ٢ ـ التوحيد ونفي التشبيه. وفيه: «فأتبعه ليوصل».
٤ ـ التوحيد: ص١٢٧ ـ ١٢٨، ح٦، باب ٩ ـ القدرة.
٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٥١ ـ ٢٥٢.



﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِ﴾: تنبيه على عظمته وحقارة المخلوقات العظام التي تتحيّر فيها الأوهام بالإضافة إلى قدرته ودلالة على أن تخريب العالم أهون شيء عليه كذا قيل[١].

والقبضة: المرّة من القبض، اطلقت بمعنى القبضة، وهي المقدار المقبوض بالكف.

في التوحيد: عن الصادق عليه السلام «قَبْضَتُهُ» يعني ملكه، لا يملكها معه أحد، قال: اليمين: اليد، واليد: القدرة والقوّة، «مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِ» يعني بقوته وقدرته[٢].

﴿سُبْحَٰنَهُ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ * وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾: يعني المرة الأُولى.

﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾: خرّوا ميتين.

﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: في المجمع: روي مرفوعاً هم جبرئيل، وميكائيل، واسرافيل، وملك الموت[٣].

وفي رواية: أن النبي صلى الله عليه وآله سأل جبرئيل عن هذه الآية: من ذا الذي لم يشأ الله أن يصعقهم؟ قال: الشهداء متقلدون أسيافهم حول العرش[٤].

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾: نفخة أُخرى.

﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾: قائمون من قبورهم يقلّبون أبصارهم في الجوانب.

القمّي: عن السجاد عليه السلام أنه سئل عن النفختين كم بينهما؟ قال: ما شاء الله، قيل: فأخبرني يابن رسول الله كيف ينفخ فيه؟ فقال: أما النفخة الأولى فإن الله عزّ وجلّ يأمر

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٣٢٨، س١.

٢ ـ التوحيد: ص١٦١ ـ ١٦٢، ح٢، باب ١٧ ـ تفسير قوله عزّ وجلّ: «وَٱلْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِ».

٣ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٥٠٨، س٢٥.

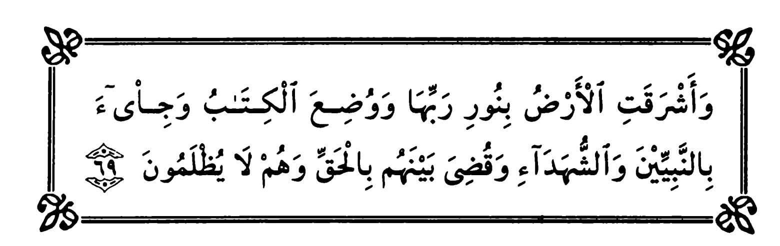
٤ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٥٠٨، س٢٦.

إسرافيل فيهبط إلى الدنيا ومعه الصور، وللصور رأس واحد وطرفان، وبين رأس كل طرف منهما إلى الآخر مثل ما بين السماء إلى الأرض، فإذا رأت الملائكة اسرافيل قد هبط إلى الدنيا ومعه الصور قالوا: قد أذن الله عزّ وجلّ في موت أهل الأرض، وفي موت أهل السماء، قال: فهبط إسرافيل بحضيرةبيت المقدس وهو مستقبل الكعبة، فإذا رآه أهل الأرض قالوا: قد أذن الله تعالى في موت أهل الأرض، فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض فلا يبقى في الأرض ذو روح إلّا صعق ومات، فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي السموات فلا يبقى في السموات ذو روح إلّا صعق ومات إلّا اسرافيل، قال: فيقول الله لإسرافيل: يا إسرافيل مت فيموت إسرافيل فيمكثون في ذلك ما شاء الله، ثم يأمر السماوات فتمور، ويأمر الجبال فتسير وهو قوله تعالى: «يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْراً * وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْراً»[1] يعني تبسط وتبدل الأرض غير الأرض يعني بأرض لم تكسب عليها الذنوب بارزة ليس عليها جبال ولا نبات كما دحاها أول مرة، ويعيد عرشه على الماء كما كان أول مرة، مستقلاً بعظمته وقدرته، قال: فعند ذلك ينادي الجبار تبارك وتعالى بصوت من قبله جهوريّ يسمع أقطار السماوات والأرضين: «لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ»[2] فلا يجيبه مجيب، فعند ذلك يقول الجبار عزّ وجلّ مجيباً لنفسه: «لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ»[3] وأنا قهرت الخلائق كلهم وأمتهم إني أنا الله لا إله إلّا أنا وحدي لا شريك لي ولا وزير، وأنا خلقت خلقي بيدي، وأنا أمتهم بمشيئتي، وأنا أحييهم بقدرتي، قال: فينفخ الجبار نفخة أُخرى في الصور فيخرج الصوت من إحدى الطرفين الذي يلي السماوات فلا يبقى في السماوات أحد إلّا حي وقام كما كان، ويعود حملة العرش، ويحضر الجنّة والنار، ويحشر الخلائق للحساب، قال الراوي: فرأيت علي بن الحسين عليه السلام يبكي عند ذلك بكاءاً شديداً[4].

وعن الصادق عليه السلام: إذا أراد الله أن يبعث الخلق أمطر السماء على الأرض أربعين صباحاً، فاجتمعت الأوصال ونبتت اللحوم، وقال: أتى جبرئيل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذ بيده وأخرجه إلى البقيع فانتهى به إلى قبر فصوّت بصاحبه، فقال: قم بإذن الله فخرج منه

---

١ ـ الطور: ٩ ـ ١٠.
٢ ـ غافر: ١٦.
٣ ـ غافر: ١٦.
٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٥٢، س٥.



رجل أبيض الرأس واللحية يمسح التراب عن رأسه وهو يقول: الحمد لله والله أكبر. فقال جبرئيل عليه السلام: عد بإذن الله، ثم انتهى به إلى قبر آخر فقال: قم بإذن الله فخرج منه رجل مسودّ الوجه وهو يقول: يا حسرتاه يا ثبوراه، ثم قال له جبرئيل عليه السلام: عد إلى ما كنت فيه بإذن الله عزّوجلّ، فقال: يا محمد هكذا يحشرون يوم القيامة، فالمؤمنون يقولون: هذا القول وهؤلاء يقولون ما ترى[1].

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾: قيل: بما أقام فيها من العدل سمّاه نوراً لأنّه يزيّن به البقاع، ويظهر الحقوق كما سمّي الظلم ظلمة.

في الحديث الظلم: ظلمات يوم القيامة[2].

والقمّي: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال: ربّ الأرض: إمام الأرض قيل: فإذا خرج يكون ماذا قال إذاً؟ يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر، ويجتزئون بنور الإمام عليه السلام[3].

وفي إرشاد المفيد: عنه عليه السلام قال: إذا قام قائمنا أشرقت الأرض بنور ربها، واستغنى العباد عن ضوء الشمس ونور القمر، وذهبت الظلمة[4].

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: للحساب.

﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾: القمّي: الشهداء: الأئمّة عليهم السلام، والدليل على ذلك قوله في سورة الحج: «لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ»[5] وتكونوا أنتم يا معشر الأئمّة شهداء

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٢٥٣، س٦.
٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص٣٢٨، س١٣.
٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٢٥٣، س١٨.
٤ ـ الإرشاد للشيخ المفيد: ص٣٦٣.
٥ ـ الحج: ٧٨.

وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾

على الناس[١].

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾: بين العباد.

﴿بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾: جزاؤه.

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾: فلا يفوته شيء من أفعالهم.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾: أفواجاً متفرقة بعضها في أثر بعض على تفاوت أقدامهم في الضلالة والشرارة.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾: ليدخلوها، وقرئ بتخفيف التاء.

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾: تقريعاً وتوبيخاً.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾: من جنسكم.

﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: كلمة الله بالعذاب علينا، وهو الحكم عليهم بالشقاوة، وأنّهم من أهل النار.

﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾: قد

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٥٣ ـ ٢٥٤.

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾

مضى أخبار بيان أبواب جهنم في سورة الحجر[١].

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ﴾: إسراعاً بهم إلى دار الكرامة، ويساقون راكبين كما مر في سورة مريم[٢].

﴿زُمَرًا﴾: على تفاوت مراتبهم في الشرف، وعلو الطبقه.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾: قيل: حذف جواب «إذا» للدلالة على أن لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف، وأن أبواب الجنّة تفتح لهم قبل مجيئهم منتظرين[٣].

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾: لا يعتريكم بعد مكروه.

﴿طِبْتُمْ﴾: طهرتم من دنس المعاصي.

والقمّي: أي طاب[٤] مواليدكم، لأنّه لا يدخل الجنّة إلّا طيب المولد[٥].

﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾: في الخصال: عن الصادق، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام قال: إن للجنة ثمانية أبواب: باب يدخل منه النبيّون والصدّيقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبّونا، فلا أزال واقفاً على الصراط أدعو وأقول ربّ سلّم شيعتي، ومحبّي، وأنصاري، وأوليائي، ومن تولاني في دار الدنيا، فإذا النداء من

---

١ ـ ذيل الآية: ٤٤، أُنظر ج ٤، ص ٢٨١ ـ ٢٨٢ من كتابنا تفسير الصافي.
٢ ـ ذيل الآية: ٨٥، أُنظر ج ٤، ص ٥٧٩ ـ ٥٨٠ من كتابنا تفسير الصافي.
٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٢٩، س ١٠.
٤ ـ هكذا في الأصل. والصحيح: «طابت» كما في المصدر.
٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٥٤، س ٣.

وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

بطنان العرش قد أُجيبت دعوتك وشفعت في شيعتك، ويشفّع كل رجل من شيعتي، ومن تولاني، ونصرني، وحارب من حاربني، بفعل أو قول في سبعين ألفاً من جيرانه وأقربائه، وباب يدخل منه سائر المسلمين ممن يشهد أن لا إلـه إلّا الله ولم يكن في قلبه مثقال ذرّة من بغضنا أهل البيت(١).

وعن الباقر عليه السلام أحسنوا الظن بالله، واعلموا أن للجنة ثمانية أبواب، عرض كل باب منها مسيرة أربعمائة سنة(٢).

﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾: بالبعث والثواب.

﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام يعني أرض الجنّة(٣).

﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾: الجنّة.

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ﴾: محدقين.

﴿مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: ذاكرين له بوصفي جلاله وإكرامه تلذذاً به، وفيه إشعار بأن منتهى درجات العليّين وأعلى لذائذهم هو الإستغراق في صفات الحق.

﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾: بين الخلق.

---

١ ـ الخصال: ص٤٠٧ ـ ٤٠٨، ح٦، باب ٨ ـ للجنة ثمانية أبواب.

٢ ـ الخصال: ص٤٠٨، ح٧، باب ٨ ـ للجنة ثمانية أبواب.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٥٤، س٧.

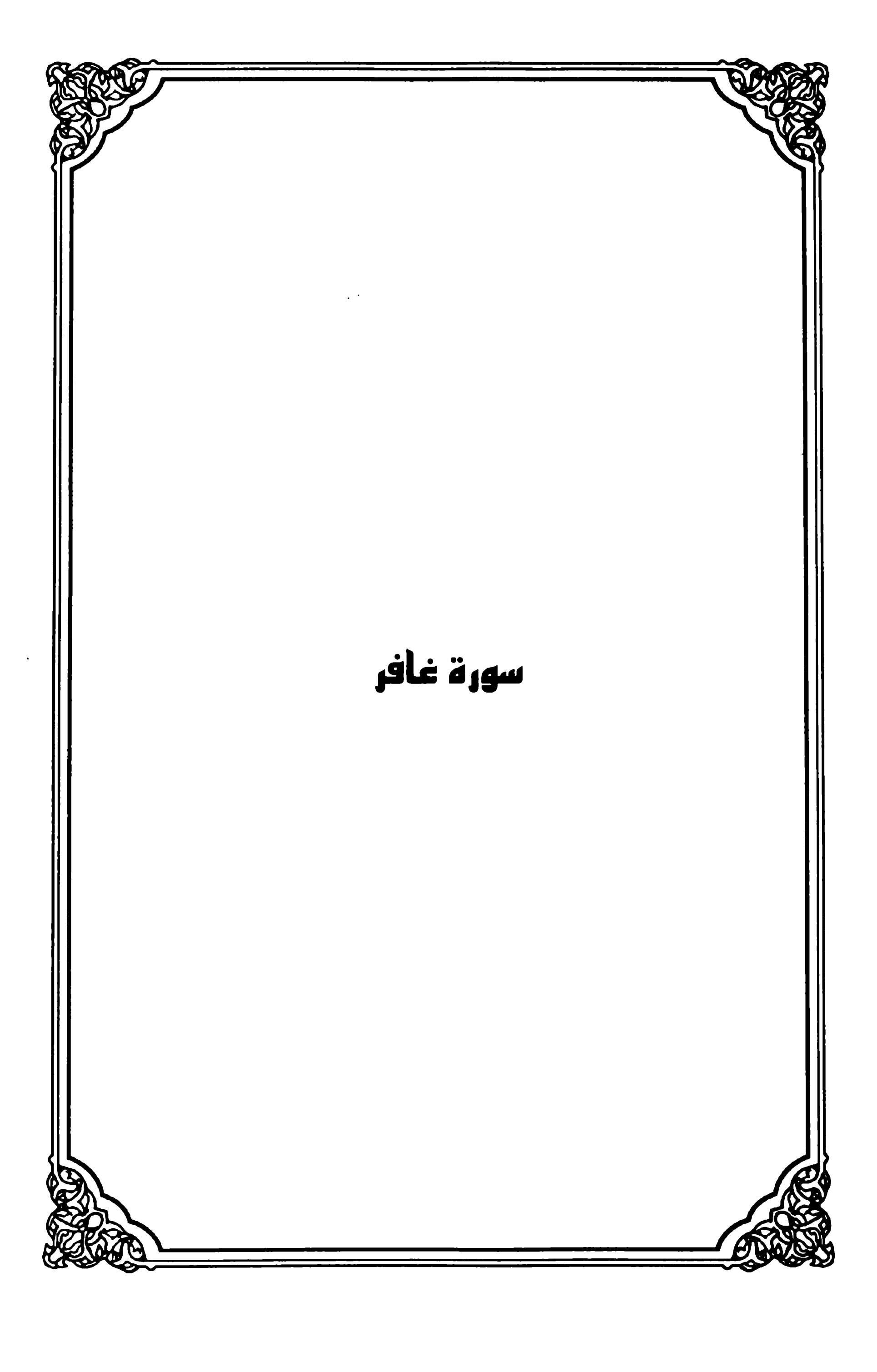
﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: أي على ما قضى بيننا بالحق، والقائلون هم المؤمنون.

في ثواب الأعمال: عن الصادق عليه السلام من قرأ سورة الزمر إستخفاها من لسانه أعطاه الله من شرف الدنيا والآخره، وأعزّه بلا مال ولا عشيره حتى يهابه من يراه، وحرم جسده على النار، وبنى له في الجنّة ألف مدينة، في كل مدينة ألف قصر، في كل قصر مائة حوراء، وله مع هذا «عَيْنَانِ تَجْـرِيَانِ»[١]، و«عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ»[٢]، و«جَنَّتَانِ»[٣] «مُدْهَآمَّتَانِ»[٤]، «وَحُـورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِى ٱلْخِيَامِ»[٥]، و«ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ»[٦]، و«مِن كُلِّ فَـٰكِهَةٍ زَوْجَانِ»[٧][٨].

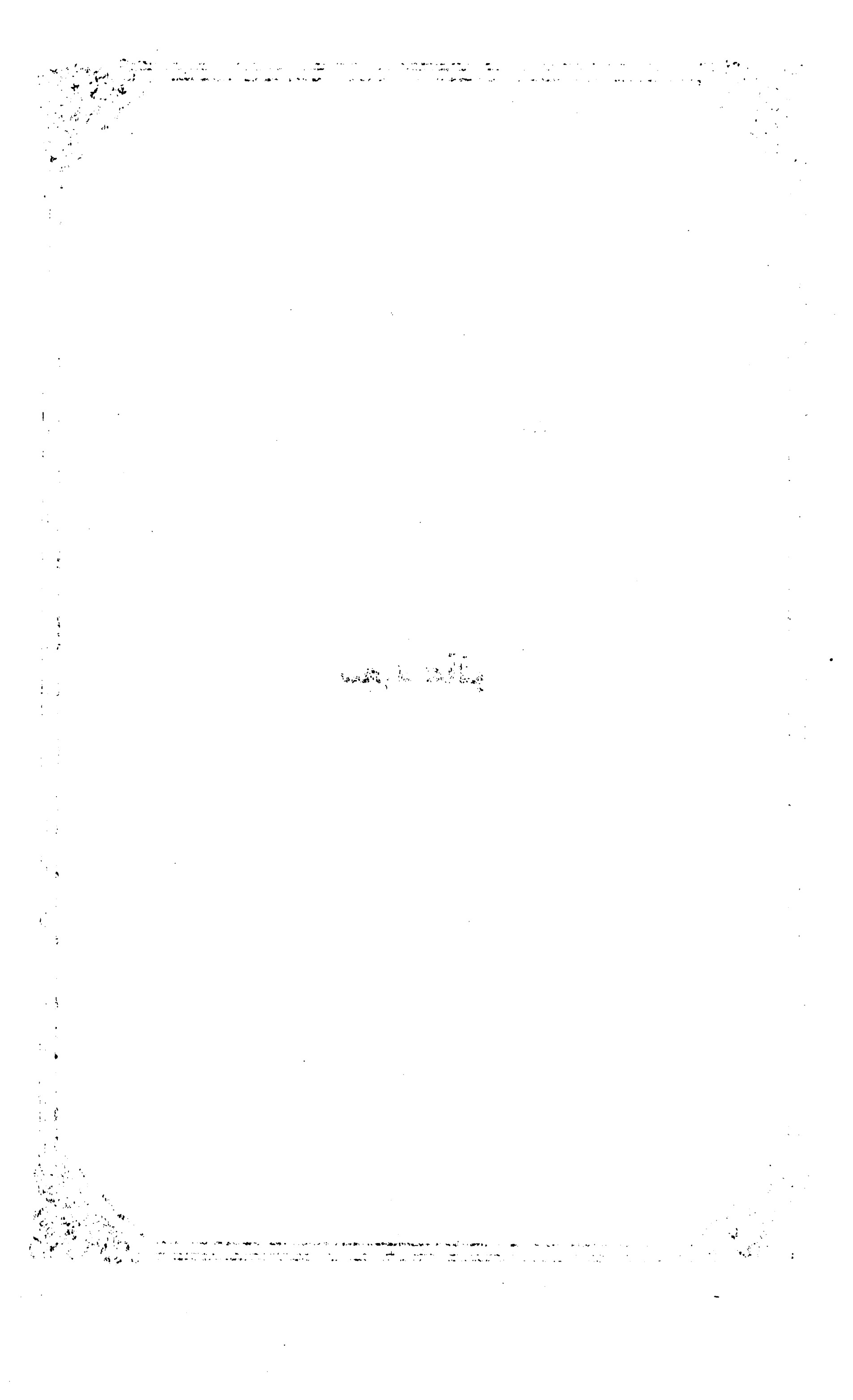
وفي المجمع: مثله بدون قوله: إستخفاها من لسانه» وقوله: «ذواتا أفنان» إلى آخره[٩].

* * *

١ ـ الرحمـٰن: ٥٠.
٢ ـ الرحمـٰن: ٦٦.
٣ ـ الرحمـٰن: ٦٢.
٤ ـ الرحمـٰن: ٦٤.
٥ ـ الرحمـٰن: ٧٢.
٦ ـ الرحمـٰن: ٤٨.
٧ ـ الرحمـٰن: ٥٢.
٨ ـ ثواب الاعمال: ص١١٢، ح١، باب ثواب قراءة سورة الزمر.
٩ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٤٨٧، في فضلها.



سورة غافر



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ
حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَـٰدِلُ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٤﴾

سورة غافر: مكيّة، وقال ابن عبّاس وقتادة إلّا آيتين منها نزلتا بالمدينة «إِنَّ ٱلَّـذِينَ يُجَـٰدِلُونَ»[1] إلى قوله «لَا يَعْلَمُونَ»[2]، عدد آيها خمس وثمانون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ﴾: قد سبق تأويله، وفي المعاني: عن الصادق عليه السلام فمعناه الحميد المجيد[3].

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ * غَافِرِ ٱلذَّنبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾: ذي الفضل بترك العقاب المستحق.

﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: فيجيب الإقبال الكلي على عبادته.

﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: فيجازي المطيع والعاصي.

﴿مَا يُجَـٰدِلُ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾: بالطعن فيها وإدحاض الحق.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: في الإكمال: عن النبي صلى الله عليه وآله قال: لعن المجادلون في دين الله على

---

١ ـ غافر: ٥٦.
٢ ـ غافر: ٥٧.
٣ ـ معاني الأخبار: ص٢٢، ح١، باب معنى الحروف المقطعة في أوائل السور من القرآن.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦﴾

لسان سبعين نبياً، ومن جادل في آيات الله فقد كفر ثمّ تلا هذه الآية[١].

وروي عنه عليه السلام: إنّ جدالاً في القرآن كفر[٢].

وإنّما نكّر لجواز الجدال لحل عقده واستنباط حقائقه، وقطع تشبث أهل الزيغ به، وردّ مطاعنهم فيه.

﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾: بالتجارة المربحة، فإنّهم مأخوذون عن قريب بكفرهم أخذ من قبلهم.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ﴾: والذين تحزّبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح كعاد وثمود.

﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ﴾: من هؤلاء.

﴿بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾: ليتمكّنوا من إصابته بما أرادوا من تعذيبه.

﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾: بما لا حقيقة له.

﴿لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾: ليزيلوه به.

﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾: بالإهلاك جزاء همهم.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾: فإنّكم تمرّون على ديارهم وترون أثره، أو تتلون قصصهم في القرآن، وهو تقرير فيه تعجيب.

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾:

---

١ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص٢٥٦، ح١، باب ٢٤ ـ ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله في النص على القائم عليه السلام وأنّه الثاني عشر من الأئمّة عليهم السلام.

٢ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٣٠، س ١٧.

ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِـهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾

القمّي: عن الباقر عليه السلام يعني بني أُمية[1].

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والإكرام.

﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: أخبر عنهم بالإيمان إظهاراً لفضله، وتعظيماً لأهله.

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: في العيون: عن الرضا عليه السلام للذين آمنوا بولايتنا[2].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام إن لله ملائكة يسقطون الذنوب عن ظهور شيعتنا كما يسقط الريح الورق في أوان سقوطه، وذلك قوله تعالى: «ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ» الآية قال: استغفارهم والله لكم دون هذا الخلق[3].

﴿رَبَّنَا﴾: يقولون: ربنا.

﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٥٥، س٢١.

٢ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص٢٦٢، ح٢٢، س١٢، باب ٢٦ ـ ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار النادرة في فنون شتى.

٣ ـ الكافي: ج٨، ص٣٤، س١٧، ح٦، من خطبة الطالوتية

وَقِهِمُ ٱلسَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾

ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾: ليتمّ سرورهم.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الذي لا يمتنع عليه مقدور.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: الذي لا يفعل إلّا ما تقتضيه حكمته، ومن ذلك الوفاء بالعهد(١).

﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّئَاتِ﴾: العقوبات.

﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: القمّي: «ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ»: يعني رسول الله صلى الله عليه وآله، والأوصياء عليهم السلام من بعده يحملون علم الله، «وَمَنْ حَوْلَهُ»: يعني الملائكة «لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟»: يعني شيعة آل محمد صلوات الله عليهم «لِلَّذِينَ تَابُوا۟»: يعني من ولاية فلان وفلان وبني أُميّة، «وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ»: أي ولاية ولي الله، «وَمَن صَلَحَ»: يعني من تولى علياً عليه السلام فذلك صلاحهم، «فَقَدْ رَحِمْتَهُ»: يعني يوم القيامة، «وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ»: لمن نجاه الله من هؤلاء يعني ولاية فلان وفلان(٢).

وفي الكافي: مرفوعاً إنّ الله عزّ وجلّ أعطى التائبين ثلاث خصال لو أُعطي خصلة منها جميع أهل السماوات والأرض لنجوا بها، ثم تلا هذه الآيات(٣).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ﴾: يوم القيامة فيقال لهم.

﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: أي لمقت الله إياكم أكبر من مقتكم أنفسكم الأمّارة بالسوء.

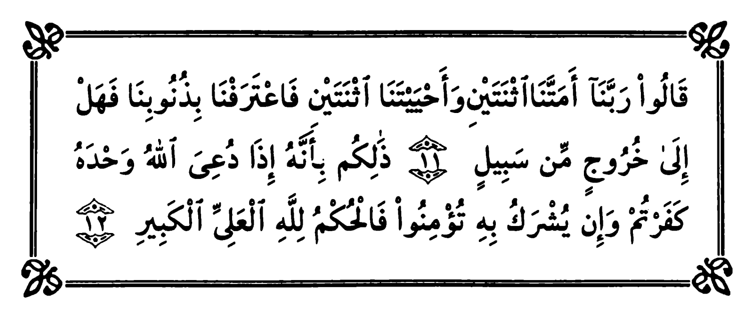
﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾: القمّي: إنّ الذين كفروا يعني بني أُميّة، «إِلَى

---

١ ـ وفي نسخة: [بالوعد].

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٥٥، س١٣.

٣ ـ الكافي: ج٢، ص٤٣٢، ح٥، باب التوبة.



ٱلْإِيمَـٰنِ»: يعني إلى ولاية علي عليه السلام[1].

﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾: القمّي: عن الصادق عليه السلام ذلك في الرجعة[2].

أقول: لعلّ المراد أن التثنية إنّما تتحقق بالرجعة، أو يقولون ذلك في الرجعة بحسب الإحياء والإماتة اللتين في القبر للسؤال.

﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾: فهل إلى نوع خروج من العذاب من طريق فنسلكه؟ وذلك إنّما يقولونه من فرط قنوطهم تعللاً وتحيّراً، ولذلك أُجيبوا بما أُجيبوا.

﴿ذَٰلِكُم﴾: الذي أنتم فيه.

﴿بِأَنَّهُۥ﴾: بسبب أنّه.

﴿إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾: بالتوحيد.

﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ﴾: بالإشراك.

القمّي: عن الصادق عليه السلام يقول: إذا ذكر الله وحده بولاية من أمرالله بولايته كفرتم، وإن يشرك به من ليست له ولاية تؤمنوا بأنّ له ولاية[3].

وفي الكافي: عنه عليه السلام إذا دُعي الله وحده، وأهل الولاية: كفرتم[4].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٥٥، س٢١.
٢ ـ تفسير القمي: ج٢، ص٢٥٦، س٢.
٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٥٦، س٧.
٤ ـ الكافي: ج١، ص٤٢١، ح٤٦، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقاً وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَـٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾

﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾: من أن يشرك به ويسوى بغيره حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾: الدالّة على التوحيد وسائر ما يجب أن يعلم.

﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقاً﴾: أسباب رزق.

﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾: يرجع عن الإنكار بالإقبال عليها، والتفكر فيها.

﴿فَادْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: من الشرك.

﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾: إخلاصكم وشق عليهم.

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَـٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾: القمّي: قال: روح القدس: وهو خاص برسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام[1].

﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾: يوم القيامة، في المعاني، عن الصادق عليه السلام[2]، والقمّي: قال: يوم يلتقي أهل السماء وأهل الأرض[3].

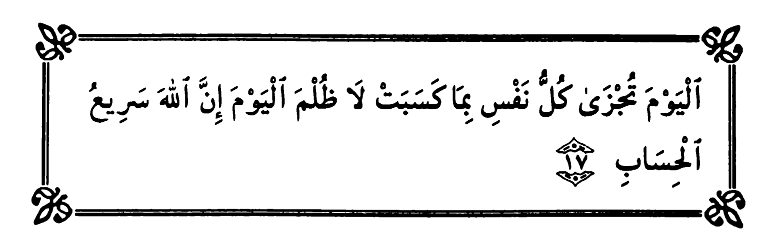
﴿يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ﴾: خارجون من قبورهم لا يسترهم شيء.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٢٥٦، س ١١.

٢ ـ معاني الأخبار: ص١٥٦، ح ١، باب معنى يوم التلاق، ، ويوم التناد، ويوم التغابن، ويوم الحسرة.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٢٥٦، س ١٢.



﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾: من أعيانهم وأعمالهم وأحوالهم.

﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾: حكاية لما يسئل عنه، ولما يجاب به بما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الأسباب وارتفاع الوسائط وأما حقيقة الحال فناطقة بذلك دائماً.

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: إذ لا يشغله شأن عن شأن.

في التوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث تفسير الحروف قال: والميم ملك الله يوم لا مالك غيره، ويقول الله: «لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ» ثم تنطق أرواح أنبيائه ورسله، وحججه فيقولون: «لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ» فيقول الله جل جلاله: «ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ» الآية[١].

وفي نهج البلاغة: وأنه سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه كما كان قبل ابتدائها، كذلك يكون بعد فنائها، بلا وقت ولا مكان، ولا حين ولا زمان، عدمت عند ذلك الآجال والأوقات، وزالت السنون والساعات، فلا شيء إلّا الواحد القهار الذي إليه مصير جميع الأُمور بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها،وبغير امتناع منها كان فناؤها، ولو قدرت على الإمتناع لدام بقاؤها[٢].

وقد مضى حديث آخر في هذا المعنى في أواخر سورة الزمر[٣].

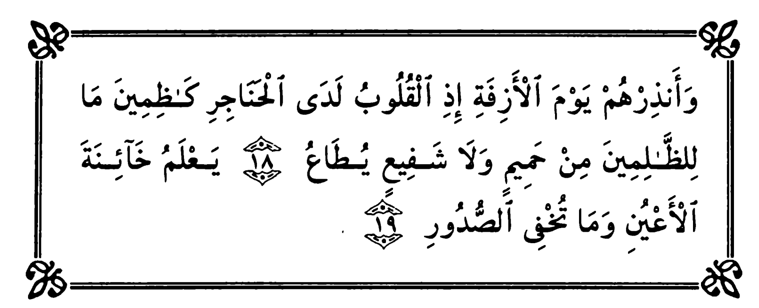
والقمّي: عن الصادق عليه السلام في حديث إماتة الله أهل الأرض وأهل السماء والملائكة قال:

---

١ ـ التوحيد: ص٢٣٤، س٢، ح١، باب ٣٢ ـ تفسير حروف المعجم.

٢ ـ نهج البلاغة: ص ٢٧٦، الخطبة ١٨٦.

٣ ـ ذيل الآية: ٦٨، أُنظر ص ٢٨٢ ـ ٢٨٤ من هذا الجزء.



ثم لبث مثل ما خلق الله الخلق ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك، ثم يقول الله عزّ وجلّ: «لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ» فيردّ على نفسه «لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ» أين الجبارون؟ وأين الذين ادعوا معي إلـهاً آخر؟ أين المتكبرون ونخوتهم؟ ثم يبعث الخلق(١).

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ﴾: أي القيامة سميت بها، لأزوفها أي قربها.

﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾: فإنّها ترتفع عن أماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروّحوا ولا تخرج فيستريحوا.

﴿كَـٰظِمِينَ﴾: على الغم، القمّي: قال:مغمومين مكروبين(٢).

﴿مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾: قريب مشفق.

﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾: يشفع. في التوحيد: عن الباقر عليه السلام ما من مؤمن يرتكب ذنباً إلّا ساءه ذلك وندم عليه، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله:كفى بالندم توبة، وقال: من سرّته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن، فإن من لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن، ولم تجب له الشفاعة وكان ظالماً، والله تعالى يقول: «مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ»(٣).

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾: إستراق النظر. في المعاني: عن الصادق عليه السلام إنه سئل عن معناها؟ فقال: ألم تر إلى الرجل ينظر إلى الشيء وكأنّه لا ينظر إليه فذلك خائنة الأعين(٤).

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٥٦ ـ ٢٥٧.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٥٧، س١٠.

٣ ـ التوحيد: ص ٤٠٨، س ٣، ح ٦، باب ٦٣ ـ الأمر والنهي والوعد والوعيد.

٤ ـ معاني الأخبار: ص١٤٧، ح١، باب معنى خائنة الأعين.

وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾

وفي المجمع: في حديث ابن أبي سرح[١] فقال له عباد بن بشير[٢]: يا رسول الله إن عيني مازالت في عينك انتظار أن تومىء إليّ فأقتله، فقال عليه السلام: إن الأنبياء لا يكون لهم خائنة الأعين[٣].

﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾: من الضمائر.

﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾: وقرئ بالتاء.

﴿لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ﴾: تهكّم بهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾: تقرير لعلمه بخائنة الأعين وقضائه بالحق، ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون، وتعريض بحال ما يدعون من دونه.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن

---

١ ـ وهو عبدالله بن سعد بن أبي السرح، وكان أخا عثمان من الرضاعة، ومن جملة من أهدر النبي صلى الله عليه وآله دمه يوم فتح مكّة، وذلك لأنّه أسلم قبل الفتح، وهاجر إلى رسول الله، وكان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ ارتدّ مشركاً وصار إلى قريش بمكّة فلمّا علم ذلك استتر عند عثمان، فاستجاره وغيّبه حتّى جاء به إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو يبايع الناس، فقال: يا رسول الله بايع عبدالله، فبايعه بعد ثلاث، ثمّ أقبل على أصحابه فقال: ما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآني كففت يدي عن مبايعته فيقتله؟ فقال رجل من الأنصار: وهو عباد بن بشر، فهلّا أومأت إليّ يا رسول الله؟ فقال: إنّ النبي لا ينبغي أن يكون له خائنة الأعين، وأسلم ذلك اليوم، ثمّ ولّاه عثمان في زمن خلافته مصر سنة خمس وعشرين، ومات سنة ست وثلاثين، وقيل: بقي إلى زمن معاوية وشهد معه صفّين وتوفي سنة تسع وخمسين.

٢ ـ هكذا في الأصل، والصحيح: عباد بن بشر.

٣ ـ لم نعثر عليه في مجمع البيان، بل عثرنا عليه في تفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ٥١٧، ح ٣٥. نعم ورد ما يقرب منه في مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٣٣٥، س ٢٢.

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾

قَبْلِهِمْ﴾: مآل حال الذين كذّبوا الرّسل قبلهم كعاد، وثمود.

﴿كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: قدرة وتمكّناً، وقرئ منكم.

﴿وَءَاثَاراً فِي ٱلْأَرْضِ﴾: مثل القلاع، والمدائن الحصينة.

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾: يمنع العذاب عنهم.

﴿ذَٰلِكَ﴾: الأخذ.

﴿بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِيٌّ﴾: متمكّن ممّا يريده غاية التمكّن.

﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: لا يؤبه بعقاب دون عقابه.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: بالمعجزات.

﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: وحجّة ظاهرة قاهرة.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾: يعنون موسى عليه السلام.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْ﴾: أي أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم أوّلاً كي يصدّوا عن مظاهرة موسى.

﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾: في ضياع.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾: قاله تجلّداً، وعدم مبالاة بدعائه.

قيل: كانوا يكفّونه عن قتله ويقولون: إنّه ليس الذي تخافه بل هو ساحر، ولو قتلته ظن أنّك عجزت عن معارضته بالحجة، وتعلّله بذلك مع كونه سفّاكاً في أهون شيء دليل على أنّه تيّقن أنّه نبي فخاف من قتله أو ظنّ أنّه لو حاوله لم يتيسر له[1].

وفي العلل: عن الصادق عليه السلام انه سئل عن هذه الآية ما كان يمنعه؟ قال: منعته رشدته، ولا يقتل الأنبياء ولا أولاد الأنبياء إلّا أولاد الزنا[2].

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾: إن لم أقتله.

﴿أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾: أن يغير ما أنتم عليه من عبادته، وعبادة الأصنام كقوله «وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ»[3].

﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾: ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج، وقرئ بالواو على معنى الجمع، وبفتح الياء والهاء، ورفع الفساد.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ﴾: أي لقومه لما سمع كلامه.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٣٤، س ١٠.

٢ ـ علل الشرائع: ص ٥٧ ـ ٥٨، ح ١، باب ٥٢ ـ العلة التي من أجلها لم يقتل فرعون موسى عليه السلام لما قال: ذروني أقتل موسى.

٣ ـ الأعراف: ١٢٧.

وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾

﴿إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ * وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾: من أقربائه. في العيون: عن الرضا عليه السلام كان ابن خاله[١].

وفي خبر آخر: كان ابن عمه[٢]، كما يأتي[٣].

﴿يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ﴾: القمّي: قال: كتم إيمانه ست مائة سنة[٤].

وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام التقية من ديني ودين آبائي، ولا دين لمن لا تقيّة له، والتقية ترس الله في الأرض، لأنّ مؤمن آل فرعون لو أظهر الإسلام لقتل[٥].

وفي المجالس: عن النبي صلى الله عليه وآله الصدّيقون ثلاثة: وعدّ منهم حزقيل مؤمن آل فرعون[٦]. وقد مرّ تمامه[٧].

﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾: أتقصدون قتله.

﴿أَن يَقُولَ﴾: لأن يقول.

﴿رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾: وحده.

---

١ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٤٠، ح ١، باب ٢٣ ـ ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والأمة.

٢ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٥٢١، س ١٢.

٣ ـ ذيل الآية: «وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ» من حديث الإحتجاج: ج ٢، ص ١٣١ ـ ١٣٣، احتجاجات الإمام الصادق عليه السلام.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٥٧، س ١٦.

٥ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٥٢١، س ١٠.

٦ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٣٨٥، ح ١٨، المجلس الثاني والسبعون.

٧ ـ ذيل الآية: ٢٠ من سورة يّس.

يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾

﴿وَقَدْ جَآءَكُمْ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾: أضافه إليهم بعد ذكر البيّنات إحتجاجاً عليهم وإستدراجاً لهم إلى الإعتراف به، ثم أخذهم بالإحتجاج من باب الإحتياط.

﴿وَإِن يَكُ كَـٰذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾: لا يتخطّاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه إلى قتله.

﴿وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾: فلا أقل من أن يصيبكم بعضه، وفيه مبالغة في التحذير وإظهار للإنصاف وعدم التعصب ولذلك قدم كونه كاذباً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾: قيل: احتجاج ثالث ذو وجهين:

أحدهما: أنّه لو كان مسرفاً كذاباً لما هداه الله الى البينات، ولما عضده بتلك المعجزات.

وثانيهما: أنّ من خذله الله وأهلكه فلا حاجة لكم إلى قتله، ولعلّه أراد به المعنى الأول وخيّل إليهم الثاني لتلين شكيمتهم، وعرض به فرعون بأنه مسرف كذّاب لا يهديه الله سبيل الصواب[١].

﴿يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ﴾: غالبين عالين.

﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أرض مصر.

﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾: أي فلا تفسدوا أمركم، ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله، فإنّه إن جاءنا لم يمنعنا منه أحد، وإنّما أدرج نفسه فيه ليريهم أنه معهم، ومساهمهم فيما ينصح لهم.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ﴾: ما أُشير إليكم.

﴿إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾: ما استصوبه[٢] من قتله.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٣٣٥، س٧.

٢ ـ وفي نسخة: [واستصوبه].

وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾: طريق الثواب[1].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم﴾: في تكذيبه والتعرض له.

﴿مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾: مثل أيّام الأمم الماضية المتحزبة على الرسل يعني: وقائعهم، وجمع الأحزاب مع التفسير أغنى عن جمع اليوم.

﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾: مثل سنّة الله فيهم حين استأصلهم وأهلكهم جزاءاً بما كانوا عليه من الكفر وإيذاء الرسول.

﴿وَٱلَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ﴾: كقوم لوط.

﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾: فلا يعاقبهم بغير ذنب، ولا يخلّي الظالم منهم بغير انتقام.

﴿وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾: يوم ينادي فيه بعضهم بعضاً.

وفي المعاني: عن الصادق عليه السلام «يَوْمَ ٱلتَّنَادِ»: يوم ينادي أهل النار أهل الجنّة «أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ»[2][3].

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾: يعصمكم من عذابه.

---

١ ـ وفي نسخة: [طريق الصواب].

٢ ـ الأعراف: ٥٠.

٣ ـ معاني الأخبار: ص١٥٦، ح١، باب معنى يوم التلاق، ويوم التناد، ويوم التغابن، ويوم الحسرة.

وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ * وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ﴾: من قبل موسى.

﴿بِالْبَيِّنَٰتِ﴾: بالمعجزات.

﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾: به من الدين.

في المجمع: عن الباقر عليه السلام في حديث أنه سئل كان يوسف رسولاً نبياً؟ فقال: نعم أما تسمع قول الله تعالى: «لَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَٰتِ»[١].

وقد مر تمامه في سورة يوسف[٢].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾: مات.

﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ﴾: في العصيان.

﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾: شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والإنهماك في التقليد.

﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾: بغير حجّة.

﴿أَتَىٰهُمْ﴾: بل إمّا بتقليد، أو شبهة داحضة.

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ

---

١ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٢٦٦، س١٠.

٢ ـ ذيل الآية: ١٠١، أُنظر ج ٤، ص ١٦٩ ـ ١٧٢ من كتابنا تفسير الصافي.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحاً لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُ كَـٰذِباً وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْأَخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾

مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾: وقرئ «قلب» بالتنوين.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحاً﴾: بناءاً مكشوفاً عالياً، من صرح الشيء: إذا ظهر.

﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ﴾: الطرق.

﴿أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ﴾: وقرئ بالنصب على جواب الترجي.

﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُ كَـٰذِباً﴾: في دعوى الرسالة.

﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: سبيل الرشاد، وقرئ «صَدّ» على أنّ فرعون صد الناس عن الهدى بأمثال هذه التمويهات والشبهات.

﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾: أي خسار.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ﴾: بالدلالة.

﴿سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ * يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ﴾: تمتع يسير لسرعة زوالها.

﴿وَإِنَّ ٱلْأَخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾: لخلودها.

مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ وَيَٰقَوْمِ مَالِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِى بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْأَخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾: عدلاً من الله سبحانه.

﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بغير تقدير، وموازنة بالعمل أضعافاً مضاعفة فضلاً من الله ورحمة.

﴿وَيَٰقَوْمِ مَالِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ * تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِى بِهِ﴾: بربوبيته.

﴿عِلْمٌ﴾: والمراد نفي المعلوم والإشعار بأن الأُلوهية لا بد لها من برهان وإعتقادها لا يصح إلّا عن إيقان.

﴿وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾: المستجمع لصفات الأُلوهيّة من كمال القدرة والغلبة، والتمكّن من المجازاة، والقدرة على التعذيب والغفران.

﴿لَا جَرَمَ﴾: لا ردّ لما دعوه إليه و«جَرَمَ» بمعنى حق.

﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْأَخِرَةِ﴾: قيل: أي حق عدم دعوة آلهتكم إلى عبادتها أو عدم دعوة مستجابة لها[1].

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٣٣٧، س١٤.

فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَـٰهُ ٱللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾

﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾: بالموت.

﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: في الضلالة والطغيان.

﴿هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ * فَسَتَذْكُرُونَ﴾: عند معاينة العذاب.

﴿مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾: من النصيحة.

﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: ليعصمني من كل سوء.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾: فيحرسهم.

﴿فَوَقَـٰهُ ٱللَّهُ سَيِّئَاتِ مَامَكَرُواْ﴾: شدائد مكرهم، القمّي: يعني مؤمن آل فرعون[١].

﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾: في الكافي[٢]، والمحاسن: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية أما لقد سطوا[٣] عليه وقتلوه، ولكن أتدرون ما وقاه؟ وقاه أن يفتنوه في دينه[٤].

والقمّي: عنه عليه السلام والله لقد قطعوه إرباً إرباً، ولكن وقاه الله أن يفتنوه في دينه[٥].

وفي الإحتجاج: عنه عليه السلام في حديث له قال: كان حزقيل يدعوهم إلى توحيد الله، ونبوة موسى، وتفضيل محمد صلى الله عليه وآله على جميع رسل الله وخلقه، وتفضيل علي بن أبي طالب، والخيار من الأئمّة عليهم السلام على سائر أوصياء النبيين، وإلى البراءة من ربوبيّة فرعون، فوشى به الواشون

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٥٨، س٤.

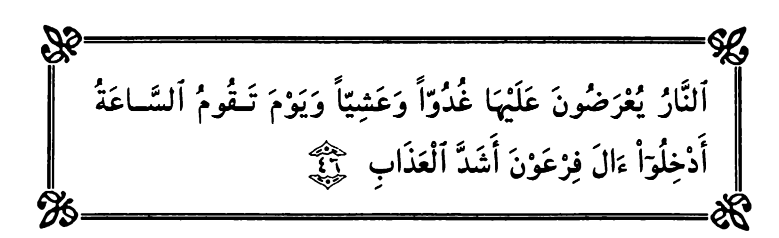
٢ ـ الكافي: ج٢، ص٢١٥ ـ ٢١٦، ح١، باب سلامة الدين. وفيه: «أما لقد بسطوا عليه وقتلوه».

٣ ـ وفي بعض النسخ: «قسطوا عليه» أي جاروا من السقوط بمعنى الجور والعدول عن الحق، وفي بعضها: «سبطوا»: أي أيديهم. منه رحمه الله.

٤ ـ المحاسن: ج١، ص٣٤٥، ح٧١٦ / ١١٨، باب ٩ ـ الدين، من كتاب مصابيح الظلم.

أقول: هذه الرواية وردت في الكافي والمحاسن في ذيل قوله تعالى: «فَوَقَـٰهُ ٱللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُواْ».

٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٥٨، س٤.



إلى فرعون، وقالوا: إن حزقيل يدعو إلى مخالفتك، ويعين اعداءك على مضادتك، فقال لهم فرعون: ابن عمي وخليفتي على ملكي، وولي عهدي، إن فعل ما قلتم فقد استحق أشدّ العذاب على كفره بنعمتي، وإن كنتم عليه كاذبين فقد استحققتم أشدّ العذاب لإيثاركم الدخول في مساءته فجاء بحزقيل وجاء بهم فكاشفوه وقالوا أنت تجحد ربوبيّة فرعون الملك وتكفر بنعماه، فقال حزقيل: أيها الملك هل جربت عليّ كذباً قط؟ قال: لا، قال: فسلهم من ربهم؟ قالوا:فرعون هذا،قال: ومن خالقكم؟ قالوا: فرعون هذا، قال: ومن رازقكم الكافل لمعائشكم والدافع عنكم مكارهكم؟قالوا: فرعون هذا،قال حزقيل: أيها الملك فأُشهدك وكلّ من حضرك أن ربهم هو ربي، وخالقهم هو خالقي، ورازقهم هو رازقي، ومصلح معائشهم هو مصلح معائشي، لاربّ لي، ولا خالق، ولا رازق غير ربهم وخالقهم ورازقهم، وأُشهدك ومن حضرك أنّ كلّ رب ورازق وخالق سوى ربهم وخالقهم ورازقهم فأنا بريء منه ومن ربوبيته، وكافر بإلـهيته، يقول حزقيل هذا، وهو يعني أنّ ربهم هو الله ربي، ولم يقل إنّ الذي قالوا أنّه ربهم هو ربي، وخفي هذا المعنى على فرعون، ومن حضره، وتوهّم وتوهّموا أنّه يقول فرعون ربي وخالقي ورازقي، فقال لهم فرعون: يا رجال السوء ويا طلّاب الفساد في ملكي، ومريدي الفتنة بيني وبين ابن عمي، وهو عضدي، أنتم المستحقون لعذابي لإرادتكم فساد أمري، وإهلاك ابن عمي والفتّ في عضدي، ثم أمر بالأوتاد فجعل في ساق كل واحد منهم وتد وفي صدره وتد، وأمر أصحاب أمشاط الحديد فشقوا بها لحومهم من أبدانهم فذلك ما قال الله تعالى: «فَوَقَـٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ» به لما وشوا به إلى فرعون ليهلكوه، «وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ» وهم الذين وشوا بحزقيل إليه لما أوتد فيهم الأوتاد ومشّط عن أبدانهم لحومها بالأمشاط[1].

﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً﴾: في المجمع: عن الصادق عليه السلام ذلك في

---

١ ـ الإحتجاج: ج ٢، ص ١٣١ ـ ١٣٣، احتجاجات الإمام الصادق عليه السلام.

الدنيا قبل يوم القيامة، لأنّ في نار القيامة لا يكون غدو وعشي، ثم قال: إن كانوا إنّما يعذّبون في النار غُدُوّاً وعشيّاً ففيما بين ذلك هم من السعداء ولكن في نار البرزخ قبل يوم القيامة، ألم تسمع قوله تعالى: «وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةَ» الآية[1].

والقمّي: قال: ذلك في الدنيا قبل القيامة، وذلك أن في القيامة لا يكون غدوّ ولا عشاء[2] لأنّ الغدوّ والعشاء[3] إنّما يكون في الشمس والقمر، وليس في جنان الخلد ونيرانها شمس ولا قمر[4].

قال: وسئل الصادق عليه السلام عن هذه الآية فقال: ما يقول الناس فيها؟ فقيل: يقولون: إنّها في نار الخلد، وهم لا يعذبون فيما بين ذلك، فقال عليه السلام: فهم من السعداء، ثم قال عليه السلام: إنّما هذا في الدنيا، وأمّا في نار الخلد فهو قوله: «وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ» الآية[5].

وفي الكافي: عنه عليه السلام أن أرواح الكفار في نار جهنم يعرضون عليها، يقولون: ربنا لا تقم لنا الساعة، ولا تنجز لنا ما وعتنا، ولا تلحق آخرنا بأولنا[6].

وعن الباقر عليه السلام: إنّ لله تعالى ناراً في المشرق خلقها ليسكنها أرواح الكفار، ويأكلون من زقومها، ويشربون من حميمها ليلهم، فإذا طلع الفجر هاجت إلى واد باليمن، يقال له: برهوت أشد حراً من نار الدنيا كانوا فيه يتلاقون ويتعارفون، فإذا كان المساء عادوا إلى النار فهم كذلك إلى يوم القيامة[7].

وفي المجمع: عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إنّ أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، وإن كان من أهل الجنّة فمن الجنّة، وإن كان من أهل النار فمن النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة[8].

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٥٢٦، س٢.
٢ ـ هكذا في الأصل، وفي المصدر: «لا يكون غدوّاً وعشيّاً».
٣ ـ هكذا في الأصل، وفي المصدر: «والعشي». ٤ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٥٨، س ٦.
٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٢٥٨، س٦.
٦ ـ الكافي: ج٣، ص٢٤٥، ح٢، باب في أرواح الكفار.
٧ ـ الكافي: ج٣، ص٢٤٦ ـ ٢٤٧، س٥، ح١، باب جنة الدنيا.
٨ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٥٢٥ ـ ٥٢٦.

وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَـٰلٍ ﴿٥٠﴾

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾: وقرئ أُدخلوا بضمتين.

﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: بالدفع أو الحمل.

في مصباح المتهجّد: في خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام خطب بها يوم الغدير قرأ فيها هـذه الآية، ثم قال: أفتدرون الإستكبار ما هو؟ هو ترك الطاعة لمن أُمروا بطاعته، والترفّع على من ندبوا إلى متابعته، والقرآن ينطق من هذا عن كثير[1].

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ﴾: نحن وأنتم، فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن أنفسنا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾: ولا معقّب لحكمه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ ٱلْعَذَابِ * قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾: أرادوا بـه إلزامـهم الحـجة، وتوبيخهم على إضاعتهم أوقات الدعاء، وتعطيلهم أسباب الإجابة.

﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ﴾: فإنا لا نجتري فيه إذ لم يؤذن لنا في الدعاء لأمثالكم،

---

١ ـ مصباح المتهجد: ص ٧٠١، س ٧، خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغدير.

إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ﴿٥٥﴾

وفيه إقناط لهم عن الإجابة.

﴿وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ﴾: في ضياع لا يجاب.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾:

القمّي: يعني الأئمّة عليهم السلام.

وعن الصادق عليه السلام: ذلك والله في الرجعة أما علمت أن أنبياء كثيرة لم ينصروا في الدنيا وقتلوا؟ والأئمّة عليهم السلام من بعدهم قتلوا ولم ينصروا، وذلك في الرجعة[1].

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾: لبطلانها، وقرئ بالتاء.

﴿وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾: البعد من الرحمة.

﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾: جهنّم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ﴾: ما يهتدى به في الدين من المعجزات والصحف والشرائع.

﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: وتركنا عليهم بعده من ذلك التوراة.

﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ﴾: هداية وتذكرة.

﴿لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾: لذوي العقول السليمة.

﴿فَاصْبِرْ﴾: على أذى المشركين.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٥٩، س ٣.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾

﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾: بالنصر.

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾: لترك الأولى والإهتمام بأمر العدى.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ * إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾: عام في كل مجادل مبطل، وإن نزلت في مشركي مكة أو اليهود على ما قيل(١).

﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾: إلّا عظمة، وتكبر عن الحق.

﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾: ببالغي مقتضى تلك العظمة لأنّ الله مذلّهم.

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾: فالتجىء إليه.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾: لأقوالكم وأفعالكم.

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾: فمن قدر على خلقها أوّلاً من غير أصل، قدر على خلق الناس ثانياً من أصل، كذا قيل(٢).

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لأنهم لا ينظرون، ولا يتأمّلون، لفرط غفلتهم، وإتباعهم أهواءهم.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾: الجاهل والمستبصر.

---

١ و ٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٣٩، س ٨ و ١٢.

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ﴾: والمحسن والمسيء، فينبغي أن يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت وهي ما بعد البعث.

﴿قَلِيلاً مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾: وقرئ بالتاء.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾: في مجيئها.

﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا يصدقون بها، لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسّون به.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾: دعائي.

﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾: صاغرين، وقرئ «سيُدخَلون» بضم الياء وفتح الخاء.

في الكافي: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال: هو الدعاء وأفضل العبادة الدعاء[1].

وعنه عليه السلام أنّه سئل أي العبادة أفضل؟ فقال: ما من شيء أفضل عند الله من أن يسئل ويطلب ما عنده، وما من أحد أبغض إلى الله عزّ وجلّ ممّن يستكبر عن عبادته ولا يسأل ما عنده[2].

وعن الصادق عليه السلام: اُدع ولا تقل قد فرغ من الأمر، فإنّ الدعاء هو العبادة إنّ الله يقول: وتلا هذه الآية[3].

وفي الصحيفة السجادية: بعد ذكر هذه الآية: فسميت دعاءك عبادة، وتركه إستكباراً، وتوّعدت على تركه دخول جهنم داخرين[4].

---

١ و٢ و٣ ـ الكافي: ج٢، ص٤٦٦ و٤٦٧، ح١ و٢ و٥، باب فضل الدعاء والحث عليه.

٤ ـ الصحيفة السجادية: ص ٢٢٥.

ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾

وفي الإحتجاج: عن الصادق عليه السلام أنه سئل أليس يقول الله: «ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ» وقد نرى المضطر يدعوه ولا يجاب له، والمظلوم يستنصره على عدوه فلا ينصره، قال: ويحك ما يدعوه أحد إلّا استجاب له، أما الظالم: فدعاؤه مردود إلى أن يتوب إليه، وأمّا المحق: فإذا دعاه استجاب له، وصرف عنه البلاء من حيث لا يعلمه، أو ادّخر له ثواباً جزيلاً ليوم حاجته إليه وإن لم يكن الأمر الذي سئل العبد خيراً له إن أعطاه أمسك عنه، والمؤمن العارف بالله ربما غر عليه أن يدعوه فيما لا يدري أصواب ذلك أم خطأ[1].

وقد مضت أخبار أُخر في هذا المعنى في سورة البقرة عند قوله تعالى: «أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ»[2].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾: لتستريحوا فيه بأن خلقه بارداً مظلماً ليؤدي إلى ضعف المحركات وهدو الحواس.

﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾: يبصر فيه أو به، وإسناد الابصار إليه مجاز فيه مبالغة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: فضل لا يوازيه فضل.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾: لجهلهم بالمنعم وإغفالهم عن مواقع النعم.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره.

---

١ ـ الإحتجاج: ج ٢، ص ٨٧، س ٦، احتجاج الصادق عليه السلام على الزنديق.

٢ ـ البقرة: ١٨٦، أنظر ج ١، ص ٣٤٠ ـ ٣٤١ من كتابنا تفسير الصافي.

كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَاراً وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَـٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾

﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ * ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَاراً وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾: بأن خلقكم منتصب القامة، بادي البشرة، متناسب الأعضاء والتخطيطات، متهيئاً لمزاولة الصنائع، واكتساب الكمالات.

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ﴾: اللذائذ.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: فإن كل ما سواه مربوب مفتقر بالذّات معرض للزوال.

﴿هُوَ ٱلْحَىُّ﴾: المتفرّد بالحياة الذاتيّة.

﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا أحد يساويه أو يدانيه في ذاته وصفاته.

﴿فَادْعُوهُ﴾: فاعبدوه.

﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: من الشرك والرياء.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: قائلين له، القمّي: عن السجاد عليه السلام إذا قال أحدكم لا إلـه إلّا الله فليقل: «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ»[١] فإنّ الله يقول: «هُوَ ٱلْحَىُّ» الآية[٢].

﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَـٰتُ

---

١ ـ الفاتحة: ٢. ٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص ٢٦٠، س٧.

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخاً وِمنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلاً مُّسَمّىً وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْيِ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِالْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾

مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أن أنقاد له وأُخلص له ديني.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ﴾: ثم يبقيكم لتبلغوا.

﴿أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخاً﴾: وقرئ بضم الشين.

﴿وِمنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ﴾: من قبل الشيخوخة، أو بلوغ الأشد.

﴿وَلِتَبْلُغُوٓاْ﴾: ويفعل ذلك لتبلغوا.

﴿أَجَلاً مُّسَمّىً﴾: وقت الموت.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: ما في ذلك من الحجج والعبر.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْيِ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْراً﴾: فإذا أراده.

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾: من غير عدّة، وتجشم كلفه بلا صوت ولا حرف، والفاء الأُولى للدلالة على أن ذلك نتيجة ما سبق.

﴿أَلَمْ تَرَإِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾: عن التصديق بها.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِالْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: جزاء تكذيبهم.

إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾

﴿إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ﴾: بها.

﴿فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾: يحرقون.

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ * مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾: ضاعوا عنّا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم.

﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾: بل تبيّن لنا إنّا لم نكن نعبد شيئاً بعبادتهم.

في الكافي[١]، والقمّي: عن الباقر عليه السلام فأما النصّاب من أهل القبلة فإنهم يخد لهم خد إلى النار التي خلقها الله في المشرق، فيدخل عليهم منها اللهب، والشرر، والدخان، وفورة الحميم، إلى يوم القيامة، ثم مصيرهم إلى الحميم، ثم في النار يسجرون، ثم قيل: «أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ * مِن دُونِ ٱللَّهِ» أي أين إمامكم الذي اتخذتموه دون الإمام الذى جعله الله للناس إماماً[٢].

وفي البصائر: عنه عليه السلام قال: كنت خلف أبي وهو على بغلته فنفرت بغلته فاذا هو شيخ في عنقه سلسلة ورجل يتبعه، فقال: يا علي بن الحسين اسقني، فقال الرجل: لا تسقه لا سقاه الله، وكان الشيخ معاوية[٣]. وفي هذا المعنى أخبار أُخر[٤].

---

١ ـ الكافي: ج ٣، ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧، ح ١، باب جنة الدنيا.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٦٠، س ٢١. وفيه: «يخد لهم خدّاً».

٣ ـ بصائر الدرجات: ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥، ح ١، الجزء السادس، ب ٧ ـ في أن الأئمّة عليهم السلام يعرضون عليهم أعداؤهم وهم موتى ويرونهم.

٤ ـ راجع بصائر الدرجات: ص ٣٠٥ ـ ٣٠٧، ح ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ من باب ٧ ـ من أن الأئمّة عليهم السلام يعرضون عليهم أعداؤهم وهم موتى ويرونهم.

ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: حتى لا يهتدوا إلى شيء ينفعهم في الآخرة.

القمّي: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال: فقد سمّاهم الله كافرين مشركين بأن كذّبوا بالكتاب وقد أرسل الله عزّ وجلّ رسله بالكتاب وبتأويله فمن كذب بالكتاب أو كذب بما أرسل به رسله من تأويل الكتاب فهو مشرك كافر[1].

﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: تبطرون، وتتكبّرون.

﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: وهو الشرك، والطغيان.

﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾: تتوسّعون في الفرح.

﴿ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾: الأبواب السبعة المقسومة لكم.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: مقدرين الخلود.

﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾: عن الحق جهنم.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾: بهلاك الكفار، وتعذيبهم.

﴿حَقٌّ﴾: كائن لا محالة.

﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾: فإن نُرِك، و«ما» مزيدة لتأكيد الشرطيّة، ولذلك لحقت النون الفعل.

﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾: وهو القتل والأسر.

﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: قبل أن تراه.

﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾: يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٦٠، س ١٠.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾: في الخصال: عنهم عليهم السلام إنّ عددهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً[١].

وفي المجمع: عن علي عليه السلام بعث الله نبياً أسود لم يقصّ علينا قصته[٢].

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾: فإنّ المعجزات عطايا قسّمها بينهم على ما اقتضت حكمته ليس لهم إختيار في إيثار بعضها والإستبداد بإتيان المقترح بها.

﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ﴾: بالعذاب في الدنيا والآخرة.

﴿قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾: بانجاء المحق، وتعذيب المبطل.

﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾: المعاندون بإقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها.

﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: فإنّ منها ما يؤكل كالغنم، ومنها ما يؤكل ويركب كالابل والبقر.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾: كالألبان، والجلود، والأوبار.

﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾: بالمسافرة عليها.

﴿وَعَلَيْهَا﴾: في البر.

---

١ ـ الخصال: ص٦٤١، ح١ و٢، باب ما بعد الالف.

٢ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٥٣٣، س٢٧.

وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِ فَأَيَّ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَاراً فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾: في البحر.

﴿تُحْمَلُونَ * وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِ﴾: الدالّة على كمال قدرته، وفرط رحمته.

﴿فَأَيَّ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾: فإنّها لظهورها لا تقبل الإنكار.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَاراً فِى ٱلْأَرْضِ﴾: ما بقي منهم من القصور والمصانع وغير ذلك.

﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾: «ما» الأُولى يحتمل النافية والإستفهامية، والثانية: الموصولة، والمصدرية.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾: واستحقروا علم الرسل.

﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ * فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾: شدّة عذابنا.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾: يعنون الأصنام.

﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾: لأنّه غير مقبول حينئذ.

﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ﴾: سنّ الله ذلك سنّة ماضية في العباد.

﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾: أي وقت رؤيتهم البأس، أُستعير اسم المكان للزمان.

في العيون: عن الرضا عليه السلام أنه سئل لأي علّة غرّق الله تعالى فرعون وقد آمن به وأقر بتوحيده؟ قال: لأنّه آمن عند رؤية البأس، والإيمان عند رؤية البأس: غير مقبول، وذلك حكم الله تعالى ذكره في السلف والخلف، قال الله عزّ وجلّ: «فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا» الآيتين[1].

وفي الكافي: قدم إلى المتوكل رجل نصراني فجر بإمرأة مسلمة فأراد أن يقيم عليه الحد فأسلم، فقيل: قد هدم إيمانه شركه وفعله، وقيل: يضرب ثلاثة حدود، وقيل: غير ذلك، فأرسل المتوكل إلى الهادي عليه السلام وسأله عن ذلك؟ فكتب عليه السلام يضرب حتى يموت فأنكروا ذلك، وقالوا هذا شيء لم ينطق به كتاب، ولم تجيء به سنّة، فسألوه ثانياً البيان: فكتب هاتين الآيتين بعد البسملة، فأمر به المتوكل فضرب حتى مات[2].

وفي ثواب الأعمال[3]، والمجمع عن الباقر عليه السلام: قال: من قرأ حمّ المؤمن في كل ليلة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وألزمه كلمة التقوى وجعل الآخرة خيراً له من الدنيا[4].

وعن الصادق عليه السلام: الحواميم رياحين القرآن الحديث[5].

* * *

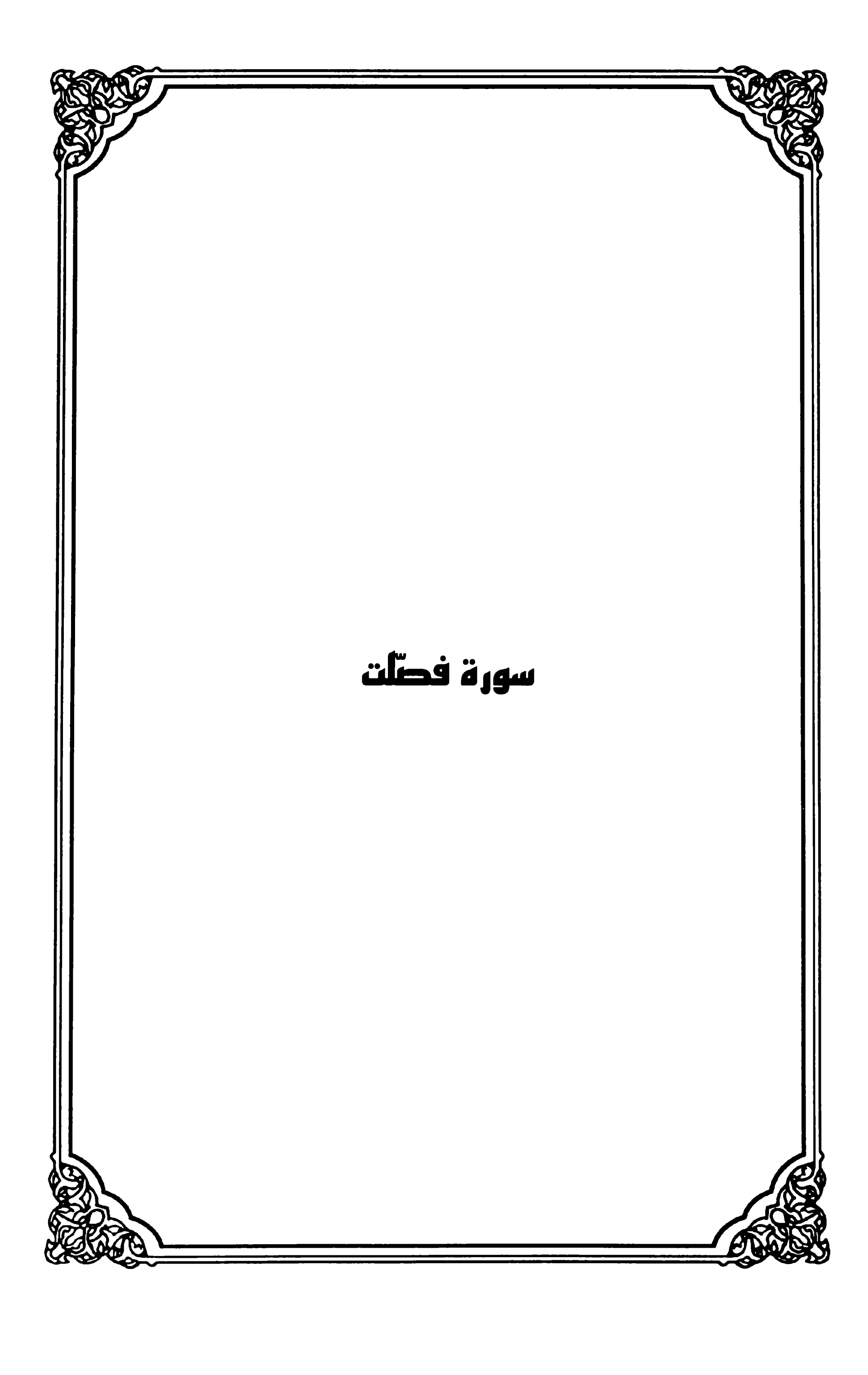
---

١ ـ عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٧٧، ح٧، باب ٣٢ ـ في ذكر ما جاء عن الرضا عليه السلام من العلل.

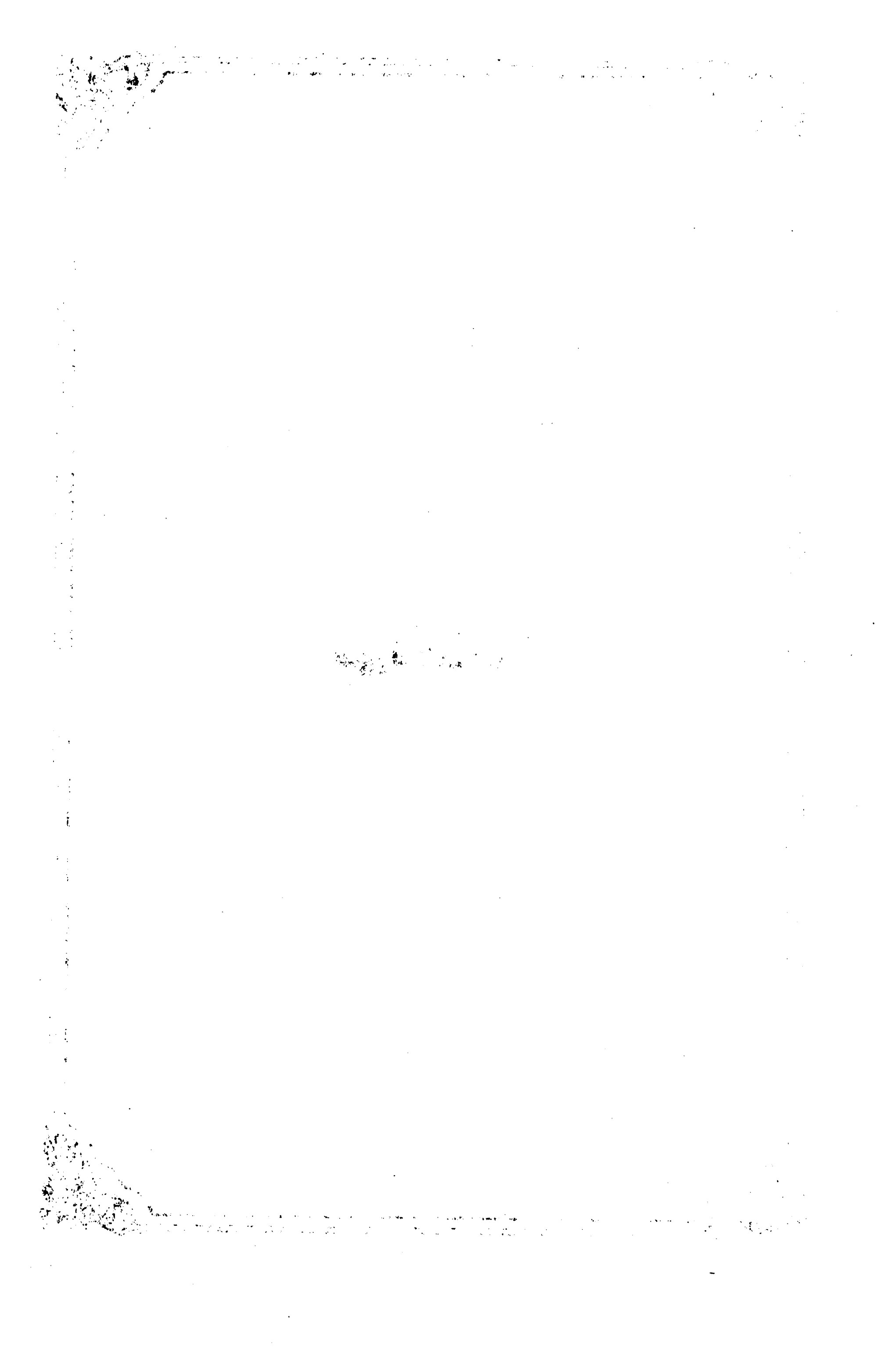
٢ ـ الكافي: ج٧، ص٢٣٨، ح٢، باب ما يجب على أهل الذمة من الحدود. نقلاً بالمضمون.

٣ ـ ثواب الأعمال: ص١١٣، ح١، باب ثواب قراءة حم المؤمن.

٤ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٥١٢، س١٧.　　　٥ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٥١٢، س٢٠.

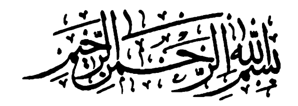


سورة فصّلت



بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ
حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَـٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُ قُرْءَاناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَـٰمِلُونَ ﴿٥﴾

سورة فصّلت: عدد آيها أربع وخمسون آية كوفي، ثلاث حجازي، آيتان بصري.



﴿حمٓ * تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ * كِتَـٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُ﴾: القمّي: أي بين حلالها وحرامها وأحكامها وسننها[1].

﴿قُرْءَاناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيراً وَنَذِيراً﴾: القمّي: يبشّر المؤمنين، وينذر الظالمين[2].

﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾: عن تدبّره، وقبوله.

﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: سماع تأمّل، وطاعة.

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾: في أغطية.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٦١، س١٦.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٦١، س١٧.

قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَاسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِالْأَخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٧﴾

﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾: صمم، وأصله الثقل.

﴿وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾: يمنعنا عن التواصل، القمّي: أي تدعونا إلى ما لا نفهمه ولا نعقله[1].

قيل: وهذه تمثيلات لنبوّ قلوبهم عن إدراك ما يدعوهم إليه، واعتقادهم، ومَجّ أسماعهم له، وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول صلّى الله عليه وآله[2].

﴿فَاعْمَلْ﴾: على دينك.

﴿إِنَّنَا عَـٰمِلُونَ﴾: على ديننا.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: لست ملكاً ولا جنيّاً ولا يمكنكم التلقي منه، ولا أدعوكم إلى ما تنبو عنه العقول والإسماع، وإنّما أدعوكم إلى التوحيد والإستقامة في العمل.

﴿فَاسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ﴾: في أفعالكم متوجهين إليه.

﴿وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾: ممّا أنتم عليه.

﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾: من فرط جهالتهم وإستخفافهم بالله.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق.

﴿وَهُم بِالْأَخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ﴾: القمّي: عن الصادق عليه السلام أترى أن الله عزّ وجلّ طلب من المشركين زكاة أموالهم وهو يشركون به حيث يقول: «وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ * ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِالْأَخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ» قيل: جعلت فداك فسره لي، فقال: ويل

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٦١، س ١٩.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٤٤، س ٤.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَاداً ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾

للمشركين الذين أشركوا بالإمام الأول وهم بالأئمة الآخرين هم كافرون، إنّما دعا الله العباد إلى الايمان به فإذا آمنوا بالله وبرسوله إفترض عليهم الفرائض[1].

أقول: هذا الحديث يدل على ما ههو التحقيق عندي من أن الكفار غير مكلّفين بالأحكام الشرعيّة ما داموا باقين على الكفر، وعن ابن عباس أي لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد، ولعلّه إنّما أوّل الزكاة بالتطهير لما ذكر.

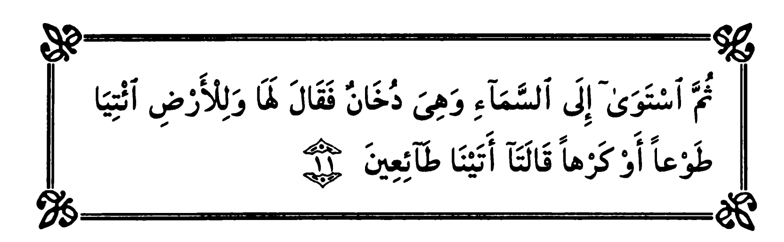
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: لا يمنّ به عليهم.

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَاداً ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا﴾: وأكثر خيرها.

﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾: القمّي: معنى يومين: أي وقتين، ابتداء الخلق وإنقضاؤه، وقال: «وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا» أي لا تزول وتبق «فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً» يعني في أربعة أوقات، وهي التي يخرج الله عزّ وجلّ فيها أقوات العالم عن الناس[2]، والبهائم، والطير، وحشرات الأرض، وما في البر والبحر من الخلق من الثمار، والنبات، والشجر، وما يكون فيه معاش الحيوان كلّه، وهو الربيع والصيف والخريف والشتاء، ففي الشتاء يرسل الله الرياح والأمطار والأنداء والطلول من السماء، فيلقح الأرض والشجرة، وهو وقت بارد، ثم يجيء بعد الربيع، وهو وقت معتدل حار وبارد، فيخرج الثمر من الشجر

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٦٢، س٥. ٢ ـ وفي نسخة: [من الناس].



والأرض نباتها فيكون أخضر ضعيفاً، ثم يجيء وقت الصيف وهو حار فينضج الثمار ويصلب الحبوب التي هي أقوات العالم وجميع الحيوان، ثم يجيء من بعده وقت الخريف فيطيبه ويبرده، ولو كان الوقت كلّه شيئاً واحداً لم يخرج النبات من الأرض، لأنّه لو كان الوقت كلّه ربيعاً لما تنضج الثمار، ولم تبلغ الحبوب، ولو كان كلّه صيفاً لاحترق كل شيء في الأرض، ولم يكن للحيوان معاش ولا قوت، ولو كان الوقت كلّه خريفاً ولم يتقدّمه شيء من هذه الأوقات لم يكن شيء يتقوته العالم، فجعل الله هذه الأقوات في أربعة أوقات: في الشتاء، والربيع، والصيف، والخريف، وقام به العالم واستوى وبقي وسمّى الله هذه الأوقات أياماً للسائلين يعني المحتاجين، لأنّ كل محتاج سائل، وفي العالم من خلق الله من لا يسأل ولا يقدر عليه من الحيوان كثير فهم سائلون وإن لم يسألوا[1].

أقول: يعني أنّهم سائلون بلسان الحال وهو أفصح وأبلغ من لسان المقال.

وقد سبق تفسير آخر للآية في سورة الأعراف[2]، وقرئ سواء بالجر.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: قيل: أي قصد نحوها، من قولهم استوى إلى مكان كذا إذا توجه إليه توجهاً لا يلوي إلى غيره، «وثم» للتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في المدة، إذ لا مدة قبل خلق السماء[3].

﴿وَهِىَ دُخَانٌ﴾: ظلماني.

﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً﴾: شئتما ذلك أو أبيتما[4].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٦٢، س ١٥.

٢ ـ ذيل الآية: ٥٤، أنظر ج ٣، ص ١٨٤ من كتابنا تفسير الصافي.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٣، ص ٣٤٥، س ٥.

٤ ـ وفي نسخة: [أو أبيتا].

فَقَضَـٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَحِفْظاً ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾

﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾: منقادين بالذات، تمثيل لتأثير قدرته فيهما وتأثّرهما بالذات عنها بأمر المطاع وإجابة المطيع الطائع كقوله: «كُنْ فَيَكُونُ»[1]، أو هو نوع من الكلام باطنا من دون حرف ولا صوت.

القمّي: سئل الرضا عليه السلام عمّن كلّم الله لا من الجن ولا من الإنس، فـقال: السـموات والأرض في كقوله: «ٱئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ»[2].

﴿فَقَضَـٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ﴾: فخلقهن خلقاً إبداعيّاً.

﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾: القمّي: يعني في وقتين إبداءاً وإنقضاءاً[3].

﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾: شأنها، وما يتأتى منها بأن حملها عليه إختياراً أو طبعاً. وقيل: أوحى إلى أهلها بأوامره[4].

والقمّي: هذا وحي تقدير وتدبير[5].

﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ﴾: بالنجوم.

﴿وَحِفْظاً﴾: من الشيطان المسترق وسائر الآفات.

في الإكمال: عن النبي صلى الله عليه وآله النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهبت النجوم ذهب أهـل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض[6].

﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾: البالغ في القدرة والعلم.

---

١ ـ يس: ٨٢.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٦٣، س ١١.
٣ ـ تفسير القمّي: ج٢٧ ص ٢٦٣، س ١٤.
٤ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٤٥، س ١٩.
٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٦٣، س ١٥.
٦ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢٠٥، ح ١٩، باب ٢١ ـ العلة التي من أجلها يحتاج إلى الإمام عليه السلام.

فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾

﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ﴾: عن الإيمان بعد هذا البيان.

القمّي: وهم قريش وهو معطوف على قوله: «فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ»[1][2].

﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ * إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: أي من جميع جوانبهم، واجتهدوا بهم من كل جهة أو من جهة الدنيا بالإنذار بما جرى على الكفار فيها ومن جهة الآخرة بالتحذير عمّا أُعدّ لهم فيها، أو الذين أرسلوا إليهم والذين أُرسلوا من قبل.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا﴾: إرسال الرسل.

﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾: برسالته.

﴿فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾: على زعمكم.

﴿كَٰفِرُونَ﴾: إذ أنتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا.

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: فتعظموا فيها على أهلها بغير استحقاق.

﴿وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾: اغترّوا بقوتهم وشوكتهم. قيل: كان من قوتهم أن

---

١ ـ فصلت: ٤.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٦٣، س ١٧.

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾

الرجل منهم ينزع الصخرة فيقلعها بيده[١].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: قدرة.

﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾: يعرفون أنّها حق وينكرونها.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام الصرصر: البارد[٢].

﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾: قال: مياشيم[٣]، وقرئ بالسكون.

﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾: بدفع العذاب عنهم.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾: فدللناهم على الحق، بنصب الحجج، وارسال الرسل.

﴿فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾: فاختاروا الضلالة على الهدى.

في التوحيد: عن الصادق عليه السلام وعرّفناهم «فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ» وهم يعرفون[٤].

وفي الإعتقادات: عنه عليه السلام وجوب الطاعات وتحريم المعاصي، وهم يعرفون[٥].

﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ * وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ

---

١ ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص٣٤٦، س١٠. ٢ و٣ ـ تفسير القمي: ج٢، ص٢٦٣، س٢٢.

٤ ـ التوحيد: ص٤١١، ح٤، باب ٦٤ ـ التعريف والبيان والحجة والهداية.

٥ ـ الاعتقادات في دين الامامية: ص١٧، باب ٨ ـ الاعتقاد في الفطرة والهداية.

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَـلَقَكُمْ أَوَّلَ مَـرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾

ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ * ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ﴾: وقرئ بالنون، وضم الشين.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: القمّي: أي يجيئون من كل ناحية[١].

وعن الباقر عليه السلام: يحبس أولهم على آخرهم يعني ليتلاحقوا[٢].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا﴾: إذا حضروها، و«ما» مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور.

﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: بأن ينطقها الله.

﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: القمّي: نزلت في قوم تعرض عليهم أعمالهم فينكرونها، فيقولون: ما عملنا شيئاً منها فتشهد عليهم الملائكة الذين كتبوا عليهم أعمالهم[٣].

قال الصادق عليه السلام: فيقولون لله: يا رب هؤلاء ملائكتك يشهدون لك، ثم يحلفون بالله ما فعلوا من ذلك شيئاً، وهو قول الله عزّ وجلّ: «يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ»[٤] وهم الذين غصبوا أمير المؤمنين عليه السلام، فعند ذلك يختم الله عزّ وجلّ على ألسنتهم، وينطق جوارحهم، فيشهد السمع بما سمع ممّا حرّم الله، ويشهد البصر بما نظر به إلى ما حرّم الله عزّ وجلّ، وتشهد اليدان بما أخذتا، وتشهد الرجلان بما سعتا فيما حرّم الله عزّ وجلّ، ويشهد

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٦٤، س ٣.

٢ ـ لم نعثر عليه، بل وجدناه في مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٩، س ٦، من دون نسبة إلى الإمام.

٣ ـ هكذا في الأصل، وفي تفسير القمّي جاء هذا القول ذيل قوله تعالى: «حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا» دون هذا المكان.

٤ ـ المجادلة: ١٨.

وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾

الفرج بما ارتكب ممّا حرّم الله، ثم أنطق الله عزّ وجلّ ألسنتهم فيقولون هم لجلودهم: «لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا»؟ الآية[١].

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾: قال: أي من الله[٢].

﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾: قال: الجلود: الفروج[٣].

وفي الكافي عنه عليه السلام: في هذه الآية قال: يعني بالجلود: الفروج، والأفخاذ[٤].

وفي الفقيه: عن أمير المؤمنين عليه السلام فيها قال: يعني بالجلود: الفروج[٥].

﴿وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾: فلذلك اجترأتم على ما فعلتم.

وقيل: معنى الآية كنتم تستترون الناس[٦] عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة، وما ظننتم أن أعضاءكم تشهد عليكم، فما استترتم عليها[٧].

وقيل: بل معناه وما كنتم تتركون المعاصي حذراً أن تشهد عليكم جوارحكم بها لأنّكم ما تظنون ذلك، ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً ممّا تعملون، لجهلكم بالله فهان عليكم إرتكاب المعاصي لذلك[٨].

﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾:

---

١ و ٢ و ٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٦٤، س ٧ و ١٤ و ١٥.

٤ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٦، س ٥، ح ١، باب في أن الإيمان مبثوث لجوارح البدن كلها.

٥ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٣٨١، س ٢١، ح ١٦٢٧ / ١، باب ٢٢٧ باب الفروض على الجوارح.

٦ ـ هكذا في الأصل، والصحيح: «كنتم تسترون من الناس».

٧ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٤٧، س ٨.

٨ ـ قاله الطبرسي في تفسيره مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٠، س ١٤.

فَإِن يَصْبِرُواْ فَالنَّارُ مَثْوىً لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَـٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾

إذ صار ما منحوا للإستعداد به في الدارين سبباً لشقاء المنزلين.

القمّي: عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن آخر عبد يؤمر به إلى النار، فإذا أُمر به التفت، فيقول الجبار جل جلاله ردوه فيردونه، فيقول له: لم التفت إلي؟ فيقول: يارب لم يكن ظني بك هذا، فيقول: وما كان ظنك بي؟ فيقول: يارب كان ظني بك أن تغفر لي خطيئتي، وتسكنني جنتك، قال: فيقول الجبار: يا ملائكتي لا وعزتي وجلالي وآلائي وعلوي وإرتفاع مكاني ما ظن بي عبدي هذا ساعة من خير قط، ولو ظن بي ساعة من خير ما روعته بالنار، أجيزوا له كذبه وأدخلوه الجنّة، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ليس من عبد يظن بالله عزّ وجلّ خيراً إلّا كان عند ظنه به، وذلك قوله عزّ وجلّ: «وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ»[١].

﴿فَإِن يَصْبِرُواْ فَالنَّارُ مَثْوىً لَّهُمْ﴾: لا خلاص لهم عنها.

﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ﴾: يسألوا العتبى، وهي الرجوع إلى ما يحبون.

﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾: أي لا يجابوا إلى ذلك، ونظيره قوله تعالى حكاية «أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ»[٢].

﴿وَقَيَّضْنَا﴾: وقدّرنا.

﴿لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾: القمّي: يعني الشياطين من الجن والإنس[٣].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٢٦٤، س١٩.
٢ ـ إبراهيم: ٢١.
٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٢٦٥، س٦.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَاباً شَدِيداً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءَ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

﴿فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: من أمر الدنيا واتباع الشهوات.

﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: من أمر الآخرة وإنكاره.

﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾: أي كلمة العذاب.

﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾: في جملة أُمم.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾: وقد عملوا مثل أعمالهم.

﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ خَـٰسِرِينَ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾: وعارضوه بالخرافات، القمّي: وصيّروه سخرية ولغواً[١].

﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾: تغلبونه على قراءته.

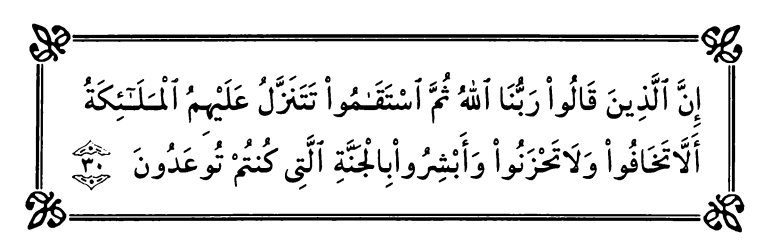
﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَاباً شَدِيداً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: سيئات أعمالهم، وقد سبق مثله.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءَ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾: ينكرون الحق.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾: شيطاني

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٢٦٥، س ١٠.



النوعين الحاملين على الظلالة والعصيان.

في المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام يعنون إبليس الأبالسه، وقابيل ابن آدم أوّل من أبدع المعصية[١].

والقمّي: قال: العالم عليه السلام من الجن ابليس الذي ردّ عليه قتل رسول الله صلى الله عليه وآله في دار الندوة وأضل الناس بالمعاصي وجاء بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أبي بكر فبايعه ومن الإنس فلان[٢].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: هما، ثم قال: وكان فلان شيطاناً[٣].

أقول: لعلّ ذلك لأنّ ولد الزنا يخلق من مائي الزاني والشيطان معاً.

وفي رواية: هما والله هما ثلاثاً[٤]، وقرئ أرنا بالتخفيف.

﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾: ندسهما انتقاماً منهما.

﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾: ذلاً ومكاناً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾: إعترافاً بربوبيته، وإقراراً بوحدانيته.

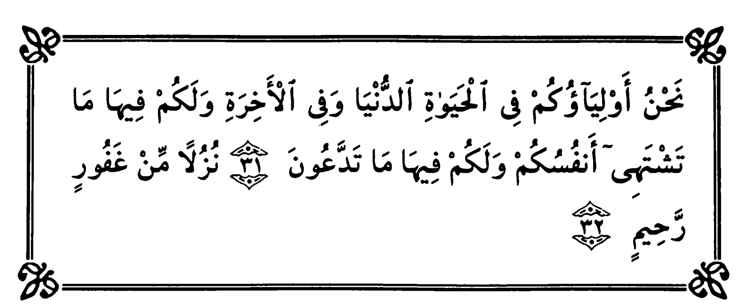
﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾: على مقتضاه.

القمّي: قال: على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام[٥]. ويأتي ما في معناه.

وفي نهج البلاغة: إني متكلم بعدة الله وحجته، قال الله تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ» الآية، وقد قلتم ربنا الله فاستقيموا على كتابه، وعلى منهاج أمره، وعلى الطريقة الصالحة من عبادته، ثم لا تمرقوا منها، ولا تبتدعوا فيها، ولا تخالفوا عنها، فإن أهـل المـروق منقطع بهم عند الله يوم القيامة[٦].

---

١ ـ مجمع البيان: ج٩ ـ ١٠، ص١٢، س٤.
٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٦٥، س١١.
٣ و٤ ـ الكافي: ج٨، ص٣٣٤ ح٥٢٣ و٥٢٤.
٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٦٥، س١٥.
٦ ـ نهج البلاغة ص٢٥٣، نصائح للناس، الخطبة ١٧٦.



﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾: في المجمع: عن الصادق عليه السلام[١]، والقمّي: قال عند الموت[٢].

﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾: ما تقدمون عليه.

﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾: على ما خلفتم.

﴿وَأَبْشِرُواْ بِالْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾: في الدنيا.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: القمّي: قال: كنا نحرسكم من الشياطين[٣].

﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾: قال: أي عند الموت[٤].

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾: ما تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب.

﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: استقاموا على الأئمّة واحداً بعد واحد[٥].

وفي المجمع: عن الرضا عليه السلام أنه سئل ما الإستقامة؟ قال: هي والله ما أنتم عليه[٦].

وعن الباقر عليه السلام: نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا، أي نحرسكم في الدنيا وعند الموت وفي الآخرة[٧].

١ـ مجمع البيان: ج٩ ـ ١٠، ص١٢، س١٥. ٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٦٥، س١٦.
٣ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٦٥، س ١٧.
٤ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٦٥، س ١٧ ـ ١٨.
٥ـ الكافي: ج١، ص ٤٢٠، ح ٤٠، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.
٦ـ مجمع البيان: ج٩ ـ ١٠، ص١٢، س١٤. ٧ ـ مجمع البيان: ج٩ ـ ١٠، ص١٣، س٨.

والقمّي: عن الصادق عليه السلام قال: ما يموت موال لنا مبغض لأعدائنا إلّا ويحضره رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين، والحسن، والحسين، عليهم السلام فيرونه، ويبشرونه، وإن كان غير موال يراهم بحيث يسوؤه، والدليل على ذلك، قول أمير المؤمنين عليه السلام لحارث الهمداني:

يا حار همدان من يمت يرني   من مؤمن أو منافق قبلا[1]

وفي تفسير الإمام عليه السلام: عند قوله تعالى: «يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُواْ رَبِّهِمْ»[2] من سورة البقرة قال: رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يزال المؤمن خائفاً من سوء العاقبة، ولا يتيقن الوصول إلى رضوان الله حتى يكون وقت نزع روحه، وظهور ملك الموت له، وذلك أن ملك الموت يرد على المؤمن وهو في شدة علّته، وعظيم ضيق صدره بما يخلفه من أمواله، وبما هو عليه من اضطراب أحواله من معامليه وعياله، وقد بقيت في نفسه حسراتها، واقتطع دون أمانيه، فلم ينلها فيقول له ملك الموت: مالك تتجرع[3] غصصك قال: لإضطراب أحوالي واقتطاعك لي دون آمالي، فيقول له ملك الموت :وهل يحزن عاقل من فقد درهم زائف واعتياض ألف ألف ضعف الدنيا، فيقول: لا، فيقول ملك الموت: فانظر فوقك، فينظر فيرى درجات الجنان وقصورها التي يقصر دونها الأماني، فيقول ملك الموت: تلك منازلك، ونعمك، وأموالك، وأهلك وعيالك، ومن كان من أهلك هاهنا وذريتك صالحاً فهم هنالك معك، أفترضى بهم بدلاً ممّا هاهنا؟ فيقول: بلى والله، ثم يقول: أُنظر فينظر فيرى محمداً، وعلياً، والطيبين من آلهما عليهم السلام في أعلا عليّين، فيقول: أوتراهم هؤلاء ساداتك وأئمتك، هم هناك جلّاسك وأُنّاسك، أفترضى بهم بدلاً مما تفارق هنا؟ فيقول: بلى وربي، فذلك ما قال الله عزّ وجلّ: «إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ» فما أمامكم من الأهوال فقد كفيتموها، ولا تحزنوا على ما تخلفونه من الذراري والعيال، فهذا الذي شاهدتموه في الجنان بدلاً منهم، «وَأَبْشِرُواْ بِالْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ» هذه منازلكم، وهؤلاء ساداتكم أُنّاسكم وجلّاسكم[4].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٢٦٥ ـ ٢٦٦.   ٢ ـ البقرة: ٤٦.

٣ ـ جرعت الماء جرعاً ـ من باب نفع، وجرعت أجرع ـ من باب تعب ـ لغة وهو الابتلاع، والجرعة ـ من الماء كاللقمة من الطعام ـ وهو ما يجرع مرة واحدة والجمع جرع. المصباح المنير: ص٩٧، مادة «جرع».

٤ ـ تفسير الإمام العسكري: ص٢٣٩، ح١٧.

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾

وفي البصائر عن الباقر عليه السلام أنه قيل له: يبلغنا أن الملائكة تتنزل عليكم قال: أي والله لتنزل علينا فتطأ فرشنا أما تقرأ في كتاب الله تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ» الآية[1].

وفي الخرايج: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال: أما والله لربّما وسّدنا هم الوسائد في منازلنا، وقال: هم ألطف بصبياننا منّا بهم، وربّما التقطنا من زغبها[2][3].

وفي الكافي: عنه، عن أبيه عليهما السلام، في حديث ليلة القدر قال: زعم ابن عباس أنه من الذين: «قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ» فقلت له: هل رأيت يا ابن عبّاس الملائكة تخبرك بولايتها لك في الدنيا والآخرة مع الأمن من الخوف والحزن؟ قال: فقال: إنّ الله تبارك وتعالى يقول: «إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ»[4] وقد دخل في هذا جميع الأمة فاستضحكت، ثم قلت صدقت يا ابن عباس[5].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾: إلى عباته.

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: فيما بينه وبين ربه.

﴿وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: العياشي: إنّها في علي عليه السلام[6].

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾: في الجزاء وحسن العاقبة، «ولا» الثانية

---

١ ـ بصائر الدرجات: ص ١١١، ح ٣ الجزء الثاني، باب ١٧ ـ في أن الأئمّة والملائكة تدخل منازلهم ويطوف بسطهم ويأتيهم عليهم الصلاة والسلام بالاخبار.

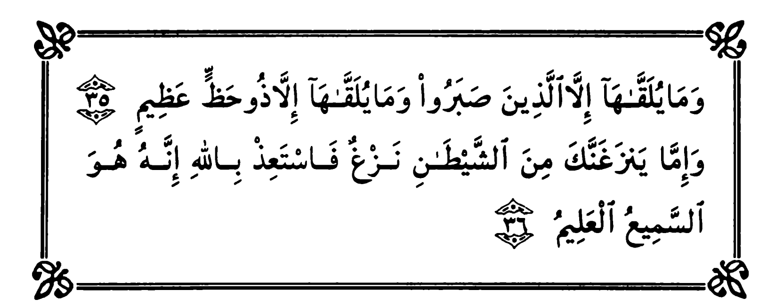
٢ ـ الزغب ـ محرّكة ـ: صغار الشعر ولينه حين يبدو من الصبي، وكذلك من الشيخ حين يرق شعره ويضعف، ومن الريش أوّل ما ينبت. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٧٩، مادة «زغب».

٣ ـ الخرائج والجرائح: ج ٢، ص ٨٥٠ ـ ٨٥١، ح ٦٥.

٤ ـ الحجرات: ١٠.

٥ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٤٧، ح ٢، باب في شأن انا أنزلناه في ليلة القدر وتفسيرها.

٦ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٧٩، ح ٢٨٦.



مزيدة لتأكيد النفي.

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتي هي أحسن منها وهي الحسنة على أن المراد بالأحسن الزائد مطلقاً أو بأحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات.

﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾: أي إذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق.

القمّي: قال: ادفع سيئة من أساء إليك بحسنتك حتى يكون: «ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ»[1].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ» قال: الحسنة: التقية، والسيئة: الإذاعة، وقال: التي هي أحسن: التقيّة[2].

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾: وما يلق هذه السجية، وهي مقابلة الإساءة بالإحسان.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾: فإنّها تحبس النفس عن الإنتقام.

وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام إلّا الذين صبروا في الدنيا على الأذى[3].

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾: من الخير، وكمال النفس.

في المجمع: عن الصادق عليه السلام وما يلقها إلّا كل ذي حظ عظيم[4].

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾: نخس[5] شبّه به وسوسته.

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾: من شره، ولا تطعه.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٦٦، س ٤.
٢ ـ الكافي: ج ٢، ص ٢١٨، ح ٦، باب التقية.
٣ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٣، س ٣٢.
٤ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٤، س ١.
٥ ـ نخس الدابّة ـ كنصر وجعل ـ: غرز مؤخرها بعود ونحوه. مجمع البحرين: ج ٤، ص ١١١، مادة «نخس».

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْـقَمَرُ لَا تَسْـجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِالَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْئَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَـآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْيِ ٱلْمَـوْتَىٰٓ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

﴿إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لاستعاذتك.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بنيّتك، القمّي: المخاطبة لرسول الله ﷺ والمعنى للناس[١].

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾: لأنّهما مخلوقان مأموران مثلكم.

﴿وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: فإنّ السجود أخص العبادات هنا موضع السجود، كما رواه في المجمع عنهم عليهم السلام[٢].

﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾: عن الإمتثال.

﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾: من الملائكة.

﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِالَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: أي دائماً.

﴿وَهُمْ لَا يَسْئَمُونَ﴾: ولا يملون.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً﴾: يابسة متطامنة، مستعار من الخشوع بمعنى التذلل.

﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَـآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾: انتفخت بالنبات.

﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا﴾: بعد موتها.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٢٦، س ٧.

٢ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٥.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِناً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾

﴿لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾: يميلون عن الإستقامة.

﴿فِىٓ ءَايَـٰتِنَا﴾: بالطعن، والتحريف، والتأويل بالباطل، والإلغاء فيها.

﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾: فنجازيهم على إلحادهم. وقد مضى في هذا كلام في المقدمة السادسة من هذا الكتاب عن أمير المؤمنين عليه السلام[1].

﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِناً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾: تهديد شديد.

﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: وعيد بالمجازاة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾: بدل من «إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ»، أو مستأنف وخبر «إنّ» محذوف أو خبره أُولئك ينادون، كذا قيل[2].

والقمّي: عن الباقر عليه السلام بالذكر: يعني القرآن[3].

﴿وَإِنَّهُ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ * لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ﴾: قال: لا يأتيه الباطل من قبل التوراة، ولا من قبل الإنجيل، والزبور[4].

---

١ ـ أُنظر ج ١، ص ٨٣ ـ ٨٤ من كتابنا تفسير الصافي.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٥٠، س ١.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٦٦، س ١٦.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٦٦، س ١٧.

مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾

﴿وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾: أي لا يأتيه من بعده كتاب يبطله.

وفي المجمع: عنهما عليهما السلام ليس في إخباره عمّا مضى باطل، ولا في إخباره عمّا يكون في المستقبل باطل، بل إخباره كلها موافقة لمخبراتها[1].

﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ﴾: أي حكيم.

﴿حَمِيدٍ﴾: يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه.

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾: لأنبيائه.

﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾: لأعدائهم.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾: قيل: جواب لقولهم: هلا نزل هذا القرآن بلغة العجم؟[2].

﴿لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾: بينت بلسان نفقهه.

﴿ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾: أكلام أعجمي ومخاطب عربي.

القمّي: لو كان هذا القرآن أعجمياً لقالوا: كيف نتعلّمه، ولساننا عربي وأتيتنا بقرآن أعجمي فأحب أن ينزل بلسانهم وفيه قال الله: «وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ»[3][4].

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص١٥، س ٣١.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٥٠، س ٨.

٣ ـ إبراهيم: ٤.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٢٦٦، س ١٩.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ من رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

والأعجمي يقال: للذي لا يفهم كلامه، ويقال لكلامه، وقرئ أعجمي بفتح العين وتوحيد الهمزة على أن يكون منسوباً إلى العجم.

﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدىً﴾: إلى الحق.

﴿وَشِفَآءٌ﴾: من الشك والشبهة.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمىً﴾: لتصامّهم عن سماعه، وتعاميهم عمّا نريهم من الآيات.

﴿أُوْلَـٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾: تمثيل لعدم قبولهم واستماعهم له بمن يصاح به من مسافة بعيدة.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾: كما اختلف في القرآن، وهو تسلية للنبي صلى الله عليه وآله.

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام قال: اختلفوا كما اختلفت هذه الأمة في الكتاب، وسيختلفون في الكتاب الذي مع القائم الذي يأتيهم به حتى ينكره ناس كثير فيقدمهم فيضرب أعناقهم[1].

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ من رَّبِّكَ﴾: بالإمهال.

﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: بإستئصال المكذبين.

﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾: من القرآن.

﴿مُرِيبٍ﴾: موجب للإضطراب.

﴿مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحاً فَلِنَفْسِهِ﴾: نفعه.

---

١ ـ الكافي: ج٨، ص٢٨٧، ح٤٣٢.

إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾

﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾: ضرره.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾: فيفعل بهم ما ليس له أن يفعله.

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾: إذا سئل عنها إذ لا يعلمها إلّا هو.

﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾: من أوعيتها، جمع كم بالكسر، وقرئ من ثمرات بالجمع لاختلاف الأنواع.

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾: إلّا مقروناً بعلمه واقعاً حسب تعلّقه به.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾: بزعمكم القمّي: يعني ما كانوا يعبدون من دون الله[1]

﴿قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ﴾: أعلمناك.

﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾: من أحد منّا يشهد لهم بالشرك إذ تبرأنا منهم لمّا عاينا الحال، والسؤال للتوبيخ، أو ما من أحد منّا يشاهدهم لأنّهم ضلوا عنّا.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ﴾: يعبدون.

﴿مِن قَبْلُ وَظَنُّواْ﴾: وأيقنوا.

﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾: مهرب.

﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾: القمّي: أي لا يمل ولا يعي من أن يدعوا

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٦٦، س٢٢.

وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾

لنفسه بالخير[١].

﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾: قيل: أي يائس من روح الله وفرجه[٢].

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾: بتفريجها عنه.

﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾: حقي أستحقه لما لي من الفضل والعمل، أو لي دائماً لا يزول.

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾: تقوم.

﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾: أي ولئن قامت على التوهم كان لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة، وذلك لإعتقاده أنّ ما أصابه من نعم الدنيا فلإستحقاق لا ينفك عنه.

﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾: فلنخبرنّهم بحقيقة أعمالهم، ولنبصرنّهم خلاف ما اعتقدوا فيها.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: لا يمكنهم التفصي عنه.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ﴾: عن الشكر.

﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾: وانحرف عنه، وذهب بنفسه، وتباعد عنه بكلّيته تكبّراً، والجانب مجاز عن النفس كالجنب في قوله: «فِي جَنْبِ ٱللَّهِ»[١].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٦٧، س ٣.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٥١.

٣ ـ الزمر: ٥٦.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: كالفقر، والمرض، والشدّة.

﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾: كثير.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾: أخبروني.

﴿إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: أي القرآن.

﴿ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ﴾: من غير نظر واتباع دليل.

﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾: من أضل منكم، فوضع الموصول في موضع الضمير شرحاً لحالهم، وتعليلاً لمزيد ضلالهم.

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾: قيل: يعني سنريهم حججنا ودلائلنا على ما ندعوهم إليه من التوحيد، وما يتبعه في آفاق العالم، وأقطار السماء والأرض، من الشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، والبحار، والأشجار، والدواب، «وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ» وما فيها من لطائف الصنعة وودائع الحكمة حتى يظهر لهم أنه الحق[1].

أقول: هذا لقوم يستشهدون بالصنايع على الصانع كما هو دأب المتوسطين من الناس الذين لا يرضون بمحض التقليد ويرون أنفسهم فوق ذلك.

القمّي: «فِى ٱلْـَٔافَاقِ»: الكسوف، والزلازل، وما يعرض في السماء من الآيات، وأما «فِىٓ أَنفُسِهِمْ» فمرّة بالجوع، ومرّة بالعطش، ومرّة يشبع، ومرّة يروى، ومرّة يمرض، ومرّة يصح،

---

١ ـ مجمع البيان: ج٩ ـ ١٠، ص١٩، س٢١.

ومرّة يستغني، ومرّة يفتقر، ومرّة يرضى، ومرّة يغضب، ومرّة يخاف، ومرّة يأمن، فهذا من عظم دلالة الله على التوحيد.

قال الشاعر:

وفي كـل شيء له آيـة ... تدل على أنـه واحـد[1]

أقول: وهذا تخصيص للآيات ببعضها ممّا يناسب أفهام العوام.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: نريهم في أنفسهم: المسخ، ونريهم في الآفاق: إنتقاض الآفاق عليهم، فيرون قدرة الله عزّ وجلّ في أنفسهم وفي الآفاق، قيل: «حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ»: قال: خروج القائم عليه السلام هو الحق من عند الله عزّ وجلّ، يراه الخلق، لابد منه[2].

وفي رواية: خسف، ومسخ، وقذف، سئل حتى يتبين، قال: دع ذا، ذاك قيام القائم عليه السلام[3].

وفي إرشاد المفيد: عن الكاظم عليه السلام قال: الفتن في آفاق الأرض، والمسخ: في أعداء الحق[4].

أقول: كأنّه عليه السلام أراد أنّ ذلك إنّما يكون في الرجعة، وعند ظهور القائم عليه السلام حيث يرون من العجائب والغرائب في الآفاق، وفي الأنفس ما يتبين لهم به من أنّ الإمامة والولاية وظهور الإمام حق فهذا للجاحدين.

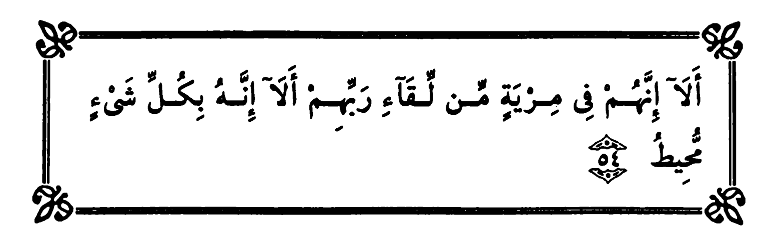
﴿**أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾: يعني أولم يكفك شهادة ربك على كل شيء دليلاً عليه.

أقول: هذا للخواص الذين يستشهدون بالله على الله ولهذا خصه به في الخطاب.

وفي مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: العبوديّة: جوهرة كنهها الربوبيّة، فما فقد من العبوديّة وجد في الربوبيّة، وما خفي عن الربوبيّة أُصيب في العبوديّة، قال الله تعالى: «سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ» إلى قوله «شَهِيدٌ» أي موجود في غيبتك وحضرتك[5].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٦٧، س ٧.
٢ ـ الكافي: ج ٨، ص ٣٨١، ح ٥٧٥.
٣ ـ الكافي: ج ٨، ص ١٦٦، ح ١٨١.
٤ ـ الإرشاد للشيخ المفيد: ص ٣٥٩.
٥ ـ مصباح الشريعة: ص ٧.



﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ﴾: شك.

﴿مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ﴾: بالبعث والجزاء.

﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطُۢ﴾: عالم به، مقتدر عليه، لا يفوته شيء، وتأويله يستفاد ممّا في المصباح.

في ثواب الأعمال[1]، والمجمع: عن الصادق عليه السلام من قرأ حم السجدة كانت له نوراً يوم القيامة مدّ بصره، وسروراً، وعاش في الدنيا محموداً مغبوطاً[2].

وفي الخصال: عنه عليه السلام أنّ العزائم أربع: وعدّ منها هذه السورة[3].

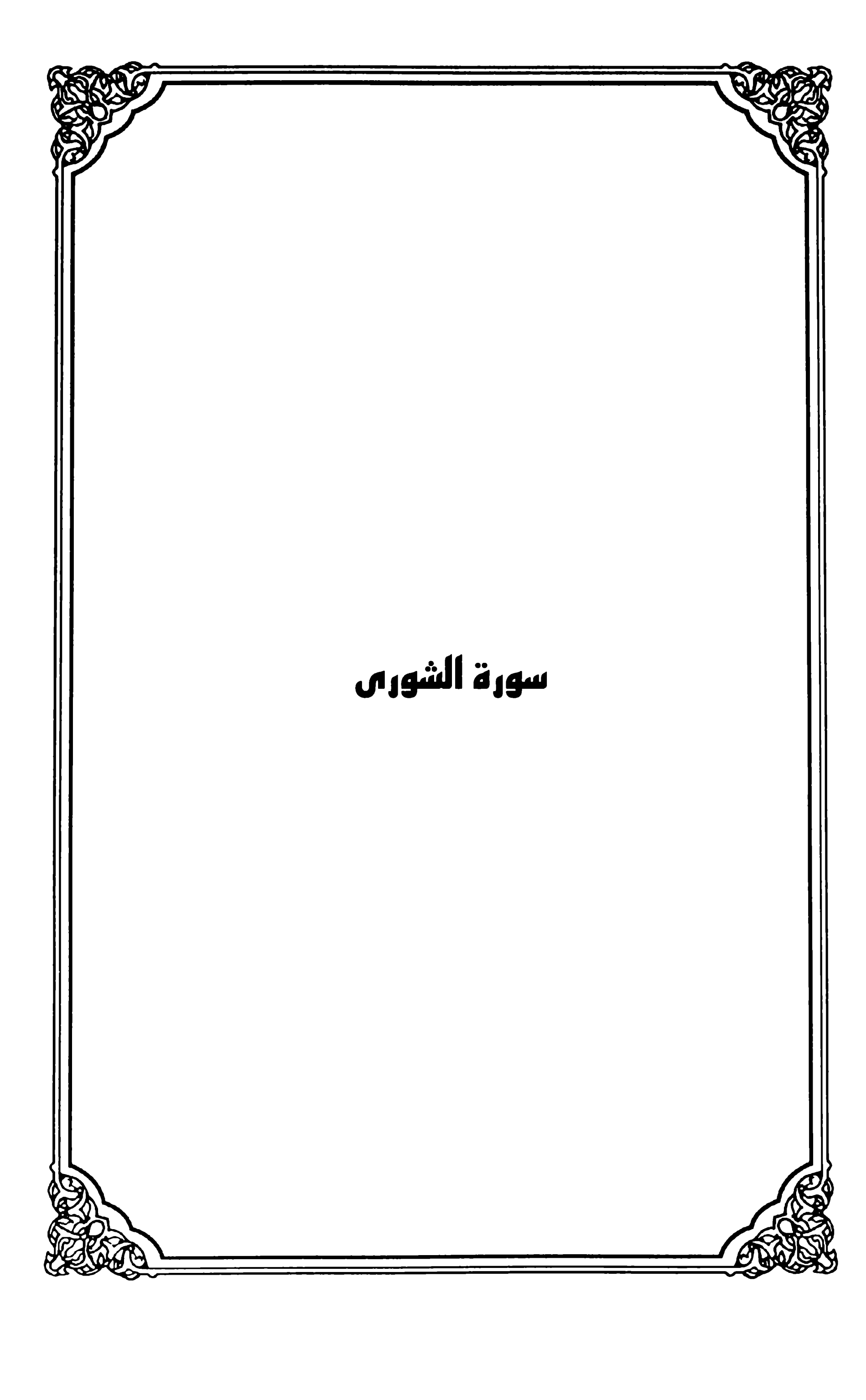
كما مر في آلم السجدة.

* * *

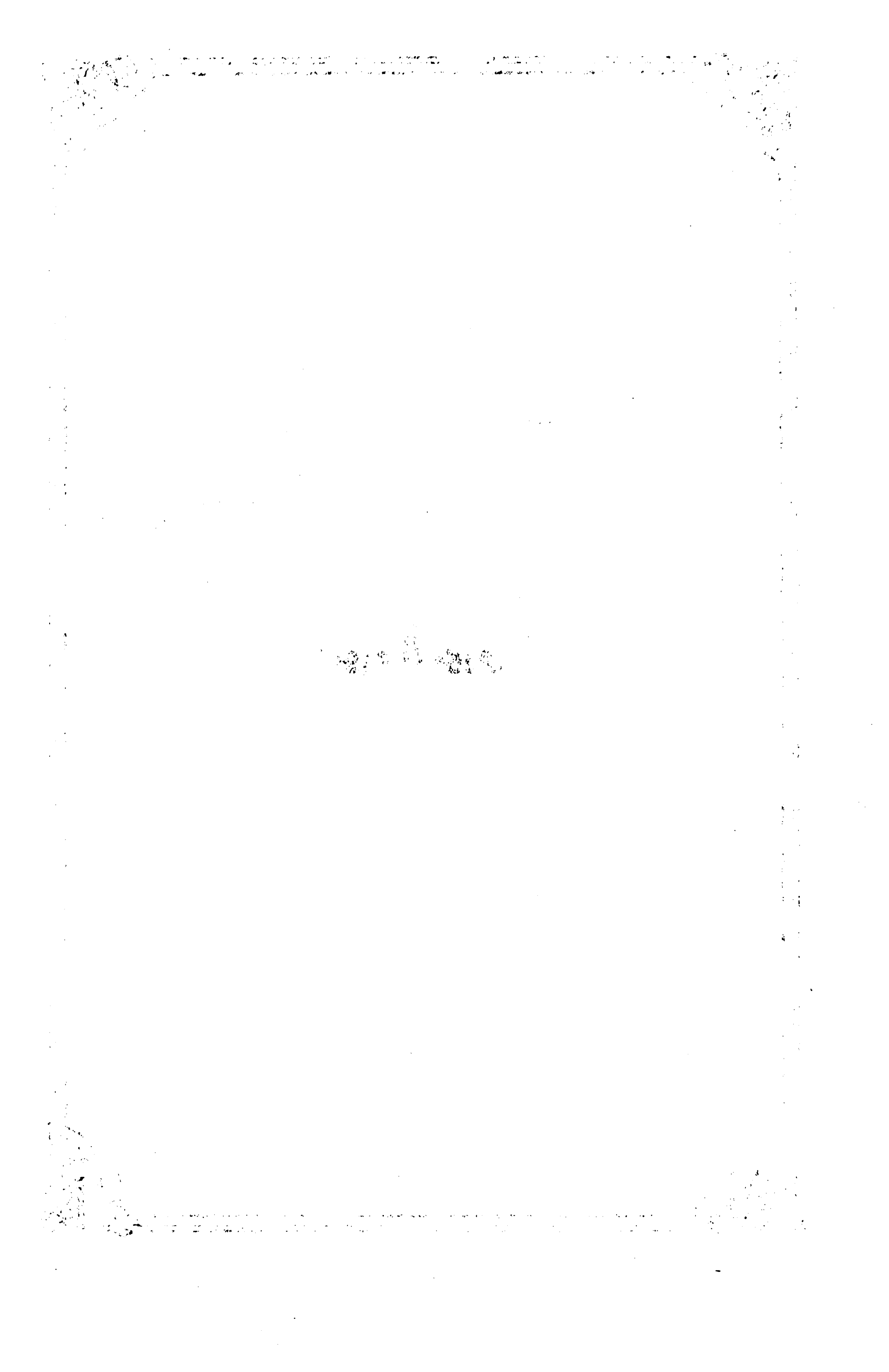
١ ـ ثواب الأعمال: ص١١٣، ح١، باب ثواب قراءة حم السجدة.

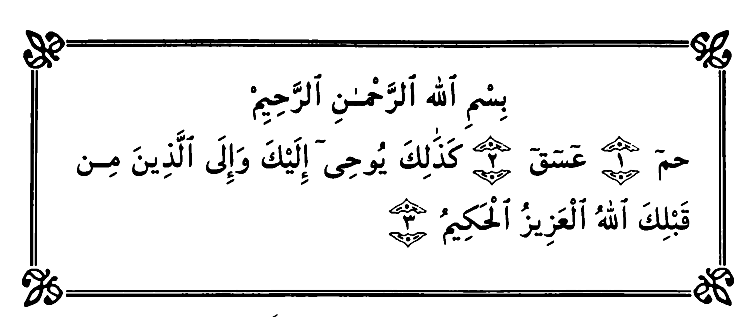
٢ ـ مجمع البيان: ج٩ ـ ١٠، ص٣، في فضلها.

٣ ـ الخصال: ص ٢٥٢، ح ١٢٤، باب ٤ ـ العزائم التي يسجد فيها أربع سور.

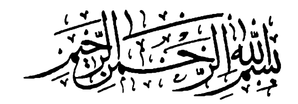


سورة الشورى





سورة حمٓ * عٓسٓقٓ: وتسمّى سورة الشورى أيضاً، وهي مكيّة، وعدد آيها ثلاث وخمسون آية كوفي، وخمسون في الباقي.



﴿حمٓ * عٓسٓقٓ﴾: في المعاني: عن الصادق عليه السلام معناه: الحكيم المثيب، العالم السميع، القادر القوي[1].

والقمّي: عن الباقر عليه السلام هو حروف من إسم الله الأعظم المقطوع، يؤلفه الرسول والإمام عليهما السلام فيكون الإسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب[2].

وعنه عليه السلام: عَسٓ[3]: عدد سني القائم عليه السلام، وقاف: جبل محيط بالدنيا من زمرّدة خضراء فخضرة السماء من ذلك الجبل، وعلم كل شيء في «عٓسٓقٓ»[4].

﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: وقرئ يوحى بفتح الحاء.

---

١ ـ معاني الأخبار: ص ٢٢، ح ١، باب معنى الحروف المقطعة.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٦٧، س ١٨.

٣ ـ هكذا في الأصل، والصحيح: «عٓسٓق» كما في المصدر.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٦٨، س ٣.

لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾

﴿لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ * تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾: وقرئ بالياء.

﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾: يتشققن من عظمة الله.

القمّي: عن الباقر عليه السلام يتصدّعن[١]، وقرئ ينفطرن.

﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾: من جهتهن الفوقانية أو من فوق الأرضين.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾: القمّي: قال: للمؤمنين من الشيعة التوابين خاصة، ولفظ الآية عام والمعنى خاص[٢].

وفي الجوامع: عن الصادق عليه السلام ويستغفرون لمن في الأرض من المؤمنين[٣].

﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾: رقيب على أحوالهم وأعمالهم فيجازيهم بها.

﴿وَمَآ أَنتَ﴾: يا محمّد.

﴿عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ * وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾:

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٦٨، س١١. ٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٦٨، س٦.

٣ ـ جوامع الجامع: ص ٤٢٧، س ١٠، الطبعة الحجريّة.

وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾

أهل أُم القرى، وهي مكة. وقد مرّ وجه تسميتها في سورة الأنعام[1].

﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: سائر الأرض.

﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾: يوم القيامة يجمع فيه الخلائق.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: إعتراض.

﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله الناس، ثم رفع يده اليمنى قابضاً على كفه ثم قال: أتدرون أيها الناس ما في كفّي؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: فيها أسماء أهل الجنّة، وأسماء آبائهم، وقبائلهم إلى يوم القيامة، ثم رفع يده الشمال، فقال: يا أيها الناس أتدرون ما في كفّي؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: أسماء أهل النار، وأسماء آبائهم، وقبائلهم إلى يوم القيامة، ثم قال: حكم الله وعدل، حكم الله وعدل «فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ»[2].

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: مهتدين. القمّي: لو شاء أن يجعلهم كلّهم معصومين مثل الملائكة بلا طباع لقدر عليه[3].

﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾: بالهداية.

﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: أي ويدعهم بغير ولي ولانصير في عذابه.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟﴾: بل اتخذوا.

---

١ ـ ذيل الآية: ٩٢، أُنظر ج ٣، ص ٦٧ ـ ٦٨ من كتابنا تفسير الصافي.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٤٤، ح ١٦، باب مولد النبي صلى الله عليه وآله.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٧٢، س ٢١.

وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾

﴿مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: القمّي: «وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ» من المذاهب، واخترتم لأنفسكم من الأديان فحكم ذلك كله إلى الله يوم القيامة[١].

وقيل: وما اختلفتم فيه من تأويل المتشابه فارجعوا إلى المحكم من كتاب الله[٢].

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: في مجامع الأمور.

﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾: أرجع.

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾: القمّي: يعني النساء[٣].

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا﴾: قال: يعني ذكراً وأنثى[٤].

﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾: يبثكم ويكثركم.

القمّي: يعني النسل الذي يكون من الذكور والأناث[٥].

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾: القمّي: رد الله على من وصف الله[٦]. قيل: الكاف زائدة[٧].

وقيل: بل المراد المبالغة في نفي المثل عنه فإنه إذا نفى عمّن يناسبه ويسدّ مسدّه كان نفيه عنه أولى[٨].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٧٣، س٢. ٢ ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص٣٥٤، س٤.

٣ و٤ و ٥ و ٦ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٧٣، س٣ و٤ و٥.

٧ ـ قاله الطبرسي في تفسيره مجمع البيان: ج٩ ـ ١٠، ص٢٤، س٧.

٨ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٣٥٤، س١١.

لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحاً وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾

في خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ» إذا كان الشيء من مشيّته فكان لا يشبه مكونه، رواها في مصباح المتهجد[1].

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾: لكل ما يسمع ويبصر.

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: خزائنها.

﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾: يوسّع ويقتر على وفق مشيئته.

﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: فيفعله على ما ينبغي.

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحاً وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾: أي شرع لكم من الدين: دين نوح ومحمد صلى الله عليه وآله، ومن بينهما من أرباب الشرائع وهو الأصل المشترك فيما بينهم.

القمّي: مخاطبة لرسول الله صلى الله عليه وآله[2].

﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾: قال: أي تعلموا الدين يعني التوحيد، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت، والسنن، والأحكام التي في الكتب، والإقرار بولاية أمير المؤمنين عليه السلام[3].

---

١ ـ مصباح المتهجد: ص٦٩٧، س٤.
٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٧٣، س٦.
٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٧٣، س٨.

﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾: ولا تختلفوا فيه.

﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: عظم عليهم.

﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾: قال: من ذكر هذه الشرائع[١].

﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ﴾: يختار ويجتلب إلى الدين.

﴿وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ﴾: بالإرشاد والتوفيق.

﴿مَن يُنِيبُ﴾: من يقبل إليه. القمّي: وهم الأئمّة الذين إختارهم واجتباهم[٢].

وعن الصادق عليه السلام: «أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ» قال: الإمام عليه السلام، «وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ»: كناية عن أمير المؤمنين عليه السلام، «مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ» من ولاية علي عليه السلام «مَن يَشَآءُ» كناية عن علي عليه السلام[٣].

وفي الكافي: عن الرضا عليه السلام: نحن الذين شرع الله لنا دينه، فقال في كتابه: «شَرَعَ لَكُم» يا آل محمد «مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً»، وقد وصّانا بما وصى به نوحاً، «وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ» يا محمد، «وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ» فقد علمنا وبلغنا علم ما علمنا، واستودعنا علمهم، نحن ورثة أولي العزم من الرسل «أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ» يا آل محمد «وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ»، وكونوا على جماعة، «كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ» من أشرك بولاية علي عليه السلام «مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ» من ولاية علي عليه السلام أن الله يا محمد «وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ» من يجيبك إلى ولاية علي عليه السلام[٤].

وفي البصائر عنه: عن السجاد عليه السلام[٥] مثله.

وفي الكافي: عنه عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ» بولاية علي عليه السلام، «مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ» يا محمد من ولاية علي عليه السلام هكذا في الكتاب مخطوطة[٦].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٧٣، س ١١.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٧٣، س ١٢.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٧٤، س ١.

٤ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤، ح ١، باب أن الأئمّة ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء الذين من قبلهم.

٥ ـ بصائر الدرجات: ص ١٣٩، ذيل ح ١، الجزء الثالث، باب ٣ ـ في أن الأئمّة ورثوا علم أولي العزم من الرسل وجميع الأنبياء وأنهم صلوات الله عليهم أمناء الله في أرضه وعندهم علم البلايا والمنايا وأنساب العرب.

٦ ـ الكافي: ج ١، ص ٤١٨، ح ٣٢، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾

وعن الباقر عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ بعث نوحاً إلى قومه أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون، ثم دعاهم إلى الله وحده، وأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، ثم بعث الأنبياء على ذلك إلى أن قد بلغوا محمداً صلى الله عليه وآله فدعاهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا، وقال: «شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ» إلى قوله «مَن يُنِيبُ» فبعث الأنبياء إلى قومهم بشهادة أن لا إله إلّا الله، والإقرار بما جاء من عند الله، فمن آمن مخلصا ومات على ذلك أدخله الله الجنّة بذلك، وذلك أن الله ليس بظلام للعبيد، وذلك أنّ الله لم يكن يعذب عبداً حتى يغلظ عليه في القتل والمعاصي التي أوجب الله عليه بها النار، لمن عمل بها فلمّا استجاب لكلّ نبي من استجاب له من قومه من المؤمنين جعل لكل نبي منهم شرعة ومنهاجاً، والشرعة والمنهاج: سبيل وسنة[١].

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَا بَيْنَهُمْ﴾: القمّي: قال: لم يتفرّقوا بجهل، ولكنهم تفرّقوا لما جاءهم العلم وعرفوه فحسد بعضهم بعضاً، وبغى بعضهم على بعض، لمّا رأوا من تفاضيل أمير المؤمنين عليه السلام بأمر الله فتفرّقوا في المذاهب، وأخذوا بالآراء والأهواء[٢].

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾: بالإمهال.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: القمّي: قال: لولا أنّ الله قد قدر ذلك أن يكون في التقدير الأول لقضي بينهم إذا اختلفوا، وأهلكهم ولم ينظرهم، ولكن أخّرهم إلى أجل مسمى[٣].

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾: قال: كناية عن الذين نقضوا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله[٤].

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٢٨ ـ ٢٩، ح ١، باب (١).

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٧٣، س ١٣. وفيه: «تفاضل أمير المؤمنين».

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٧٣، س ١٧.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٧٣، س ١٩.

فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾

﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾: قال: يعني لهذه الأمور، والدين الذي تقدم ذكره وموالاة أمير المؤمنين عليه السلام[١].

«فَادْعُ» وعن الصادق عليه السلام: يعني إلى ولاية أمير المؤمنين عليه السلام[٢].

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾: فيه.

﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾: يعني جميع الكتب المنزلة.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾: خالق الكل ومتولّي أمره.

﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾: وكل مجازىً بعمله.

﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾: لا حجاج بمعنى لا خصومة، إذ الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجّة مجال.

﴿ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾: يوم القيامة.

﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: مرجع الكل.

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ﴾: في دينه.

﴿مِن بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ﴾: لدينه أو لرسوله.

﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: القمّي: أي يحتجّون على الله بعد ما شاء الله أن

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٧٣، س ٢٠. ٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٧٤، س ١.

ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾

يبعث إليهم الرسل فبعث الله إليهم الرسل والكتب فغيّروا وبدّلوا، ثم يحتجّون يوم القيامة، وحجّتهم على الله داحضة، أي باطلة عند ربّهم[١].

﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: بمعاندتهم.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ﴾: القمّي: قال: الميزان أمير المؤمنين عليه السلام[٢].

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾: إتيانها.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾: إستهزاء.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾: خائفون منها مع إعتناء بها لتوقع الثواب.

﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾: الكائن لا محالة.

﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾: القمّي: كناية عن القيامة فإنهم كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وآله: أقم لنا الساعة «وائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين»[٣]، فقال الله تعالى: «أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ» أي يخاصمون[٤].

﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾: برّ بهم بصنوف من البر.

﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾: قيل: أي يرزق كما يشاء فيخص كلّاً من عباده بنوع من البر

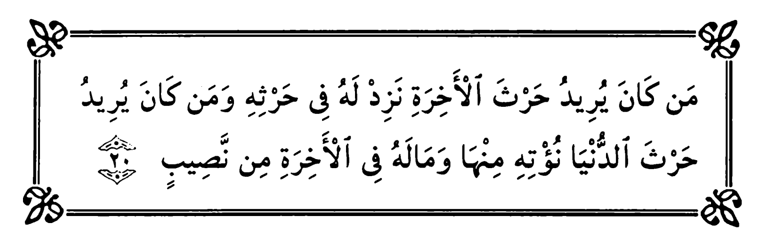
---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٧٤، س ٧.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٧٤، س ١٠.

٣ ـ اقتباس من الآية ٧٠ من سورة الأعراف.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٧٤، س ١٠.



على ما اقتضته حكمته[١].

﴿وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾: المنيع الذي لا يغلب.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ﴾: ثوابها شبهه بالزرع من حيث أنّه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل: الدنيا مزرعة الآخرة[٢].

﴿نَزِدْ لَهُ فِى حَرْثِهِ﴾: فنعطه بالواحد عشراً إلى سبعمائة فما فوقها.

﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾: شيئاً منها على ما قسّمنا له.

﴿وَمَالَهُ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾: إذا الأعمال بالنيات وإنّما لكل امرىء ما نوى.

القمّي: عن الصادق عليه السلام المال والبنون حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة، وقد يجمعهما الله لأقوام[٣].

وفي الكافي: عنه عليه السلام من أراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب، ومن أراد به خير الآخرة أعطاه الله خير الدنيا والآخرة[٤].

وفي المجمع عن النبي صلى الله عليه وآله من كانت نيّته الدنيا فرّق الله عليه أمره، وجعل الفقر بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلّا ما كتب له، ومن كانت نيته الآخرة جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة[٥].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام قيل له: «ٱللَّهُ لَطِيفُ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ» قال: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، قيل: «مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ» قال: معرفة أمير المؤمنين، والأئمّة عليهم السلام، قيل: «نَزِدْ لَهُ فِى حَرْثِهِ» قال نزيده منها يستوفي نصيبه من دولتهم «وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٣٥٦، س٧.

٢ ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص٣٥٦، س٩.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٧٤، س١٧.

٤ ـ الكافي: ج١، ص٤٦، ح٢، باب المستأكل بعلمه والمباهي به.

٥ ـ مجمع البيان: ج٩ ـ ١٠، ص٢٧، س١٣.

أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ ٱللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمْ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾

نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ» قال: ليس له في دولة الحق مع الإمام نصيب[١].

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ ٱللَّهُ﴾: كالشرك وإنكار البعث، والعمل للدنيا.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: في الكافي: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال: لو لا ما تقدم فيهم من الله عز ذكره ما أبقى القائم منهم احداً[٢].

أقول: يعني قائم كل عصر.

﴿وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ﴾: خائفين ممّا ارتكبوا وعملوا.

﴿وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمْ﴾: أي ما يخافونه.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ * ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ

---

١ ـ الكافي: ج١، ص٤٣٥ ـ ٤٣٦، ذيل ح٩٢، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٢ ـ الكافي: ج٨، ص٢٨٧، ح٤٣٢.

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾: وقرئ يبشر من أبشره.

﴿قُلْ لَّآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على ما اتعاطاه من التبليغ.

﴿أَجْراً﴾: نفعاً منكم.

﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾: أن تؤدوا قرابتي وعترتي، وتحفظوني فيهم، كذا في المجمع عن السجاد، والباقر، والصادق عليهم السلام[1].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام: قال: لمّا رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من حجّة الوداع وقدم المدينة أتته الأنصار، فقالوا: يا رسول الله إن الله تعالى قد أحسن إلينا، وشرّفنا بك، وبنزولك بين ظهرانينا، فقد فرّح الله صديقنا، وكبّت عدوّنا، وقد تأتيك وفود فلا تجد ما تعطيهم فيشمت بك العدوّ، فنحبّ أن تأخذ ثلث أموالنا حتّى إذا قدم عليك وفد مكة وجدت ما تعطيهم، فلم يرد رسول الله صلى الله عليه وآله عليهم شيئاً، وكان ينتظر ما يأتيه من ربه، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام وقال: «قُلْ لَّآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ» ولم يقبل أموالهم، فقال المنافقون: ما أنزل الله هذا على محمد صلى الله عليه وآله وما يريد إلّا أن يرفع بضبع[2] ابن عمه، ويحمل علينا أهل بيته يقول امس: «من كنت مولاه فعلي مولاه» واليوم «قُلْ لَّآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ»[3].

وفي قرب الإسناد: عنه، عن آبائه عليهم السلام، لمّا نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله قام رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أيها الناس إن الله تبارك وتعالى قد فرض عليكم فرضاً فهل أنتم مؤدّوه؟ قال: فلم يجبه أحد منهم، فانصرف، فلمّا كان من الغد، قام فقال: مثل ذلك، ثم قام فيهم فقال: مثل ذلك، في اليوم الثالث، فلم يتكلّم أحد، فقال: أيها الناس إنه ليس من ذهب، ولا من فضّة ولا مطعم، ولا مشرب، قالوا فألقه إذن قال: إن الله تبارك وتعالى أنزل عليّ: «قُلْ لَّآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ» فقالوا: أمّا هذه فنعم؟[4].

قال الصادق عليه السلام: فوالله ماوفى بها إلّا سبعة نفر: سلمان، وأبو ذر، وعمّار، والمقداد بن

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص٢٨، س٢٤.

٢ ـ الضبع: العضد كلها، أو وسطها بلحمها، أو الإبط أو ما بين الإبط إلى نصف العضد أعلاه. القاموس المحيط: ج٣، ص٥٣ ـ ٥٤.

٣ ـ الكافي: ج١، ص٢٩٥ ـ ٢٩٦، ح٣، باب الأشارة والنص على أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ ـ قرب الاسناد: ص٧٨، ح٢٥٤.

الأسود الكندي، وجابر بن عبد الله الإنصاري، ومولى لرسول الله ﷺ يقال له: الثبيت، وزيد ابن أرقم(١).

وفي العيون: عن الرضا عليه السلام ما يقرب منه مع بسط وبيان(٢).

وفي الجوامع: روي أن المشركين قالوا فيما بينهم: أترون أن محمداً ﷺ يسأل على ما يتعاطاه أجراً؟ فنزلت هذه الآية(٣).

وتأتي أخبار أُخر في هذه الآية عن قريب إن شاء الله.

وفي المحاسن: عن الباقر عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية؟ فقال: هي والله فريضة من الله على العباد لمحمد ﷺ في أهل بيته(٤).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام أنّه قال: ما يقول أهل البصرة في هذه الآية: «قُل لَّآ أَسْئَلُكُمْ» الآية؟ قيل: إنهم يقولون: إنّها لأقارب رسول الله ﷺ، قال: كذبوا إنّما نزلت فينا خاصة في أهل البيت: في علي، وفاطمة، والحسن، والحسين، عليهم السلام أصحاب الكساء(٥).

وفي المجمع: عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: «قُلْ لَّآ أَسْئَلُكُمْ» الآية قالوا يا رسول الله: من هؤلاء الذين أمرنا الله بمودّتهم؟ قال: علي وفاطمة وولدهما عليهم السلام(٦).

---

١ ـ قرب الإسناد: ص٧٩، ح٢٥٥.

٢ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص٢٣٣، ح١، الولاية السادسة، باب ٢٣ ـ ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والأُمة.

٣ ـ جوامع الجامع: ص ٤٢٥، س ٨، الطبعة الحجريّة.

٤ ـ المحاسن: ج١، ص٢٤٠، ح٤٤١ / ٤٦، باب ١٣ ـ «قُلْ لَّآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ».

٥ ـ الكافي: ج٨، ص٩٣، ح٦٦.

٦ ـ مجمع البيان: ج٩ ـ ١٠، ص٢٨، س٢٩؛ وانظر الكشّاف: ج ٤، ص٢١٩. وفيه أيضاً: عن النبي ﷺ: حرمت الجنّة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي، ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبدالمطلب ولم يجازه عليها فأنا أُجازيه عليها غداً إذا لقيني يوم القيامة.

ونقل الفخر الرازي في كتابه التفسير الكبير: ج ٢٧، ص ١٦٥ ـ ١٦٦ عن الزمخشري: قال رسول الله ﷺ: من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات تائباً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد بشّره ملك الموت بالجنّة، ثمّ منكر ونكير، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد يزف إلى الجنّة كما تزفّ العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد فتح له في قبره بابان إلى الجنّة، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة، ألا ومن مات على ⇦

وعن علي عليه السلام :قال: فينا في آل حم آية لايحفظ مودتنا إلّا كل مؤمن، ثم قرأ هذه الآية[1].

وعن النبي صلى الله عليه وآله إن الله خلق الأنبياء من أشجار شتى، وخلقت أنا وعلي من شجرة واحدة، فأنا أصلها، وعلي فرعها، وفاطمة لقاحها، والحسن والحسين عليهما السلام ثمارها، وأشياعنا أوراقها، فمن تعلّق بغصن من أغصانها نجا، ومن زاغ هوى، ولو أن عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام، ثم ألف عام، ثم ألف عام حتى يصير كالشن البالي، ثم لم يدرك محبّتنا أكبه الله على منخريه، ثم تلا: «قُلْ لَّآ أَسْئَلُكُمْ» الآية[2].

⇐ بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمّد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمّد لم يشمّ رائحة الجنّة.

وأضاف الفخر الرازي، قائلاً: آل محمّد صلى الله عليه وآله هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكلّ من كان أمرهم إليه أشدّ وأكمل كانوا هم الآل، ولا شكّ أنّ فاطمة وعليّاً والحسن والحسين كان التعلّق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله أشد التعليقات وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل، وأيضاً اختلف الناس في الآل، فقيل: هم الأقارب، وقيل: هم أُمّته، فإن حملناه على القرابة فهم الآل، وإن حملناه على الأمّة الذين قبلوا دعوته فهم أيضاً آل، فثبت أنّ على جميع التقديرات هم الآل، وأمّا غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل؟ فمختلف فيه، وروى صاحب الكشاف أنّه لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ فقال: علي وفاطمة وابناهما، فثبت أنّ هؤلاء الأربعة أقارب النبي صلى الله عليه وآله وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم، ويدل عليه وجوه:

الأوّل: قوله تعالى: «إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ» ووجه الإستدلال به ما سبق.

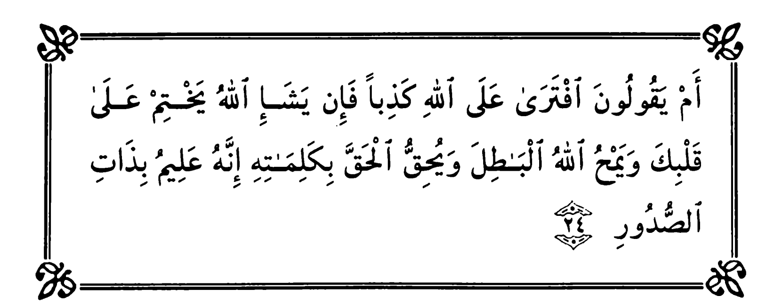
الثاني: لا شكّ أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يحب فاطمة عليها السلام، قال صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما يؤذيها»، وثبت بالنقل المتواتر عن محمّد صلى الله عليه وآله أنّه كان يحبّ عليّاً والحسن والحسين، وإذا ثبت ذلك وجب على كلّ الأمّه مثله لقوله: «وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ»، ولقوله تعالى: «فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ»، ولقوله: «قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللهُ»، ولقوله سبحانه: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ».

الثالث: أنّ الدعاء للآل منصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة وهو قوله: اللهمّ صلّ علىٰ محمّد وعلى آل محمّد وارحم محمداً وآل محمد، وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل، فكل ذلك يدلّ على أنّ حب آل محمّد واجب.

وروى القرطبي في تفسيره ج ١٦، ص ٢٣، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً، ومن مات على حبّ آل محمّد جعل الله زوّار قبره الملائكة والرحمة، من مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس اليوم من رحمة الله، ومن مات على بغض آل محمّد لم يرح رائحة الجنّة، من مات على بغض آل بيتي فلا نصيب له في شفاعتي.

١ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٢٩، س ٥.

٢ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٢٨ ـ ٢٩.



وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام إنه سئل عنها فقال: هم الأئمّة عليهم السلام(١).

وفي الخصال: عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من لم يحب عترتي فهو لإحدى ثلاث: إمّا منافق، وإما لزنية، وإما إمرءٌ حملت به أُمّه في غير طهر(٢).

﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾: في المجمع: عن الصادق عليه السلام إنها نزلت فينا أهل البيت أصحاب الكساء عليهم السلام(٣).

وعن الحسن المجتبى عليه السلام: إنّه قال في خطبة: أنا من أهل بيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم، فقال: «قُلْ لَّآ أَسْئَلُكُمْ» إلى قوله «حُسْناً» قال: فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت عليهم السلام(٤).

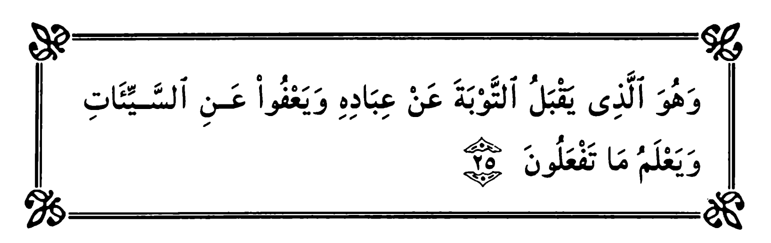
وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال: من توالى الأوصياء من آل محمد صلى الله عليه وآله، واتبع آثارهم فذاك نزيده ولاية من مضى من النبيين والمؤمنين الأولين حتّى تصل ولايتهم إلى آدم عليه السلام(٥).

وعنه عليه السلام: الإقتراف: التسليم لنا، والصدق علينا، وأن لا يكذب علينا(٦).

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾: بإمساك الوحي، وقيل: استبعاد للإفتراء عن مثله بالإشعار على أنّه إنّما يجترئ عليه من كان مختوماً على قلبه، جاهلاً بربّه، فأمّا من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا، وكأنّه قال: إن يشأ الله خذلانك

---

١ ـ الكافي: ج١، ص٤١٣، ح٧، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.
٢ ـ الخصال: ص١١٠، ح٨٢، باب ٣ ـ من لم يحب عترة النبي صلى الله عليه وآله فهو لاحدى ثلاث.
٣ و ٤ ـ مجمع البيان: ج٩ ـ ١٠، ص٢٩. ٥ ـ الكافي: ج٨، ص٣٧٩، ح٥٧٤.
٦ ـ الكافي: ج١، ص٣٩١، ح٤، باب التسليم وفضل المسلمين.



يختم على قلبك لتجترئ بالإفتراء عليه[1].

﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَـٰطِلَ﴾: المفترى.

﴿وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: في الكافي: عن الباقر عليه السلام يقول: لو شئت حبست عنك الوحي فلم تكلّم بفضل أهل بيتك ولا بمودتهم، وقد قال الله تعالى: «وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَـٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِ» يقول: يحق لأهل بيتك الولاية، «إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ» يقول: بما ألقوه في صدورهم من العداوة لأهل بيتك والظلم بعدك[2].

والقمّي: عنه عليه السلام قال: جاءت الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا إنا قد آوينا ونصرنا فخذ طائفة من أموالنا فاستعن بها على ما نابك، فأنزل الله عزّ وجلّ: «قُلْ لَّآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً» يعني على النبوة «إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ» أي في أهل بيته، ثم قال: ألا ترى أن الرجل يكون له صديق وفي نفس ذلك الرجل شيء على أهل بيته فلا يسلم صدره فأراد الله عزّ وجلّ أن لا يكون في نفس رسول الله صلى الله عليه وآله شيء على أُمته، ففرض الله عليهم المودّة في القربى، فإن أخذوا أخذوا مفروضاً، وإن تركوا تركوا مفروضاً، قال: فانصرفوا من عنده، وبعضهم يقول: عرضنا عليه أموالنا فقال: لا، قاتلوا عن أهل بيتي من بعدي، وقالت طائفة ما قال: هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وحجدوه، وقالوا كما حكى الله عزّ وجلّ: «أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً» فقال الله عزّ وجلّ: «فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ» قال: لو افتريت «وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَـٰطِلَ» يعني يبطله: «وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِ» يعني بالأئمة، والقائم من آل محمد صلوات عليهم[3].

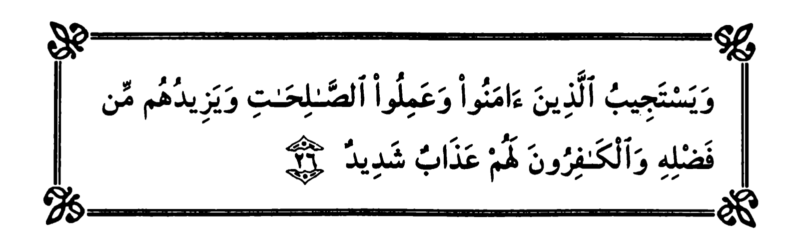
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٣٥٧، س١٣.

٢ ـ الكافي: ج٨، ص٣٧٩ ـ ٣٨٠، ح٥٧٤.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٧٥، س٧. وفيه: «بالنبي وبالأئمة».



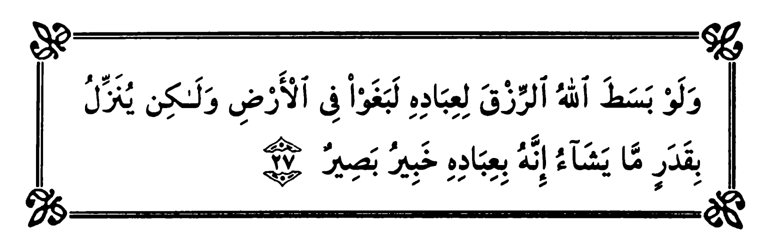
تَفْعَلُونَ﴾: وقرئ بالياء، في العيون: عن سيد الشهداء عليه السلام قال: اجتمع المهاجرون والأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: إنّ لك يا رسول الله مؤونة في نفقتك، وفيمن يأتيك من الوفود، وهذه أموالنا مع دمائنا فاحكم فيها باراً مأجوراً، اعط ما شئت، وأمسك ما شئت من غير حرج، قال: فأنزل الله عزّ وجلّ عليه الروح الأمين فقال: قل يا محمد: «لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ» يعني أن تودوا قرابتي من بعدي، فخرجوا، فقال المنافقون: ما حمل رسول الله صلى الله عليه وآله على ترك ما عرضنا عليه إلّا ليحثّنا على قرابته من بعده، إن هو إلّا شيء إفتراه محمد في مجلسه، وكان ذلك من قولهم عظيماً، فأنزل الله تعالى هذه الآية «أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنْ ٱفْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ»[1] فبعث إليهم النبي صلى الله عليه وآله فقال: هل من حدث؟ فقالوا: أي والله يا رسول الله، لقد قال: بعصنا: كلاً ما عظيماً كرهناه فتلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله الآية فبكوا واشتد بكاؤهم فأنزل الله عزّ وجلّ: «وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ» الآية[2].

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَٱلْكَـٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: في المجمع: عن ابن عباس إن رسول الله صلى الله عليه وآله حين قدم المدينة واستحكم الإسلام، قالت الأنصار، فيما بينها: نأتي رسول الله صلى الله عليه وآله ونقول له: إن تعرُك أُمور، فهذه أموالنا تحكم فيها غير حرج ولا محظور عليك، فأتوه في ذلك، فنزلت: «قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ» الآية فقرأها عليهم، وقال: تودّون قرابتي من بعدي، فخرجوا من عنده مسلمين لقوله، فقال المنافقون: إن هذا الشيء افتراه في مجلسه، أراد بذلك أن يذلّلنا لقرابته من بعده،

---

١ ـ الأحقاف: ٨.

٢ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦، ح ١، باب ٢٣ ـ ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والأمّة.



فنزلت: «أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً» فأرسل إليهم فتلاها عليهم، فبكوا واشتد عليهم فأنزل الله «وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ» الآية فأرسل في أثرهم فبشرهم وقال: «وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ» وهم الذين سلموا لقوله[١].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: «وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ» قال: هو المؤمن يدعو لأخيه بظهر الغيب، فيقول له الملك: آمين، ويقول العزيز الجبار: ولك مثلا ما سألت وقد أُعطيت ما سألت لحبك إيّاه[٢].

وفي المجمع: عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له النار ممّن أحسن إليهم في الدنيا[٣].

﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: لتكبّروا وأفسدوا بطراً.

القمّي: قال الصادق عليه السلام: لو فعل لفعلوا ولكن جعلهم محتاجين بعضهم إلى بعض، واستعبدهم بذلك، ولو جعلهم كلّهم أغنياء لبغوا[٤].

﴿وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾: قال: بما يعلم إنّه يصلحهم في دينهم ودنياهم[٥].

﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرُۢ بَصِيرٌ﴾: في الحديث القدسي: إنّ من عبادي من لا يصلحه إلّا الغنى ولو أفقرته لأفسده، وإنّ من عبادي من لا يصلحه إلّا الفقر ولو أغنيته لأفسده، وذلك أني أُدبّر عبادي لعلمي بقلوبهم[٦].

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٢٩، س ١٢.
٢ ـ الكافي: ج ٢، ص ٥٠٧، ح ٣، باب الدعاء للاخوان بظهر الغيب.
٣ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٣٠، س ٢٢.
٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٧٦، س ٧.
٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٧٦، س ٩.
٦ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٣٠، س ٣٠.

وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾: المطر الذي يغيثهم من الجدب، ولذلك خص بالنافع، وقرئ ينزل بالتشديد.

﴿مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾: أيسوا منه.

﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾: في كل شيء من السهل، والجبل، والنبات، والحيوان.

﴿وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾: الذي يتولى عباده بإحسانه، ونشر رحمته.

﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: المستحق للحمد.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ * وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾: فبسبب معاصيكم، وقرئ بدون الفاء.

﴿وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾: من الذنوب فلا يعاقب عليها، والآية مخصوصة بالمجرمين فإنّ ما أصاب غيرهم فلزيادة الأجر.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال: ليس من إلتواء[١] عرق، ولا نكبة حجر، ولا عثرة قدم، ولا خدش عود، إلّا بذنب، و لما يعفو الله أكثر، فمن عجل الله عقوبة ذنبه في الدنيا فإن الله أجل وأكرم من أن يعود في عقوبته في الآخرة[٢].

---

١ ـ ألوى برأسه ولواه: إذا أماله من جانب إلى جانب. مجمع البحرين: ج١، ص٣٨١. مادة «لوا».

٢ ـ الكافي: ج٢، ص٤٤٥ ح٦، باب تعجيل عقوبة الذنب.

وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾

وفيه[١]، والقمّي: عنه عليه السلام أنه سئل أرأيت ما أصاب علياً وأهل بيته عليهم السلام من بعده أهو بما كسبت أيديهم وهم أهل بيت طهارة معصومون؟ فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتوب إلى الله ويستغفره في كل يوم وليلة مائة مرّة من غير ذنب، إن الله يخص أولياءه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب[٢].

وفي المجمع: عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خير آية في كتاب الله هذه الآية، يا علي ما من خدش عود، ولا نكبة قدم إلّا بذنب، وما عفا الله عنه في الدنيا فهو أكرم من أن يعود فيه، وما عاقب عليه في الدنيا فهو أعدل من أن يثني على عبده[٣].

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: فائتين، ما قضى عليكم من المصائب.

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾: يحرسكم عنها.

﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾: يدفعها عنكم.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ﴾: السفن الجارية.

﴿فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾: كالجبال.

﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾: فيبقين ثوابت على ظهر البحر.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾: لكلّ من وكلّ همّته وحبس نفسه على النظر في آيات الله والتفكر في الآية، أو لكل مؤمن كامل الإيمان، فإنّ الإيمان نصفان: نصف

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٤٤٩ ـ ٤٥٠، ح ١، باب نادر أيضاً.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٧٧، س ٣.

٣ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٣١، س ١٣.

أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾

صبر، ونصف شكر، كما ورد في الحديث[1].

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾: أو يهلكهنّ، يعني أهلها بإرسال الرياح العاصفة المغرقة.

﴿بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾: بإنجائهم.

﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا﴾: قيل: عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم، وقرئ بالرفع على الإستئناف.

﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾: من محيد من العذاب.

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: تمتّعون به مدة حياتكم.

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾: من ثواب الآخرة.

﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾: لخلوص نفعه ودوامه.

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾: وقرئ كبير الإثم، وقد سبق تفسير الكبائر في سورة النساء[2].

﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام قال: من كظم غيظاً وهو يقدر على إمضائه حشا الله قلبه أمنا وإيماناً يوم القيامة، قال: ومن ملك نفسه إذا رغب، وإذا رهب، وإذا غضب، حرّم الله جسده على النار[3].

---

١ ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص٣٥٩. ٢ ـ ذيل الآية: ٣١، أنظر ج٢، ص٢٢٦ ـ ٢٢٩ من كتابنا تفسير الصافي.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٧٧، س١٢.

وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّـذِينَ إِذَآ أَصَـابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾

وفي هذا المعنى في الكافي[١] وفي غيره أخبار كثيرة[٢].

﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ﴾: قبلوا ما أُمروا به، والقمّي: قال: في إقامة الإمام[٣].

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾: تشاور بينهم، لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه، وذلك من فرط تيّقظهم في الأُمور.

والقمّي: يشاورون الإمام عليه السلام فيما يحتاجون إليه من أمر دينهم، كما قال الله: «وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُول وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ»[٤][٥].

وفي المجمع: عن النبي صلّى الله عليه وآله ما من رجل يشاور أحداً إلّا هدي إلى الرشد[٦].

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾: في سبيل الخير.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾: على ما جعله الله لهم كراهة التذلل، وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر أمهات الفضائل، وهو لا ينافي وصفهم بالغفران، فإنّ الغفران ينبيء عن عجز المغفور، والإنتصار يشعر عن مقاومة الخصم، والحلم عن العاجز محمود، وعن المتغلّب مذموم لأنّه إجراء وإغراء على البغي.

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾: سمّي الثانية سيّئة للإزدواج، أو لأنّها تسوء من تنزل

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ١١٠، ح ٥ و ٦ و ٧، باب كظم الغيظ.

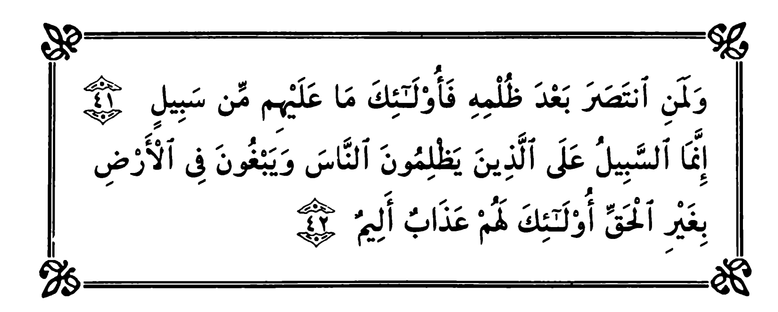
٢ ـ الخصال: ص ١٠٤، ح ٦٣، باب الثلاثة وص ٥٧٠، ح ١، باب الخمسين وما فوقه؛ والأمالي للشيخ الطوسي: ص ١٨٢، ح ٣٠٦ / ٨، س ٢١، المجلس السابع.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٧٧، س ١٥.

٤ ـ النساء: ٨٣.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٧٧، س ١٦.

٦ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٣٣، س ٢٩.



به، وهذا منع عن التعدي في الإنتصار.

﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾: بينه وبين عدوه.

﴿فَأَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ﴾: عدة مبهمة تدل على عظم الموعود.

في المجمع: عن النبي ﷺ قال: اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان أجره على الله فليدخل الجنّة، فيقال: من ذا الذي أجره على الله، فيقال: العافون عن الناس يدخلون الجنّة بغير حساب[١].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: عليكم بالعفو، فان العـفو لا يزيد العبد إلّا عزاً فتعافوا يعزّكم الله[٢].

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: المبتدئين بالسيّئة، والمتجاوزين في الإنتقام.

﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾: بعدما ظلم.

﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾: بالمعاتبة والمعاقبة.

في الخصال: عن السجاد عليه السلام: وحق من أساءك أن تعفو عنه وإن علمت أن العفو نصر انتصرت قال الله تعالى: «وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ»[٣].

وعن الصادق: عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاثة إن لم تظلمهم ظـلموك: السفلة، والزوجة، والمملوك[٤].

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾: يبتدؤنهم بالإضرار، أو يطلبون ما لا يستحقونه تجبّراً عليهم.

﴿وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: على ظلمهم وبغيهم.

---

١ ـ في المجمع: ج ٩ ـ ١٠، ص ٣٤، س ١١.
٢ ـ الكافي: ج ٢، ص ١٠٨، ح ٥، باب العفو.
٣ ـ الخصال: ص ٥٧٠، ح ١، باب ٥٠.
٤ ـ الخصال: ص ٨٦، ح ١٥، باب ٣ ـ ثلاثة ان لم تظلمهم ظلموك.

وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَتَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَـٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾

﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾: على الأذى.

﴿وَغَفَرَ﴾: ولم ينتصر.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾: أي إنّ ذلك منه «لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ».

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾: من ناصر يتولّاه من بعد خذلان الله إيّاه.

﴿وَتَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾: حين يرونه.

﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾: أي إلى رجعة إلى الدنيا.

﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾: أي على النار، ويدلّ عليها العذاب.

﴿خَـٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾: متذلّلين متقاصرين ممّا يلحقهم من الذل.

﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ﴾: أي يبتدئ نظرهم إلى النار من تحريك لأجفانهم ضعيف كالمصبور ينظرإلى السيف[1].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ﴾: بالتعريض للعذاب المخلد.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام قال: «وَلَمَن

---

١ ـ العبارة مشوشة.

وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾

ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ» يعني القائم عليه السلام وأصحابه، إذا قام إنتصر من بني أُميّة، ومن المكذّبين، والنصّاب، هو وأصحابه، وهو قول الله تعالى: «إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ» الآية، «وَتَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ» آل محمد صلوات الله عليهم حقهم «لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ»، وعلي هو العذاب في هذا الوجه، «يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ» فنوالي علياً عليه السلام، «وَتَرَىٰـهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَـٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ» لعلي عليه السلام ينظرون إلى علي عليه السلام من طرف خفي، «وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ»: يعني آل محمد صلوات الله عليهم وشيعتهم «أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ» آل محمد صلوات الله عليهم حقهم «فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ»، قال: والله يعني النصاب الذين نصبوا العداوة لأمير المؤمنين عليه السلام وذريّته والمكذّبين[١]

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ﴾: إلى الهدى والنجاة.

﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَكُم﴾: من الله.

﴿مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾: إنكار لما اقترفتموه لأنّه مثبت في صحائف أعمالكم تشهد عليهم جوارحكم.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾: رقيباً.

﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ﴾: وقد بلغت.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٧٨، س ٣.

لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَٰثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَآءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾

﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإنسَٰنَ كَفُورٌ﴾: بليغ الكفران ينسى النعمة رأساً ويذكر البليّة ويعظّمها ولم يتأمل سببها، وإنّما صدر الأُولى بـ«إِذَا» والثانية بـ«إن» لأنّ إذاقة النعمة محقّقة بخلاف إصابة البليّة، وإنّما أقام علّة الجزاء مقامه في الثانية فوضع[1] الظاهر موضع المضمر: للدلالة على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعمة.

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: فله أن يقسّم النعمة والبليّة كيف يشاء.

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَٰثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام «يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثاً» يعني ليس معهن ذكر، «وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ» يعني ليس معهم أُنثى «أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَٰثاً» أي يهب لمن يشاء ذكراناً وأُناثاً جميعاً يجمع له البنين والبنات أي يهبهم جميعاً لواحد[2].

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْياً﴾: بأن يشاهد ملكاً فيسمع منه أو يقع في قلبه من غير مشاهدة أحد، وأصل الوحي الكلام الخفي الذي يدرك بسرعة.

﴿أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾: بأن يسمع صوتاً من غير مشاهدة.

﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَآءُ﴾: فيسمع من الرسول.

---

١ ـ وفي نسخة: [ووضع].

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٧٨، س١٣.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُوراً نَّهْدِى بِهِ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾

القمّي: قال: وحي مشافهة، ووحي إلهام، وهو الذي يقع في القلب أو من وراء حجاب، كما كلّم الله نبيه ﷺ، وكما كلّم الله موسى من النار، «أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَآءُ» قال: وحي مشافهة يعني إلى الناس[١].

﴿إِنَّهُ عَلِىٌّ﴾: عن صفات المخلوقين.

﴿حَكِيمٌ﴾: يفعل ما تقتضيه حكمته.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا﴾: أي أرسلناه إليك بالوحي.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: خلق من خلق الله عزّ وجلّ أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله ﷺ يخبره ويسدّده وهو مع الأئمّة عليهم السلام من بعده[٢].

وفي رواية: منذ أنزل الله ذلك الروح على محمد ﷺ ما صعد إلى السماء، وإنّه لفينا[٣].

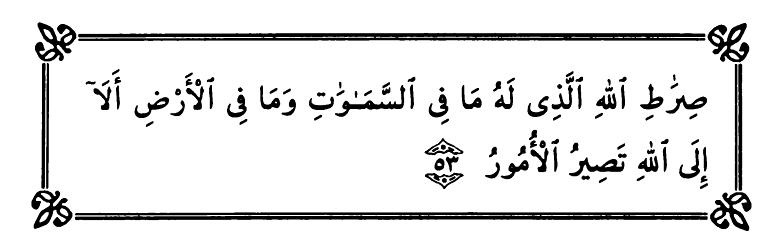
﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾: أي قبل الوحي.

﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُوراً نَّهْدِى بِهِ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام إنّه سئل عن العلم أهو شيء يتعلّمه العالم من أفواه الرجال أم في الكتاب عندكم تقرأونه فتعلمون منه، قال: الأمر أعظم من ذلك وأوجب، أما سمعت قول الله عزّ وجلّ: «وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ» ثم قال: أي شيء يقول أصحابكم في هذه الآية أيقرّون أنّه كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان؟ فقلت: لا أدري جعلت فداك ما يقولون، فقال لي: بلا، قد كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان حتى بعث الله عزّ وجلّ الروح التي ذكر في الكتاب، فلمّا أوحاها إليه علم بها العلم والفهم، وهي

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٧٩، س ٩.

٢ و ٣ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٧٣، ح ١ و ٢، باب الروح التي يسدد الله بها الأئمّة عليهم السلام.



الروح التي يعطيها الله عزّ وجلّ من شاء فإذا أعطاها عبداً علّمه الفهم(١).

والقمّي: عن الباقر عليه السلام «وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُوراً» قال: يعني علياً عليه السلام، وعلي هو النـور هدى به من هدى من خلقه(٢).

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: قال عليه السلام: يعني إنك لتأمر بولاية علي عليه السلام وتدعو إليها، وعلي عليه السلام هو الصراط المستقيم(٣).

﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: قـال: يعني علياً عليه السلام، إنّه جعل خازنه على ما في السماوات وما في الأرض من شيء وائتمنه عليه(٤).

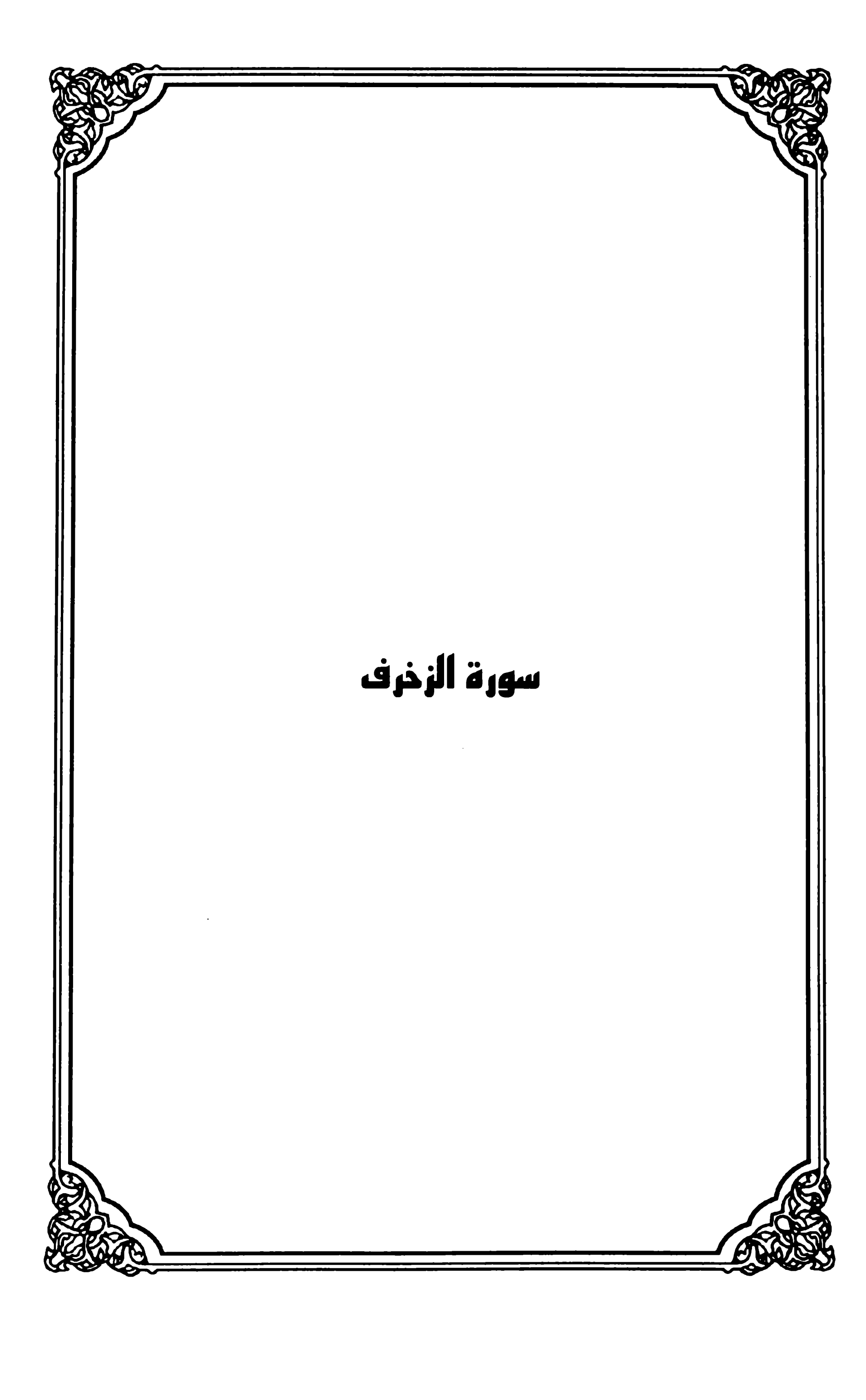
وفي الكافي عن الصادق عليه السلام قال: «وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ» يقول: تدعو(٥).

﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾: بارتفاع الوسائط والتعلّقات، وفيه وعدٌ ووعـيد للمطيعين، والمجرمين. في الكافي: عن الباقر عليه السلام قال: وقع مصحف في البحر فوجدوه وقد ذهب ما فيه إلّا هذه الآية «أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ»(٦).

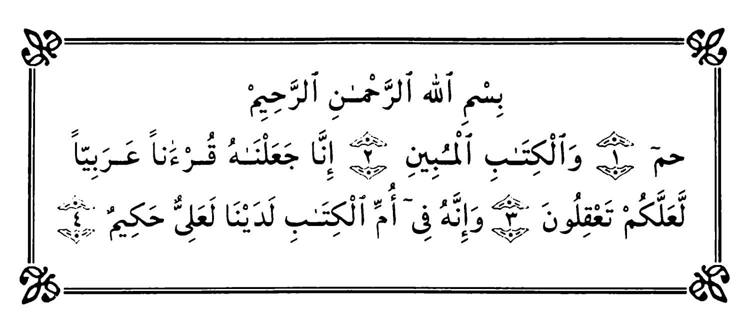
وفي ثواب الأعمال(٧)، والمجمع: عن الصادق عليه السلام من قرأ «حمٓ * عٓسٓقٓ» بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالثلج أو كالشمس حتى يقف بين يدي الله عزّ وجلّ فيقول: عبدي أدمـنت قراءة «حمٓ * عٓسٓقٓ» ولم تدر ما ثوابها؟ أما لو دريت ما هي وما ثوابها لما مـللت قـراءتهـا، ولكن سأُجزيك جزاءك أدخلوه الجنّة، وله فيها قصر من ياقوتة حمـراء أبـوابهـا وشرفـها ودرجها، منها يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، وله فيها حوران من الحور العين، وألف جارية، وألف غلام من الغلمان المخلّدين الذين وصفهم الله عزّ وجلّ(٨).

---

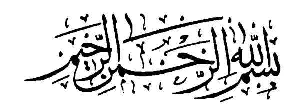
١ ـ الكافي: ج١، ص٢٧٣ ـ ٢٧٤، ح٥، باب الروح التي يسدد الله بها الأئمّة عليهم السلام.
٢ و٣ و٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٨٠.
٥ ـ الكافي: ج٥، ص١٣، ح١، باب من يجب عليه الجهاد.
٦ ـ الكافي: ج٢، ص٦٣٢، ح١٨، باب النوادر.
٧ ـ ثواب الأعمال: ص١١٣، ثواب من قرأ حمٓ عٓسٓقٓ.
٨ ـ مجمع البيان: ج٩ ـ ١٠، ص٢٠، في فضلها.



سورة الزخرف



سورة الزخرف: مكيّة، عدد آيها ثمان وثمانون آية.



﴿حمٓ * وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾: أقسم بالقرآن على أنّه جعله قرآنا عربياً، وهو من البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه.

﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لكي تفقهوا[1] معانيه.

﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾: في اللوح المحفوظ، فإنّه أصل الكتب السماويّة، وقرئ أم الكتاب بالكسر.

﴿لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ﴾: رفيع الشأن.

﴿حَكِيمٌ﴾: ذو حكمة بالغة، كذا قيل[2].

وفي المعاني: عن الصادق عليه السلام هو أمير المؤمنين عليه السلام «فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَـٰبِ» يعني الفاتحة، فإنّه مكتوب فيها في قوله تعالى: «ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ»[3] قال: «ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ»: هو

---

١ ـ وفي نسخة: [تفهموا].

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٣٦٢، س١٧.

٣ ـ الفاتحة: ٦.

أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحاً أَن كُنتُمْ قَوْماً مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشاً وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾

أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفته[١]. والقمّي: ما في معناه[٢].

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحاً﴾: أنهملكم فنضرب عنكم الذكر؟ أي نذوده[٣] ونبعده ونعرض عنكم إعراضاً.

القمّي: استفهام أي ندعكم مهملين لانحتج عليكم برسول الله صلى الله عليه وآله أو بإمام أو بحجج[٤].

﴿أَن كُنتُمْ قَوْماً مُّسْرِفِينَ﴾: لأن كنتم، وقرئ إن بالكسر إخراجاً للمحقق مخرج المشكوك استجهالاً لهم.

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ * وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله عن استهزاء قومه.

﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشاً﴾: أي من القوم المسرفين، لأنّه صرف الخطاب عنهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله مخبراً عنهم. القمّي: يعني من قريش[٥].

﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: وسلف في القرآن قصصهم العجيبة، وفيه وعد للرسول صلى الله عليه وآله، ووعيد لهم بمثل ما جرى على الأولين.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ

---

١ ـ معاني الأخبار: ص ٣٢، ح ١، باب معنى الحروف المقطّعة في أوائل السور من القرآن.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٨٠، س ١٩.

٣ ـ الذود: السوق والطرد والدفع كالذياد وهو ذائد. القاموس المحيط: ج ١، ص ٢٩٣، مادة «ذود».

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٨٠ ـ ٢٨١.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٨١، س ٢.

ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْداً وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾

ٱلْعَلِيمُ﴾: يعني أقروا بعزي وعلمي، وما بعده إستئناف.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْداً﴾: فتستقرون فيها.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾: تسلكونها.

﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: لكي تهتدوا إلى مقاصدكم أو إلى حكمة الصانع بالنظر في ذلك.

﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ﴾: بمقدار ينفع ولا يضر.

﴿فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً﴾: فأحيينا به أرضاً لا نبات فيها.

﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾: تنشرون من قبوركم.

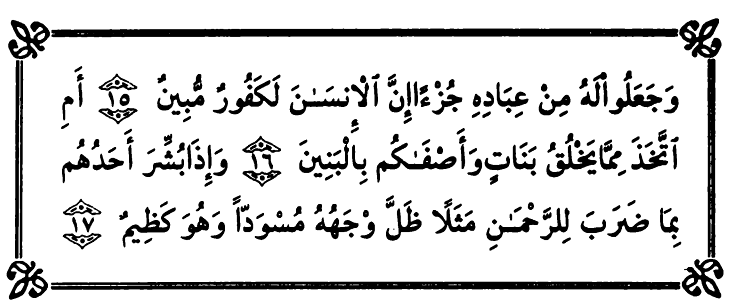
﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾: أصناف المخلوقات.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ﴾: في البحر والبرّ.

﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾: تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها.

﴿وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾: مطيقين، يعني لا طاقة لنا بالإبل، ولا بالفلك، ولا بالبحر لولا أنّ الله سخره لنا.

﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾: أي راجعون، وإتّصاله بذلك لأنّ الركوب للتنقل،



والنقلة العظمى هو الإنقلاب إلى الله عزّ وجلّ، أو لأنّه مخطر فينبغي للراكب أن لا يغفل عنه، ويستعد للقاء الله.

الكافي: عن الرضا عليه السلام فان ركبت الظهر فقل: الحمد لله «ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا» الآية[١].

وعن أبيه عليه السلام: وإن خرجت برّاً فقل: الذي قال الله عزّ وجلّ «سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا» الآية فإنّه ليس من عبد يقولها عند ركوبه فيقع من بعير أو دابة فيصيبه شيء بإذن الله[٢].

﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾: قيل: متصل بقوله: «وَلَئِن سَأَلْتَهُم» أي وجعلوا له بعد ذلك الإعتراف من عباده ولداً فقالوا: الملائكة بنات الله، سماه جزءاً لأنّ الولد بضعة من والده[٣].

القمّي: قوله: «وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا» قال: قالت قريش: إن الملائكة هم بنات الله[٤].

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾: ظاهر الكفران.

﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ﴾: معنى الهمزة في «أَمْ» للإنكار، والتعجيب من شأنهم حيث لم يقنعوا بأن جعلوا له جزءاً حتى جعلوا له من مخلوقاته أجزاء أخس ممّا اختير لهم، وأبغض الأشياء إليهم بحيث إذا بشر بها أحدهم إشتدّ غمّه به كما قال.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلًا﴾: بما جعل لله شبهاً وذلك أن كلّ ولد من كلّ شيء شبهه وجنسه.

---

١ ـ الكافي: ج٥، ص٢٥٦، ح٣، باب ركوب البحر للتجارة.

٢ ـ الكافي: ج٣، ص٤٧١ ـ ٤٧٢، ح٥، باب صلاة الاستخارة.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٦٤، س ٤.

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٨١، س١٩.

أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثاً أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْئَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰباً مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾

﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً﴾: صار وجهه أسود في الغاية لما يعتريه من الكآبة.

﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مملوّ قلبه من الكرب.

﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ﴾: أو يجعلون له من يتربّى في الزينة، يعني البنات.

﴿وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ﴾: في المجادلة.

﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾: للحجة، يقال: قلّما تتكلّم إمرأة بحجّتها إلّا تكلّمت بالحجّة عليها، أو من «ينشؤ» بالشديد أي يربي.

﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثاً﴾: كفر آخر، تضمّنه مقالهم شنع به عليهم، وهو جعلهم أكمل العباد وأكرمهم على الله أنقصم رأياً وأخسّهم صنفاً، وقرئ «عند الرحمن» على تمثيل زلفاهم.

﴿أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ﴾: أحضروا خلق الله إيّاهم فشاهدوهم إناثاً، فإنّ ذلك ممّا يعلم بالمشاهدة، وهو تجهيل وتهكّم بهم، وقرئ وأ أُشهدوا خلقهم بهمزة مضمومة بعد همزة الإستفهام.

﴿سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ﴾: التي شهدوا بها على الملائكة.

﴿وَيُسْئَلُونَ﴾: عنها يوم القيامة.

﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ * أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰباً مِّن قَبْلِهِ﴾: من قبل القرآن ينطق على صحة ما قالوه.

بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾

﴿فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ * بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾: أي لا حجّة لهم على ذلك من جهة العقل، ولا من جهة النقل وإنّما جنحوا فيه إلى تقليد آبائهم الجهلة، و«الأُمة» الطريقة التي تؤمّ.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾: تسلية لرسول الله ﷺ، ودلالة على أنّ التقليد في نحو ذلك ضلال قديم، وفي تخصيص المترفين إشعار بأنّ التنعّم وحبّ البطالة صرفهم عن النظر إلى التقليد.

﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾: يعني أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم، وقرئ «قل» وهو حكاية أمر ماض أوحى إلى النذير، أو خطاب لنبينا ﷺ، وقرئ «قال» أي النذير.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾: أي وإن كان أهدى، إقناطاً للنذير من أن ينظروا أو يتفكّروا فيه.

﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾: بالإستئصال.

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾: ولا تكترث بتكذيبهم.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾: واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرّأ عن التقليد وتمسّك بالبرهان، أو ليقلدوه إن لم يكن لهم بد من التقليد فإنه أشرف آبائهم.

﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾: بريء من عبادتكم أو معبودكم، مصدر نعت به.

﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾: هداية بعد هداية.

﴿وَجَعَلَهَا﴾: أي كلمة التوحيد.

﴿كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾: في ذريّته، فيكون فيهم أبداً من يوحد الله، ويدعو إلى توحيده، ويكون إماماً وحجة على الخلائق.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: يرجع من أشرك منهم بدعاء من وحّده.

وفي الإكمال: عن السجاد عليه السلام قال: فينا نزلت هذه الآية «وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ» والإمامة في عقب الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة[1].

وفي العلل: عن الباقر عليه السلام[2]، وفي المعاني[3]، والمناقب[4]، والمجمع: عن الصادق عليه السلام مثله[5].

---

١ ـ اكمال الدين واتمام النعمة: ص٣٢٣، ح٨، باب ٣١ ـ ما أخبر به سيد العابدين عليه السلام من وقوع الغيبة بالقائم عليه السلام وانه الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام.

٢ ـ علل الشرائع: ص٢٠٧، ح٦، باب ١٥٦ ـ العلة التي من أجلها صارت الإمامة في ولد الحسين دون الحسن صلوات الله عليهما.

٣ ـ معاني الأخبار: ص١٣١ ـ ١٣٢، ح١، باب معنى الكلمة الباقية في عقب ابراهيم عليه السلام.

٤ ـ المناقب لابن شهرآشوب: ج٤، ص٤٦، س٢١، باب في إمامة أبي عبد الله الحسين عليه السلام فصل في المقدمات.

٥ ـ مجمع البيان: ج٩ ـ ١٠، ص٤٥، س٩.

بَلْ مَتَّعْتُ هَـٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُواْ هَـٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾

وفي الإحتجاج: عن النبي صلى الله عليه وآله في خطبة الغدير: معاشر الناس القرآن يعرّفكم أن الأئمّة عليهم السلام من بعده من ولده وعرّفتكم أنهم مني وأنا منهم، حيث يقول الله عزّ وجلّ: «وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ» وقلت: لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما[1].

وفي المناقب: إن النبي صلى الله عليه وآله سئل عن هذه الآية فقال: الإمامة في عقب الحسين عليه السلام يخرج من صلبه تسعة من الأئمّة منهم مهدي هذه الأمة[2].

والقمّي: لعلهم يرجعون يعني الأئمّة عليهم السلام يرجعون إلى الدنيا[3].

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَـٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾: هؤلاء المعاصرين للرسول صلى الله عليه وآله من قريش وآبائهم بالمدّ في العمر والنعمة فاغترّوا بذلك وانهمكوا بالشهوات.

﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ * وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾: لينبّههم عن غفلتهم.

﴿قَالُواْ هَـٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَـٰفِرُونَ﴾: ضمّوا إلى شركهم معاندة الحق والإستخفاف به.

﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ﴾: من إحدى القريتين مكّة والطائف.

---

١ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٨٢، س ٦، احتجاج النبي صلى الله عليه وآله يوم الغدير.

٢ ـ المناقب لابن شهر اشوب: ج ٤، ص ٤٦، س ١٩، باب في إمامة أبي عبد الله الحسين عليه السلام فصل في المقدمات.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٨٣، س ٩.

أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾

﴿عَظِيمٍ﴾: بالجاه والمال، كالوليد بن مغيرة بمكّة وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف، فإن الرسالة منصب عظيم لا يليق إلّا بعظيم، ولم يعلموا إنها رتبة روحانية تستدعي عظيم النفس بالتحلي(١) بالفضائل والكمالات القدسيّة لا التزخرف بالزخارف الدنيويّة.

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾: إنكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم، والمراد بالرحمة: النبوّة.

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: وهم عاجزون عن تدبيرها.

﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾: وأوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره.

﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً﴾: ليستعمل بعضهم بعضاً في حوائجهم فيحصل بينهم تألّف وتضام، وينتظم بذلك نظام العالم، لا لكمال في الموسّع، ولا لنقص في المقترّ، ثم إنّه لا اعتراض لهم علينا في ذلك ولا تصرف فكيف يكون فيما هو أعلى من ذلك.

﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾: هذه يعني النبوة وما يتبعها.

﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾: ممّايجمعه هؤلاء من حطام الدنيا، والعظيم من رزق منهالامنه.

في الإحتجاج(٢)، وفي تفسير الإمام عليه السلام في سورة البقرة(٣)، عن أبيه عليهما السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان قاعداً ذات يوم بفناء الكعبة إذ اجتمع جماعة من رؤساء قريش وساق الحديث كما سبق ذكره في سورة بني اسرائيل(٤)، إلى أن قال: قال له عبدالله بن أبي أُميّة: لو

---

١ ـ هكذا في الأصل. والصحيح: «عِظم النفس والتحلّي».

٢ ـ الإحتجاج: ج١، ص٢٦، احتجاج النبي صلى الله عليه وآله على جماعة من المشركين.

٣ ـ ذيل الآية: ١٠٨.

٤ ـ ذيل الآية: ٩٣، أُنظر ج ٤، ص ٤٥١ ـ ٤٥٨ من كتابنا تفسير الصافي.

أراد الله أن يبعث إلينا رسولاً لبعث أجلّ من في ما بيننا مالاً وأحسنه حالاً، فهلّا نزل هذا القرآن الذي تزعم أنّ الله أنزله عليك وابتعثك به رسولاً على رجل من القريتين عظيم، إمّا الوليد بن المغيرة بمكة، وإمّا عروة بن مسعود الثقفي بالطائف، ثم ذكر أشياءاً إلى أن قال له رسول الله ﷺ: وأما قولك: «لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ» الوليد بن المغيرة بمكة أو عروة بالطائف، فإن الله ليس يستعظم مال الدنيا كما تستعظمه أنت، ولا خطر له عنده كما له عندك، بل لو كانت الدنيا عنده تعدل جناح بعوضة لما سق كافراً به مخالفاً له شربة ماء، وليس قسمة الله إليك، بل الله القاسم للرحمات، والفاعل لما يشاء في عبيده وإمائه، وليس هو عزّوجلّ ممّن يخاف أحداً كما تخافه أنت لماله وحاله فعرفته بالنبوة لذلك ولا ممّن يطمع في أحد في ماله أو في حاله كما تطمع فيخصّه بالنبوة لذلك، ولا ممّن يحب أحداً محبة الهوى كما تحب أنت فتقدم من لا يستحق التقديم وإنّما معاملته بالعدل فلا يؤثر لأفضل مراتب الدين وجلاله إلّا الأفضل في طاعته والأجد في خدمته، وكذلك لا يؤخّر في مراتب الدين وجلاله إلّا أشدّهم تباطؤاً عن طاعته وإذا كان هذا صفته لم ينظر إلى مال ولا إلى حال بل هذا المال والحال من تفضّله، وليس لأحد من عباده عليه ضريبة لازب، فلا يقال له: إذا تفضلت بالمال على عبد فلابد أن يتفضّل عليه بالنبوة أيضاً لأنّه ليس لأحد إكراهه على خلاف مراده، ولا إلزامه تفضّلا، لأنّه تفضّل قبله بنعمته. ألا ترى يا عبد الله كيف أغنى واحداً وقبّح صورته؟ وكيف حسّن صورة واحد وأفقره؟ وكيف شرّف واحداً وأفقره؟ وكيف أغنى واحداً ووضعه، ثم ليس لهذا الغني أن يقول: هلّا أُضيف إلى يساري جمال فلان، ولا للجميل أن يقول: هلّا أُضيف إلى جمالي مال فلان، ولا للشريف أن يقول: هلّا أُضيف إلى شرفي مال فلان، ولا للوضيع أن يقول: هلّا أُضيف إلى ضعتي شرف فلان، ولكن الحكم لله يقسّم كيف يشاء، ويفعل كما يشاء، وهو حكيم في أفعاله، محمود في أعماله، وذلك قوله: «وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ» قال الله تعالى: «أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ» يا محمد «نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا» فأحوجنا بعضنا إلى بعض، أحوج هذا إلى مال ذلك، وأحوج ذلك إلى سلعة هذا، وهذا إلى خدمته، فترى أجلّ الملوك وأغنى الأغنياء محتاجاً إلى أفقر الفقراء في ضرب من الضروب، إمّا سلعة معه ليست معه، وإمّا خدمة يصلح لها لا يتهيأ لذلك الملك أن

﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾

يستغني إلّا به، وإمّا باب من العلوم والحكم هو فقير إلى أن يستفيدها من ذلك الفقير، فهذا الفقير يحتاج إلى مال ذلك الملك الغني، وذلك الملك يحتاج إلى علم هذا الفقير أو رأيه أو معرفته، ثم ليس للملك أن يقول هلّا إجتمع إلى مالي علم هذا الفقير، ولا للفقير أن يقول هلّا إجتمع إلى رأي وعلمي وما أتصرف فيه من فنون الحكم مال هذا الملك الغني[١].

﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: لولا أن يرغبوا في الكفر إذا رأوا الكفار في سعة وتنعم لحبّهم الدنيا فيجتمعوا عليه.

﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾: ومصاعد.

﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾: يعلون السطوح، وقرئ سقفاً مفرداً.

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ﴾: أي أبواباً وسرراً من فضّة.

﴿وَزُخْرُفًا﴾: وزينة. القمّي: «أُمَّةً وَٰحِدَةً» أي على مذهب واحد[٢].

«وَزُخْرُفاً» قال: البيت المزخرف بالذهب[٣].

وعن الصادق عليه السلام: لو فعل الله ذلك بهم لما آمن أحد، ولكنّه جعل في المؤمنين أغنياء وفي الكافرين فقراء، وجعل في المؤمنين فقراء، وفي الكافرين أغنياء، ثم امتحنهم بالأمر والنهي والصبر والرضا[٤].

---

١ ـ تفسير الإمام العسكري: ص٥٠١ ـ ٥٠٨، ح٣١٤، إحتجاجاته صلى الله عليه وآله على المشركين وإلزامهم.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٨٤، س١. ٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٨٤، س ٣.

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٨٤، س٤، بتفاوت.

وفي الكافي[١]، والعلل: عن السجاد عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية[٢] فقال: عني بذلك[٣] أُمة محمد صلى الله عليه وآله أن يكونوا على دين واحد كفاراً كلّهم[٤]، ولو فعل الله ذلك بأُمة محمد صلى الله عليه وآله لحزن المؤمنون، وغمّهم ذلك، ولم يناكحوهم، ولم يوارثوهم[٥].

وفي العلل: عن الصادق عليه السلام قال: قال الله عزّ وجلّ «لولا أن يجد عبدي المؤمن في نفسه لعصّبت الكافر بعصابة من ذهب[٦]».

﴿وَإِن﴾: وإنّه.

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: وقرئ لمّا بالتشديد بمعنى إلّا، فتكون «إن» نافية.

﴿وَٱلْأَخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام إن الله جل ثناؤه ليعتذر إلى عبده المؤمن المحوج في الدنيا كما يعتذر الأخ إلى أخيه، فيقول: وعزّتي ما أحوجتك في الدنيا من هوان كان بك عليّ فارفع هذا السجف فانظر إلى ما عوضتك من الدنيا، قال: فيرفع فيقول: ما ضرّني ما منعتني مع ما عوّضتني[٧].

أقول: السجف بالمهملة والجيم: الستر، وعنه عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: يا معشر المساكين طيبوا نفساً واعطوا الله الرّضا من قلوبكم، يثيبكم الله عزّ وجلّ على فقركم فإن لم تفعلوا فلا ثواب لكم[٨].

وعنه عليه السلام قال: ما كان من ولد آدم عليه السلام مؤمن إلّا فقيراً ولا كافر إلّا غنيّاً حتّى جاء ابراهيم عليه السلام فقال: «رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا»[٩] فصيّر الله في هؤلاء أموالاً وحاجة، وفي هؤلاء أموالاً وحاجة[١٠].

---

١ ـ الكافي: ج٢، ص٢٦٥، ح٢٣، باب فضل فقراء المسلمين.

٢ ـ أي «وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً».

٣ ـ أشار عليه السلام بذلك إلى الناس وأراد عليه السلام بأُمة محمد من عدا المؤمنين منهم كما دل عليه قوله عليه السلام «لحزن المؤمنون». منه قدس سره.

٤ ـ أقول: الظاهر أنّ جملة «ولو فعل الله ذلك» إلى آخر الحديث تكون شارحة لقوله تعالى: «لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَـٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فِضَّةٍ» فهذه الآية تكون موجودة في الكافي والعلل في ضمن الحديث، فلا وجه لحذفها.

٥ و٦ ـ علل الشرائع: ص٥٨٩ و٦٠٤، ح٣٣ و٧٤، باب ٣٨٥ ـ نوادر العلل.

٧ و٨ ـ الكافي: ج٢، ص٢٦٤ و٢٦٣، ح١٨ و١٤، باب فضل فقراء المسلمين.

٩ ـ الممتحنة: ٥. ١٠ ـ الكافي: ج٢، ص٢٦٢، ح١٠، باب فضل فقراء المسلمين.

وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰناً فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَـٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾: يتعافى، ويعرض عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات.

﴿نُقَيِّضْ﴾: نسبّب ونقدر.

﴿لَهُۥ شَيْطَـٰناً فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾: يوسوسه ويغويه دائماً، وقرئ «يقيّض» بالياء.

في الخصال: عن أمير المؤمنين عليه السلام من تصدى بالإثم أعشى عن ذكر الله تعالى، ومن ترك الأخذ عمّن أمره الله بطاعته قيّض له شيطان فهو له قرين[1].

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: وإن الشياطين ليصدّون العاشين[2] عن الطريق الذي من حقه أن يسلك.

﴿وَيَحْسَبُونَ﴾: أي العاشون.

﴿أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ * حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾: أي العاشي، وقرئ «جاءانا» على التثنية أي العاشي، والشيطان.

﴿قَالَ﴾: أي العاشي للشيطان.

﴿يَـٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾: بعد المشرق من المغرب.

﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾: أنت.

---

١ ـ الخصال: ص٦٣٣ ـ ٦٣٤، ح١٠، باب ٤٠٠.

٢ ـ العشو: النظر ببصر ضعيف، يقال: عشى يعشو عشواً إذا ضعف بصره وأظلمت عينه كأن عليها غشاوة، وإذا ذهب البصر قيل: عشي يعشي عشاً والرجل أعشى، وعشى عنها إذا أعرض عنها قاصداً لغيرها كقولهم: مال إليه ومال عنه. مجمع البيان: ج٩ ـ ١٠، ص٤٨.

وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَـٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾

﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾: ما أنتم عليه من التمنّي.

﴿إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾: القمي: عن الباقر عليه السلام نزلت هاتان الآيتان هكذا: «حتّى إذا جاءَانا» يعني فلاناً وفلاناً يقول أحدهما لصاحبه حين يراه: «يَـٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ» فقال الله لنبيه صلى الله عليه وآله: قل: لفلان وفلان وأتباعهما «لَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ» آل محمد صلوات الله عليهم حقّهم «أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ»[1].

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾: إنكار تعجب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم على الكفر، واستغراقهم في الضلال بحيث صار عشاهم عمى مقروناً بالصمم.

﴿وَمَن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾: عطف على العمى باعتبار تغاير الوصفين، وفيه إشعار بأنّ الموجب لذلك تمكنهم في ضلال لا يخفى.

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾: أي فإن قبضناك قبل أن نبصّرك عذابهم «وما» مزيدة للتأكيد.

﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾: بعدك.

﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَـٰهُمْ﴾: أو إن أردنا أن نريك ما وعدناهم من العذاب.

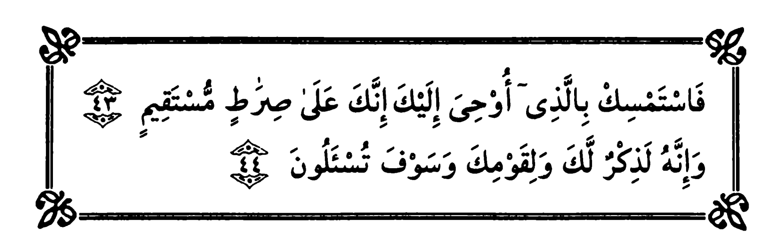
﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾: لا يفوتوننا. في المجمع: روى أنه صلى الله عليه وآله أُري ما يلقى من اُمّته بعده فما زال منقبضاً، ولم ينبسط ضاحكاً حتى لقى الله تعالى[2].

قال: وروى جابر بن عبد الله الأنصاري قال: إني لأدناهم من رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٨٦، س ١٣.

٢ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٤٩، س ١٥. وفيه: «ما تلق اُمّته».



الوداع بمنى حتى قال: لا ألفينّكم ترجعون بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، وأيم الله لئن فعلتموها لتعرفنّني في الكتيبة التي تضاربكم، ثم التفت إلى خلفه فقال: أو علي أو علي ثلاث مرات فرأينا أن جبرئيل غمزه، فأنزل الله على أثر ذلك «فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ» بعلي بن أبي طالب[١].

أقول: إنّما يكون ذلك في الرجعة.

والقمّي: عن الصادق عليه السلام قال: «فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ» يا محمد من مكة إلى المدينة فإنّا رادّوك إليها، ومنتقمون منهم بعلي بن أبي طالب عليه السلام[٢].

وقد سبق في هذا المعنى أخبار أُخر في سورة المؤمنين[٣].

﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام إنك على ولاية علي عليه السلام، وعلي هو الصراط المستقيم[٤].

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾: في الكافي: عن الباقر عليه السلام نحن قومه، ونحن المسؤولون[٥].

وعن الصادق عليه السلام: إيانا عني، ونحن أهل الذكر، ونحن المسؤولون[٦].

وعنه عليه السلام: الذكر القرآن، ونحن قومه، ونحن المسؤولون[٧].

وفي البصائر: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال: رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته: أهل الذكر،

---

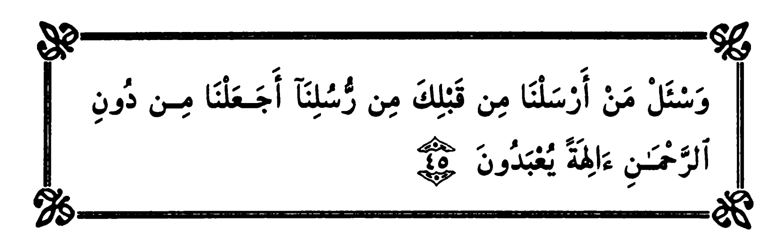
١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١١٧، س١٣؛ وج ٩ ـ ١٠، ص ٤٩، س ١٦، والنص للأخير.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٢٨٤، س ٩.

٣ ـ ذيل الآية: ٩٤، أُنظر ج ٥، ص ١٩٥ ـ ١٩٦ من كتابنا تفسير الصافي.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٢٨٦، س ١٩.

٥ و٦ و٧ ـ الكافي: ج١، ص ٢١٠ و٢١١، ح١ و٢ و٥، باب ان أهل الذكر الذين أمر الله الخلق بسؤالهم هم الأئمة عليهم السلام.



وهم المسؤولون[1].

﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾: هل حكمنا بعبادة الأوثان وهل جاءت في ملة من مللهم؟

وفي الكافي[2]، والقمّي: عن الباقر عليه السلام إنه سئل عن هذه الآية من ذا الذي سأله محمد صلى الله عليه وآله وكان بينه وبين عيسى عليه السلام خمسمائة سنة فتلا هذه الآية «سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ»[3] قال: فكان من الآيات التي أراها الله محمداً صلى الله عليه وآله حين أسرى به إلى البيت المقدس أن حشر الله له الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين، ثم أمر جبرئيل عليه السلام فأذن شفعاً وأقام شفعاً ثم قال في إقامته: حي على خير العمل، ثم تقدم محمد صلى الله عليه وآله فصلّى بالقوم، فأنزل الله عليه: «وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا» الآية فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: على ما تشهدون؟ وما كنتم تعبدون؟ فقالوا: نشهد أن لا إلـه إلّا الله وحده لا شريك له، وأنك رسول الله صلى الله عليه وآله أخذت على ذلك مواثيقنا وعهودنا[4].

وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث وأما قوله: «وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ» فهذا من براهين نبيّنا صلى الله عليه وآله التي أتاه الله إياها، وأوجب به الحجة على سائر خلقه، لأنّه لما ختم به الأنبياء، وجله الله رسولا إلى جميع الأمم وسائر الملل، خصّه بالإرتقاء إلى السماء عند المعراج، وجمع له يومئذ الأنبياء فعلم منهم ما أُرسلوا به وحملوه من عزائم الله وآياته وبراهينه، فأقرّوا أجمعين بفضله، وفضل الأوصياء والحجج في الأرض من بعده، وفضل

---

١ ـ بصائر الدرجات: ص٥٧، ح٥، الجزء الأول، باب ١٨ ـ في أئمة آل محمد عليهم السلام وأن الله قرنهم بنبيه في السؤال فقال: «وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون».

٢ ـ الكافي: ج٨، ص١٢٠ ـ ١٢١، ح٩٣. ٣ ـ الإسراء: ١.

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٨٤ ـ ٢٨٥.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَـٰهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾

شيعة وصيه من المؤمنين والمؤمنات، الذين سلموا لأهل الفضل فضلهم، ولم يستكبروا عن أمرهم، وعرف من أطاعهم ومن عصاهم من أممهم وسائر من مضى ومن غبر أو تقدم أو تأخر[1].

وقد سبق نظير هذين الخبرين في سورة يونس عليه السلام[2].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾: إستهزؤا بها أوّل ما رأوها، ولم يتأملوا فيها.

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَـٰهُم بِالْعَذَابِ﴾: كالسنين، والطوفان، والجراد.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾: قيل: نادوه بذلك في تلك الحال لشدّة شكيمتهم، وفرط حماقتهم، أو لأنّهم كانوا يسمّون العالم الباهر ساحراً[3].

والقمّي: أي يا أيها العالم[4].

﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾: أن يكشف عنا العذاب.

---

١ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٠، س ٣، إحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في آي متشابهة.

٢ ـ ذيل الآية: ٩٥، أنظر ج ٣، ص ٥٤٤ من كتابنا تفسير الصافي.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٦٨، س ١٥.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٨٥، س ١٦.

فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾

﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾: عهدهم بالإهتداء.

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِ﴾: في مجمعهم وفيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمن بعضهم.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: النيل وكان معظمهم أربعة.

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾: ذلك.

﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾: مع هذه المملكة والبسطة.

﴿مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾: ضعيف حقير، لا يستعد للرياسة.

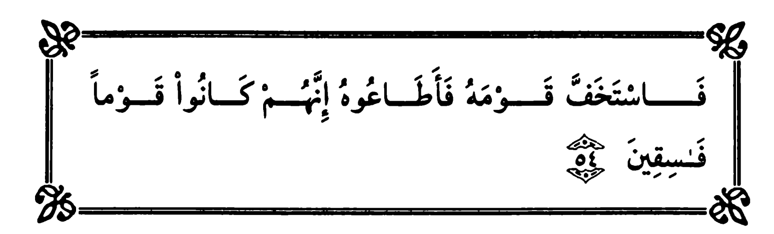
﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾: الكلام لما فيه من الرتة[1] فكيف يصلح للرسالة؟ «وأم» إما منقطعة والهمزة فيها للتقرير، أو متصلة، والمعنى «أَفَلَا تُبْصِرُونَ» أم تبصرون فتعلمون أني خير منه؟

﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾: أي فهلّا اُلقي عليه مقاليد الملك إن كان صادقاً، إذ كانوا إذا سوّدوا رجلاً سوّروه وطوّقوه بطوق من ذهب، وأساورة: جمع أسوار بمعنى السوار، وقرئ اُسورة.

﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾: مقارنين يعينونه أو يصدقونه.

---

١ ـ الأرت ـ بالألف والراء المهملة، والتاء المثناة الفوقانية المشددة: من في كلامه رتة، وهي عجمة لا تعيب الكلام، مجمع البحرين: ج ٢، ص ٢٠١، مادة «رتت».



﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ﴾: استخف احلامهم أو طلب منهم الخفة في مطاوعته ودعاهم.

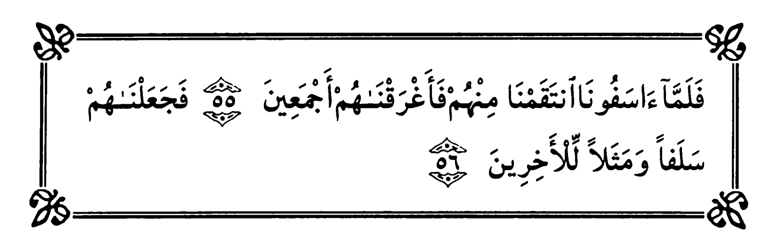
﴿فَأَطَاعُوهُ﴾: فيما أمرهم به.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ﴾: فلذلك أطاعوا ذلك الفاسق.

في نهج البلاغة: ولقد دخل موسى بن عمران ومعه أخوه هارون عليهما السلام على فرعون وعليهما مدارع الصوف وبأيديهما العصا فشرطا له إن أسلم بقاء ملكه ودوام عزه، فقال: ألا تعجبون من هذين يشرطان لي دوام العز وبقاء الملك، وهما بما ترون من حال الفقر والذل فهلّا ألقي عليهما أساور من ذهب إعظاماً للذهب وجمعه، وإحتقاراً للصوف ولبسه، ولو أراد الله سبحانه لأنبيائه حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذهبان، ومعادن العقيان، ومغارس الجنان، وأن يحشر معهم طيور السماء، ووحوش الأرضين لفعل، ولو فعل لسقط البلاء، وبطل الجزاء، واضمحلّت الأنباء، ولما وجب للقائلين أُجور المبتلين، ولا استحقّ المؤمنون ثواب المحسنين، ولا لزمت الأسماء معانيها، ولكن الله سبحانه جعل رسله أولي قوه في عزائمهم، وضعفة فيما ترى الأعين، من حالاتهم، مع قناعة تملأ القلوب، والعيون غنى وخصاصة تملأ الأبصار، والأسماع أذىً ولو كانت الأنبياء عليهم السلام أهل قوة لا ترام، وعزّة لا تضام، وملك تمد نحوه أعناق الرجال، وتشد إليه عقد الرحال لكان ذلك أهون على الخلق في الإعتبار، وأبعد لهم من الإستكبار، ولآمنوا عن رهبة قاهرة لهم أو رغبة مايلة بهم، وكانت السيّئات مشتركة، والحسنات مقتسمة ولكن الله سبحانه أراد أن يكون الإتباع لرسله، والتصديق بكتبه، والخشوع لوجهه، والإستكانة لأمره، والإستسلام لطاعته، أُموراً له خاصة لا يشوبها من غيرها شائبة، وكل ما كانت البلوى والأختبار أعظم كانت المثوبة والجزاء أجزل[1].

---

١ ـ نهج البلاغة: ص٢٩١ ـ ٢٩٢، الخطبة ١٩٢. وفيه: «وكانت النيّات مشتركة».



﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾[1]: أغضبونا بالإفراط في العناد والعصيان.

﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: في اليم في الكافي[2]، والتوحيد: عن الصادق عليه السلام إنه قال: في هذه الآية إن الله تبارك وتعالى لا يأسف كأسفنا، ولكنه خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون، وهم مخلوقون مربوبون،فجعل رضاهم رضاء نفسه، وسخطهم سخط نفسه، وذلك لأنّه جعلهم الدعاة إليه والأدلّاء عليه، فلذلك صاروا كذلك، وليس أن ذلك يصل إلى الله كما يصل إلى خلقه، ولكن هذا معنى ما قال من ذلك، وقال أيضا: «من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ودعاني إليها»، وقال: أيضا «مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ»[3]، وقال أيضاً: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ»[4]، وكل هذا وشبهه على ما ذكرت لك، وهكذا الرضا والغضب وغيرهما من الأشياء مما يشاكل ذلك، ولو كان يصل إلى المكون الأسف والضجر وهو الذي أحدثهما وأنشأهما لجاز لقائل أن يقول: إن المكون يبيد يوماً لأنّه إذا دخله الضجر والغضب دخله التغير، وإذا دخله التغير لم يؤمن عليه بالإبادة ولو كان ذلك كذلك لم يعرف المكوِّن من المكوَّن، ولا القادر من المقدور، ولا الخالق من المخلوق، تعالى الله عن هذا القول علواً كبيراً، هو الخالق للأشياء لا لحاجة وإذا كان لا لحاجة إستحال الحد والكيف فيه، فافهم ذلك إن شاء الله[5].

﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفاً﴾: قدوة لمن بعدهم من الكفار، وقرئ «سُلُفاً» بضمتين.

---

١ ـ آسفه فأسف يأسف أسفاً: أي أغضبه فغضب وأحزنه فحزن، ويقال: الاسف الغيظ من المغنم إلّا أنه ها هنا بمعنى الغضب. مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص٥٢، في اللغة.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص١٤٤، ح٦، باب النوادر.

٣ ـ النساء: ٨٠.

٤ ـ الفتح: ١٠.

٥ ـ التوحيد: ص١٦٨ ـ ١٦٩، ح ٢، باب ٢٦ ـ معنى رضاه عزّ وجلّ وسخطه. بتفاوت يسير.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾

﴿وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾: وعظة لهم.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾: لعلي بن أبي طالب، حيث قيل: إن فيه شبهاً منه[1].

﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾: قريش.

﴿مِنْهُ﴾: من هذا المثل.

﴿يَصِدُّونَ﴾: قيل: أي يضجّون فرحاً لظنّهم أن الرسول صار ملزماً به[2].

وقرئ بالضم من الصدود أي يصدّون عن الحق، ويعرضون عنه.

وقيل: هنا لغتان[3].

وفي المعاني: عن النبي ﷺ أنّه قال في هذه الآية: الصدود في العربية: الضحك[4].

﴿وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾: وقرئ بإثبات الهمزة للإستفهام.

﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾: ما ضربوا هذا المثل إلّا لأجل الجدال والخصومة، لا لتميز الحق من الباطل.

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾: شداد الخصومة حرّاص على اللجاج.

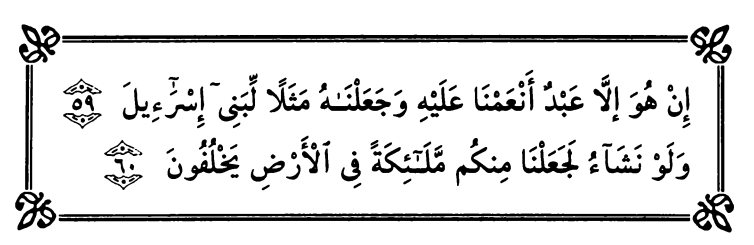
---

١ ـ أُنظر الكافي: ج ٨، ص ٥٧، ح ١٨، باب في أنّ أمير المؤمنين عليه السلام يشبه عيسى بن مريم عليهما السلام؛ وتفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٨٦؛ ومناقب ابن شهرآشوب: ج ٣، ص ٢٥٩، س ٢٤، فصل في مساواته مع عيسى عليه السلام؛ ومجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٥٣، س ٩؛ وتهذيب الأحكام: ج ٣، ص ١٤٤ ـ ١٤٥، ح ٣١٧ / ١، باب ٧ ـ صلاة الغدير، ويأتي ذكر هذه الأحاديث في ذيل الآية ٦٠ من سورة الزخرف، فراجع.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٦٩، س ١٩.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٦٩، س ٢١.

٤ ـ معاني الأخبار: ص ٢٢٠، ح ١، باب معنى الصدود.



﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَـٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ * وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَـٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾: يخلفونكم في الأرض، يعني أنّ الله قادر على أعجب من ذلك.

في الكافي: عن أبي بصير: قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم جالس إذ أقبل أمير المؤمنين عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أن فيك شبهاً من عيسى بن مريم لولا أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم عليه السلام لقلت فيك قولا لا تمر بملأ من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك يلتمسون بذلك البركة، قال: فغضب الأعرابيان، والمغيرة ابن شعبة، وعدة من قريش معهم، فقالوا: ما رضي أن يضرب لابن عمه مثلا إلّا عيسى بن مريم، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وآله: «وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا» إلى قوله: «لَجَعَلْنَا مِنكُم» يعني من بني هاشم «مَّلَـٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ» الحديث[1]. وقد مضى تمامه في سورة الأنفال[2].

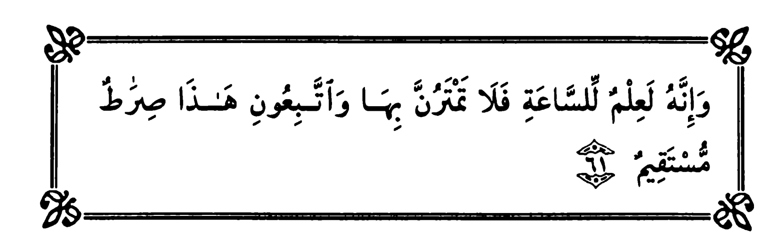
والقمّي: عن سلمان الفارسي: رضي الله عنه، قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً في أصحابه إذ قال أنه يدخل عليكم الساعة شبيه عيسى بن مريم عليه السلام، فخرج بعض من كان جالساً مع رسول الله صلى الله عليه وآله ليكون هو الداخل، فدخل علي بن أبي طالب عليه السلام فقال الرجل لبعض أصحابه: أما رضي محمّد أن فضّل عليّاً علينا حتى يشبهه بعيسى بن مريم، والله لآلهتنا التي كنّا نعبدها في الجاهلية أفضل منه، فأنزل الله في ذلك المجلس: «ولما ضرب ٱبن مريم مثلاً إذا قومك منه يضجون» فحرفوها «يَصِدُّونَ»، «وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ» إنّ علي عليه السلام: «إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَـٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ» فمحي اسمه عن هذا الموضع[3].

---

١ ـ الكافي: ج٨، ص٥٧، ح١٨، في أن أمير المؤمنين عليه السلام يشبه عيسى بن مريم عليهما السلام.

٢ ـ ذيل الآية: ٣٤، أُنظر ج ٣، ص ٣٣٣ ـ ٣٣٥ من كتابنا تفسير الصافي.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٢٨٦، س ١.



وفي المناقب: عن النبي صلى الله عليه وآله قال: يدخل من هذا الباب رجل أشبه الخلق بعيسى فدخل علي عليه السلام فضحكوا من هذا القول فنزل: «وَلَمَّا ضُرِبَ» الآيات[١].

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: جئت إلى النبي صلى الله عليه وآله يوماً فوجدته في ملأ من قريش فنظر إليّ ثم قال: يا علي إنّما مثلك في هذه الأُمّة كمثل عيسى بن مريم أحبّه قوم فأفرطوا في حبّه فهلكوا، وأبغضه قوم وأفرطوا في بغضه فهلكوا، واقتصد فيه قوم فنجوا فعظم ذلك عليهم وضحكوا وقالوا: يشبهه بالأنبياء والرسل فنزلت هذه الآية[٢].

وفي التهذيب: في دعاء يوم الغدير المروى عن الصادق عليه السلام فقد أجبنا داعيك النذير المنذر محمداً صلى الله عليه وآله عبدك ورسولك إلى علي بن أبي طالب عليه السلام الذي أنعمت عليه وجعلته مثلاً لبني اسرائيل أنه أمير المؤمنين عليه السلام ومولاهم ووليهم إلى يوم القيامة، يوم الدين فإنّك قلت: «إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَـٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ»[٣].

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾: القمّي: ثم ذكر خطر أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ»[٤].

﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾: قال: يعني أمير المؤمنين عليه السلام[٥].

وقيل: يعني إنّ نزول عيسى بن مريم عليه السلام من أشراط الساعة يعلم به قربها «فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا»[٦].

---

١ ـ مناقب ابن شهراشوب: ج٣، ص٢٥٩، س٢٤، فصل في مساواته مع عيسى عليه السلام.
٢ ـ مجمع البيان: ج٩ ـ ١٠، ص٥٣، س٩.
٣ ـ تهذيب الأحكام: ج٣، ص١٤٤ ـ ١٤٥، ح٣١٧/١، باب ٧ ـ صلاة الغدير.
٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٨٦، س٩.
٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٨٦، س١٠.
٦ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٣٧٠، س٩.

وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَـٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾

﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾: القمّي: يعني الثاني عن أمير المؤمنين(١).

﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَـٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾: فيما اُبلّغه عنه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ * فَاخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ﴾: الفرق المتحزبة.

﴿مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: من المتحزّبين.

﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾: القيامة.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾: فجأة.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: غافلون عنها.

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: القمّي: يعني الأصدقاء يعادي بعضهم بعضاً، وقال الصادق عليه السلام: ألا كلّ خلة كانت في الدنيا في غير الله عزّ وجلّ فإنّها تصير عداوة يوم القيامة(٢).

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٨٧، س ١.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٨٧، س ٢.

يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٧١﴾

﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾: فإنّ خلّتهم لما كانت في الله تبقى نافعة أبد الآباد.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام إنه قرأ هذه الآية، فقال: والله ما أراد بها غيركم[1].

وفي مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام واطلب مؤاخاة الأتقياء ولو في ظلمات الأرض، وإن أفنيت عمرك في طلبهم، فإنّ الله عزّ وجلّ لم يخلق أفضل منهم على وجه الأرض من بعد النبيين صلوات الله عليهم، وما أنعم الله تعالى على عبد بمثل ما أنعم به من التوفيق لصحبتهم، قال الله تعالى: «ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ» وأظن أن من طلب في زماننا هذا صديقاً بلا عيب بقي بلا صديق[2].

﴿يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾: حكاية لما ينادى به المتّقون المتحابّون في الله يومئذ.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: القمّي: يعني الأئمّة عليهم السلام[3].

﴿وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ * ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ﴾: نساؤكم المؤمنات.

﴿تُحْبَرُونَ﴾: القمّي: أي تكرمون[4].

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾: الصحفة: القصعة، والكوب:

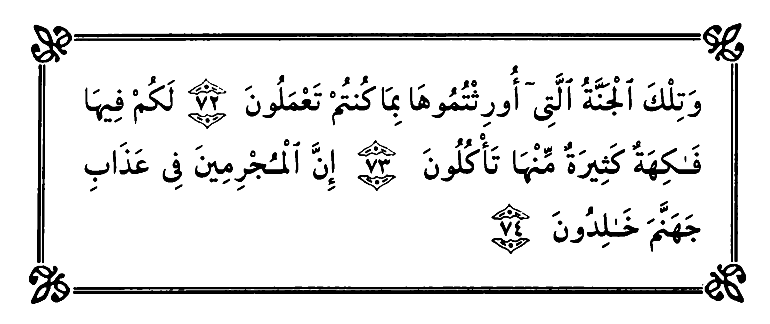
---

١ ـ الكافي: ج٨، ص٣٥، ح٦، س٦.

٢ ـ مصباح الشريعة: ص ١٥٠ ـ ١٥١، ح ١، باب ٧١ ـ في المؤاخاة.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٨٨، س ١٧.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٨٨، س ١٨.



كوز لا عروة له.

﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾: وقرئ ما تشتهي الأنفس.

﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾: بمشاهدته.

﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: فإنّ كلّ نعيم زائل، موجب لكلفة الحفظ، وخوف الزوال، ومستعقب للتحسّر في ثاني الحال.

في الإحتجاج: عن القائم عليه السلام إنه سئل عن أهل الجنّة هل يتوالدون إذا دخلوها؟ فأجاب عليه السلام إن الجنّة لا حمل فيها للنساء، ولا ولادة، ولا طمث، ولا نفاس، ولا شقاء، بالطفولية، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين كما قال الله: فإذا اشتهى المؤمن ولداً خلقه الله عزّ وجلّ بغير حمل ولا ولادة على الصورة التي يريد كما خلق آدم عبرة[١].

والقمّي: عن الصادق عليه السلام قال: إنّ الرجل في الجنّة يبقى على مائدته أيّام الدنيا، ويأكل في أكلة واحدة بمقدار أكله في الدنيا[٢].

﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: قد مرّ معنى وراثة الجنّة.

﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: قيل: ولعلّ تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره في القرآن وهو حقير بالإضافة إلى سائر نعم الجنّة لما كان بهم من الشدّة والفاقة[٣].

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾: القمّي: هم أعداء آل محمد صلوات

---

١ ـ الإحتجاج: ج ٢، ص ٣١٠، توقيعات الناحية المقدسة عجل الله تعالى فرجه في جواب مسائل الفقهية.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٨٨، س ٢١.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٥٢، ص ٣٧١، س ١٨.

لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِالْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾

الله عليهم[١].

﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾: لا يخفّف عنهم.

﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾: القمّي: أي آيسون من الخير[٢].

﴿وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ * وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ﴾: وفي المجمع: عن علي عليه السلام إنّه قرأ «يا مال» على الترخيم[٣].

قيل: ولعلّه إشعار بأنّهم لضعفهم لا يستطيعون تأدية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا فقالوا[٤].

﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾: يعني سل ربك أن يقضي علينا أن يميتنا، من قضى عليه إذا أماته.

﴿قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾: لا خلاص لكم بموت وغيره.

﴿لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِالْحَقِّ﴾: بالإرسال والإنزال.

القمّي: هو قول الله عزّ وجلّ قال: يعني بولاية أمير المؤمنين عليه السلام[٥].

﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ﴾: قال: يعني لولاية أمير المؤمنين عليه السلام[٦].

﴿أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْراً﴾: في تكذيب الحق وردّه ولم يقتصروا على كراهته.

﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾: أمراً في مجازاتهم.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٨٨، س ٢٢.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٨٩، س ١.
٣ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٥٦، في القراءة.
٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٧٢، س ١.
٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٨٩، س ٩.
٦ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٨٩، س ١١.

أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾: حديث نفسهم.

﴿وَنَجْوَاهُم﴾: تناجيهم.

﴿بَلَىٰ﴾: نسمعها.

﴿وَرُسُلُنَا﴾: والحفظة مع ذلك.

﴿لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾: القمّي: يعني ما تعاهدوا عليه في الكعبة أن لا يردّوا الأمر في أهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله[1].

أقول: ويأتي بيان ذلك في سورة محمد صلّى الله عليه وآله[2].

وعن الصادق عليه السلام أن هذه الآية نزلت فيهم[3].

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾: وقرئ ولد بالظم.

القمّي: يعني أول الآنفين لله عزّ وجلّ أن يكون له ولد[4].

وفي الإحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام أي الجاحدين قال: والتأويل في هذا القول: باطنه مضاد لظاهره[5].

﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: عن كونه ذا ولد فإنّ هذه المبدعات منزهة عن توليد المثل فما ظنك بمبدعها وخالقها.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٨٩، س ١٣.
٢ ـ ذيل الآية: ٢٦.
٣ ـ الكافي: ج ٨، ص ١٧٩ ـ ١٨٠، ح ٢٠٢.
٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٨٩، س ١٥. وفيه: «يعني أوّل القائلين».
٥ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٢، س ٩، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في آي متشابهة.

فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ﴾: في دنياهم.

﴿حَتَّىٰ يُلَـٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾: أي القيامة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ﴾: مستحقّ لأن يعبد فيهما.

في الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: في حديث وقوله: «وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ» وقوله: «وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ»[1] وقوله: «مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ»[2] فإنّما أراد بذلك إستيلاء أمنائه بالقدرة التي ركبها فيهم على جميع خلقه وأنّ فعلهم فعله[3].

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ * وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: وقرئ بالتاء.

﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَـٰعَةَ﴾: القمّي: قال: هم الذين عبدوا في الدنيا لا يملكون الشفاعة لمن عبدهم[4].

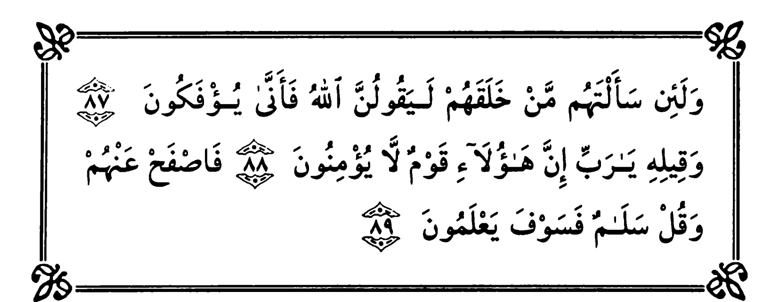
﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: بالتوحيد.

---

١ ـ الحديد: ٤.　　٢ ـ المجادلة: ٧.

٣ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٣، س ٤، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في آي متشابهة.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩٠، س ١.



﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾: لتعذّر المكابرة فيه من فرط ظهوره.

﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: يصرفون من عبادته إلى عبادة غيره.

﴿وَقِيلِهِۦ﴾: وقول الرسول، أي ويعلم قوله، أو وقال قوله[١].

وقيل: الهاء زائدة، وقرئ بالجر عطفاً على الساعة[٢].

﴿يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ۞ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾: فاعرض عن دعوتهم آيساً عن إيمانهم.

﴿وَقُلْ سَلَـٰمٌ﴾: تسلم منكم ومتاركة.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: تسلية للرسول صلى الله عليه وآله، وتهديد لهم، وقرئ بالتاء.

في ثواب الأعمال[٣]، والمجمع: عن الباقر عليه السلام من قرأ حم الزخرف آمنه الله في قبره من هوام الأرض، وضغطة القبر حتى يقف بين يدي الله عزّ وجلّ، ثم جاءت حتى تدخله الجنّة بأمر الله تبارك وتعالى[٤].

* * *

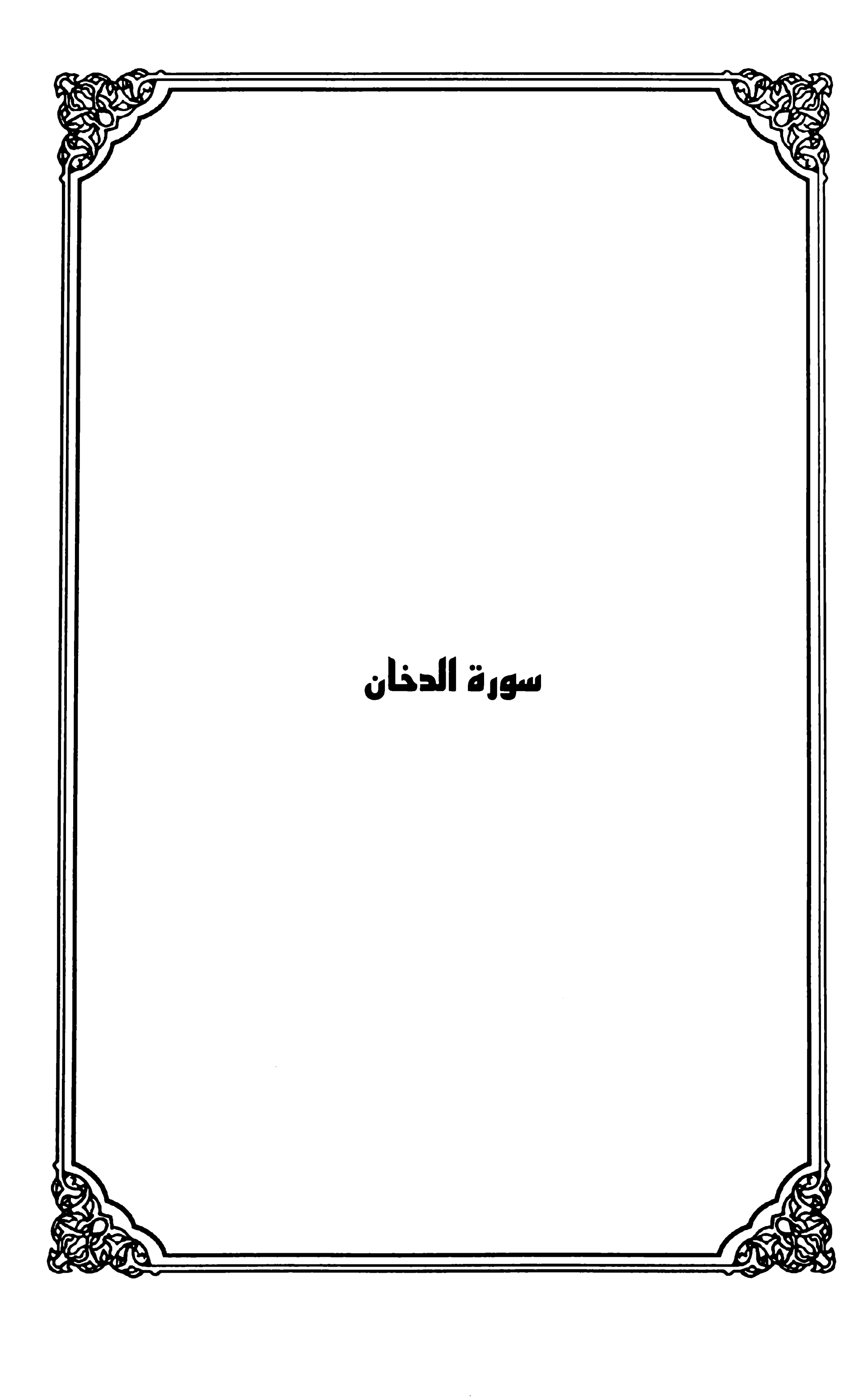
١ ـ القول: مصدر، والقيل والقال: اسمان له، أو قال قولاً وقيلاً وقولةً ومقالةً ومقالاً. القاموس المحيط. وفي الكشاف جعل الواو للقسم و«إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ» جواباً له. وفي التفسير الكبير: قدر اذكر أي اذكر قيلة، أو وقت قيلة. منه قدس سره.

أقول: راجع القاموس المحيط: ج ٤، ص ٤٢، مادة «قول»؛ والكشاف: ج ٤، ص ٢٦٨؛ والتفسير الكبير: ج ٢٧، ص ٢٣٤.

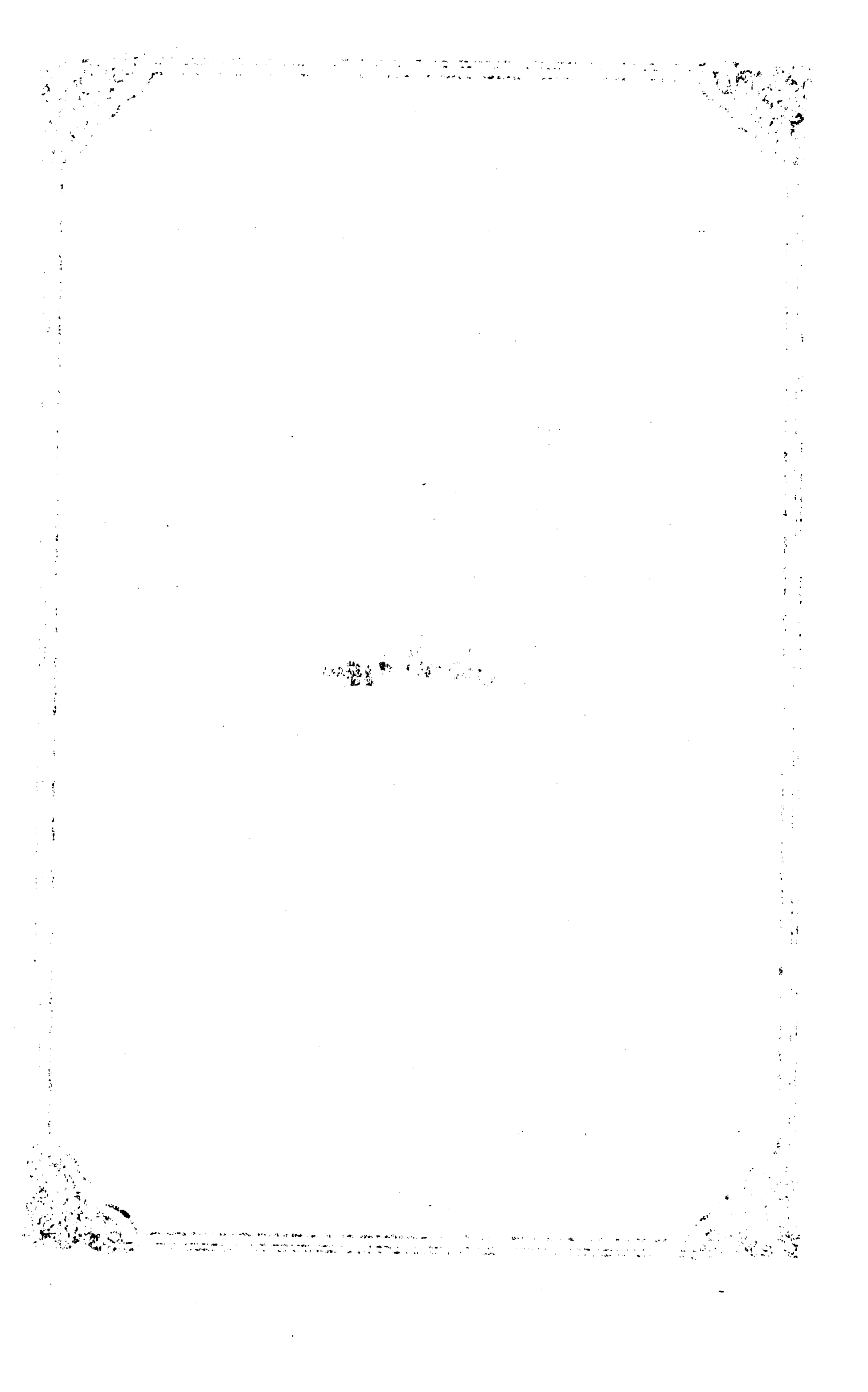
٢ ـ قاله عاصم وحمزة، كما جاء في أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٧٣، س ٨.

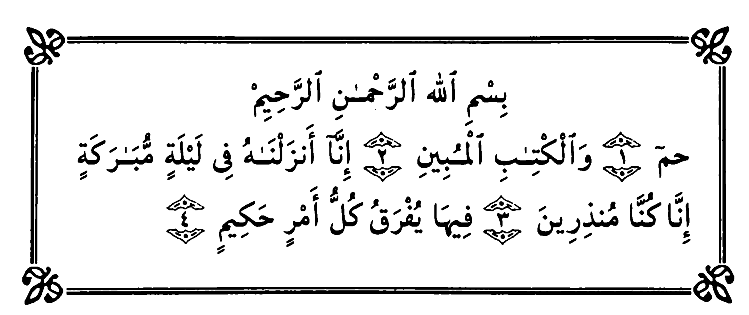
٣ ـ ثواب الأعمال: ص١١٣، ح١، باب ثواب قراءة سورة الزخرف.

٤ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص٣٨، في فضلها.



سورة الدخان





سورة الدخان: مكيّة، عدد آيها تسع وخمسون آية كوفي، سبع بصري، ست في الباقين.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ * وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ * إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾: في المجمع عن الباقر والصادق عليهما السلام: أي أنزلنا القرآن، والليلة المباركة: هي ليلة القدر(1).

والقمّي: عنهما وعن الكاظم عليهم السلام مثله، وزاد أنزل الله سبحانه القرآن فيها إلى البيت المعمور جملة واحدة، ثم نزل من البيت المعمور على رسول الله صلى الله عليه وآله في طول عشرين سنة، «فِيهَا يُفْرَقُ»: يعني في ليلة القدر «كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ»، أي يقدر الله عزّ وجلّ كل أمر من الحق والباطل وما يكون في تلك السنة وله فيه البداء والمشيّة يقدّم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء من الآجال، والأرزاق، والبلايا، والأعراض، والأمراض، ويزيد فيه ما يشاء، وينقص ما يشاء ويلقيه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أمير المؤمنين عليه السلام، ويلقيه أمير المؤمنين إلى الأئمّة عليهم السلام حتى ينتهي ذلك الى صاحب الزمان عليه السلام، ويشترط له فيه البداء والمشيئة والتقديم والتأخير(2).

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام قال: قال الله عزّ وجلّ في ليلة القدر: «فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ

---

1 ـ مجمع البيان: ج9 ـ 10، ص61، س11.
2 ـ تفسير القمّي: ج2، ص290، س7.

حَكِيمٍ» يقول: ينزل فيها كل أمر حكيم، والمحكم ليس بشيئين إنّما هو شيء واحد فمن حكم بما ليس فيه اختلاف فحكمه من حكم الله عزّ وجلّ، ومن حكم بأمر فيه اختلاف فرأى أنه مصيب فقد حكم بحكم الطاغوت أنه لينزل في ليلة القدر إلى ولي الأمر تفسير الأُمور سنة سنة يأمر فيها في أمر نفسه بكذا وكذا، وفي أمر الناس بكذا وكذا، وأنّه ليحدث لولي الأمر سوى ذلك كل يوم علم الله الخاص والمكنون العجيب المخزون مثل ما ينزل في تلك الليلة من الأمر ثم قرأ «وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ»[١] الآية[٢].

وعنه عليه السلام قال: يا معشر الشيعة خاصموا بـ«حمٓ * وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ * إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ» فإنّها لولاة الأمر خاصة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله[٣].

وعنه عليه السلام قال: لما قبض أمير المؤمنين عليه السلام، قام الحسن بن علي عليهما السلام في مسجد الكوفة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله، ثم قال: أيها الناس إنه قد قبض في هذه الليلة رجل ما سبقه الأوّلون ولا يدركه الآخرون، ثم قال: والله لقد قبض في هذه الليلة التي قبض فيها وصي موسى عليه السلام يوشع بنت نون عليه السلام، والليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم، والليلة التي نزل فيها القرآن[٤].

وقد مضى في المقدمة التاسعة من هذا الكتاب: كلام في هذا الباب[٥]، ويأتي تمام الكلام فيه في سورة القدر إن شاء الله[٦].

وعن الكاظم عليه السلام: إنّه سأله نصراني عن تفسير هذه الآية في الباطن، فقال: أما «حمٓ» فهو محمد صلى الله عليه وآله، وهو في كتاب هود الذي أُنزل عليه، وهو منقوص الحروف، وأما «ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ»: فهو أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأما «الليلة»: ففاطمة عليها السلام، وأما قوله: «فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ» يقول يخرج منها خير كثير فرجل حكيم ورجل حكيم ورجل حكيم، فقال الرجل: صف لي الأول والآخر من هؤلاء الرجال فقال: إن الصفات تشتبه، ولكن الثالث من

---

١ ـ لقمان: ٢٧.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٤٨، ح ٣، باب في شأن إنا أنزلناه في ليلة القدر وتفسيرها.

٣ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٤٩، ح ٦، باب في شأن إنا أنزلناه في ليلة القدر وتفسيرها.

٤ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٥٧، ح ٨، باب مولد أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

٥ ـ أُنظر ج ١، ص ١٠١ ـ ١٠٣ من كتابنا تفسير الصافي.

٦ ـ الآية: ١.

أَمْراً مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِى وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾

القوم أصف لك ما يخرج من نسله وأنه عندكم لفي الكتب التي نزلت عليكم إن لم تغيّروا وتحرّفوا وتكفروا، وقديماً ما فعلتم، الحديث[1].

﴿أَمْراً مِّنْ عِندِنَآ﴾: على مقتضى حكمنا.

﴿إِنَّا كُنَّا مُرسِلِينَ﴾: من عادتنا إرسال الرسل بالكتب.

﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾: وضع الرب موضع الضمير إشعار بأنّ الربوبيّة اقتضت ذلك فإنه أعظم أنواع التربية.

﴿إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾: يسمع أقوال العباد ويعلم أحوالهم.

﴿رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾: وقرئ بالجر.

﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾: علمتم أن الأمر كما قلنا.

﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: إذ لا خالق سواه.

﴿يُحْيِى وَيُمِيتُ﴾: كما تشاهدون.

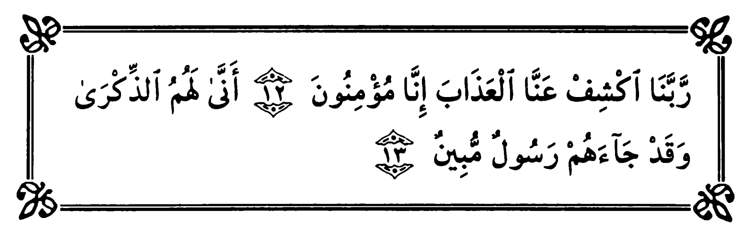
﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ * بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾: رد لكونهم موقنين.

﴿فَارْتَقِبْ﴾: فانتظر لهم.

﴿يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ * يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾: يحيط بهم.

---

١ ـ الكافي: ج١، ص٤٧٨ ـ ٤٧٩، ح٤، باب مولد أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام.



﴿هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: روي في حديث أشراط الساعة: أوّل الآيات: الدخان، ونزول عيسى عليه السلام، ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس إلى المحشر، قيل: وما الدخان؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية، وقال: يملأ ما بين المشرق والمغرب، يمكث أربعين يوماً وليلة، أمّا المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام، وأمّا الكافر فهو كالسكران، يخرج من منخريه وأُذنيه ودبره[1].

أقول: أبين بسكون الموحدة وفتح المثناة من تحت رجل ينسب إليه عدن.

وفي الجوامع: عن علي عليه السلام دخان يأتي من السماء قبل قيام الساعة يدخل في أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ[2] ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام، وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص يمتد ذلك أربعين يوماً[3].

والقمّي: قال: ذلك إذا خرجوا في الرجعة من القبر يغشي الناس كلهم الظلمة فيقولون: «هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ»[4][5].

﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾: وعد بالإيمان أن يكشف العذاب عنهم.

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾: من أين لهم، وكيف يتذكّرون بهذه الحالة.

﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾: أبان لهم ما هو أعظم منها في ايجاب الأذكار من الآيات والمعجزات.

---

١ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٤٧، س ٢١.

٢ ـ الحنيذ بإهمال الأول وإعجام الآخر بينهما النون ثم الياء: المشوي، والخصاص: الفرجة منه قدّس سرّه.

٣ ـ جوامع الجامع: ص ٤٣٨، س ١٩، الطبعة الحجريّة.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩٠، س ٢٠.

٥ ـ قيل ذلك حين قحطو بدعاء النبي صلى الله عليه وآله فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يري بين السماء والأرض الدخان وكان يحدّث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان منه قدّس سرّه.

أقول: العلهز ـ بكسر العين وإسكان اللام وكسر الهاء قبل الزاي ـ: القراد الضخم، وقيل: المراد به الوبر المخلوط بالدم. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٧، مادة «علز».

ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ﴾: قيل: يعني يعلّمه غلام أعجمي لبعض ثقيف[1].

﴿مَّجْنُونٌ﴾: القمّي: قال: قالوا ذلك لما نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله فأخده الغشي فقالوا: هو مجنون[2].

﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾: قيل: يعني إلى الكفر غب[3] الكشف[4].

والقمّي: يعني إلى القيامة، وقال: ولو كان قوله تعالى: «يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ» في القيامة لم يقل إنكم عائدون، لأنّه ليس بعد الآخرة والقيامة حالة يعودون إليها[5].

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾: القمّي: قال القيامة، والبطش: التناول بصولة[6][7].

﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾: إختبرناهم.

﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ * أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾: يعني أرسلوهم معي، أو أدّوا إليّ حق الله من الإيمان وقبول الدعوة يا عباد الله.

القمّي: أي ما فرض الله من الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والسنن، والأحكام[8].

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٧٥، س ٤.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩١، س ٣.

٣ ـ الغب ـ بالكسر ـ: عاقبة الشيء، والمغبّة ـ بالفتح ـ: مثله. مجمع البحرين: ج ٢، ص ١٣٠، مادة «غبب».

٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٧٥، س ٦.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩١، س ٤.

٦ ـ الصولة: الوثبة، والمصاولة: المواثبة، لسان العرب: ج ٧، ص ٤٤٤، مادة «صَوَلَ».

٧ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩١، س ٤.

٨ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩١، س ٨.

وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَـرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُـؤْمِنُواْ لِى فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْـرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلاً إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْواً إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾

﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾: غير متّهم.

﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: ولا تتكبروا عليه بالإستهانة بوحيه ورسوله.

﴿إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾: قيل: ولذكر الأمين مع الأداء والسلطان مع العلاء شأن لا يخفى[1].

﴿وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ﴾: إلتجأت إليه وتوكّلت عليه.

﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾: أن تأذوني ضرباً أو شتماً.

﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِى فَاعْتَزِلُونِ﴾: فكونوا بمعزل منّي لا عليّ ولا لي.

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ﴾: بعد ما كذّبوه.

﴿أَنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾: قيل: هو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سمّاه دعاء[2].

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلاً﴾: أي فأوحى الله إليه أن أسر.

﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾: يتّبعكم فرعون وجنوده إذا علموا بخروجكم.

﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْواً﴾: القمّي: أي جانباً، وخذ على الطريق[3].

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص٣٧٥، س١٧. وفيه: «ولذكر الأمين مع الأُدباء».

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص٣٧٥، س٢٠.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٢٩١، س١٠.

كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَـٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَـٰهَا قَوْماً ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾

وقيل: أي مفتوحاً ذا فجوة واسعة، أو ساكنا على هيئته[١].

﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ * كَمْ تَرَكُواْ﴾: كثيراً تركوا.

﴿مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾: محافل مزيّنة ومنازل حسنة.

﴿وَنَعْمَةٍ﴾: وتنعّم.

﴿كَانُواْ فِيهَا فَـٰكِهِينَ﴾: متنعّمين. القمّي: قال: النعمة في الأبدان، فاكهين أي مفاكهين النّساء[٢].

﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَـٰهَا قَوْماً ءَاخَرِينَ * فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾:

قيل: مجاز عن عدم الإكتراث بهلاكهم، والإعتداد بوجودهم[٣].

القمّي: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّه مرّ عليه رجل عدوّ لله ولرسوله فقال: «فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ» ثم مر عليه الحسين عليه السلام ابنه فقال: لكن هذا لتبكين عليه السماء والأرض، وقال: «فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ» إلّا على يحيى بن زكريا عليه السلام، وعلى الحسين بن علي عليهما السلام[٤].

وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام قال: بكت السماء على يحيى بن زكريا، وعلى الحسين بن علي عليهما السلام أربعين صباحاً ولم تبك إلّا عليهما، قيل: فما بكاؤها؟ قال: كانت تطلع حمراء وتغيب

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص٣٧٦، س١.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩١، س ١٢.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص٣٧٦، س٦.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩١، س١٦.

وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَآءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَـٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُم مِّنَ ٱلْأَيَـٰتِ مَا فِيهِ بَلَـٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾

حمراء[1].

وفي المناقب: عنه عليه السلام قال: بكت السماء على الحسين عليه السلام أربعين يوماً بالدم[2].

وعن القائم عليه السلام: ذبح يحيى عليه السلام كما ذبح الحسين عليه السلام، ولم تبك السماء والأرض إلّا عليهما[3].

﴿وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾: ممهلين إلى وقت آخر.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَآءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾: من استعباد فرعون وقتله أبناءَهم.

﴿مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِياً﴾: متكبراً.

﴿مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: في العتوّ والشرارة.

﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَـٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: بأنّهم أحقّاء بذلك.

﴿عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: على عالمي زمانهم. القمّي: فلفظه عام ومعناه خاص[4].

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُم مِّنَ ٱلْأَيَـٰتِ﴾: كفلق البحر، وتظليل الغمام، وإنزال المنّ والسلوى.

﴿مَا فِيهِ بَلَـٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ﴾: نعمة جليّة أو اختبار ظاهر.

﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾: أي كفار قريش فإنّ قصّة فرعون كانت معترضة.

﴿لَيَقُولُونَ * إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾: ما العاقبة ونهاية الأمر إلّا الموتة

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص٦٥، س١٠.
٢ ـ مناقب ابن شهراشوب: ج٤، ص٥٤، س٧.
٣ ـ مناقب ابن شهراشوب: ج٤، ص٨٥، س٢.
٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٩٢، س٨.

فَأْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَـٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَـٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾

المزيلة للحياة الدنيويّة.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾: بمبعوثين.

﴿فَأْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾: في وعدكم.

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾: تبّع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة كان مؤمناً وقومه كافرين، ولذلك ذمّهم دونه.

في المجمع: عن النبي صلى الله عليه وآله لا تسبّوا تبّعاً فإنّه كان قد أسلم(١).

وعن الصادق عليه السلام: إن تبّعاً قال للأوس والخزرج: كونوا هاهنا حتى يخرج هذا النبي أما أنا فلو أدركته لخدمته، وخرجت معه(٢).

﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: كعاد وثمود.

﴿أَهْلَكْنَـٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾: كما أن هؤلاء مجرمون.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ﴾: لاهين، فيه تنبيه على ثبوت الحشر.

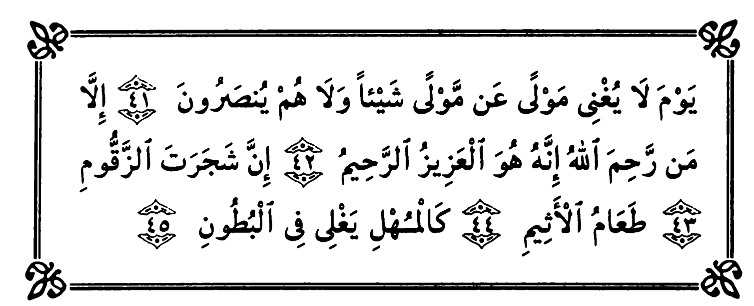
﴿مَا خَلَقْنَـٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لقلة نظرهم.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾: فصل الحق عن الباطل والمحق عن المبطل.

﴿مِيقَـٰتُهُمْ﴾: وقت موعدهم.

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٦٦، س ٢٠.
٢ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٦٦، س ٢٢.



﴿أَجْمَعِينَ * يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى﴾: أي مولى كان.

﴿شَيْئاً﴾: شيئاً من الإغناء.

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾: بالعفو عنه، وقبول الشفاعة فيه.

﴿إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: لا ينصر منه من أراد تعذيبه.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: لمن أراد أن يرحمه.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام أنه قرئ عليه هذه الآية فقال: نحن والله الذي يرحم الله، ونحن والله الذي استثنى الله لكنّا نغني عنهم[1].

وعنه عليه السلام: والله ما استثنى الله عزّ ذكره بأحد من أوصياء الأنبياء ولا أتباعهم ما خلا أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته، فقال في كتابه، وقوله الحق «يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ» يعني بذلك علياً عليه السلام وشيعته[2].

والقمّي: قال: من والى غير أولياء الله لا يغني بعضهم عن بعض، ثم استثنى، من والى آل محمد صلوات الله عليهم فقال: «إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ» الآية[3].

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾: مرّ معناه في سورة الصافات[4].

﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾: الكثير الآثام. القمّي: نزلت في أبي جهل[5].

﴿كَالْمُهْلِ﴾: قيل: وهو ما يمهل في النار حتى يذوب[6].

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٢٣، ح ٥٦، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٢ ـ الكافي: ج ٨، ص ٣٥، ح ٦، س ١٢. ٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩٢، س ٩.

٤ ـ ذيل الآية: ٦٢. ٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩٢، س ١١.

٦ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٧٧، س ١٥.

كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾

القمّي: قال: المهل الصفر المذاب[١].

﴿يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ﴾: وقرئ بالياء.

﴿كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾: القمّي: وهو الذي قد حمى وبلغ المنتهى[٢].

﴿خُذُوهُ﴾: على إرادة القول والمقول له الزبانية.

﴿فَاعْتِلُوهُ﴾: فجرّوه، والعتل الأخذ بمجامع الشيء وجرّه بقهر، وقرئ بالظم.

﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾: وسطه. والقمّي: أي فاضغطوه من كل جانب، ثم أنزلوا به إلى سواء الجحيم[٣].

﴿ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾: من عذاب هو الحميم.

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾: أي وقولوا له: ذلك، استهزاءاً به.

القمّي: وذلك أن أبا جهل كان يقول: أنا العزيز الكريم، فيعيّر بذلك في النار[٤].

وفي الجوامع: روي أن أبا جهل قال لرسول الله ﷺ: ما بين جبليها أعز ولا أكرم مني[٥]، وقرئ إنك بالفتح أي لأنك.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: هذا العذاب.

﴿مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ﴾: تشكّون وتمارون فيه.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ﴾: في موضع إقامة، وقرئ بفتح الميم.

---

١ و٢ و٣ و٤ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٩٢، س١٢ و١٤ و١٦.

٥ـ جوامع الجامع: ص ٤٤٠، س ٨، الطبعة الحجريّة.

فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَـٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾

﴿أَمِينٍ﴾: يأمن صاحبه عن الآفة والإنتقال.

﴿فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: السندس ما رقّ من الحرير والإستبرق ما غلظ منه.

﴿مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾: في مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: الأمر كذلك.

﴿وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾: قرنّاهم بهنّ ولذلك عدّى بالباء، والحوراء:البيضاء، والعيناء: عظيم العينين. في الكافي: عن الباقر عليه السلام قال: إذا أدخل أهل الجنّة الجنّة وأهل النار النار بعث رب العزة علياً عليه السلام فأنزلهم منازلهم من الجنّة فزوّجهم، فعليّ والله الذي يزوّج أهل الجنّة في الجنّة، وما ذاك إلى أحد غيره كرامة من الله وفضلاً فضّله الله ومَنّ به عليه[1].

والقمّي: عن الصادق عليه السلام قال: المؤمن يزوّج ثمان مائة عذراء، وألف ثيب، وزوجتين من الحور العين[2].

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ﴾: يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان.

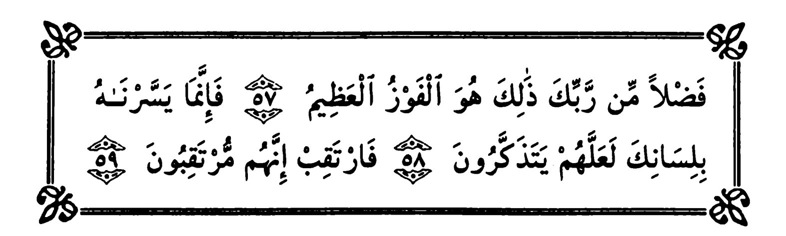
﴿ءَامِنِينَ﴾: من الضرر.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾: التي في الدنيا حين يشارف

---

١ ـ الكافي: ج٨، ص١٥٩، ح١٥٤، حديث الناس يوم القيامة.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٨٢، س١٤.



الجنّة، ويشاهدها، بل يحيون فيها دائماً.

﴿وَوَقَـٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ * فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ﴾: أُعطوا ذلك كلّه تفضلاً منه.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: لأنّه خلاص عن المكاره[1]، وفوز بالمطالب.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ﴾: سهلناه حيث أنزلناه بلغتك، وهو فذلكة للسورة.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يفهمونه فيتذكرون به لما لم يتذكّروا.

﴿فَٱرْتَقِبْ﴾: فانتظر ما يحل بهم.

﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾: منتظرون ما يحلّ بك.

في ثواب الأعمال[2]، والمجمع: عن الباقر عليه السلام من أدمن سورة الدخان في فرائضه ونوافله بعثه الله من الآمنين يوم القيامة، وظلّله تحت عرشه، وحاسبه حساباً يسيرا وأعطاه كتابه بيمينه[3].

وفي الكافي: عنه عليه السلام إنه سئل كيف أعرف أن ليلة القدر تكون في كل سنة؟ قال: إذا أتى شهر رمضان فاقرأ سورة الدخان في كل ليلة مائة مرة فإذا أتت ليلة ثلاث وعشرين فإنّك ناظر إلى تصديق الذي سألت عنه[4].

* * *

---

١ ـ وفي نسخة: [من المكاره].

٢ ـ ثواب الأعمال: ص١١٤، ح١، باب ثواب من قرأ سورة الدخان.

٣ ـ مجمع البيان: ج٩ ـ ١٠، ص٦٠، في فضلها.

٤ ـ الكافي: ج١، ص٢٥٢، ذيل ح٨، باب في شأن إنا أنزلناه في ليلة القدر وتفسيرها.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

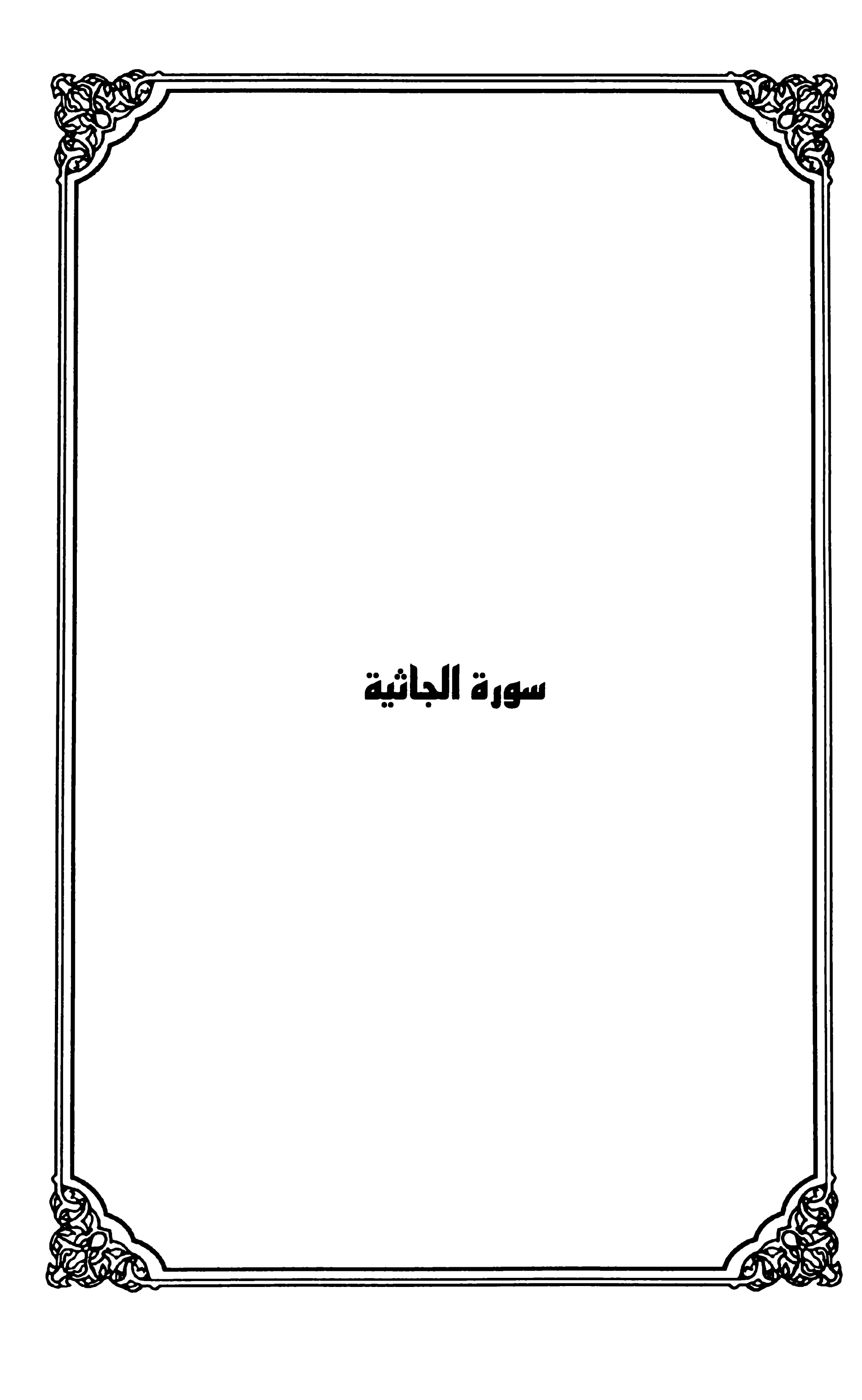
[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]



سورة الجاثية

الخاتمة وفيها

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمْ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَـٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾

سورة الجاثية: مكيّة، عدد آيها سبع وثلاثون آية كوفي، ست في الباقين، اختلافها آية «حمٓ» كوفي.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ * تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ * إِنَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَـٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: القمّي: وهي النجوم، والشمس، والقمر، وفي الأرض ما يخرج منها من أنواع النبات للناس والدواب[1].

﴿وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: وقرئ بالنصب.

﴿وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ﴾: من مطر، سمّاه رزقاً لأنّه سببه.

﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: يبسها.

---

١ ـ تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٩٣، س ٨.

تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾

﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ﴾: باختلاف جهاتها وأحوالها.

القمّي: أي يجيء من كل جانب، وربما كانت حارّة، وربمّا كانت باردة، ومنها: ما يثير السحاب، ومنها: ما يبسط في الأرض، ومنها: ما يلقّح الشجر[١].

﴿ءَايَـٰتٌ﴾: وقرئ وتصريف الريح.

﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: فيه القراءتان، قيل: لعلّ اختلاف الفواصل لاختلاف الآيات في الدقّة والظهور[٢].

﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ﴾: تلك الآيات دلائله.

﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِ﴾: أي بعد آيات الله، وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما في قولك: أعجبني زيد وكرمه، أو بعد حديث الله وهو القرآن.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: وقرئ بالياء.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾: كذّاب.

﴿أَثِيمٍ﴾: كثير الإثم.

﴿يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾: يقيم على كفره.

﴿مُسْتَكْبِراً﴾: عن الإيمان بالآيات، و«ثمّ» لاستبعاد الإصرار بعد سماع الآيات.

﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾: أي كأنّه.

---

١ ـ تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٩٣، س ١٠.

٢ ـ قاله العمادي في تفسيره أبي السعود: ج ٨، ص ٦٨، س ٢٠.

وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَـٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾

﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: على إصراره.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا شَيْـًٔا﴾: وإذا بلغه شيء، وعلم أنّه منها.

والقمّي: إذا رأى فوضع العلم مكان الرؤية[١].

﴿ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾: أي الآيات كلّها أو الشيء لأنّه بمعنى الآية.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: لذلك.

﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم﴾: ولا يدفع.

﴿مَّا كَسَبُوا﴾: من الأموال والأولاد.

﴿شَيْـًٔا﴾: من عذاب الله.

﴿وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾: من الأصنام والرؤساء.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: لا يتحمّلونه.

﴿هَـٰذَا هُدًى﴾: أي القرآن.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾: وقرئ «أليم» بالرفع، و«الرجز»: أشدّ العذاب.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾: بتسخيره وأنتم

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩٣، س ١٤.

وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللهِ لِيَجْزِىَ قَوْمَا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾

راكبوها.

﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ﴾: بالتجارة، والغوص، والصيد، وغيرها.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: هذه النعم.

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً﴾: بأن خلقها نافعة لكم.

﴿مِّنْهُ﴾: كائنة منه.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: في صنائعه.

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ﴾: أي قل لهم: اغفروا، «يَغْفِرُواْ» يعني يعفوا ويصفحوا.

﴿لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللهِ﴾: لا يتوقّعون وقائعه بأعدائه.

﴿لِيَجْزِىَ قَوْمَا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾: وقرئ لنجزي بالنون، القمّي: قال: يقول لأئمّة الحق: لا تدعوا على أئمّة الجور حتّى يكون الله هو الذي يعاقبهم[1].

وعن الصادق عليه السلام: قال: قل للذين مننّا عليهم بمعرفتنا أن يعرّفوا الذين لا يعلمون فإذا عرّفوهم فقد غفروا لهم[2].

﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾: إذ لها ثواب العمل وعليها عقابه.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾: فيجازيكم على أعمالكم.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩٣، س ٢١.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩٤، س ٥.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة.

﴿وَٱلْحُكْمَ﴾: الحكمة أو فصل الخصومات.

﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾: إذ كثر الأنبياء فيهم مالم يكثر في غيرهم.

﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: ممّا أحلّ الله من اللذائذ.

﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: عالمي زمانهم.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾: أدلّة من أمر الدين ويندرج فيها المعجزات. وقيل: آيات من أمر النبي صلى الله عليه وآله مبيّنة لصدقه[1].

﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ﴾: في ذلك الأمر.

﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾: بحقيقة الحال.

﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾: عداوة وحسداً.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: بالمؤاخذة والمجازاة.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾: طريقة.

﴿مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾: أمر الدين.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢ ص ٣٨١، س ٥.

إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَـٰذَا بَصَـٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾

﴿فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: آراء الجهّال التابعة للشهوات.

قيل: هم رؤساء قريش قالوا له: ارجع إلى دين آبائك[١].

﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾: ممّا أراد بك.

﴿وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾: إذ الجنسيّة علّة الإنضمام فلا توالوهم باتباع أهوائهم.

﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: فوال الله بالتقى واتباع الشريعة.

القمّي: هذا تأديب رسول الله صلى الله عليه وآله والمعنى لأُمّته[٢].

﴿هَـٰذَا بَصَـٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾: بيّنات تبصرهم وجه الفلاح.

﴿وَهُدًى﴾: من الضلال.

﴿وَرَحْمَةٌ﴾: من الله.

﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: يطلبون اليقين.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: أم منقطعة، ومعنى الهمزة فيه إنكار الحسبان، والإجتراح: الإكتساب.

﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ﴾: أن نصيّرهم.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٨١، س ٨.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩٤، س ١٢.

وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾

﴿كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾: مثلهم.

﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾: وقرئ سواء بالنصب.

﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ * وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: بنقص ثواب، وتضعيف عذاب.

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾: قيل: كان أحدهم يستحسن حجراً فيعبده فإذا رأى أحسن منه رفضه إليه[1].

والقمّي: قال: نزلت في قريش كلّما هوَوْا شيئاً عبدوه، وقال: وجرت بعد رسول الله ﷺ في أصحابه الذين غصبوا أمير المؤمنين عليه السلام واتخذوا إماماً بأهوائهم[2].

﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: وخذله عالماً بضلاله وفساد جوهر روحه.

﴿وَخَتَمَ﴾: الله.

﴿عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾: فلا يبالي بالمواعظ ولا يتفكّر في الآيات.

﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً﴾: فلا ينظر بعين الإستبصار والإعتبار، وقرئ «غشوة».

﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾: من بعد إضلاله.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَقَالُوا۟ مَا هِىَ﴾: ما الحياة.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٨٢.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩٤.

﴿إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾: التي نحن فيها.

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾: قيل: أي نموت نحن ويحيى آخرون ممّن يأتون بعدنا[1].

والقمّي: هذا مقدّم ومؤخّر لأنّ الدهريّة لم يقرّوا بالبعث والنشور بعد الموت، وإنّما قالوا: «نحيى ونموت»[2].

﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾: إلّا مرور الزمان.

﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾: إذ لا دليل لهم عليه.

القمّي: فهذا ظنّ شكّ، ونزلت هذه الآية في الدهريّة، وجرت في الذين فعلوا ما فعلوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بأمير المؤمنين عليه السلام وبأهل بيته عليهم السلام، وإنّما كان إيمانهم إقراراً بلا تصديق خوفاً من السيف ورغبة في المال[3].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام في حديث وجوه الكفر قال: فأمّا كفر الجحود: فهو الجحود بالربوبيّة، وهو قول من يقول لا ربّ ولا جنّة ولا نار، وهو قول صنفين من الزنادقة يقال لهم: الدهريّة، وهم الذين يقولون: «مَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ» وهو دين وضعوه لأنفسهم بالإستحسان منهم على غير تثبّت منهم، ولا تحقيق لشيء ممّا يقولون، قال الله عزّ وجلّ «إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّون» إنّ ذلك كما يقولون[4].

وفي المجمع: عن النبي صلى الله عليه وآله إنّه قال: لا تسبّوا الدهر فإنّ الله هو الدهر، قال: وتأويله إنّ أهل الجاهليّة كانوا ينسبون الحوادث المجحفة، والبلايا النازلة إلى الدهر، فيقولون: فعل الدهر كذا، وكان يسبّون الدهر، فقال عليه السلام: إنّ فاعل هذه الأمور هو الله تعالى فلا تسبّوا فاعلها، وقيل: معناه فإنّ الله مصرف الدهر ومدبّره، قال: والوجه الأوّل أحسن فإنّ كلامهم مملوّ من ذلك ينسبون أفعال الله إلى الدهر[5].

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٨٢، س ١١.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥.
٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩٥، س ٢.
٤ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٨٩، ح ١، باب وجوه الكفر.
٥ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٧٨ ـ ٧٩.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ﴾: واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم.

﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ﴾: ما كان لهم متشبّث يعارضونها به.

﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ * قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: فإنّ من قدر على الإبداء قدر على الإعادة.

﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لقلّة تفكّرهم، وقصور نظرهم على ما يحسّونه.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: تعميم للقدرة بعد تخصيصها.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ * وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾:

قيل: أي مجتمعة من الجثوة وهي الجماعة[١]، أو باركة مستوفزة[٢] على الركب[٣].

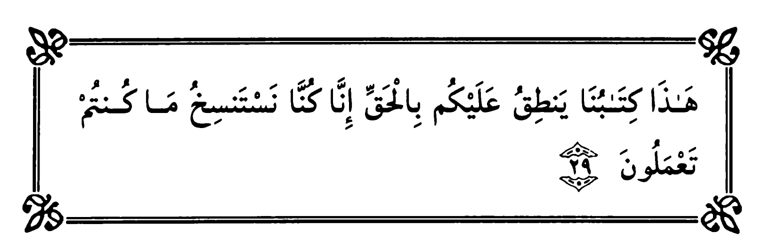
والقمّي: أي على ركبها[٤].

---

١ ـ قال الطريحي في مجمع البحرين: ج ١، ص ٨١: جثياً: أي على الركب لا يستطيعون القيام بما هم فيه، واحدهم: جاث، وتلك جلسة المخاصم والمجادل، وفي حديث علي عليه السلام «أنا أوّل من يجثو للخصومة»، أي يجلس على الركب وأطراف الأصابع عند الحساب. أقول: وهذا المعنى هو الأوضح.

٢ ـ الوَفْزُ ـ ويحرّك ـ: العجلة جمعها أوفاز، وأوفزه أعجله، واستوفز في قعدته: انتصب فيها غير مطمئن، أو وضع ركبتيه ورفع اليتيه، أو استقل على رجليه ولما يستوِ قائماً وقد تهيّأ للوثوب. القاموس المحيط: ج ٢، ص ١٩٥، مادة «وفز». ٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٨٣، س ٤.

٤ ـ تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٩٥، س ٩.



﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا﴾: صحيفة أعمالها، وقرئ كلّ بالنصب.

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: على تقدير القول.

﴿هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا﴾: قيل: أضاف صحائف أعمالهم إلى نفسه لأنّه أمر الكتبة أن يكتبوا فيها أعمالهم[١].

أقول: ويأتي وجه آخر عن قريب.

﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾: يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ولا نقصان.

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾: نستكتب الملائكة.

﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: أعمالكم، وفي الكافي[٢]، والقمّي: عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية؟ فقال: إنّ الكتاب لم ينطق ولن ينطق، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله هو الناطق بالكتاب، قال الله تعالى: «هذا كتّابنا ينطق عليكم بالحق» فقيل: إنّا لا نقرؤها هكذا، فقال: هكذا والله نزل بها جبرئيل على محمّد صلى الله عليه وآله، ولكنّه ممّا حرّف من كتاب الله[٣].

أقول: كأنّه قرأ عليه السلام ينطق بضمّ الياء وفتح الطاء[٤].

وعن الصادق عليه السلام: أنّه سئل عن «نٓ وَٱلْقَلَمِ»[٥] قال: إنّ الله تعالى خلق القلم من شجرة في الجنّة يقال لها الخلد، ثمّ قال لنهر في الجنّة: كن مداداً فجمد النهر، وكان أشدّ بياضاً من الثلج وأحلى من الشهد، ثمّ قال للقلم: اكتب، قال: يا ربّ ما أكتب؟ قال: اكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، فكتب القلم في رقّ أشدّ بياضاً من الفضّة وأصفى من الياقوت، ثمّ طواه فجعله

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٨٣، س ٦.

٢ ـ الكافي: ج ٨، ص ٥٠، ح ١١.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩٥، س ١٤. وفيه: «هذا بكتابنا ينطق عليكم بالحقّ»، وهذا أنسب ممّا في الكافي.

٤ ـ أقول: لم أر وجهاً صحيحاً لقوله قدس سره.

٥ ـ القلم: ١.

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾

في ركن العرش، ثمّ ختم على فم القلم ولا ينطق فلا ينطق أبداً، فهو الكتاب المكنون الذي منه النسخ كلّها، أولستم عرباً فكيف لا تعرفون معنى الكلام؟ واحدكم يقول لصاحبه انسخ ذلك الكتاب أوليس إنّما ينسخ من كتاب آخر من الأصل[1] وهو قوله: «إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ»[2].

وفي سعد السعود: في حديث الملكين الموكّلين بالعبد إنّهما إذا أرادا النزول صباحاً ومساءاً ينسخ لهما اسرافيل عمل العبد من اللوح المحفوظ فيعطيهما ذلك فإذا صعدا صباحاً ومساءاً بديوان العبد قابله اسرافيل بالنسخ التي انتسخ لهما حتّى يظهر أنّه كان كما نسخ منه[3].

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾: التي من جملتها الجنّة.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾: لخلوصه عن الشوائب.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: أي فيقال لهم ذلك.

﴿فَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾: عن الإيمان بها.

﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾: عادتكم الإجرام.

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾: وقرئ بالنصب.

---

١ ـ هكذا في الأصل. وفي المصدر: «إنّما ينسخ من كتاب أُخذ من الأصل»، وهذا هو الصحيح.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٧٩ ـ ٣٨٠.

٣ ـ سعد السعود: ص ٢٢٦، س ٩.

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُواً وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾

﴿قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّاً وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ * وَبَدَا لَهُمْ﴾: ظهر لهم.

﴿سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ﴾: بأن عرفوا قبحها، وعاينوا وخامة عاقبتها.

﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: وهو الجزاء.

﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾: نترككم في العذاب ترك ما ينسى.

﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾: كما تركتم عدّته ولم تبالوا به.

﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: يخلصونكم منها.

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُواً﴾: القمّي: وهم الأئمة عليهم السلام أي كذّبتموهم واستهزأتم بهم[١].

﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: فحسبتم أن لا حياة سواها.

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾: من النار، وقرئ بفتح الياء وضمّ الراء.

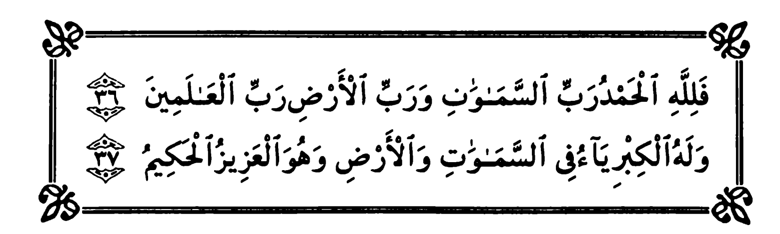
﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: لا يطلب منهم أن يعتبوا ربّهم أي يرضوه لفوات أوانه.

والقمّي: ولا يجاوبون ولا يقبلهم الله[٢].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩٥، س ٢٠.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩٥، س ٢١.



﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: إذ الكل نعمة منه.

﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: إذ ظهر فيها آثار قدرته، في الحديث القدسي: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدة منها ألقيته في نار جهنم[1].

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الذي لا يغلب.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: فيا قدّر وقضى فاحدوه وكبّروه وأطيعوا له.

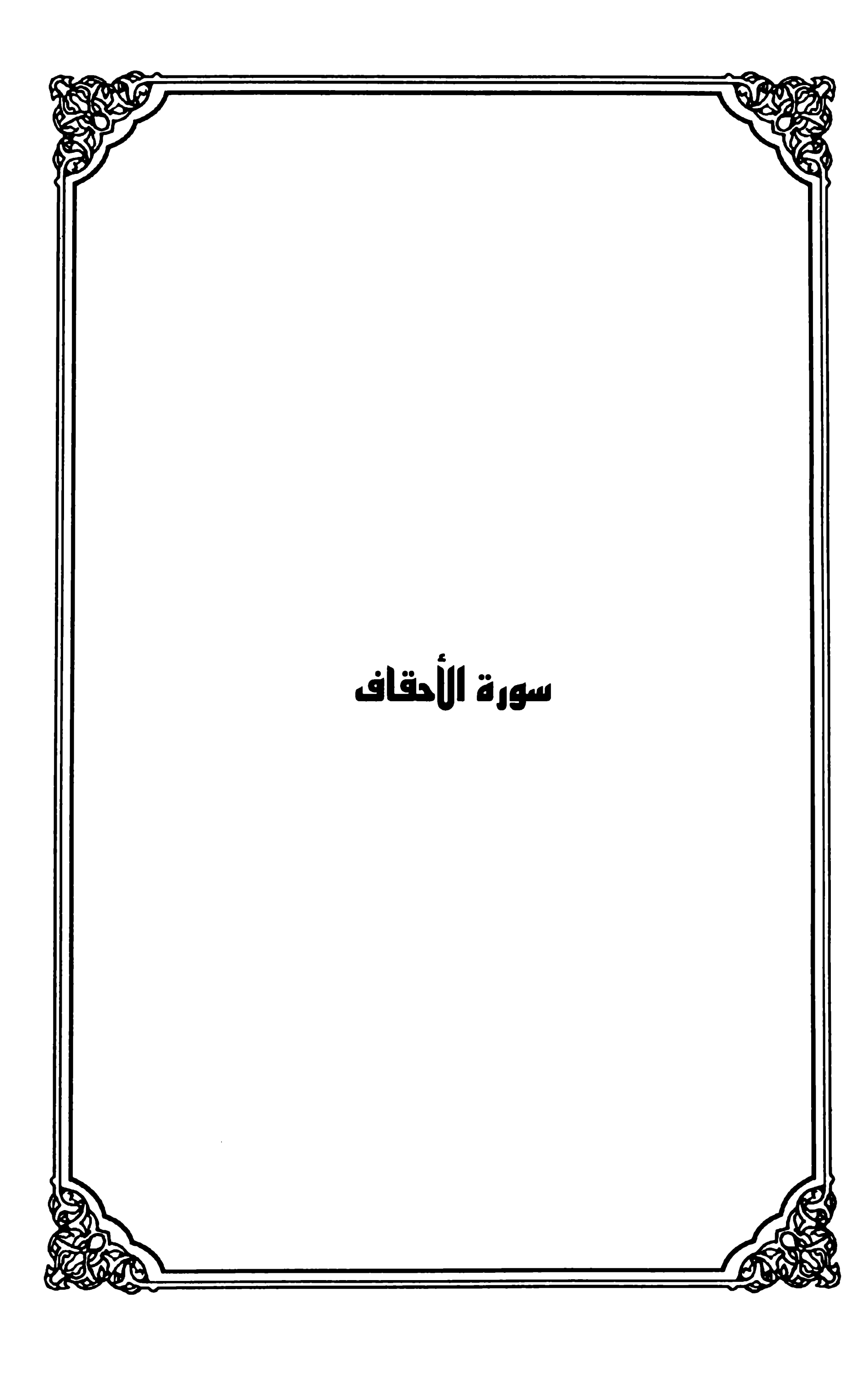
في ثواب الأعمال[2]، والمجمع: عن الصادق عليه السلام من قرأ سورة الجاثية كان ثوابها أن لا يرى النار أبداً، ولا يسمع زفير جهنّم ولا شهيقها، وهو مع محمّد صلى الله عليه وآله[3].

* * *

١ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٨١، س ١٧. وجاء ما يقرب منه في مرآة العقول: ج ١٠، ص ١٨٤.

٢ـ ثواب الأعمال: ص ١١٤، ح ١، باب ثواب قراءة سورة الجاثية.

٣ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٧٠، في فضلها.



سورة الأحقاف

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَاخَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤﴾

سورة الأحقاف: مكيّة، عدد آيها خمس وثلاثون آية كوفي، أربع في الباقين.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ * تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ * مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: ينتهي إليه الكلّ، وهو يوم القيامة، أو كلّ واحد وهو آخر مدّة بقائه المقدّر له.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْعَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ﴾: لايتفكّرون فيه ولايستعدّون لحلوله.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾: أي أخبروا عن حال آلهتكم بعد تأمّل فيها، هل يعقل أن يكون لها مدخل في أنفسها في خلق شيء من أجزاء العالم فيستحقّ به العبادة؟

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿٦﴾

﴿ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ﴾: من قبل هذا الكتاب، يعني القرآن فإنّه ناطق بالتوحيد.

﴿أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾: أو بقيّة من علم بقيت عليكم من علوم الأوّلين هل فيها ما يدلّ على استحقاقهم للعبادة أو الأمر به؟

﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾: في عدواكم، وهو إلزام بعدم ما يدلّ على اُلوهيّتهم بوجه ما نقلاً بعد إلزامهم بعدم ما يقتضيها عقلاً.

وفي المجمع: قرأ علي عليه السلام أو «أثرة» بسكون الثاء من غير ألف[1].

في الكافي: عن الباقر عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية؟ فقال: عنى بالكتاب: التوراة والإنجيل، وأمّا أثارة من العلم: فإنّما عنى بذلك علم أوصياء الأنبياء[2].

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ﴾: إنكار أن يكون أحد أضلّ من المشركين حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر الخبير إلى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعائهم، فضلاً عن أن يعلم سرائرهم ويراعي مصالحهم.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: مادامت الدنيا.

﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ﴾: لأنّهم إمّا جمادات وإمّا عباد مسخّرون مشتغلون بأحوالهم.

﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾: يضرّونهم ولا ينفعونهم.

﴿وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾: كلّ من الضميرين ذو وجهين.

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٨٢، في القراءة.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٢٦، ح ٧٢، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ﴾: لأجله وفي شأنه.

﴿لَمَّا جَآءَهُمْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: ظاهر بطلانه.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾: إضراب عن ذكر تسميتهم إيّاه سحراً إلى ذكر ما هو أشنع منه وإنكار له وتعجب.

﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾: على الفرض.

﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾: أي إن عاجلني الله بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شيء منها، فكيف أجترأ عليه وأُعرّض نفسي للعقاب من غير توقّع نفع ولا دفع ضرّ من قبلكم.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾: تندفعون فيه من القدح في آياته.

﴿كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾: يشهد لي بالصدق والبلاغ، وعليكم بالكذب والإنكار، وهو وعيد بجزاء إفاضتهم.

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾: وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن، وإشعار بحلم الله عنهم مع جرأتهم، وقد سبق من العيون[1] حديث في شأن نزول هذه الآية في سورة الشورى عند قوله تعالى: «وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ»[2].

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾: بديعاً منهم أدعوكم إلى ما لم يدعوا إليه أو أقدر

---

١ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٣٦، ح ١، باب ٢٣ ـ ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والأمّة.

٢ ـ الشورى: ٢٥.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾

على ما لم يقدروا عليه.

﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾: في الدارين على التفصيل إذ لا علم لي بالغيب، وقد سبق في هذه الآية من الاحتجاج[1] حديث في المقدّمة السادسة[2].

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾: لا أتجاوزه.

﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ﴾: عن عقاب الله.

﴿مُّبِينٌ﴾: يبيّن الإنذار عن العواقب بالشواهد المبيّنة والمعجزات المصدّقة.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: أي القرآن.

﴿وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: قيل: هو عبدالله بن سلام[3].

وقيل: موسى عليه السلام وشهادته ما في التوراة من نعت الرسول صلى الله عليه وآله[4].

﴿عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾: ممّا في التوراة من المعاني المصدّقة له المطابقة عليه.

﴿فَـَٔامَنَ﴾: أي بالقرآن لمّا رآه من جنس الوحي مطابقاً للحقّ.

﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾: عن الإيمان.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: إستئناف مشعر بأنّ كفرهم به لضلالهم المسبّب عن ظلمهم، ودليل على الجواب المحذوف أي ألستم ظالمين.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: لأجلهم.

---

١ ـ الاحتجاج: ج ١، ص ٣٦٧، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في آي متشابهة.

٢ ـ راجع ج ١، ص ٨٨، من كتابنا تفسير الصافي.

٣ و ٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٨٦، س ٧.

وَمِن قَبْلِهِ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَاناً عَرَبِيّاً لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾

﴿لَوْ كَانَ خَيْراً﴾: أي الايمان أو ما جاء به محمّد صلى الله عليه وآله.

﴿مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾: وهم فقراء وموال ورعاة.

﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَـٰذَآ إِفْكٌ﴾: كذب.

﴿قَدِيمٌ﴾: وهو كقولهم أساطير الأوّلين.

﴿وَمِن قَبْلِهِ﴾: ومن قبل القرآن.

﴿كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾: لكتاب موسى.

﴿لِّسَاناً عَرَبِيّاً لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: وقرئ بالتاء.

﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾: قيل: أي اجمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم، والإستقامة في الأُمور التي هي منتهى العمل، و«ثُمَّ» للدلالة على تأخّر رتبة العمل، وتوقّف إعتباره على التوحيد[1].

والقمّي: قال: استقاموا على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام[2].

وقد مرّ له بيان في حمٓ السجدة[3].

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: من لحوق مكروه.

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: على فوات محبوب.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٨٦، س ٢١.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩٧، س ٢.

٣ ـ ذيل الآية ٣٠ من سورة فصلت، أُنظر ص ٣٣٧ من هذا الجزء.

أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾: وقرئ احساناً، وفي المجمع: عن علي عليه السلام حسناً بفتحتين[1].

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾: وقرئ بالفتح.

﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ﴾: ومدّة حمله وفطامه، وقرئ وفصله.

﴿ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾: ذلك كلّه بيان لما تكابده الأم في تربية الولد، ومبالغة في التوصية بها.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾: استحكم قوّته وعقله.

﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾: ألهمني.

﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ﴾: عمّا يشغل عنك.

﴿وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: المخلصين لك.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾: وقرئ بالنون فيهما.

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٨٤، في القراءة.

﴿فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾: في الدنيا، في الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: لمّا حملت فاطمة عليها السلام بالحسين عليه السلام جاء جبرئيل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إنّ فاطمة عليها السلام ستلد غلاماً تقتله اُمّتك من بعدك، فلمّا حملت فاطمة عليها السلام بالحسين عليه السلام كرهت حمله، وحين وضعته كرهت وضعه، ثمّ قال عليه السلام: لم تر في الدنيا اُمّ تلد غلاماً تكرهه، ولكنّها كرهته لما علمت أنّه سيقتل، قال: وفيه نزلت هذه الآية[1].

وفي رواية اُخرى: ثمّ هبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد إنّ ربّك يقرؤك السلام ويبشّرك بأنّه جاعل لذريّته الإمامة والولاية والوصيّة، فقال: إنّي رضيت، ثمّ بشّر فاطمة بذلك فرضيت، قال: فلولا أنّه قال: «أَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ» لكانت ذرّيته كلّهم أئمّة، قال: ولم يرضع الحسين عليه السلام من فاطمة ولا من اُنثى، وكان يؤتى به النبي صلى الله عليه وآله فيضع ابهامه في فيه فيمصّ منها ما يكفيه اليومين والثلاثه، فنبت لحم الحسين عليه السلام من لحم رسول الله صلى الله عليه وآله ودمه[2]، ولم يولد لستّة أشهر إلّا عيسى بن مريم عليهما السلام والحسين عليه السلام[3].

وفي العلل: عنه عليه السلام ما يقرب منها[4]. وزاد القمّي ونقص[5].

وفي ارشاد المفيد: رووا أنّ عمر اُتي بإمرأة قد ولدت لستّة أشهر فهمّ برجمها، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك، إنّ الله تعالى يقول: «وَحَمْلُهُ وَفِصَٰلُهُ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا»[6] ويقول: «وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ»[7] فإذا أتمّت المرأة الرضاعة لسنتين وكان حمله وفصاله ثلاثين شهراً كان الحمل منها ستّة أشهر، فخلّى عمر سبيل المرأة، وثبت الحكم بذلك يعمل به الصحابة والتابعون، ومن أخذ عنه إلى يومنا هذا[8].

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٦٤، ح ٣، باب مولد الحسين بن علي عليهما السلام.

٢ ـ ومن هنا ورد الحديث المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «حسين منّي وأنا من حسين»، مضافاً إلى أنّه ولده، وقرّة عينه، وفلذّة كبده، ومهجة قلبه، وثمرة فؤاده، و.....

٣ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٦٤ ـ ٤٦٥، ح ٤، باب مولد الحسين بن علي عليهما السلام.

٤ ـ علل الشرائع: ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦، ح ٣، باب ١٥٦ ـ العلّة التي من أجلها صارت الإمامة في ولد الحسين دون الحسن صلوات الله عليهما.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩٧، س ٥.

٦ ـ الأحقاف: ١٥.

٧ ـ البقرة: ٢٣٣.

٨ ـ الإرشاد للشيخ المفيد: ص ١١٠.

وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾

وفي الخصال: عن الصادق عليه السلام قال: إذا بلغ العبد ثلاثاً وثلاثين سنة فقد بلغ أشدّه، وإذا بلغ أربعين سنة فقد بلغ وانتهى منتهاه، فإذا طعن في إحدى وأربعين فهو في النقصان، وينبغي لصاحب الخمسين أن يكون كمن كان في النزع[1].

﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ﴾: وقرئ بنون واحدة مشدّدة.

﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾: أبعث.

﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾: فلم يرجع أحد منهم.

﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أباطيلهم التي كتبوها، القمّي قال: نزلت في عبدالرحمان بن أبي بكر[2].

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾: بأنّهم أهل النار.

﴿فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ * وَلِكُلٍّ﴾: من الفريقين.

﴿دَرَجَـٰتٌ﴾: مراتب.

﴿مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾: من جزاء ما عملوا من الخير والشرّ أو من أجل ما عملوا،

---

١ ـ الخصال: ص ٥٤٥، ح ٢٣، باب فيمن عمّر أربعين سنة فما فوقها.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩٧، س ١٩.

وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

والدرجات: غالبة في المثوبة، وهاهنا جاءت على التغليب.

﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: جزاؤها، وقرئ بالنون.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: بنقص ثواب، وزيادة عقاب.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾: يعذّبون بها.

وقيل: تعرض النار عليهم، فقلب مبالغة كقولهم: عرضت الناقة على الحوض[١].

﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ﴾: لذائذكم، أي يقال لهم: أذهبتم، وقرئ بالإستفهام.

﴿فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾: باستيفائها.

﴿وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾: فما بقي لكم منها شيء.

القمّي قال: أكلتم وشربتم ولبستم وركبتم وهي في بني فلان[٢].

﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾: قال: العطش[٣].

﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾: عن طاعة الله، في المحاسن: عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: أُتي النبي صلى الله عليه وآله بخبيص[٤] فأبى أن يأكله، فقيل أتحرّمه؟ قال: لا، ولكنّي أكره أن تتوق[٥] إليه نفسي، ثمّ تلا هذه الآية «أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا»[٦].

---

١ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٨٨، س ١٢. ٢ و ٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩٨، س ٦.

٤ ـ الخبيص والخبيصة: طعام معمول من التمر والزبيب والسمن، فعيل بمعنى مفعول، ويجمع على أخبصة. مجمع البحرين: ج ٤، ص ١٦٧، مادة «خبص».

٥ ـ تاقت نفسي إلى الشيء توقاً وتوقاناً، أي اشتاقت. يقال: المرء تواق إلى ما لم ينل. الصحاح: ج ٤، ص ١٤٥٣، مادة «توق».

٦ ـ المحاسن: ج ٢، ص ١٧٧، ح ١٥٠١ / ١٣٧، باب ١٥ ـ التواضع.

وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾

﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾: يعني هوداً.

﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِٱلْأَحْقَافِ﴾: قيل: هي جمع حقف، وهي رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء[١].

القمّي: الأحقاف: من بلاد عاد من الشقوق إلى الأجفر، وهي أربعة منازل[٢].

﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾: الرسل.

﴿مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾: قبل هود وبعده.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: هائل بسبب شرككم.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا﴾: لتصرفنا.

﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾: عن عبادتها.

﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾: من العذاب على الشرك.

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾: في وعدك.

﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: لا علم لي بوقت عذابكم ولا مدخل لي فيه فأستعجل به وإنّما علمه عند الله فيأتيكم به في وقته المقدّر له.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٨٨، س ١٧.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩٨، س ٨.

فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَـٰكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾

﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِ﴾: وما على الرسول إلّا البلاغ المبين.

﴿وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ﴾: لا تعلمون أنّ الرسل بعثوا مبلّغين ومنذرين لا معذّبين مقترحين.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً﴾: سحاباً عرض في اُفق السماء.

﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾: متوجّه أوديتهم.

﴿قَالُواْ هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾: أي يأتينا بالمطر.

﴿بَلْ هُوَ﴾: أي قال هود: «بَلْ هُوَ».

﴿مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِ﴾: من العذاب.

﴿رِيحٌ﴾: هي ريح.

﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ﴾: تهلك.

﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾: من نفوسهم وأموالهم.

﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَـٰكِنُهُمْ﴾: أي فجاءتهم الريح فدمّرتهم فأصبحوا، وقرئ «لا ترى» على الخطاب يعني بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى إلّا مساكنهم، وقرئ «لا ترى» بالتاء[1] المضمومة ورفع المساكن.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: القمّي: كان نبيّهم هود، وكانت بلادهم كثيرة الخير خصبة، فحبس الله عنهم المطر سبع سنين حتّى أجدبوا، وذهب خيرهم من بلادهم،

---

١ ـ وفي نسخة: [لا يرى بالياء].

وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّـٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَـٰراً وَأَفْئِدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾

وكان هود يقول لهم: ما حكى الله في سورة هود: «ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ» إلى قوله: «وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ»[1] فلم يؤمنوا، وعتوا فأوحى الله إلى هود أنّه يأتيهم العذاب في وقت كذا وكذا، بريح فيها عذاب أليم، فلمّا كان ذلك الوقت نظروا إلى سحابة قد أقبلت ففرحوا، فقالوا: «هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا» الساعة تمطر، فقال لهم هود: «بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِ» إلى قوله: «بِأَمْرِ رَبِّهَا»، قال: فلفظه عام ومعناه خاصّ، لأنّها تركت أشياءاًكثيرة لم تدمّرها وإنّما دمّرت مالهم كلّه، قال: وكل هذه الأخبار من هلاك الأمم تخويف وتحذير لأمّة محمّد ﷺ[2].

وروي أنّ هود لمّا أحسّ بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة وجاءت الريح فأمالت الأحقاف على الكفرة، وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيّام، ثمّ كشفت عنهم، واحتملتهم، وقذفتهم في البحر[3].

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّـٰكُمْ فِيهِ﴾: «إِنْ» نافية أو شرطيّة محذوفة الجواب، أي كان بغيكم أكثر.

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَـٰراً وَأَفْئِدَةً﴾: ليعرفوا تلك النعم ويستدلّوا بها على مانحها، ويواظبوا على شكرها.

﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ﴾: من الإغناء.

﴿إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: من

---

١ ـ هود: ٥٢. ٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩٨، س ١٨.

٣ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٨٩، س ١٥.

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْأَيَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَاناً ءَالِهَةَۢ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾

العذاب، القمّي: أي قد أعطيناهم فكفروا فنزل بهم العذاب فاحذروا أن لا ينزل بكم ما نزل بهم[١].

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم﴾: يا أهل مكّة.

﴿مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾: كحجر ثمود، وقرى قوم لوط.

﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْأَيَـٰتِ﴾: بتكريرها.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: عن كفرهم.

﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَاناً ءَالِهَةَۢ﴾: فهلّا منعتهم من الهلاك آلهتهم الذين يتقرّبون بهم إلى الله حيث قالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله.

﴿بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ﴾: غابوا عن نصرهم، وامتنع أن يستمدّوا بهم إمتناع الإستمداد بالضال.

﴿وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ﴾: وذلك الإتخاذ الذي هذا أثره صرفهم عن الحق.

﴿وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ * وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾: أملناهم إليك، والنفر دون العشرة، وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّهم كانوا تسعة واحد من جنّ نصيبين، والثمان من بني عمرو بن عامر، وذكر أسماءهم[٢].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩٩، س ٧.

٢ ـ الاحتجاج: ج ١، ص ٣٣٠، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على اليهود من أحبارهم.

قَالُواْ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءُ أُوْلَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾

﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ﴾: قال بعضهم لبعض: اسكتوا لنسمعه.

﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾: أتمّ وفرغ عن قراءته.

﴿وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾: إيّاهم.

﴿قَالُواْ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾: بعض ذنوبكم.

قيل: هو ما يكون من خالص حقّ الله فإنّ المظالم لا تغفر بالإيمان[١].

﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: معدّ للكفّار.

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: إذ لا ينجى من مهرب.

﴿وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءُ﴾: يمنعونه منه.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾: حيث أعرضوا عن إجابة من هذا شأنه.

القمّي: فهذا كلّه حكاية الجنّ، وكان سبب نزول هذه الآية: أنّ رسول الله ﷺ خرج من مكّة إلى سوق عكاظ، ومعه زيد بن حارثة يدعوا الناس إلى الإسلام فلم يجبه أحد، ولم

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٩٠، س ١٦.

أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾

يجد أحداً يقبله، ثمّ رجع إلى مكّة فلمّا بلغ موضعاً يقال له: وادي مجنّة تهجّد بالقرآن في جوف الليل فمرّ به نفر من الجنّ فلمّا سمعوا قراءته، قال بعضهم لبعض: «أَنصِتُواْ» يعني اسكتوا «فَلَمَّا قُضِىَ» أي فرغ رسول الله ﷺ من القراءة «وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُواْ يَـٰقَوْمَنَآ» إلى قوله: «فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ» فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ وأسلموا وآمنوا، وعلّمهم رسول الله ﷺ شرائع الإسلام، فأنزل الله عزّ وجلّ على نبيّه ﷺ: «قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ»[1] السورة كلّها، فحكى الله عزّ وجلّ قولهم، وولّى عليهم رسول الله ﷺ رجلاً منهم، وكانوا يعودون إلى رسول الله ﷺ في كلّ وقت، فأمر رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام أن يعلّمهم ويفقّههم، فمنهم مؤمنون، وكافرون، وناصبون، ويهود، ونصارى، ومجوس، وهم ولد الجانّ، وسئل العالم عليه السلام عن مؤمني الجنّ أيدخلون الجنّة؟ فقال: لا، ولكنّ لله حظائر بين الجنّة والنار يكون فيها مؤمنو الجنّ وفسّاق الشيعة[2].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾: ولم يتعب ولم يعجز.

﴿بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: «الباء» مزيدة لتأكيد النفي، وقرئ بقدر.

﴿بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾: الإشارة إلى العذاب.

﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: إهانة وتوبيخ لهم.

---

١ ـ الجن: ١.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَـٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾: أُولوا الثبات والجدّ منهم، فإنّك من جملتهم، وأُولوا العزم أصحاب الشرائع اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها، وصبروا على مشاقّها.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال: هم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمّد صلى الله عليه وآله وعليهم قيل: كيف صاروا أُولي العزم؟ قال: لأنّ نوحاً بعث بكتاب وشريعة، وكلّ من جاء بعد نوح عليه السلام أخذ بكتاب نوح عليه السلام وشريعته ومنهاجه، حتّى جاء إبراهيم عليه السلام بالصحف وبعزيمة ترك كتاب نوح لا كفراً به، فكلّ نبي جاء بعد إبراهيم عليه السلام أخذ بشريعة إبراهيم عليه السلام ومنهاجه وبالصحف، حتّى جاء موسى عليه السلام بالتوراة وبشريعته ومنهاجه وبعزيمة ترك الصحف، فكلّ نبي جاء بعد موسى عليه السلام أخذ بالتوراة وبشريعته ومنهاجه، حتّى جاء المسيح عليه السلام بالإنجيل وبعزيمة ترك شريعة موسى عليه السلام ومنهاجه، فكلّ نبي جاء بعد المسيح عليه السلام أخذ بشريعته ومنهاجه، حتّى جاء محمّد صلى الله عليه وآله فجاء بالقرآن وبشريعته ومنهاجه، فحلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة، فهؤلاء أُولوا العزم من الرسل عليهم السلام[1].

وعنه عليه السلام: سادة النبيين خمسة: وهم أُولوا العزم من الرسل، وعليهم دارت الرحى، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد صلوات الله عليه وآله وعليهم وعلى جميع الأنبياء[2].

وفي العيون: عن الرضا عليه السلام ما يقرب من الروايتين[3].

وفي الكافي[4]، والعلل: عن الباقر عليه السلام إنّما سمّوا أُولي العزم لأنّه عهد إليهم في محمّد صلى الله عليه وآله

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ١٧، ح ٢، باب الشرائع.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ١٧٥، ح ٣، باب طبقات الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام.

٣ ـ عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٨٠، ح ١٣، باب ٣٢ ـ في ذكر ما جاء عن الرضا عليه السلام من العلل.

٤ ـ الكافي: ج ١، ص ٤١٦، ح ٢٢، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

والأوصياء من بعده والمهدي وسيرته فأجمع عزمهم أنّ ذلك كذلك والإقرار به[١].

والقمّي: ومعنى أُولي العزم أنّهم سبقوا الأنبياء إلى الإقرار بالله، والإقرار بكلّ نبي كان قبلهم وبعدهم، وعزموا على الصبر مع التكذيب والأذى[٢].

﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾: لكفّار قريش بالعذاب فإنّه نازل بهم في وقته لا محالة.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾[٣]: استقصروا من هوله مدّة لبثهم في الدنيا حتّى يحسبونها ساعة.

﴿بَلَـٰغٌ﴾: هذا الذي وعظتم به كفاية أو تبليغ من الرسول.

﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾: الخارجون عن الاتعاظ، والطاعة.

في ثواب الأعمال[٤]، والمجمع: عن الصادق عليه السلام قال: من قرأ كلّ ليلة أو كلّ جمعة سورة الأحقاف لم يصبه الله تعالى بروعة في الحياة الدنيا، وآمنه من فزع يوم القيامة إن شاء الله[٥].

❊ ❊ ❊

---

١ ـ علل الشرائع: ص ١٢٢، ح ١، باب ١٠١ ـ العلّة التي من أجلها سمّي أُولوا العزم أُولي العزم.

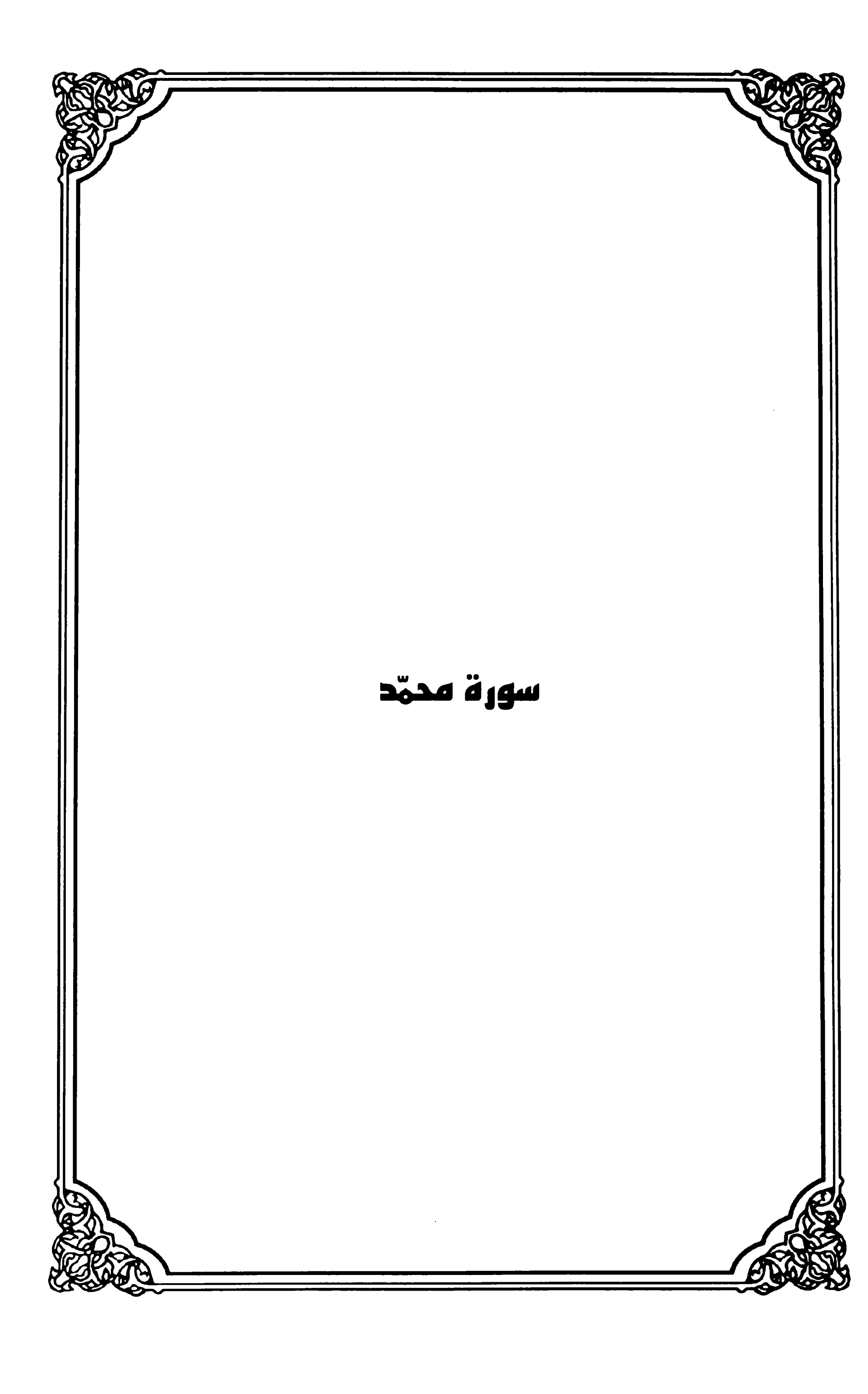
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٠٠، س ١٠.

٣ ـ في روضة الواعظين: قيل للنبي صلى الله عليه وآله كم ما بين الدنيا والآخرة؟ قال: غمزة عين، قال الله عزّ وجلّ: «كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ...» الآية. منه قدّس سرّه.

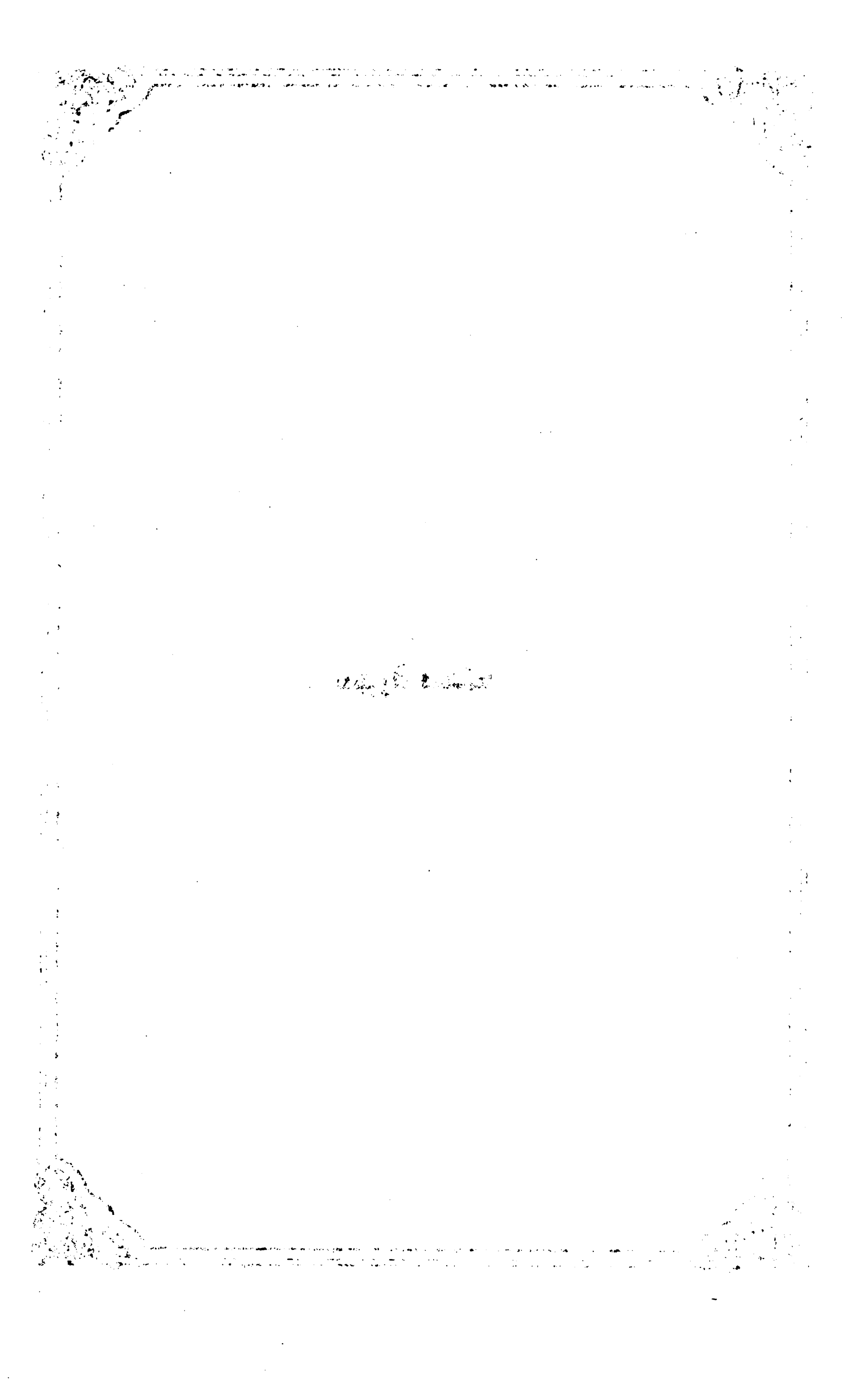
أقول: أُنظر روضة الواعظين للنيسابوري: ص ٤٤٨، س ٧. وفيه: «غمضة عين».

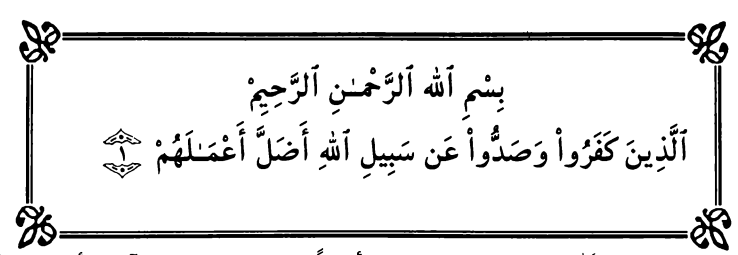
٤ ـ ثواب الأعمال: ص ١١٤، ح ١، باب ثواب قراءة سورة الأحقاف.

٥ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٨١، في القراءة.



سورة محمّد





سورة محمّد ﷺ: وتسمّى سورة القتال أيضاً، وهي مدنيّة عـدد آيهـا أربـعون آيـة بصري، ثمان وثلاثون كوفي.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾: القـمّي: نـزلت في أصحاب رسول الله ﷺ الذين ارتدّوا بعد رسول الله ﷺ، وغصبوا أهل بيته حقّهم، وصدّوا عن أمير المؤمنين، وعن ولاية الأئمّة عليهم السلام، «أَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ» أي أبطل ما كان تقدّم منهم مع رسول الله ﷺ من الجهاد والنصرة[1].

وعن الباقر عليه السلام: قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفـاة رسـول الله ﷺ في المسـجد والناس مجتمعون بصوت عال: «ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ» فقال له ابن عبّاس: يا أبا الحسن لم قلت ما قلت؟ قال: قرأت شيئاً من القرآن، قال: لقد قلته لأمر؟ قال: نعم إنّ الله يقول في كتابه: «وَمَا أَتَـٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَـٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُواْ»[2]أفتشهد على رسول الله ﷺ أنّه استخلف أبا بكر؟ قال: ما سمعت رسول الله ﷺ أوصى إلّا إليك، قال: فهلّا بايعتني؟ قال: اجتمع الناس على أبي بكر فكنت منهم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام كما اجتمع أهل العجل على العجل هاهنا فتنتم ومثلكم «كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّآ أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٠٠، س ١٩.   ٢ ـ الحشر: ٧.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾

ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ»[١][٢].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾: القمّي: عن الصادق عليه السلام قال: «بما نزّل على محمّد صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام» هكذا نزلت[٣].

﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾: القمّي: نزلت في أبي ذر، وسلمان، وعمّار، والمقداد، لم ينقضوا العهد، قال: «وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ» صلى الله عليه وآله أي ثبتوا على الولاية التي أنزلها الله «وَهُوَ ٱلْحَقُّ» يعني أمير المؤمنين عليه السلام «بَالَهُمْ» أي حالهم[٤].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ﴾: قال: وهم الذين اتّبعوا أعداء رسول الله، وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما[٥].

﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾: القمّي: عن الصادق عليه السلام قال: في سورة محمّد صلى الله عليه وآله آية فينا وآية في أعدائنا[٦].

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: في المحاربة.

---

١ ـ البقرة: ١٧ ـ ١٨.

٢ و٣ و٤ و٥ و٦ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٠١، س ١ و ١٢ و ١٤ و ١٨ و ٢٠.

﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾: فاضربوا الرقاب ضرباً.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾: أكثرتم قتلهم وأغلظتموه، من التثخين وهو الغليظ.

﴿فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ﴾: فأسروهم واحفظوهم، والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به.

﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾: فإمّا أن تمنّون منّاً أو تفدون فداءاً، والمراد التخيير بعد الأسر بين المن والإطلاق، وبين أخذ الفداء.

﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾: آلاتها وأثقالها التي لا تقوم إلّا بها كالسلاح والكراع، أي ينقضي الحرب ولم يبق إلّا مسلم أو مسالم.

في الكافي[١]، والتهذيب: عن الصادق عليه السلام قال: كان أبي يقول: إنّ للحرب حكمين إذا كانت الحرب قائمة لم تضع أوزارها ولم يثخن أهلها، فكلّ أسير أُخذ في تلك الحال فإنّ الإمام فيه بالخيار إن شاء ضرب عنقه، وإن شاء قطع يده ورجله من خلاف بغير حسم وتركه يتشحّط في دمه حتّى يموت، وهو قول الله عزّ وجلّ: «إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ»[٢] الآية، قال: والحكم الآخر إذا وضعت الحرب أوزارها وأثخن أهلها فكلّ أسير أُخذ على تلك الحال فكان في أيديهم فالإمام فيه بالخيار إن شاء منّ عليهم فأرسلهم، وإن شاء فاداهم أنفسهم، وإن شاء استعبدهم فصاروا عبيداً[٣].

﴿ذَٰلِكَ﴾: الأمر ذلك.

﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾: لانتقم منهم بالإستئصال.

﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾: ولكن أمركم بالقتال ليبلوا المؤمنين بالكافرين بأن يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم، والكافرين بالمؤمنين بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر.

﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي جاهدوا، وقرئ قُتِلوا أي استشهدوا.

﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: فلن يضيّعها.

---

١ ـ الكافي: ج ٥، ص ٣٢، ح ١ ـ باب بدون عنوان.

٢ ـ المائدة: ٣٣.

٣ ـ تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١٤٣، ح ٢٤٥ / ٥، باب ٦٣ ـ كيفيّة قتال المشركين ومن خالف الإسلام.

سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَـٰفِرِينَ أَمْثَـٰلُهَا ﴿١٠﴾

﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾: إلى الجنّة.

﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾: القمّي: أي وعدها إيّاهم وادّخرها لهم[1].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾: إن تنصروا دينه ورسوله ووصيّ رسوله.

﴿يَنصُرْكُمْ﴾: على عدوّكم.

﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾: في القيام بحقوق الإسلام والمجاهدة مع الكفّار.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾: فعثوراً وانحطاطاً.

﴿وَأَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام قال: نزل جبرئيل عليه السلام على محمّد صلى الله عليه وآله بهذه الآية هكذا «ذلك بأنّهم كرهوا ما أنزل الله في علي» إلّا أنّه كشط الإسم «فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ»[2].

وفي المجمع: عنه عليه السلام قال: كرهوا ما أنزل الله في حقّ علي عليه السلام[3].

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: القمّي: أولم ينظروا في أخبار الأمم الماضية أهلكهم وعذّبهم[4].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٠٢، س ٤.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٠٢، س ١٠.
٣ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٩٩، س ٣.
٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٠٢، س ١٢.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾

﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾: قال: يعني الذين كفروا وكرهوا ما أنزل الله في علي عليه السلام هم مثل ما كان للأُمم الماضية من العذاب والهلاك(١).

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: ناصرهم على أعدائهم، القمّي: يعني الذين ثبتوا على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام(٢).

﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾: فيدفع العذاب عنهم، قيل: هذا لا يخالف قوله تعالى: «وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ»(٣) فإنّ المولى فيه بمعنى المالك(٤).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ﴾: ينتفعون بمتاع الدنيا.

﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾: حريصين غافلين عن العاقبة.

﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾: منزل ومقام.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾: بأنواع العذاب.

﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾: يدفع عنهم.

---

١ و ٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٠٢، س ١٤ و ١٥. ٣ ـ يونس: ٣٠.

٤ ـ قاله البيضاوي في تفسير أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٩٤، س ٥.

أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوٓءُ عَمَلِهِ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾: القمّي: يعني أمير المؤمنين عليه السلام[١].

﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوٓءُ عَمَلِهِ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾: قال: يعني الذين غصبوه[٢].

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام هم المنافقون[٣].

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾: أي مثل أهل الجنّة، وفي المجمع: عن علي عليه السلام أنّه قرأ أمثال الجنّة بالجمع[٤].

﴿ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾: غير متغيّر الطعم والريح، وقرئ اسن.

﴿وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾: لذيذة لا تكون فيها كراهة وريح ولا غائلة[٥] سكر وخمار.

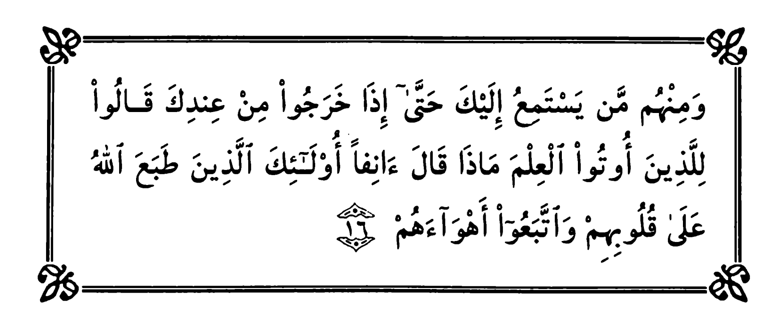
القمّي: إذا تناولها ولي الله وجد رائحة المسك فيها[٦].

﴿وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾: لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرهما.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ﴾:

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٠٢، س ٢٣.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٠٢، س ٢٣.
٣ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٠٠، س ٢١.
٤ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٩٩، في القراءة.
٥ ـ الغائلة: الفساد والشر. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٤٣٨، مادة «غول».
٦ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٠٣، س ٤.



كمثل من هو خالد في النار.

﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيماً﴾: مكان تلك الأشربة.

﴿فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾: من فرط الحرارة، القمّي: قال: ليس من هو في هذه الجنّة الموصوفة كمن هو في هذه النار كما أنّ ليس عدوّ الله كوليّه[1].

وعن أبيه عليه السلام مرفوعاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا دخلت الجنّة رأيت في الجنّة شجرة طوبى، ويجري نهر في أصل تلك الشجرة يتفجّر[2] منه الأنهار الأربعة: نهر «مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ» إلى قوله «مُّصَفًّى»[3].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث قال: وليس من مؤمن في الجنّة إلّا وله جنان كثيرة معروشات وغير معروشات، وأنهار من خمر، وأنهار من ماء، وأنهار من لبن، وأنهار من عسل[4].

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفاً﴾: القمّي: فإنّها نزلت في المنافقين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن كان إذا سمع شيئاً لم يكن يؤمن به ولم يعه، فإذا خرج قال للمؤمنين: ماذا قال محمّد آنفاً[5].

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّا كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فيخبرنا بالوحي فأعيه أنا ومن يعيه فإذا خرجنا قالوا «مَاذَا قَالَ ءَانِفاً»[6].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٠٣، س ٦.
٢ ـ وفي نسخة: [ينفجر].
٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٣٧، س ٨.
٤ ـ الكافي: ج ٨، ص ٩٩، س ٥، ح ٦٩ ـ حديث الجنان والنوق.
٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٠٣، س ٩.
٦ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٠٢، س ٢.

وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَـٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يدعو أصحابه فمن أراد الله به خيراً سمع وعرف ما يدعوه إليه، ومن أراد الله به شرّاً طبع على قلبه لا يسمع ولا يعقل، وهو قوله تعالى: «أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ» الآية[١].

﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَـٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ * فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾: فهل ينتظرون غيرها.

﴿أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾: فقد ظهر أماراتها.

﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾: تذكّرهم ولا ينفع حينئذ ولا فراغ لهم.

في الخصال: عن الصادق عليه السلام قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الساعة؟ فقال: عند إيمان بالنجوم وتكذيب بالقدر[٢].

وفي العلل: عن النبي صلى الله عليه وآله في أجوبة مسائل عبدالله بن سلام، أمّا أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب[٣].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: من أشراط الساعة أن يفشو الفالج وموت الفجأة[٤].

وفي روضة الواعظين: عن النبي صلى الله عليه وآله إنّ من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويظهر

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٠٣، س ١٣.

٢ ـ الخصال: ص ٦٢، ح ٨٧، باب ٢ ـ تقوم الساعة عند ظهور علامتين.

٣ ـ علل الشرائع: ص ٩٤ ـ ٩٥، ح ٣، باب ٨٥ ـ علّة النسيان والذكر، وعلّة شبه الرجل بأعمامه وأخواله.

٤ ـ الكافي: ج ٣، ص ٢٦١، ح ٣٩، باب النوادر.

الجهل، ويشرب الخمر، ويفشو الزنا، ويقل الرجال، وتكثر النساء حتّى أنّ الخمسين إمرأة فيهنّ واحد من الرجال[١].

والقمّي:عن ابن عبّاس قال: حججنا مع رسول الله ﷺ حجّة الوداع فأخذ بحلقة باب الكعبة، ثمّ أقبل علينابوجهه، فقال: ألاأُخبركم بأشراط الساعة؟ فكان أدنى الناس منه يومئذ سلمان رحمة الله عليه، فقال: بلى يا رسول الله، فقال: إنّ من أشراط القيامة إضاعة الصلاة، واتباع الشهوات، والميل مع الأهواء، وتعظيم أصحاب المال، وبيع الدين بالدنيا، فعندها يذاب قلب المؤمن في جوفه كما يذاب الملح في الماء ممّا يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيّره.

قال سلمان: إنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

قال: إي والذي نفسي بيده يا سلمان، إنّ عندها يليهم أُمراء جورة، ووزراء فسقة، وعرفاء ظلمة، وأُمناء خونة.

فقال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

قال: إي والّذي نفسي بيده يا سلمان، إنّ عندها يكون المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، ويؤتمن الخائن، ويخوّن الأمين، ويصدّق الكاذب، ويكذّب الصادق.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

قال: إي والذي نفسي بيده يا سلمان، فعندها تكون إمارة النساء، ومشاورة الإماء، وقعود الصبيان على المنابر، ويكون الكذب ظرفاً، والزكاة مغرماً، والفيء مغنماً، ويجفو الرجل والديه، ويبرّ صديقه، ويطلع الكوكب المذنّب.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

قال: إي والذي نفسي بيده يا سلمان، وعندها تشارك المرأة زوجها في التجارة، ويكون المطر غيضاً[٢] ويغيض الكرام غيضاً[٣]، ويحتقر الرجل المعسر، فعندها تقارب الأسواق إذ قال هذا لم أبع شيئاً، وقال هذا لم أربح شيئاً، فلا ترى إلّا ذامّاً لله.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

---

١ ـ روضة الواعظين: ص ٤٨٥، س ٥، مجلس في ذكر أشراط الساعة.

٢ ـ غاض الماء يغيض غيضاً: أي قلّ ونضب في الأرض. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢١٩، مادة «غيض».

٣ ـ يغيض الكرام غيضاً ـ بالمعجمتين ـ: أي فنوا وبادوا. منه ﷺ.

قال: إي والّذي نفسي بيده يا سلمان، فعندها يليهم أقوام إن تكلّموا قتلوهم، وإن سكتوا استباحوهم، ليستأثرون بفيئهم، وليطأون حرمتهم، وليسفكنّ دماءهم، وليملأنّ قلوبهم دغلاً ورعباً، فلا تراهم إلّا وجلين خائفين مرعوبين مرهوبين.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

قال: إي والذي نفسي بيده يا سلمان، إنّ عندها يؤتى بشيء من المشرق، وشيء من المغرب، يلون أُمّتي، فالويل لضعفاء أُمّتي منهم، والويل لهم من الله لا يرحمون صغيراً، ولا يوّقرون كبيراً، ولا يتجافون عن مسيء، جثّتهم جثّة الآدميّن، وقلوبهم قلوب الشياطين.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

قال: إي والّذي نفسي بيده يا سلمان، وعندها يكتفي الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، ويغار على الغلمان، كما يغار على الجارية في بيت أهلها، وتشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، وتركبن[1] ذوات الفروج السروج، فعليهنّ من أُمّتي لعنة الله.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

قال: إي والذي نفسي بيده يا سلمان، إنّ عندها تزخرف المساجد كما تزخرف البيع والكنائس، وتحلّى المصاحف، وتطول المنارات، وتكثر الصفوف، قلوب متباغضة وألسن مختلفة.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

قال: إي والذي نفسي بيده يا سلمان، وعندها تحلّى ذكور أُمّتي بالذهب، ويلبسون الحرير والديباج، ويتّخذون جلود النمور صفافاً.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

قال: إي والذي نفسي بيده يا سلمان، وعندها يظهر الربا، ويتعاملون بالعينة[2] والرشا، ويوضع الدين، وترفع الدنيا.

---

١ ـ وفي المصدر: «ولتركبن». وهذا هو الأصح.

٢ ـ العينة ـ بالكسر ـ: السلعة، وقد جاء ذكرها في الحديث واختلف في تفسيرها، فقال ابن إدريس في السرائر: العينة: معناه في الشريعة هو: أن يشتري سلعة بثمن مؤجّل، ثمّ يبيعها بدون ذلك الثمن نقداً، ليقضي ديناً عليه لمن قد حلّ له عليه، ويكون الدين الثاني، وهو العينة من صاحب الدين الأوّل مأخوذ ذلك من العين وهو النقد الحاضر. وقال: في التحرير: العينة جائزة، فقال في الصحاح: هي السلف. مجمع البحرين: ج٦، ص٢٨٨، مادة «عين».

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

قال: إي والذي نفسي بيده يا سلمان، وعندها يكثر الطلاق، فـلا يـقام لله حـدّ، ولن يضرّوا الله شيئاً.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

قال: إي والذي نفسي بيده يا سلمان، وعندها تظهر القـينات[1] والمـعازف، وتـليهم أشرار أُمّتي.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

قال: إي والذي نفسي بيده يا سلمان، وعندها يحجّ أغنياء أُمّتي للنزهة، ويحج أوساطها للتجارة، ويحج فقراؤهم للرياء والسمعة، فعندها تكون أقـوام يـتعلّمون القـرآن لغـير الله، ويتّخذونه مزامير، ويكون أقوام يتفقّهون لغير الله، ويكـثر أولاد الزنـا، ويـتغنّون بـالقرآن، ويتهافتون بالدنيا.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

قال: إي والذي نفسي بيده يا سلمان، ذاك إذا انتهكت المحارم، واكتسبت المآثم، وسلّط الأشرار على الأخيار، ويفشو الكذب، وتظهر اللجاجة، وتفشو الفاقة، ويتباهون في اللباس، ويمطرون في غير أوان المطر، ويستحسنون الكوبة[2] والمعازف، وينكرون الأمر بـالمعروف، والنهي عن المنكر، حتّى يكون المؤمن في ذلك الزمان أذلّ من الأمة، ويظهر قرّاؤهم وعبّادهم فيما بينهم التلاوم، فأُولئك يدعون في ملكوت السماوات الأرجاس الأنجاس.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

قال: إي والذي نفسي بيده يا سلمان، فعندها لا يخشى الغني على الفقير حتّى أنّ السائل يسأل الناس فيما بين الجمعتين، لا يصيب أحداً يضع في كفّه شيئاً.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

فقال: إي والذي نفسي بيده يا سلمان، فعندها يتكلّم الرويبضة[3].

---

١ ـ القينة ـ بفتح القاف وتقديم الياء التحتانيّة على النون ـ: الأمة المغنيّة. منه ﷺ.

٢ ـ الكوبة: هي النرد. وقيل: الطبل. مجمع البحرين: ج ٢، ص ١٦٤، مادة «كوب».

٣ ـ الرويبضة: الرجل التافه الحقير. الصحاح: ج ٣، ص ١٠٧٧، مادة «ربض».

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾

فقال: سلمان: وما الرويبضة يا رسول الله، فداك أبي وأُمّي؟

قال: يتكلّم في أمر العامّة من لم يكن يتكلّم، فلم يلبثوا إلّا قليلاً حتّى تخور الأرض خورة، فلا يظنّ كلّ قوم إلّا أنّها خارت في ناحيتهم فيمكثون ما شاء الله، ثمّ يمكثون في مكثهم فتلق لهم الأرض أفلاذ كبدها، قال: ذهباً وفضّة ثمّ أومى بيده إلى الأساطين، فقال: مثل هذا، فيومئذ لا ينفع ذهب ولا فضّة، فهذا معنى قوله: «فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا»[١].

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾: أي إذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانيّة وتكميل النفس بإصلاح أحوالها وأفعالها وهضمها بالإستغفار لذنبك.

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾: ولذنوبهم بالدعاء لهم والتحريص على ما يستدعي غفرانهم.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: في الدنيا، فلها مراحل لابدّ من قطعها.

﴿وَمَثْوَىٰكُمْ﴾: في العقبى فإنّها دار إقامتكم.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله الإستغفار، وقول لا إلـه إلّا الله خير العبادة، قال الله العزيز الجبّار: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ»[٢].

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾: هلّا نزلت سورة في أمر الجهاد.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٠٣ ـ ٣٠٧.

٢ ـ الكافي: ج ٢، ص ٥٠٥، ح ٦، باب الاستغفار.

طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾

﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾: مبيّنة لا تشابه فيها.

﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ﴾: أي الأمر به.

﴿رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾: جبناً ومخافة.

﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾: فويل لهم.

﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾: خيرلهم، وعن أُبي أنّه قرأ: «يقولون طاعة وقول معروف».

﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾: أي جدّ. أسند عزم أصحاب الأمر إلى الأمر مجازاً، وجوابه محذوف.

﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: أي فيما زعموا من الحرص على الجهاد.

﴿لَكَانَ﴾: الصدق.

﴿خَيْرًا لَّهُمْ * فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾: فهل يتوقّع منكم.

﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾: اُمور الناس وتأمّرتم عليهم، أو أعرضتم وتوليتم عن الإسلام.

﴿أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾: تناحراً على الولاية وتجاذباً لها أو رجوعاً إلى ما كنتم عليه في الجاهليّة من تغاور ومقاتلة مع الأقارب، والمعنى أنّهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا أحقّاء بأن يتوقّع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم: «هَلْ عَسَيْتُمْ»، وقرئ تولّيتم أي إن تولاّكم ظلمة خرجتم معهم، وساعدتموه في الإفساد، وقطيعة الرحم.

ونسب في المجمع هذه القراءة إلى أمير المؤمنين عليه السلام[1].

وفي الكافي[2]، والقمّي: عنه عليه السلام أنّها نزلت في بني اُميّة[3].

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٠٣، في القراءة.

٢ ـ الكافي: ج ٨، ص ٢٣٩، ح ٣٢٥.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٠٨، س ٣.

أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ﴾: عن استماع الحق.

﴿وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ﴾: فلا يهتدون سبيله.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾: في المجمع: عن الصادق والكاظم عليهما السلام يعني «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ» فيقضون ما عليهم من الحق[1].

﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾: لا يصل إليها ذكر، ولا ينكشف لها أمر، وإضافة الأقفال إليها للدلالة على أقفال مناسبة لها، مختصّة بها لا تجانس الأقفال المعهودة.

في المحاسن: عن الصادق عليه السلام إنّ لك قلباً ومسامع، وأنّ الله إذا أراد أن يهدي عبداً فتح مسامع قلبه، وإذا أراد به غير ذلك ختم مسامع قلبه فلا يصلح أبداً، وهو قول الله عزّ وجلّ: «أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ»[2].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم﴾: إلى ما كانوا عليه من الكفر.

﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾: سهّل لهم.

﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾: قيل: وأمدّ لهم في الآمال والأماني[3]، ويأتي له معنى آخر، وقرئ «وأملي لهم» أي وأنا أملي لهم، أي أمهلهم، «وأُملي لهم» على البناء للمفعول.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٠٤، س ٣٠.

٢ ـ المحاسن: ج ١، ص ٣١٨ ـ ٣١٩، ح ٦٣٣/ ٣٥، باب ٣ ـ الهداية من الله عزّ وجلّ.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٩٦ ـ ٣٩٧.

فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾

وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾: وقرئ على المصدر، في الكافي: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية، قال: فلان وفلان إرتدّا عن الإيمان في ترك ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، قال: نزلت والله فيهما وفي أتباعهما، وهو قول الله عزّ وجلّ الذي نزل به جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله: «ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ» في علي «سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ» قال: دعوا بني اُميّة إلى ميثاقهم ألّا يصيّروا الأمر فينا بعد النبي صلى الله عليه وآله، ولا يعطونا من الخمس شيئاً، وقالوا: إن أعطيناهم إيّاه لم يحتاجوا إلى شيء، ولم يبالوا أن لا يكون الأمر فيهم، فقالوا: «سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ» الذي دعوتمونا إليه وهو الخمس، أن لا نعطيهم منه شيئاً والذي نزل الله ما افترض على خلقه من ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وكان معهم أبو عبيدة وكان كاتبهم فأنزل الله «أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ * أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم» الآية[1][2].

والقمّي: ما في معناه بزيادة ونقصان[3]. وعنه عليه السلام: «ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ» يعني الثاني[4].

وفي المجمع: عنهما عليهما السلام إنّهم بنو اُميّة كرهوا ما نزّل[5] الله في ولاية علي عليه السلام[6].

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾: فكيف يعملون، ويحتالون حينئذ.

﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾: لذلك.

---

١ ـ الزخرف: ٧٩ ـ ٨٠.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٢٠، ح ٤٣، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٠٨، س ١٢.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٠٨، س ١١. وفيه: «ٱلشَّيْطَـٰنُ» يعني فلاناً «سَوَّلَ لَهُمْ» يعني بني فلان، وبني فلان، وبني اُميّة. وجاء في س ٢٠: «ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ» أي هيّن لهم وهو فلان.

٥ ـ وفي نسخة: [ما أنزل].

٦ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٠٥، س ٣٠.

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾

في روضة الواعظين: عن الباقر عليه السلام قال: كرهوا علياً عليه السلام، أمر الله بولايته يوم بدر، ويوم حنين، وببطن النخلة، ويوم التروية، ويوم عرفة، ونزلت فيه خمس عشرة آية في الحجّة التي صدّ فيها رسول الله صلى الله عليه وآله عن المسجد الحرام، وبالجحفة، وبخمّ[1].

والقمّي: «مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ» يعني موالاة فلان وفلان، وظالمي أمير المؤمنين عليه السلام «فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ» يعني التي عملوها من الخيرات[2].

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ﴾: أن لن يبرز الله لرسوله والمؤمنين أحقادهم.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ﴾: لعرفناكهم بدلائل تعرفهم بأعيانهم.

﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ﴾: بعلاماتهم التي نسمهم بها.

﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾: في أُسلوبه وإمالته إلى جهة، تعريض وتورية.

في الأمالي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: قال: قلت: أربع كلمات أنزل الله تعالى تصديقي بها في كتابه، قلت: المرء مخبوء تحت لسانه فإذا تكلّم ظهر فأنزل الله «وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ»[3].

وفي المجمع: عن أبي سعيد الخدري قال: «لَحْنِ ٱلْقَوْلِ» بغضهم علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: وكنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ببغضهم علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: وروي مثل ذلك عن جابر بن عبدالله الأنصاري، وعن عبادة بن الصامت، قال: كنّا نبوّر[4] أولادنا بحبّ علي بن أبي طالب عليه السلام فإذا رأينا أحدهم لا يحبّه علمنا أنّه لغير رشده، قال أنس: ما خفي

---

١ ـ روضة الواعظين: ص ١٠٦، س ٦.　　٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٠٩، س ٣.

٣ ـ الأمالي للشيخ الطوسي: ص ٤٩٤/ ح ١٠٨٢/ ٥١.

٤ ـ باره يبوره: أي جرّبه واختبره. الصحاح: ج ٢، ص ٥٩٧، مادة «بور».

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾

منافق على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله بعد هذه الآية[1].

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾: فيجازيكم على حسب قصدكم إذ الأعمال بالنيّات.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾: بالأمر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقّة.

﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾: على مشاقّها.

﴿وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾: عن إيمانكم، وموالاتكم المؤمنين في صدقها وكذبها، وقرئت الأفعال الثلاثة بالياء ليوافق ما قبلها، ونسبه في المجمع إلى الباقر عليه السلام أيضاً[2]، وقرئ «ونبلو» بسكون الواو أي ونحن نبلو.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: القمّي: قال: عن أمير المؤمنين عليه السلام[3].

﴿وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾: قال: قطعوه في أهل بيته بعد أخذه الميثاق عليهم له.

﴿لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾: بكفرهم وصدّهم.

﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾: في ثواب الأعمال: عن الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله من قال: سبحان الله، غرس الله له بها شجرة في الجنّة، ومن قال: الحمد لله، غرس الله له

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٠٦، س ١٠.
٢ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٠٦، في القراءة.
٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٠٩، س ٥.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾

بها شجرة في الجنّة، ومن قال: لا إلـه إلّا الله، غرس الله له بها شجرة في الجنّة، ومن قال: الله أكبر، غرس الله له بها شجرة في الجنّة، فقال رجل من قريش: يا رسول الله إنّ شجرنا في الجنّة لكثير، قال: نعم، ولكن إيّاكم أن ترسلوا عليها نيراناً فتحرقوها، وذلك أنّ الله تعالى يقول: «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَـٰلَكُمْ»[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ * فَلَا تَهِنُواْ﴾: فلا تضعفوا.

﴿وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾: ولا تدعوا إلى الصلح خوراً وتذللاً، وقرئ بكسر السين.

﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾: الأغلبون.

﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾: ناصركم.

﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾: ولن يضيع أعمالكم، من وترت الرجل إذا قتلت متعلّقاً له من قريب أو حميم فأفردته عنه من الوتر، شبّه به تعطيل ثواب العمل وإفراده منه، والآية ناسخة لقوله تعالى: «وَإِنْ جَنَحُواْ لِلسِّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا»[2] كما مرّ.

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾: لا ثبات لها.

﴿وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾: ثواب إيمانكم وتقواكم.

---

١ ـ ثواب الأعمال: ص ١١، ح ٣، باب ثواب من قال سبحان الله والحمد لله ولا إلـه إلّا الله والله أكبر.

٢ ـ الأنفال: ٦١.

إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَـٰلَكُم ﴿٣٨﴾

﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾: جميع أموالكم، بل يقتصر على جزء يسير كالعشر، ونصف العشر، وربع العشر.

﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾: فيجهدكم بطلب الكلّ، والإحفاء: المبالغة وبلوغ الغاية.

﴿تَبْخَلُواْ﴾: فلا تعطوا.

﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ﴾: القمّي: قال: العداوة التي في صدوركم[1].

﴿هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾: قيل: أي أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون[2].

والقمّي: معناه أنتم يا هؤلاء[3].

﴿تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: يعمّ نفقة الغزو والزكاة وغيرهما.

﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ﴾: ناس يبخلون.

﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ﴾: فإنّ نفع الإنفاق وضرّ الإمساك عائدان إليه.

﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾: فما يأمركم به فهو لإحتياجكم، فإن امتثلتم فلكم، وإن تولّيتم فعليكم.

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ﴾: عطف على «وَإِن تُؤْمِنُواْ».

القمّي: يعني عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام[4].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٠٩، س ٨.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٩٨، س ١٥.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٠٩، س ٩.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٠٩، س ١٠.

﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾: يقم مكانكم قوماً آخرين.

القمّي: قال: يدخلهم في هذا الأمر[١].

﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَـٰلَكُم﴾: قال: في معاداتكم، وخلافكم، وظلمكم لآل محمّد صلوات الله عليهم. وعن الصادق عليه السلام: أعني أبناء الموالي المعتقين[٢].

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام قال: إن تتولّوا يا معشر العرب يستبدل قوماً غيركم، يعني الموالي[٣].

وعن الصادق عليه السلام قال: قد والله أُبدل بهم خيراً منهم الموالي[٤].

وفيه روى إنّ أُناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله في كتابه؟وكان سلمان إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله فضرب يده على فخذ سلمان فقال:هذا وقومه، والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطاً بالثريّا لتناوله رجال من فارس[٥].

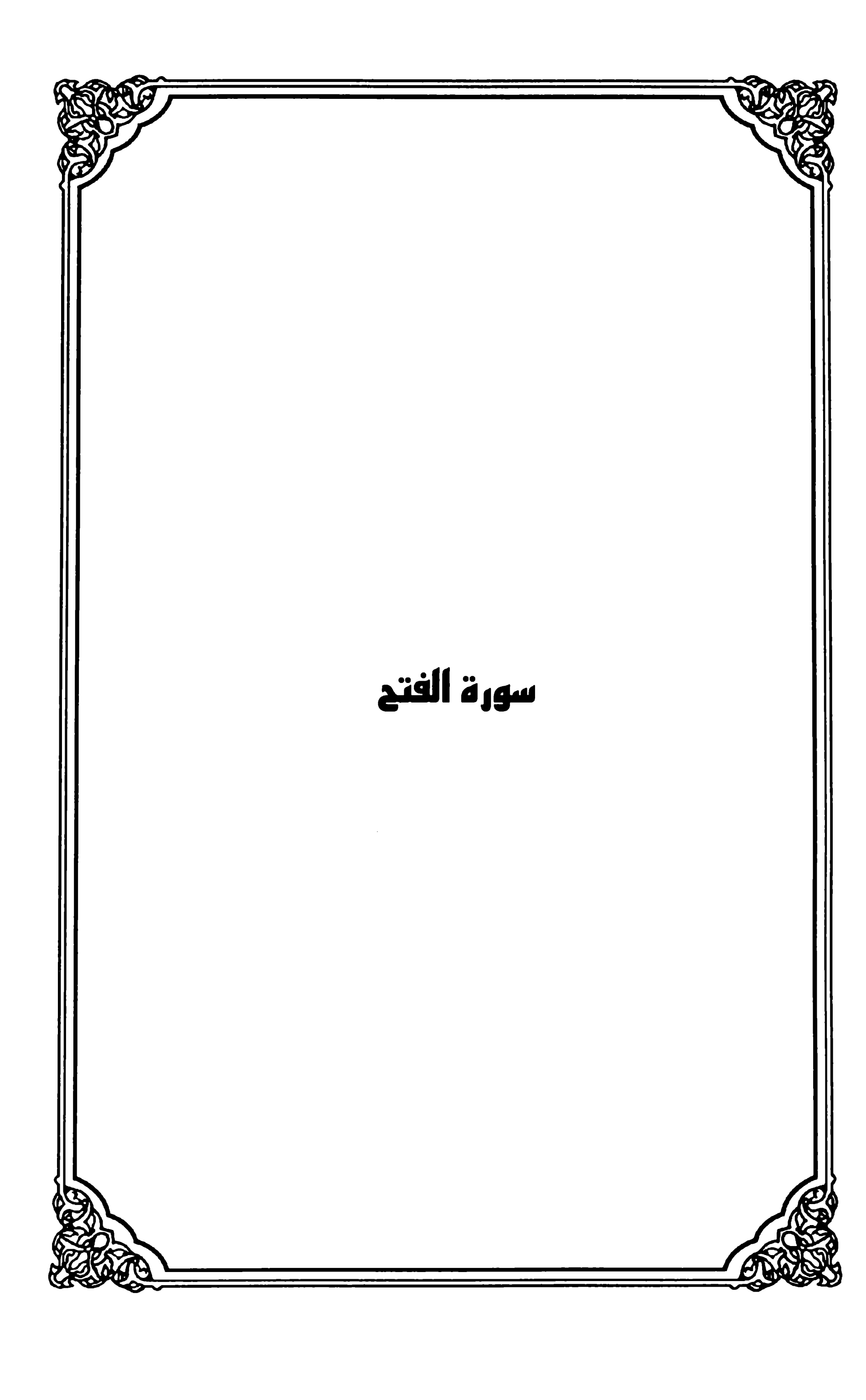
وفي ثواب الأعمال: عن الصادق عليه السلام من قرأ سورة «ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ» لم يرتب أبداً، ولم يدخله شكّ في دينه أبداً، ولم يبله الله تعالى بفقرٍ أبداً، ولا خوف من سلطان أبداً، ولم يزل محفوظاً من الشكّ والكفر أبداً حتّى يموت، فإذا مات وكّل الله به في قبره ألف ملك يصلّون في قبره، ويكون ثواب صلاتهم له، ويشيّعونه حتّى يوقفونه موقف الأمن عند الله تعالى، ويكون في أمان الله، وأمان محمّد صلى الله عليه وآله[٦]. وفي المجمع: مثله بأدنى تفاوت[٧].

وعنه عليه السلام: من أراد أن يعرف حالنا وحال أعدائنا فليقرأ سورة محمّد صلى الله عليه وآله فإنّه يراها آية فينا وآية فيهم[٨].

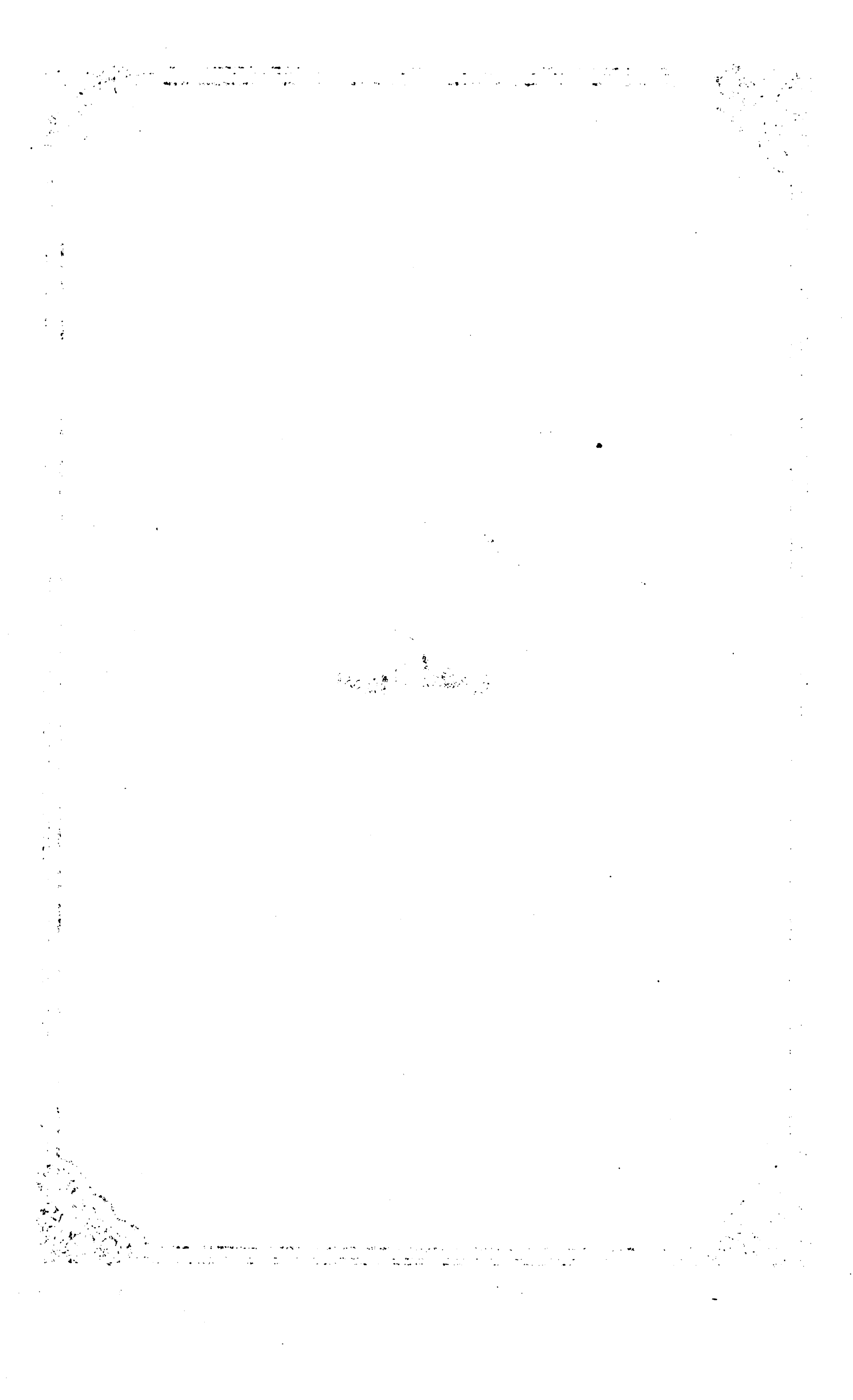
* * *

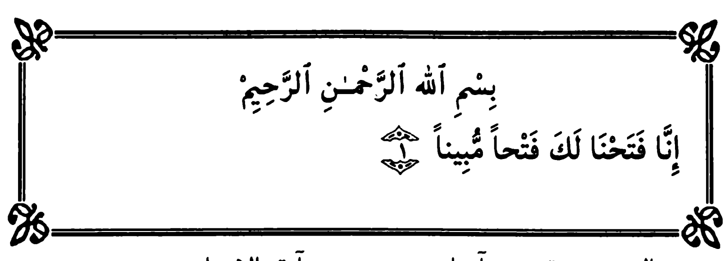
---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٠٩، س ١١.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٠٩، س ١٤.
٣ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٠٨، س ٢٣.
٤ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٠٨، س ٢٤.
٥ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٠٨، س ٢٠.
٦ ـ ثواب الأعمال: ص ١١٤ ـ ١١٥، ح ١، باب ثواب قراءة سورة محمد صلى الله عليه وآله.
٧ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٩٥، في فضلها.
٨ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٩٥، في فضلها.

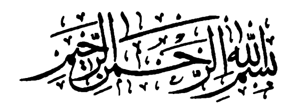


سورة الفتح





سورة الفتح: مدنيّة، عدد آيها تسع وعشرون آية بالإجماع.



﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً﴾: في المجمع: عن النبي صلى الله عليه وآله قال لمّا نزلت هذه الآية: لقد نزلت عليّ آية هي أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها[1].

والقمّي: عن الصادق عليه السلام قال: سبب نزول هذه السورة وهذا الفتح العظيم: إنّ الله عزّ وجلّ أمر رسوله في النوم أن يدخل المسجد الحرام ويطوف ويحلق مع المحلّقين، فأخبر أصحابه وأمرهم بالخروج فخرجوا فلمّا نزل ذي الحليفة أحرموا بالعمرة وساقوا البدن وساق رسول الله صلى الله عليه وآله ستّة وستّين بدنة وأشعرها عند إحرامه، وأحرموا من ذي الحليفة ملبّين بالعمرة، وقد ساق من ساق منهم الهدي مشعرات مجلّلات فلمّا بلغ قريشاً ذلك بعثوا خالد بن الوليد في مائتي فارس كميناً ليستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وكان يعارضه على الجبال، فلمّا كان في بعض الطريق حضرت صلاة الظهر فأذّن بلال فصلّى رسول الله صلى الله عليه وآله بالناس، فقال خالد بن الوليد: لو كنّا حملنا عليهم وهم في الصلاة لأصبناهم فإنّهم لا يقطعون صلاتهم ولكن يجيء الآن لهم صلاة أُخرى أحبّ إليهم من ضياء أبصارهم، فإذا دخلوا في الصلاة أغرنا إليهم، فنزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله بصلاة الخوف في قوله عزّ وجلّ «وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمْ

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٠٩، س ١. وفيه: «لقد أُنزلت عليّ آية هي أحب إليّ من الدنيا كلّها».

ٱلصَّلَوٰةَ»[١] الآية، وهذه الآية في سورة النساء، وقد كتبنا خبر صلاة الخوف فيها[٢]، فلمّا كان في اليوم الثاني نزل رسول الله صلى الله عليه وآله الحديبيّة[٣] وهي على طرف الحرم، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يستنفر الأعراب في طريقه معه فلم يتبعه أحد، ويقولون: أيطمع محمّد وأصحابه أن يدخلوا الحرم وقد غزتهم قريش في عقر ديارهم فقتلوهم أنّه لا يرجع محمّد وأصحابه إلى المدينة أبداً. فلمّا نزل رسول الله صلى الله عليه وآله الحديبية خرجت قريش يحلفون باللّات والعزّى لا يدعون رسول الله صلى الله عليه وآله يدخل مكّة، وفيهم عين تطرف فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله إنّي لم آت لحرب وإنّما جئت لأقضي مناسكي وأنحر بدني وأُخلّي بينكم وبين لحماتها، فبعثوا عروة بن مسعود الثقفي وكان عاقلاً لبيباً وهو الذي أنزل الله فيه: «وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ»[٤]، فلمّا أقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله عظم ذلك وقال: يا محمّد تركت قومك وقد ضربوا الأبنية وأخرجوا العود[٥] والمطافيل[٦] يحلفون باللّات والعزّى لا يدعوك تدخل مكّة وحرمهم وفيهم عين تطرف أفتريد أن تبير أهلك وقومك يا محمّد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما جئت لحرب وإنّما جئت لأقضي مناسكي وأنحر بدني وأُخلّي بينكم وبين لحماتها، فقال عروة: والله ما رأيت كاليوم أحداً صدّ كما صددت، فرجع إلى قريش فأخبرهم، فقالت قريش: والله لئن دخل محمّد مكّة وتسامعت به العرب لنذلنّ ولتجترأنّ علينا العرب، فبعثوا حفص بن الأحنف، وسهيل بن عمرو، فلمّا نظر إليهما رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ويح قريش قد نهكتهم الحرب ألا خلّوا بيني وبين العرب فإن أك صادقاً فإنّما أجرّ الملك إليهم مع النبوّة، وإن أك كاذباً كفتهم ذؤبان العرب لا يسألني اليوم امرء من قريش حطّة[٧] ليس لله فيها سخط إلّا أجبتهم إليه، فلمّا

---

١ ـ النساء: ١٠٢.   ٢ ـ أُنظر ج ٢، ص ٣٠٦ ـ ٣٠٩ من كتابنا تفسير الصافي.

٣ ـ الحديبية ـ بالتخفيف عند الأكثر ـ: وهي بئر بقرب مكّة على طريق جدّة دون مرحلة ثمّ أُطلق على الموضع. ويقال: نصفه في الحل ونصفه في الحرم. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣٦، مادة «حدب».

٤ ـ الزخرف: ٣١.   ٥ ـ العَوْدُ ـ بالفتح ـ: الجمل المسن. مجمع البحرين: ج ٣، ص ١١٢، مادة «عود».

٦ ـ العود المطافيل: النوق التي معها طلقها، وهي قريبة عهد بالنتاج. منه رحمه الله. وذكر الجوهري: المُطفِل: الظبية معها طفلها، وهي قريبة عهدٍ بالنتاج وكذلك الناقة. الصحاح: ج ٥، ص ١٧٥١. مادة «طفل». وقال الطريحي: والمُطفِل: الناقة القريبة العهد بالنتاج معها طفلها. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٤١١، مادة «طفل».

٧ ـ حطّة: وهي فعلة من حطّ الشيء يحطّه إذا أنزله وألقاه، وفي الحديث: «من ابتلاه الله ببلاء في جسده فهو له حطّة» أي يحطّ عنه خطاياه وذنوبه. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٤٢، مادة «حطط».

وافوا رسول الله ﷺ قالوا: يا محمّد ألا ترجع عنّا عامك هذا إلى أن ننظر إلى ما يصير أمرك وأمر العرب، فإنّ العرب قد تسامعت بمسيرك فإذا دخلت بلادنا وحرمنا استذلّتنا العرب واجترأت علينا ونخلّي لك البيت في العام القابل في هذا الشهر ثلاثة أيّام حتّى تقضي نسكك وتنصرف عنّا، فأجابهم رسول الله ﷺ إلى ذلك، وقالوا له: تردّ إلينا كلّ من جاءك من رجالنا ولا نردّ إليك كل من جاءنا من رجالك؟ فقال رسول الله ﷺ: من جاءكم من رجالنا فلا حاجة لنا فيه، ولكن على أنّ المسلمين بمكّة لا يؤذون في إظهارهم الإسلام ولا يكرهون ولا ينكر عليهم شيء يفعلونه من شرائع الإسلام، فقبلوا ذلك، فلمّا أجابهم رسول الله ﷺ إلى الصلح أنكر عامّة أصحابه وأشدّ ما كان انكاراً عمر، فقال: يا رسول الله ألسنا على الحق وعدوّنا على الباطل؟ فقال: نعم، قال: فنعطى الذلّة في ديننا؟ فقال: إنّ الله عزّ وجلّ قد وعدني ولن يخلفني، قال: ولو أنّ معي أربعين رجلاً لخالفته، ورجع سهيل بن عمرو، وحفص بن الأحنف إلى قريش فأخبراهم بالصلح، فقال عمر: يا رسول الله ألم تقل لنا أن ندخل المسجد الحرام ونحلق مع المحلّقين؟ فقال: أمِن عامنا هذا وعدتك؟ قلت لك إنّ الله عزّ وجلّ قد وعدني أن أفتح مكّة وأطوف وأسعى وأُحلّق مع المحلّقين، فلمّا أكثروا عليه، قال لهم: إن لم تقبلوا الصلح فحاربوهم، فمرّوا نحو قريش وهم مستعدّون للحرب، وحملوا عليهم فانهزم أصحاب رسول الله ﷺ هزيمة قبيحة، ومرّوا برسول الله ﷺ فتبسّم رسول الله ﷺ ثمّ قال: يا علي خذ السيف واستقبل قريشاً. فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام سيفه وحمل على قريش، فلمّا نظروا إلى أمير المؤمنين عليه السلام تراجعوا، ثمّ قالوا: يا علي بدا لمحمّد ﷺ فيما أعطانا، فقال: لا، وتراجع أصحاب رسول الله ﷺ مستحيين، وأقبلوا يعتذرون إلى رسول الله ﷺ، فقال لهم رسول الله ﷺ: ألستم أصحابي يوم بدر إذ أنزل الله عزّ وجلّ فيكم: «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ إِنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ ٱلْمَلَـٰئِكَةِ مُرْدِفِينَ»[1]، ألستم أصحابي يوم أُحد «إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُنَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَىٰكُمْ»[2]، ألستم أصحابي يوم كذا، ألستم أصحابي يوم كذا، فاعتذروا إلى رسول الله ﷺ وندموا على ما كان منهم، وقالوا: الله أعلم ورسوله فاصنع مابدا لك، ورجع حفص بن الأحنف، وسهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ فقالا: يا محمّد قد أجابت

---

١ ـ الأنفال: ٩.
٢ ـ آل عمران: ١٥٣.

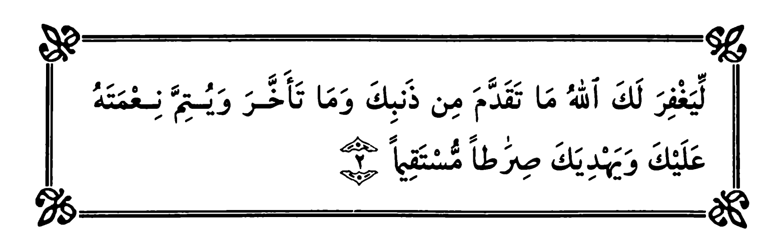
قريش إلى ما اشترط من إظهار الإسلام وأن لا يكره أحد على دينه، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله بالمكتب ودعا أمير المؤمنين عليه السلام وقال له: اكتب، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل ابن عمرو: لا نعرف الرحمن، اكتب كما كان يكتب آباؤك باسمك اللّهمّ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اكتب باسمك اللّهمّ فإنّه اسم من أسماء الله، ثمّ اكتب هذا ما تقاضى عليه محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله والملأ من قريش، فقال سهيل بن عمرو: ولو علمنا أنّك رسول الله ما حاربناك، اكتب هذا ما تقاضى عليه محمّد بن عبدالله، أتأنف من نسبك يا محمّد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا رسول الله وإن لم تقرّوا، ثمّ قال: امح ياعلي واكتب محمّد بن عبدالله، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما أمحوا اسمك من النبوّة أبداً، فمحاه رسول الله صلى الله عليه وآله بيده، ثمّ كتب هذا ما اصطلح به محمّد بن عبدالله والملأ من قريش، وسهيل بن عمرو، واصطلحوا على وضع الحرب بينهم عشر سنين على أن يكفّ بعضنا عن بعض، وعلى أنّه لا إسلال[1] ولا إغلال[2] وإنّ بيننا وبينهم غيبة مكفوفة، وإنّ من أحبّ أن يدخل في عهد محمّد صلى الله عليه وآله وعقده فعل، وإنّ من أحبّ أن يدخل في عهد قريش وعقدها فعل، وأنّه من أتى محمّداً بغير إذن وليّه ردّه إليه، وأنّه من أتى قريشاً من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله لم تردّه إليه، وأن يكون الإسلام ظاهراً بمكّة، ولا يكره أحد على دينه، ولا يؤذى ولا يعيّر، وأنّ محمّداً يرجع عنهم عامه هذا وأصحابه، ثمّ يدخل علينا في العام القابل مكّة فيقيم فيها ثلاثة أيّام، ولا يدخل عليها بسلاح إلّا سلاح المسافر، السيوف في القرب، وكتب علي بن أبي طالب عليه السلام وشهد على الكتاب المهاجرون والأنصار، ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي إنّك أبيت أن تمحو اسمي من النبوّة فوالّذي بعثني بالحقّ نبيّاً لتجيبنّ أبنائهم إلى مثلها، وأنت مضيض[3] مضطهد. فلمّا كان يوم صفّين ورضوا بالحكمين كتب هذا ما اصطلح عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، فقال عمرو بن العاص: لو علمنا إنّك أمير

---

١ ـ يتسللون: أي يخرجون من الجماعة واحداً واحداً، وسَلَّ يَسِلُّ ـ من باب قتل ـ، وانسلّت من بين يديه: أي مضت وخرجت بتأنٍّ وتدريج. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣٩٨، مادة «سلل».

٢ ـ الإغلال: الخيانة أو السرقة الخفيّة، وقيل: هو الفأرة الظاهرة، وقيل: الإغلال: لبس الدروع، والإسلال: سل السيوف. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٤٣٧، مادة «غلل».

٣ ـ المَضَض: وجع المصيبة. ومضضت من الشيء مَضّاً ـ من باب تعب ـ: تألّمت. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٣٠، مادّة «مضض».



المؤمنين عليه السلام ما حاربناك، ولكن اكتب: هذا ما اصطلح عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: صدق الله وصدق رسوله، أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، قال: فلمّا كتبوا الكتاب قامت خزاعة فقالت: نحن في عهد محمّد رسول الله وعقده، وقامت بنو بكر فقالت: نحن في عهد قريش وعقدها، وكتبوا نسختين، نسخة عند رسول الله صلى الله عليه وآله، ونسخة عند سهيل بن عمرو، ورجع سهيل بن عمرو، وحفص بن الأحنف إلى قريش فأخبروهم، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: انحروا بدنكم واحلقوا رؤوسكم، فامتنعوا، وقالوا: كيف ننحر ونحلّق ولم نطف بالبيت، ولم نسع بين الصفا والمروة؟ فاغتمّ لذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وشكا ذلك إلى أُمّ سلمة، فقالت: يا رسول الله انحر أنت واحلق: فنحر رسول الله صلى الله عليه وآله وحلق، فنحر القوم على حيث يقين وشكّ وارتياب، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله تعظيماً للبدن: رحم الله المحلّقين، وقال قوم لم يسوقوا البدن: يا رسول الله والمقصّرين لأنّ من لم يسق هدياً لم يجب عليه الحلق، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ثانياً: رحم الله المحلّقين الذين لم يسوقوا الهدي، فقالوا: يا رسول الله والمقصّرين، فقال: رحم الله المقصّرين، ثمّ رحل رسول الله صلى الله عليه وآله نحو المدينة فرجع إلى التنعيم ونزل تحت الشجرة فجاء أصحابه الذين أنكروا عليه الصلح، واعتذروا وأظهروا الندامة على ما كان منهم، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله أن يستغفر لهم، فنزلت آية الرضوان[١].

أقول: هذه القصّة مذكورة في روضة الكافي عن الصادق عليه السلام بزيادة ونقصان، من أرادها رجع إليه[٢].

﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾: علّة للفتح من حيث أنّه مسبّب عن جهاد الكفّار، والسعي في إزاحة الشرك، وإعلاء الدين، وتكميل النفوس الناقصة قهراً ليصير ذلك بالتدريج إختياراً، وتخليص الضعفة عن أيد الظلمة.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٣٠٩ ـ ٣١٤.

٢ ـ الكافي: ج٨، ص٣٢٢ ـ ٣٢٧، ح٥٠٣، صلح الحديبية.

في المجمع[١]، والقمّي: عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية، فقال: ما كان له ذنب ولا همّ بذنب، ولكن الله حمله ذنوب شيعته ثمّ غفرها له[٢].

وفي المجمع: عنه عليه السلام إنّه سئل عنها، فقال: والله ما كان له ذنب ولكنّ الله سبحانه ضمن له أن يغفر ذنوب شيعة علي عليه السلام ما تقدّم من ذنبهم وما تأخّر[٣].

قال بعض أهل المعرفة: قد ثبت عصمته صلى الله عليه وآله فليس له ذنب، فلم يبق لاضافة الذنب إليه إلّا أن يكون هو المخاطب، والمراد اُمّته، كما قيل إيّاك أدعو واسمعي يا جارة، قال: «مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ» من آدم إلى زمانه «وَمَا تَأَخَّرَ» من زمانه إلى يوم القيامة، فإنّ الكلّ اُمّته فإنّه ما من اُمّة إلّا وهي تحت شرع محمّد صلى الله عليه وآله من اسم الباطن من حيث كان نبيّاً وآدم بين الماء والطين، وهو سيّد النبيين والمرسلين فإنّه سيّد الناس، فبشّر الله تعالى محمّداً صلى الله عليه وآله بقوله: «لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ» لعموم رسالته إلى الناس كافّة، وما يلزم الناس رؤية شخصه فكما وجّه في زمان ظهوره رسوله عليّاً عليه السلام إلى اليمن لتبليغ الدعوة كذلك وجّه الرسل والأنبياء إلى اُممهم من حين كان نبيّاً وآدم بين الماء والطين، فدعا الكلّ إلى الله، فالكلّ اُمّته من آدم إلى يوم القيامة، فبشّره الله بالمغفرة لما تقدّم من ذنوب الناس وما تأخّر منها، وكان هو المخاطب والمقصود الناس فيغفر الكلّ ويسعدهم، وهو اللّائق بعموم رحمته التي وسعت كلّ شيء، وبعموم مرتبة محمّد صلى الله عليه وآله حيث بعث إلى الناس كافّة بالنص، ولم يقل أرسلناك إلى هذه الاُمّة خاصّة وإنما اُخبر أنّه مرسل إلى الناس كافّة، والناس من آدم عليه السلام إلى يوم القيامة، فهم المقصودون بخطاب مغفرة الله لما تقدّم من ذنبه، ولما تأخّر.

أقول: وقد مضى في المقدّمة الثالثة ما يؤيد هذا المعنى.

وفي العيون: عن الرضا عليه السلام قال: إنّه سئل عن هذه الآية، فقال: لم يكن أحد عند مشركي أهل مكّة أعظم ذنباً من رسول الله صلى الله عليه وآله لأنّهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستّين صنماً، فلمّا جاءهم بالدعوة إلى كلمة الإخلاص كبر ذلك عليهم وعظم، وقالوا: «أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَـٰهاً وَٰحِداً» إلى قوله: «إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ»[٤]، فلمّا فتح الله تعالى على نبيّه صلى الله عليه وآله مكّة قال تعالى

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١١٠، س ٣٣.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣١٤، س ٢٢.
٣ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١١٠، س ٣١.
٤ ـ ص: ٥ ـ ٧.

وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰناً مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴿٤﴾

له: يا محمّد «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً * لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ» عند مشركي أهل مكّة بدعائك إلى توحيد الله فيما تقدّم وما تأخّر، لأنّ مشركي مكة أسلم بعضهم، وخرج بعضهم عن مكّة، ومن بقي منهم لم يقدر على إنكار التوحيد عليه إذ دعا الناس إليه فصار ذنبه عندهم مغفوراً بظهوره عليهم(١).

وفي رواية ابن طاووس عنهم عليهم السلام، أنّ المراد منه «لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ» عند أهل مكّة وقريش يعني ما تقدّم قبل الهجرة وبعدها، فإنّك إذا فتحت مكّة بغير قتل لهم ولا استيصال ولا أخذهم بما قدّموه من العداوة والقتال غفروا ما كانوا يعتقدونه ذنباً لك عندهم متقدّماً أو متأخّراً وما كان يظهر من عداوته لهم في مقابلة عداوتهم له، فلمّا رأوه قد تحكم وتمكّن وما استقصى غفروا ما ظنّوه من الذنوب(٢).

﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾: بإعلاء الدين، وضمّ الملك إلى النبوّة.

﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطاً مُّسْتَقِيماً﴾: في تبليغ الرسالة وإقامة مراسم الرئاسة.

﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً﴾: نصراً فيه عزّ ومنعة.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾: الثبات والطمأنينة. في الكافي: عنهما عليهما السلام هو الإيمان(٣).

﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: القمّي: هم الذين لم يخالفوا رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم ينكروا عليه الصلح(٤).

﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰناً مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾: يقيناً مع يقينهم برسوخ العقيدة، واطمينان النفس

---

١ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٠٢، ح ١، باب ١٥ ـ ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء عليهم السلام.

٢ ـ سعد السعود: ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨.

٣ ـ الكافي: ج ٢، ص ١٥، ح ١، باب في أنّ السكينة هي الإيمان.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣١٥.

لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾

عليها، أو ليزدادوا إيماناً بالشرائع مع إيمانهم بالله واليوم الآخر. وقد مضى لزيادة الإيمان بيان في أواخر سورة التوبة[1].

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: يدبّر أمرها فيسلّط بعضها على بعض تارة، ويوقع فيما بينهم السلم أُخرى كما تقتضيه حكمته.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾: بالمصالح.

﴿حَكِيمًا﴾: فيما يقدّر ويدبّر.

﴿لِّيُدْخِلَ﴾: فعل ما فعل، ودبّر ما دبّر «لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ...» الآية.

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾: يغطّيها ولا يظهرها.

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾: لأنّه منتهى ما يطلب من جلب نفع أو دفع ضرّ.

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾: وهو أن لا ينصر رسوله والمؤمنين.

﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾: دائرة ما يظنّونه ويتربصونه بالمؤمنين لا يتخطّاهم، وقرئ «السُّوء» بالضم.

---

١ ـ ذيل الآية: ١٢٤، راجع ج ٣، ص ٤٨٥ ـ ٤٨٦ من كتابنا تفسير الصافي.

وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِداً وَمُبَشِّراً وَنَـذِيراً ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُواْ بِـاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِـيلاً ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْـدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴿١٠﴾

القمّي: وهم الذين أنكروا الصلح، واتهموا رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيراً * وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً * إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِداً﴾: على اُمّتك.

﴿وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾: على الطاعة والمعصية.

﴿لِّتُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ﴾: وتقوّوه بتقوية دينه ورسوله.

﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾: وتعظّموه.

﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾: وتنزّهوه.

﴿بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾: غدوة وعشيّاً، وقرئ الأربعة بالياء.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾: لأنّه المقصود ببيعته.

﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾: يعني يدك التي فوق أيديهم في حال بيعتهم إيّاك إنّما هي بمنزلة يد الله لأنّهم في الحقيقة يبايعون الله عزّ وجلّ ببيعتك.

في العيون: عن الرضا عليه السلام في حديث بيعة الناس له قال: عقد البيعة هـو مـن أعـلى الخنصر إلى أعلى الإبهام، وفسخها من أعلى الإبهام إلى أعلى الخنصر[2].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣١٥، س ٤.

٢ ـ عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩، ح ٢، باب ٥٩ ـ الأسباب التي من أجلها قتل المأمون علي بـن موسى الرضا عليه السلام بالسم.

سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعَا بَلْ كَانَ ٱللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾

وفي إرشاد المفيد: في حديث بيعتهم له قال: فرفع الرضا عليه السلام يده فتلق بها وجهه، وبطنها وجوههم، فقال له المأمون: أبسط يدك للبيعة، فقال الرضا عليه السلام: إنّ رسول الله هكذا كان يبايع الناس فبايعه الناس، ويده فوق أيديهم[1].

﴿فَمَن نَّكَثَ﴾: نقض العهد.

﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾: فلا يعود ضرر نكثه إلّا عليه.

﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللهُ﴾: وفى في مبايعته.

﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾: وهو الجنّة، وقرئ «عليه» بضمّ الهاء «فسنؤتيه» بالنون.

القمّي: نزلت في بيعة الرضوان: «لَقَدْ رَضِيَ ٱللهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ»[2] واشترط عليهم أن لا ينكروا بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً يفعله ولا يخالفوه في شيء يأمرهم به، فقال الله عزّ وجلّ بعد نزول آية الرضوان: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللهَ يَدُ ٱللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» الآية، وإنّما رضى الله عنهم بهذا الشرط أن يفوا بعد ذلك بعهد الله وميثاقه ولا ينقضوا عهده وعقده، فبهذا العقد رضى الله عنهم فقدّموا في التأليف آية الشرط على آية الرضوان وإنّما نزلت أوّلاً بيعة الرضوان ثمّ آية الشرط عليهم فيها[3].

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾: قيل: هم أسلم[4]، وجهينة[5]،

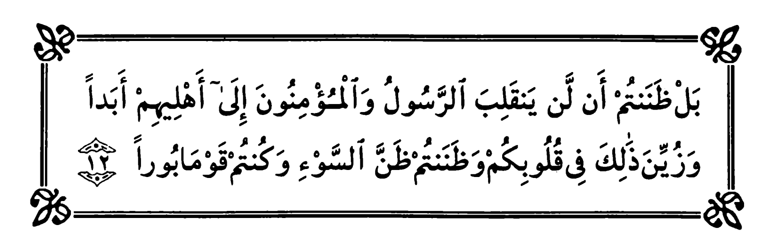
---

١ ـ الإرشاد للشيخ المفيد: ص ٣١١. ٢ ـ الفتح: ١٨.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣١٥، س ٩.

٤ ـ أسلم: أبو قبيلة في مراد. لسان العرب: ج ٦، ص ٣٥٠، مادة «سلم».

٥ ـ جهينة: قبيلة، وفي المثل: وعند جهينة الخبر اليقين. الصحاح: ج ٥، ص ٢٠٩٦، مادة «جهن».



ومزينة[١]، وغفار[٢]، استفزهم رسول الله ﷺ عام الحديبية فتخلّفوا واعتلّوا بالشغل بأموالهم وأهاليهم، وإنّما خلّفهم الخذلان، وضعف العقيدة، والخوف عن مقاتلة قريش أن صدّوهم[٣].

والقمّي: هم الذين استنفرهم في الحديبيّة، ولمّا رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من الحديبيّة غزا خيبراً فاستأذنه المخلّفون أن يخرجوا معه، فقال الله تعالى: «سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ» إلى قوله: «إِلَّا قَلِيلاً»[٤][٥].

﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾: إذ لم يكن لنا من يقوم بأشغالهم.

﴿فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾: من الله على التخلّف.

﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾: تكذيب لهم في الإعتذار والإستغفار.

﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللهِ شَيْئاً﴾: فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه.

﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً﴾: ما يضرّكم كقتل أو هزيمة، وخلل في المال والأهل وعقوبة على التخلّف، وقرئ بالضمّ.

﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعَا﴾: ما يضادّ ذلك.

﴿بَلْ كَانَ ٱللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرَا﴾: فيعلم تخلّفكم وقصدكم فيه.

﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَداً﴾: لظنّكم أنّ المشركين يستأصلونهم.

﴿وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾: فتمكّن فيها.

---

١ ـ مُزَيْنَةُ: قبيلة من مضر، وهو مزينة بن أُدّبن طابخة بن إلياس بن مضر. الصحاح: ج٦، ص٢٢٠٤، مادة «مزن».

٢ ـ بنو غفار ـ من كنانة ـ: رهط أبي ذر الغفاري. الصحاح: ج ٢، ص ٧٧٢، مادة «غفر».

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٤٠٠، س ١٩.

٤ ـ الفتح: ١٥.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣١٥، س ١٨.

وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَعِيراً ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَكَانَ ٱللهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَـٰمَ ٱللهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُواْ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلاً ﴿١٥﴾

﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمَا بُوراً﴾: هالكين عند الله لفساد عقيدتكم، وسوء نيّتكم، القمّي: أي قوم سوء[١].

﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَعِيراً﴾: نبّه على كفرهم، ثمّ سجّل عليه بوضع الظاهر موضع الضمير.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: يدبّر كيف يشاء.

﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَكَانَ ٱللهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾: فإنّ الغفران والرحمة من دأبه، والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض، ولذلك جاء في الحديث القدسي: سبقت رحمتي غضبي[٢].

﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾: يعني المذكورين.

﴿إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا﴾: يعني مغانم خيبر.

﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَـٰمَ ٱللهِ﴾: أن يغيّروه وهو وعده لأهل الحديبيّة أن يعوّضهم من مغانم مكّة خيبر، وقرئ كلم الله.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣١٥، س ١٨.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٤٣، س ٤، ح ١٣، باب مولد النبي صلّى الله عليه وآله ووفاته؛ والجواهر السنيّة في الأحاديث القدسيّة: ص ١٤٩؛ وأنوار التنزيل: ج ٢، ص ٤٠١، س ١٤.

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْراً حَسَناً وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَاباً أَلِيماً ﴿١٧﴾﴾

﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾: نفي في معنى النهي.

﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾: من قبل تهيّئهم للخروج إلى خيبر.

﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾: أن نشارككم في الغنائم.

﴿بَلْ كَانُواْ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾: إلّا فهماً قليلاً، وهو فطنتهم لأُمور الدنيا.

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾: كرّر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذمّ وإشعاراً بشناعة التخلّف.

﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: قيل: هم هوازن وثقيف[1].

﴿تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾: أي يكون أحد الأمرين.

﴿فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْراً حَسَناً﴾: هو الغنيمة في الدنيا، والجنّة في الآخرة.

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾: عن الحديبية.

﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾: لتضاعف جرمكم.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾: لمّا أوعد على التخلّف، نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين استثناءاً لهم عن الوعيد.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾: قيل:

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٤٠٢، س ٦.

لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَـٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطاً مُّسْتَقِيماً ﴿٢٠﴾

فصّل الوعد وأجمل الوعيد مبالغة في الوعد لسبق رحمته، ثمّ جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم، فقال: «وَمَن يَتَوَلَّ» الآية[١].

﴿وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَاباً أَلِيماً﴾: إذ الترهيب هنا أنفع من الترغيب، وقرئ ندخله ونعذّبه بالنون.

﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾: قد سبقت قصّته.

القمّي: عن الصادق عليه السلام قال: كتب علي عليه السلام إلى معاوية أنا أوّل من بايع رسول الله صلى الله عليه وآله تحت الشجرة في قوله: «لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ»[٢].

﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾: الطمأنينة، وسكون النفس.

﴿وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾: فتح خيبر غبّ انصرافهم.

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾: يعني مغانم خيبر.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾: غالباً مراعياً مقتضى الحكمة.

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾: وهي ما يفيء على المؤمنين إلى يوم القيامة.

﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَـٰذِهِ﴾: يعني مغانم خيبر.

﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾: أيدي أهل خيبر، وحلفائهم.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٤٠٢.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٩٨.

وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَـٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً ﴿٢٤﴾

﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: أمارة يعرفون بها صدق الرسول في وعدهم.

﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطاً مُّسْتَقِيماً﴾: هو الثقة بفضل الله والتوكّل عليه.

﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا﴾: بعد.

﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً * وَلَوْ قَـٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: من أهل مكّة ولم يصالحوا.

﴿لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَـٰرَ﴾: لانهزموا.

﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّاً﴾: يحرسهم.

﴿وَلَا نَصِيراً﴾: ينصرهم.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ﴾: أي سنّ غلبة أنبيائه سنّة قديمة فيمن مضى من الأمم كما قال: «كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي»[1].

﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً﴾: تغييراً.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾: أيدي كفّار مكّة.

﴿وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾: في داخل مكّة.

﴿مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾: القمّي: أي من بعد أن أممتم من المدينة إلى الحرم،

---

١ ـ المجادلة: ٢١.

هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفاً أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَـٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِ مَن يَشَآءُ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴿٢٥﴾

وطلبوا منكم الصلح من بعد أن كانوا يغزونكم بالمدينة صاروا يطلبون الصلح بعد أن كنتم تطلبون الصلح منهم[١].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾: من مقاتلتهم أوّلاً طاعة لرسوله، وكفّهم ثانياً لتعظيم بيته، وقرئ بالياء.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفاً﴾: محبوساً.

﴿أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾: الهدي ما يهدى إلى مكّة، ومحلّه مكانه الذي يحلّ فيه نحره.

﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَـٰتٌ﴾: القمّي: يعني بمكّة[٢].

﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾: لم تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطهم بالمشركين.

﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾: أن تواقعوا بهم وتبتدأوهم[٣].

﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم﴾: من جهتهم.

﴿مَّعَرَّةٌ﴾: مكروه، كوجوب الدية والكفّارة بقتلهم، والتأسّف عليهم، وتعيير الكفّار بذلك والإثم بالتقصير في البحث عنهم.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: أي تطأهم غير عالمين بهم، وجواب «لَوْلَا» محذوف لدلالة الكلام

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣١٦، س ٨.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣١٦، س ١٢.
٣ ـ الظاهر هنا تصحيف، والصحيح: «أن توقعوا بهم وتبيدوهم».

عليه، والمعنى ولولا كراهة أن تهلكوا ناساً مؤمنين بين أظهر الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم بإهلاكهم مكروه لما كفّ أيديكم عنهم.

القمّي: أخبر الله عزّ وجلّ نبيّه ﷺ أنّ علّة الصلح إنّما كان للمؤمنين والمؤمنات الذين كانوا بمكّة، ولولم يكن صلح وكانت الحرب لقتلوا، فلمّا كان الصلح آمنوا وأظهروا الإسلام[١].

ويقال: إنّ ذلك الصلح كان أعظم فتحاً على المسلمين من غلبهم[٢].

﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾: علّة لما دلّ عليه كفّ الأيدي من أهل مكّة صوناً لمن فيها من المؤمنين، أي كان ذلك ليدخل الله في توفيقه لزيادة الخير أو الإسلام.

﴿مَن يَشَآءُ﴾: من مؤمنيهم أو مشركيهم.

﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ﴾: لو تفرّقوا وتميّز بعضهم من بعض.

﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾: بالقتل والسبي.

القمّي: يعني هؤلاء الذين كانوا بمكّة من المؤمنين والمؤمنات لو زالوا عنهم وخرجوا من بينهم لعذّبنا الذين كفروا منهم[٣].

وعن الصادق عليه السلام: إنّه سئل ألم يكن علي عليه السلام قويّاً في بدنه، قويّاً في أمر الله؟ فقال: بلى، قيل: فما منعه أن يدفع أو يمتنع؟ قال: سألت فافهم الجواب: منع عليّاً عليه السلام من ذلك آية من كتاب الله تعالى، فقيل: وأي آية؟ فقرأ: و«لَوْ تَزَيَّلُواْ» الآية إنّه كان لله تعالى ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين ومنافقين، فلم يكن علي عليه السلام ليقتل الآباء حتّى تخرج الودائع، فلمّا خرجت ظهر على من ظهر وقتله، وكذلك قائمنا أهل البيت عليهم السلام لا يظهر أبداً حتّى تخرج ودائع الله فإذا خرجت يظهر على من يظهر فيقتله[٤].

وفي الإكمال: عنه عليه السلام ما في معناه بأسانيد متعدّدة، منها: قال عليه السلام في هذه الآية: لو أخرج الله ما في أصلاب المؤمنين من الكافرين، وما في أصلاب الكافرين من المؤمنين «لَعَذَّبْنَا

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣١٦، س ١٢.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣١٦، س ١٤.
٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣١٦، س ١٦.
٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣١٦، س ٢٠.

إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيماً ﴿٢٦﴾

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ»[١].

﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ﴾: الأنفة.

﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾: التي تمنع إذعان الحق.

القمّي: يعني قريشاً، وسهيل بن عمرو، حين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: لا نعرف الرحمن الرحيم، وقولهم: لو علمنا أنّك رسول الله ما حاربناك، فاكتب محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله[٢].

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أنزل عليهم الثبات والوقار فتحمّلوا حميّتهم.

﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾: كلمة الشهادة.

القمّي: عن النبي صلى الله عليه وآله إنّه قال في خطبته[٣]: وأولى القول: كلمة التقوى[٤].

وفي العلل: عنه صلى الله عليه وآله إنّه قال في تفسير لا إلـه إلّا الله: وهي كلمة التقوى يثقل الله بها الموازين يوم القيامة[٥].

في الكافي: عن الصادق عليه السلام إنّه سئل عنها، فقال: هو الإيمان[٦].

وفي المجالس: عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إنّ عليّاً راية الهدى، وإمام أوليائي، ونور من أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمتها المتّقين[٧].

---

١ ـ اكمال الدين واتمام النعمة: ص ٦٤٢، باب ٥٤ ـ ذكر المعمّرين.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣١٧، س ٦.

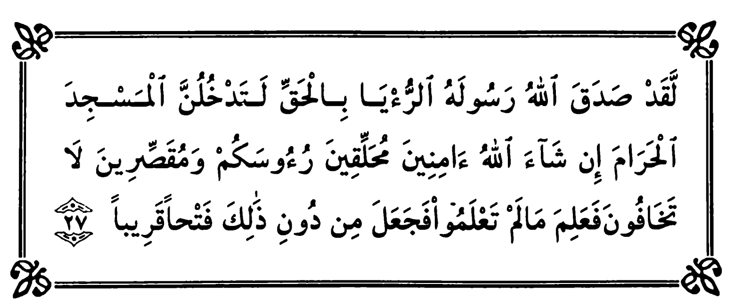
٣ ـ وفي نسخة: [في خطبة].

٤ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٢٩٠، س ٢٣.

٥ ـ علل الشرائع: ص ٢٥١، س ٨، ح ٨، باب ١٨٢ ـ علل الشرائع وأُصول الإسلام.

٦ ـ الكافي: ج ٢، ص ١٥، ح ٥، باب في أنّ السكينة هي الايمان.

٧ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٣٨٦، ح ٢٣، المجلس الثاني والسبعون.



وفي الخصال: عنه عليه السلام قال في خطبته[١]: نحن كلمة التقوى وسبيل الهدى[٢].

وفي التوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال في خطبته[٣]: أنا عروة الله الوثق، والكلمة التقوى[٤].

وفي الإكمال: عن الرضا عليه السلام في حديث له: نحن كلمة التقوى، والعروة الوثق[٥].

﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾: والمستأهل لها.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾: فيعلم أهل كلّ شيء وييسّره له.

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا﴾: صدقه في رؤياه.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متلبّساً به، فإنّ ما رآه كائن لا محالة في وقته المقدّر له، وقد سبقت قصّته في أوّل السورة.

﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾: محلّقاً بعضكم ومقصّراً آخرون.

﴿لَا تَخَافُونَ﴾: بعد ذلك.

﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟﴾: من الحكمة في تأخير ذلك.

﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾: هو فتح خيبر ليستروح إليه قلوب المؤمنين

---

١ ـ وفي نسخة: [في خطبة].

٢ ـ الخصال: ص ٤٣٢، ح ١٤، باب ١٠ ـ عشر خصال جمعها الله عزّ وجلّ لنبيّه وأهل بيته صلوات الله عليهم.

٣ ـ وفي نسخة: [في خطبة].

٤ ـ التوحيد: ص ١٦٤ ـ ١٦٥، ح ٢، باب ٢٢ ـ معنى جنب الله عزّ وجلّ.

٥ ـ اكمال الدين واتمام النعمة: ص ٢٠٢، ح ٦، باب ٢١ ـ العلّة التي من أجلها يحتاج إلى الإمام عليه السلام.

هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيداً ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴿٢٩﴾

إلى أن يتيسّر الموعود.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾: وبدين الإسلام.

﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾: ليغلبه على جنس الدين كلّه بنسخ ما كان حقّاً وإظهار فساد ما كان باطلاً، ثمّ بتسليط المسلمين على أهله إذ ما من أهل دين إلّا وقد قهر بالإسلام أو سيقهر، وفيه تأكيد لما وعده بالفتح.

القمّي: وهو الإمام عليه السلام الذي يظهره الله عزّ وجلّ على الدين كلّه فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، قال: وهذا ممّا ذكرناه أنّ تأويله بعد تنزيله[1].

أقول: قد سبق تمام الكلام فيه في سورة التوبة[2].

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيداً﴾: على أنّ ما وعده كائن أو على رسالته.

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾: جملة مبيّنة للمشهود به، أو استئناف مع معطوفه وبعدهما خبر.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣١٧، س ١٤.

٢ ـ ذيل الآية ٣٣، أنظر ج ٣، ص ٤٠١ ـ ٤٠٣ من كتابنا تفسير الصافي.

﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾: يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله: «أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ»[١].

﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾: لأنّهم مشتغلون بالصلاة في أكثر أوقاتهم.

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾: الثواب والرضا.

﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾: قيل: يريد السمة التي تحدث في جباههم من كثرة السجود[٢].

وفي الفقيه: عن الصادق عليه السلام إنّه سئل عنه؟ فقال: هو السهر في الصلاة[٣].

﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾: صفتهم العجيبة الشأن المذكورة فيها.

﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾: القمّي: عن الصادق عليه السلام قال: نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى «ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ»[٤] يعني رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّ الله عزّ وجلّ قد أنزل في التوراة، والإنجيل، والزبور، صفة محمّد صلى الله عليه وآله وصفة أصحابه، ومبعثه ومهاجره، وهو قوله: «مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ» إلى قوله: «فِى ٱلْإِنجِيلِ» فهذه صفته في التوراة، والانجيل، وصفة أصحابه، فلمّا بعثه الله عرفه أهل الكتاب، كما قال الله جلّ جلاله[٥].

﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾: فراخه، وقرئ بالفتحات.

﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾: فقوّاه من الموازرة، وهي المعاونة، أو من الايزار، وهي الإعانة، وقرىء فآزره كآجره في أجره.

﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾: فصار من الدقّة إلى الغلظ.

﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾: فاستقام على قصبه جمع ساق، وقرئ سؤقه بالهمزة.

﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾: بكثافته وقوّته وغلظه وحسن منظره، قيل: هو مثل ضربه الله

---

١ ـ المائدة: ٥٤.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٤٠٥، س ١٥.

٣ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢٩٩، ح ١٣٦٩ / ٧، باب ٦٥ ـ ثواب صلاة الليل.

٤ ـ البقرة: ١٤٦.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٣، س ١.

للصحابة قلّوا في بدو الإسلام ثمّ كثروا واستحكموا فترقّى أمرهم بحيث أعجب الناس[١].

﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾: علّة لتشبيههم بالزرع في زكاته واستحكامه.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾:

في الأمالي: عن النبي ﷺ أنّه سئل فيمن نزلت هذه الآية؟ قال: إذا كان يوم القيامة عقد لواء من نور أنور، ونادى منادٍ ليقم سيّد المؤمنين، ومعه الذين آمنوا، وقد بعث الله محمّد ﷺ فيقوم علي بن أبي طالب عليه السلام فيعطي الله اللواء من النور الأبيض بيده، تحته جميع السابقة الأوّلين من المهاجرين والأنصار، لا يخالطهم غيرهم، حتّى يجلس على منبر من نور ربّ العزّة، ويعرض الجميع عليه رجلاً رجلاً، فيعطى أجره ونوره، فإذا أتى على آخرهم قيل لهم: قد عرفتم موضعكم ومنازلكم من الجنّة إنّ ربّكم يقول لكم: عندي لكم مغفرة وأجر عظيم، يعني الجنّة، فيقوم علي بن أبي طالب عليه السلام، والقوم تحت لوائه معهم حتّى يدخل الجنّة، ثمّ يرجع إلى منبره ولا يزال يعرض عليه جميع المؤمنين فيأخذ نصيبه منهم إلى الجنّة ويترك أقواماً على النار، الحديث[٢].

وفي ثواب الأعمال[٣]، والمجمع: عن الصادق عليه السلام: حصّنوا أموالكم ونساءكم وما ملكت أيمانكم من التلف بقراءة: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً» فإنّه إذا كان ممّن يدمن قراءتها نادى منادٍ يوم القيامة حتّى تسمع الخلائق: أنت من عبادي المخلصين: ألحقوه بالصالحين من عبادي، وأسكنوه جنّات النعيم، واسقوه من الرحيق المختوم[٤]، بمزاج الكافور[٥].

❊ ❊ ❊

---

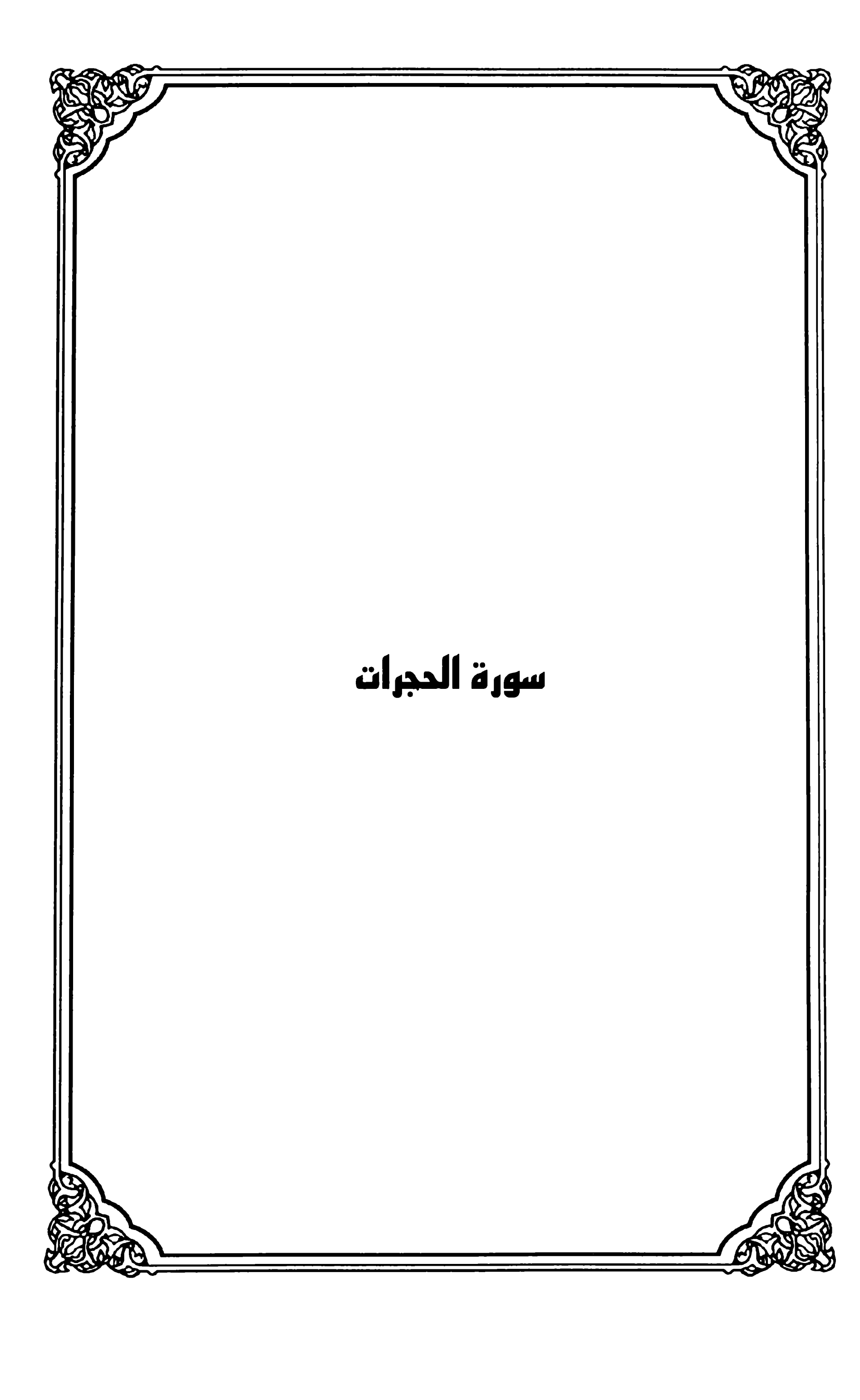
١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٤٠٦، س ٢.

٢ ـ الأمالي للشيخ الطوسي: ص ٣٧٨، ح ٨١٠ / ٦١، المجلس الثالث عشر.

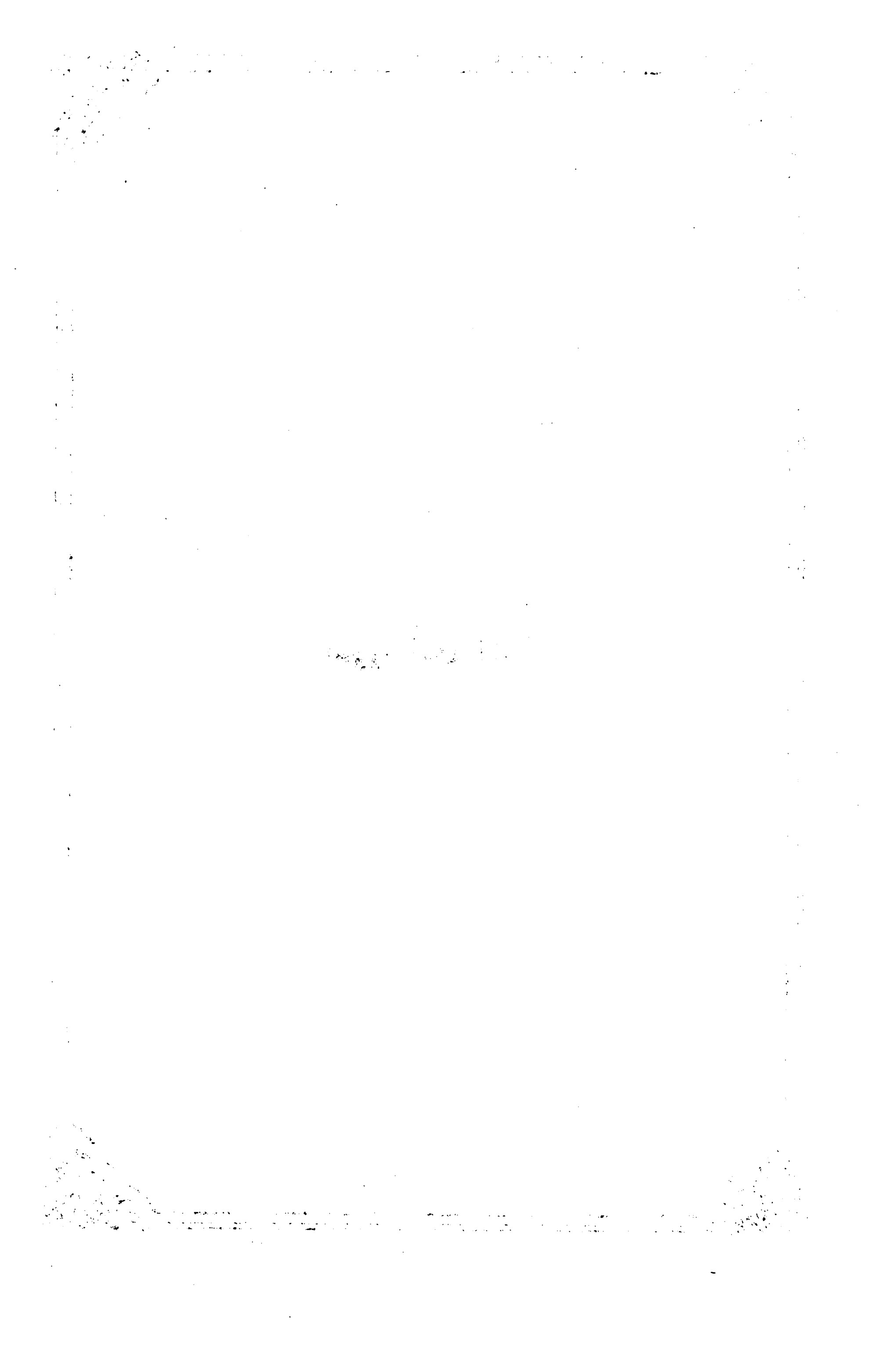
٣ ـ ثواب الأعمال: ص ١١٥، ح ١، باب ثواب قراءة سورة الفتح.

٤ ـ الرحيق: الخالص من الشراب، وعن الخليل أفضل الخمر وأجودها، والمختوم: أي يختم أوانيه بمسك. مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٦٧، مادة «رحق».

٥ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٠٩، في فضلها.



سورة الحجرات



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾

سورة الحجرات: مدنيّة، عدد آيها ثماني عشرة آية بالإجماع.



﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟﴾: أمراً، أو أنفسكم، أو لا تتقدموا، ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم، وقرئ بفتح التاء.

﴿بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: قيل: المعنى لا تقطعوا أمراً قبل أن يحكما به(١).

وقيل: لا تقدّموا في المشي، والمراد بين يدي رسول الله ﷺ، وذكر الله تعظيماً له وإشعاراً بأنّه من الله بمكان يوجب إجلاله(٢).

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: في التقديم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لأقوالكم.

﴿عَلِيمٌ﴾: بأفعالكم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾: أي إذا

---

١ و ٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٤٠٦، س ١٣.

كلّمتموه فلا تجاوزوا أصواتكم عن صوته.

﴿وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾: ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم، بل اجعلوا أصواتكم أخفض من صوته، محاماة على الترحيب، ومراعاة للأدب، وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الإستبصار، والمبالغة في الإتعاظ، والدلالة على استقلال المنادى له، وزيادة الاهتمام به.

﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ﴾: كراهة أن تحبط أعمالكم.

﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾: إنّها محبطة، القمّي: نزلت في وفد بني تميم، كانوا إذا قدموا على رسول الله ﷺ وقفوا على باب حجرته فنادوا يا محمّد أُخرج إلينا، وكانوا إذا خرج رسول الله ﷺ تقدّموه في المشي، وكانوا إذا كلّموه رفعوا أصواتهم فوق صوته، ويقولون يا محمّد يا محمّد ما تقول في كذا كما يكلّمون بعضهم بعضاً فأنزل الله[١].

وفي الجوامع: عن ابن عبّاس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وكان في أُذنه وقر، وكان جهوري الصوت، فكان إذا كلّمه رفع صوته، وربّما تأذّى رسول الله ﷺ بصوته، قال: وروي أنّه لمّا نزلت الآية فُقِد ثابت فتفقّده رسول الله ﷺ فأُخبر بشأنه فدعاه فسأله، فقال: يا رسول الله لقد أُنزلت هذه الآية وإنّي جهوري الصوت فأخاف أن يكون عملي قد حبط، فقال رسول الله ﷺ: لست هناك فإنّك تعيش بخير، وتموت بخير، وإنّك من أهل الجنّة[٢].

وفي تفسير الإمام عليه السلام: في سورة البقرة عند قوله تعالى: «لَا تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا»[٣] عن الكاظم عليه السلام إنّ رسول الله ﷺ لمّا قدم المدينة وكثر حوله المهاجرون والأنصار، وكثرت عليه المسائل، وكانوا يخاطبونه بالخطاب العظيم الذي لا يليق به، وذلك أنّ الله تعالى كأن قال: «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ» الآية، وكان رسول الله ﷺ بهم رحيماً، وعليهم عطوفاً، وفي إزالة الآثام عنهم مجتهداً، حتّى أنّه كان ينظر إلى من يخاطبه فيعمد على أن يكون صوته مرتفعاً على صوته ليزيل عنه ما توعده الله من إحباط عمله حتّى أنّ رجلاً أعرابيّاً ناداه يوماً خلف حائط بصوت له جهوري يا محمّد فأجابه بأرفع

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣١٨، س ٤.

٢ ـ جوامع الجامع: ص ٤٥٦، س ٣٢، الطبعة الحجريّة. ٣ ـ البقرة: ١٠٤.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

من صوته يريد أن لا يأثم الأعرابي بارتفاع صوته[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ﴾: يخفضونها.

﴿عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾: مراعاة للأدب.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾: جرّبها لها، ومرّنها عليها.

﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾: لذنوبهم.

﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: لغضّهم وسائل طاعاتهم، والتنكير للتعظيم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾: من خارجها، خلفها أو قدّامها، والمراد حجرات نسائه ﷺ.

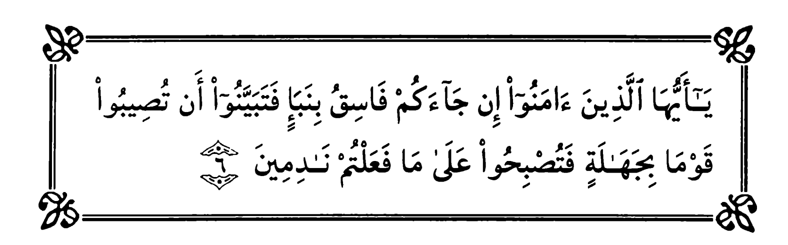
﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: إذ العقل يقتضي حسن الأدب، ومراعاة الحشمة لمن كان بهذا المنصب.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ﴾: من الإستعجال والنداء لما فيه من حفظ الأدب، وتعظيم الرسول ﷺ الموجبين للثناء والثواب، والإسعاف بالمسؤول وفي «إليهم» إشعار بأنّه لو خرج لا لأجلهم ينبغي أن يصبروا حتّى يفاتحهم بالكلام أو يتوجّه إليهم.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: حيث اقتصر على النصح، والتقريع لهؤلاء المسيئين الأدب

---

١ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٤٧٧، ح ٣٠٥.



التاركين تعظيم الرسول صلى الله عليه وآله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾: فتعرّفوا وتـفحّصوا، وقرئَ بالثاء المثلثة والباء الموحدة من التثبّت.

ونسبها في المجمع إلى الباقر عليه السلام[1]، يعني فتوقّفوا حتّى يتبيّن الحال.

﴿أَن تُصِيبُواْ﴾: كراهة إصابتكم.

﴿قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٍ﴾: جاهلين بحالهم.

﴿فَتُصْبِحُواْ﴾: فتصيروا.

﴿عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾: مغتمين غمّاً لازماً متمنين أنّه لم يقع.

روي أنّ النبي صلى الله عليه وآله بعث وليد بن عقبة مصدّقاً إلى بني المصطلق، وكان بـينه وبـينهم إحنة[2] فلمّا سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه، فرجع وقال لرسـول الله صلى الله عليه وآله: قـد ارتـدّوا ومنعوا الزكاة فهمّ بقتالهم فنزلت[3].

ويؤيد هذه الرواية ما في الاحتجاج: عن الحسن المجتبى عليه السلام في حديث قال: وأمّا أنت يا وليد بن عقبة فوالله ما ألومك أن تبغض عليّاً وقد جلدك في الخمر ثمانين جلدة، وقتل أباك صبراً بيده يوم بدر، أم كيف تسبّه؟ فقد سمّاه الله مؤمناً في عشر آيات من القرآن، وسمّاك فاسقاً وهو قوله: «إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ» الآية[4].

١ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٣١، في القراءة.

٢ ـ الإحنة ـ بكسر الفاء ـ: واحدة الإحن، وهي الضغائن، وأحن الرجل يأحن ـ من باب تعب ـ: حقد وأظـهر العداوة. مجمع البحرين: ج ٦، ص ١٩٨، مادة «احن».

٣ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٣٢، في شأن النزول.

٤ـ الاحتجاج: ج ١، ص ٤١٢، احتجاج الحسن عليه السلام على منكري فضله وفضل أبيه عليهما السلام.

وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾

والقمّي: نزل في عائشة حين رمت مارية القبطيّة، واتهمتها بجريح القبطي، فأمر رسول الله ﷺ بقتل جريح ليظهر كذبها وترجع عن ذنبها[١]. وقد مضى قصّتها في سورة النور[٢].

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾: لوقعتم في العنت، وهو الجهد والهلاك، وفيه إشعار بأنّ بعضهم أشار إليه بالإيقاع ببني المصطلق.

﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾: قيل: هو خطاب للمؤمنين الذين لم يفعلوا ذلك ولم يكذّبوا لغرضهم الفاسد تحسيناً لهم وتعريضاً بذمّ من فعل[٣].

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام «ٱلْفُسُوقَ»: الكذب[٤].

وفي الكافي[٥]، والقمّي: عن الصادق عليه السلام: «حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ»: يعني أمير المؤمنين عليه السلام، «وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ» يعني الأوّل، والثاني، والثالث[٦].

وفي المحاسن: عنه عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية، وقيل له: هل للعباد فيما حبّب الله صنع؟ قال: لا ولا كرامة[٧].

١ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣١٨، س ١٤.
٢ـ ذيل الآية: ١١، أنظر ج ٥، ص ٢١٩، من كتابنا تفسير الصافي.
٣ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٤٠٨، س ٢٠.
٤ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٣٣، س ١٥.
٥ـ الكافي: ج ١، ص ٤٢٦، ح ٧١، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.
٦ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣١٩، س ١٦.
٧ـ المحاسن: ج ١، ص ٣١٦، ح ٦٢٧/ ٢٩، باب ٢ ـ المعرفة.

فَضْلاً مِّنَ ٱللهِ وَنِعْمَةً وَٱللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾

وعنه عليه السلام: الدين: هو الحب، والحبّ هو الدين[١].

وفي الكافي: عنه عليه السلام أنّه سئل عن الحبّ والبغض أمن الايمان هو؟ فقال: وهل الايمان إلّا الحبّ والبغض، ثمّ تلا هذه الآية[٢].

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾: يعني أُولئك الذين فعل الله بهم ذلك، هم الذين أصابوا الطريق السوي.

﴿فَضْلاً مِّنَ ٱللهِ وَنِعْمَةً وَٱللهُ عَلِيمٌ﴾: بأحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل.

﴿حَكِيمٌ﴾: حين يفضل وينعم بالتوفيق عليهم.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾: تقاتلوا، والجمع باعتبار المعنى، فإنّ كلّ طائفة جمع.

﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾: بالنصح والدعاء إلى حكم الله.

﴿فَإِن بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ﴾: تعدّت عليها.

﴿فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللهِ﴾: ترجع إلى حكمه وما أمر به.

﴿فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾: بفصل ما بينهما على ما حكم الله.

قيل: تقييد الإصلاح بالعدل هاهنا لأنّه مظنّة الحيف من حيث إنّه بعد المقاتلة[٣].

﴿وَأَقْسِطُوٓاْ﴾: واعدلوا في كلّ الأمور.

---

١ ـ المحاسن: ج ١، ص ٤٠٩، ح ٩٣١ / ٣٣٣، باب ٣٤ ـ الحب والبغض في الله.

٢ ـ الكافي: ج ٢، ص ١٢٥، ح ٥، باب الحب في الله والبغض في الله.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٤٠٩، س ١٠.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾: قيل: نزلت في قتال حدث بين الأوس والخزرج في عهده ﷺ بالسعف والنعال[١].

وفي الكافي[٢]، والتهذيب[٣]، والقمّي: عن الصادق، عن أبيه عليهما السلام في حديث قال: لمّا نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: إنّ منكم من يقاتل بعدي على التأويل كما قاتلت على التنزيل، فسئل من هو؟ قال: خاصف النعل، يعني أمير المؤمنين عليه السلام، فقال عمّار بن ياسر: قاتلت بهذه الراية مع رسول الله ﷺ ثلاثاً وهذه الرابعة، والله لو ضربونا حتّى يبلغوا بنا السعفات[٤] من هجر[٥] لعلمنا إنّا على الحق وإنّهم على الباطل، وكانت السيرة فيهم من أمير المؤمنين عليه السلام ما كان من رسول الله ﷺ في أهل مكّة يوم فتح مكّة فإنّهم لم يسب لهم ذريّة، وقال: من أغلق بابه فهو آمن، ومن ألق سلاحه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، وكذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام يوم البصرة، نادى فيهم: لا تسبوا لهم ذريّة، ولا تجهزوا على جريح، ولا تتبعوا مدبراً، ومن أغلق بابه وألق سلاحه فهو آمن[٦].

وفي الكافي: عنه عليه السلام إنّما جاء تأويل هذه الآية يوم البصرة، وهم أهل هذه الآية، وهم الذين بغوا على أمير المؤمنين عليه السلام فكان الواجب عليه قتالهم وقتلهم حتى يفيؤوا إلى أمر الله، ولو لم يفيؤوا لكان الواجب عليه فيما أنزل الله أن لا يرفع السيف عنهم حتّى يفيؤوا ويرجعوا عن رأيهم، لأنّهم بايعوا طائعين غير كارهين، وهي الفئة الباغية كما قال الله عزّ وجلّ، فكان الواجب على أمير المؤمنين عليه السلام أن يعدل فيهم حيث كان ظفر بهم، كما عدل رسول الله ﷺ في أهل مكّة، إنّما منّ عليهم وعفا، وكذلك صنع علي أمير المؤمنين عليه السلام بأهل البصرة حيث ظفر بهم مثل ما صنع النبي ﷺ بأهل مكّة، حذوا النّعل بالنعل[٧].

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٤٠٩، س ١٢.

٢ ـ الكافي: ج ٥، ص ١١، قطعة من حديث ٢، باب وجوه الجهاد.

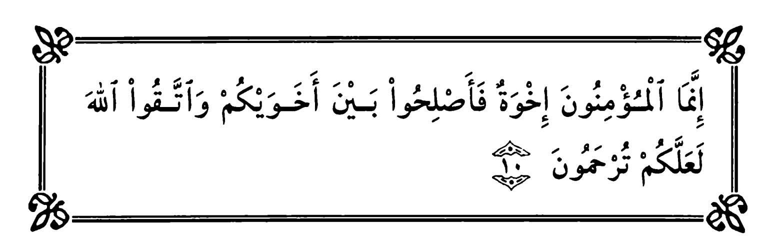
٣ ـ تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١٣٦ ـ ١٣٧، ح ٢٣٠ / ١، باب ٥٩، أصناف من يجب جهاده.

٤ ـ السَعَفَات: جمع سعفة ـ بالتحريك ـ: جريدة النخل مادامت بالخوص، فإن زال عنها قيل: جريدة، وقيل: إذا يبست سميت سعفة، والرطبة شطبة. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٧٠، مادة «سعف».

٥ ـ هجر: مدينة وهي قاعدة البحرين، وربما قيل: الهجر، بالألف واللام، وقيل: ناحية البحرين كلّها هجر وهو الصواب. معجم البلدان: ج ٥، ص ٣٩٣.

٦ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٢١، س ٥.

٧ ـ الكافي: ج ٨، ص ١٨٠، ح ٢٠٢.



﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام بنو أب وأمّ، وإذا ضرب على رجل منهم عرق سهر له الآخرون[١].

وعنه عليه السلام: المؤمن أخو المؤمن عينه[٢]، ودليله لا يخونه، ولا يظلمه، ولا يغشّه، ولا يعده عدة فيخلفه[٣].

وعن الباقر عليه السلام: المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمّه لأنّ الله خلق المؤمنين من طينة الجنان، وأجرى في صورهم من ريح الجنّة، فلذلك هم أُخوة لاب وأُمّ[٤].

وفي البصائر: عن الصادق عليه السلام إنّه سئل عن تفسير هذا الحديث، إنّ المؤمن ينظر بنور الله، فقال: إنّ الله خلق المؤمن من نوره، وصبغهم في رحمته، وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية على معرفته يوم عرّفهم نفسه، فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأُمّه، أبوه النور، وأُمّه الرحمة، وإنّما ينظر بذلك النور الذي خلق منه[٥].

أقول: ووجه آخر لاخوة المؤمنين إنتسابهم إلى النبي والوصي، فقد ورد أنّه صلى الله عليه وآله قال: أنا وأنت يا علي أبوَا هذه الأُمّة[٦]. ووجه آخر إنتسابهم إلى الإيمان الموجب للحياة الأبديّة.

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ١٦٥، ح ١، باب أُخوّة المؤمنين بعضهم لبعض.

٢ ـ أي نفسه وذاته، من باب المبالغة للمشاركة في الطينة، أو في الصفات، أو عينه الباصرة فيجب عليه حفظه كحفظها، أو حافظه أو طليعته بتصرّف الأمور النافعة له. منه قدس سره.

٣ ـ الكافي: ج ٢، ص ١٦٦، ح ٣، باب أُخوّة المؤمنين بعضهم لبعض.

٤ ـ الكافي: ج ٢، ص ١٦٦ ـ ١٦٧، ح ٧، باب أُخوّة المؤمنين بعضهم لبعض.

٥ ـ بصائر الدرجات: ص ١٠٠، ح ٢، الجزء الثاني، باب ١١ ـ ما أخذ الله ميثاق المؤمنين لأئمّة آل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين بالولاية وخلقهم من نوره وأصبغهم في رحمته وينظرون بنور الله.

٦ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٢٧٢، ح ١٣، المجلس الثالث والخمسون؛ وإكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢٦١، ح ٧، باب ٢٤؛ ومعاني الأخبار: ص ٥٢، ح ٣، باب ٢٧؛ وعلل الشرائع: ص ١٢٧، ح ٢، باب ١٠٦؛ وعيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٨٥، ح ٢٩، باب ٣٢.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَـٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾

﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام صدقة يحبّها الله إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا[1].

وعنه عليه السلام: لأن أصلح بين اثنين أحبّ إليّ من أن أتصدّق بدينارين[2].

وعنه عليه السلام: إنّه قال لمفضّل: إذا رأيت بين إثنين من شيعتنا منازعة فافتدها من مالي[3].

وفي رواية: قال: المصلح ليس بكذّاب[4].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: في مخالفة حكمه والإهمال فيه.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: على تقواكم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾: أي لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض، إذ قد يكون المسخور منه خيراً عند الله من الساخر.

القمّي: نزلت في صفيّة بنت حي بن أحطب، وكانت زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك إنّ عائشة وحفصة كانتا تؤذيانها وتشتمانها وتقولان لها: يا بنت اليهوديّة، فشكت ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال لها: ألاتجيبينهما؟ فقالت: بماذا يا رسول الله؟ قال: قولي: إنّ أبي هارون نبي الله، وعمّي موسى كليم الله، وزوجي محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله فما تنكران منّي؟ فقالت لهما، فقالتا: هذا علّمك رسول الله صلى الله عليه وآله، فأنزل الله في ذلك: «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ» الآية[5].

---

١ و٢ و٣ و٤ـ الكافي: ج ٢، ص ٢٠٩ و٢١٠، ح ١ و٢ و٣ و٥، باب الإصلاح بين الناس.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٢١، س ٢١.

يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيراً مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾

﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾: ولا يعب بعضكم بعضاً.

﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِالْأَلْقَـٰبِ﴾: ولا يدعُ بعضكم بعضاً بلقب السوء.

﴿بِئْسَ ٱلِاسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ﴾: أي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين، أن يذكروا بالفسق بعد دخولهم الإيمان واشتهارهم به.

﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾: عمّا نهي عنه.

﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾: بوضع العصيان موضع الطاعة، وتعريض النفس للعذاب.

﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيراً مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾: كونوا منه على جانب، وإبهام الكثير ليحتاط في كلّ ظنّ ويتأمّل حتّى يعلم أنّه من أيّ القبيل.

﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾: الإثم: الذنب يستحق به العقوبة، في الكافي: عن الصادق، عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: ضع أمر أخيك على أحسنه حتّى يأتيك ما يقلّبك منه، ولا تظنّنّ بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً[1].

وفي نهج البلاغة: إذا استولى الصلاح على الزمان وأهله ثمّ أساء رجل الظنّ برجل لم يظهر منه خزيه فقد ظلم، وإذا استولى الفساد على الزمان وأهله، ثمّ أحسن الرجل الظنّ برجل فقد غرّر[2][3].

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٦٢، ح ٣، باب التهمة وسوء الظن.

٢ ـ غرّر: أي أوقع بنفسه في الغرر، وهو الخطر.

٣ ـ نهج البلاغة: ص ٤٨٩، قصار الحكم ١١٤.

﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾: ولا تبحثوا عن عورات المؤمنين.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تطلبوا عثرات المؤمنين فإنّه من يتبع عثرات أخيه يتبع الله عثرته، ومن يتبع الله عثرته يفضحه ولو في جوف بيته[1].

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً﴾: ولا يذكر بعضكم بعضاً بالسوء في غيبته.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام إنّه سئل عن الغيبة، فقال: هو أن تقول لأخيك في دينه مالم يفعل، وتبثّ عليه أمراً قد ستره الله عليه لم يقم عليه فيه حدّ[2].

وفي رواية: وأمّا الأمر الظاهر فيه مثل الحدّة والعجلة فلا[3].

وعن الكاظم عليه السلام: من ذكر رجلاً من خلفه بما هو فيه ممّا عرفه الناس لم يغتبه، ومن ذكره من خلفه بما هو فيه ممّا لا يعرفه الناس اغتابه، ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته[4].

وفي العيون: عن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من عامل الناس فلم يظلمهم، ومن حدّثهم فلم يكذّبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممّن كملت مروّته، وظهرت عدالته، ووجبت أُخوّته، وحرمت غيبته[5].

ومثله في الكافي[6]، وفي الخصال عن الصادق عليه السلام[7]، وفي المجمع: في الحديث: قولوا في الفاسق ما فيه كي يحذره الناس[8].

وعن النبي صلى الله عليه وآله: إيّاكم والغيبة، فإنّ الغيبة أشدّ من الزنا، ثمّ قال: إنّ الرجل يزني ويتوب فيتوب الله عليه، وإنّ صاحب الغيبة لا يغفر له إلّا أن يغفر له صاحبه[9].

ومثله في الخصال: عن الصادق عليه السلام[10].

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾: تمثيل لما يناله المغتاب

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٥٥، ح ٥، باب من طلب عثرات المؤمنين وعوراتهم.

٢ و٣ و٤ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٥٧ و٣٥٨، ح ٣ و٧ و٦، باب الغيبة والبهت.

٥ ـ عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٣٠، ح ٣٤، باب ٣١ ـ فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة.

٦ ـ الكافي: ج ٢، ص ٢٣٩، ح ٢٨، باب المؤمن وعلاماته وصفاته.

٧ ـ الخصال: ص ٢٠٨، ح ٢٨، باب ٤ ـ من عامل الناس مجتنباً لثلاث خصال وجبت له عليهم أربع خصال.

٨ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٣٥، س ٤.

٩ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٣٧، س ١٤.

١٠ ـ الخصال: ص ٦٢ ـ ٦٣، ح ٩٠، باب ٢ ـ ذنبان أحدهما أشد من الآخر.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَـٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ١٣﴾

من عرض المغتاب على أفحش وجه مع مبالغات الإستفهام المقرّر، وإسناد الفعل إلى أحد للتعميم وتعليق المحبّة بما هو في غاية الكراهة، وتمثيل الإغتياب بأكل لحم الإخوان وجعل المأكول أخاً وميّتاً وتعقيب ذلك بقوله: «فَكَرِهْتُمُوهُ» تقريراً وتحقيقاً لذلك، وقرئ مشدّداً.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾: لمن اتقى ما نهي عنه، وتاب ممّا فرط منه.

في الجوامع: روي أنّ أبا بكر، وعمر بعثا سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليأتي لهما بطعام، فبعثه إلى أُسامة بن زيد، وكان خازن رسول الله صلى الله عليه وآله على رحله، فقال: ما عندي شيء، فعاد إليهما، فقالا: بخل أُسامة، ولو بعثنا سلمان إلى بئر سميحة[1] لغار ماؤها، ثمّ انطلقا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لهما: مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما؟ قالا: يا رسول الله ما تناولنا اليوم لحماً، قال: ظلمتم تفكّهون لحم سلمان وأُسامة فنزلت[2].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾: من آدم وحوّاء.

﴿وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ﴾: القمّي: قال: الشعوب: العجم، والقبائل: العرب[3].

ورواه في المجمع عن الصادق عليه السلام[4].

﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾: ليعرف بعضكم بعضاً لا للتفاخر بالآباء والقبائل.

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَـٰكُمْ﴾: فإنّ بالتقوى تكمل النفوس وتتفاضل الأشخاص، فمن أراد شرفاً فليلتمس منها.

القمّي: هو ردّ على من يفتخر بالأحساب والأنساب، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح

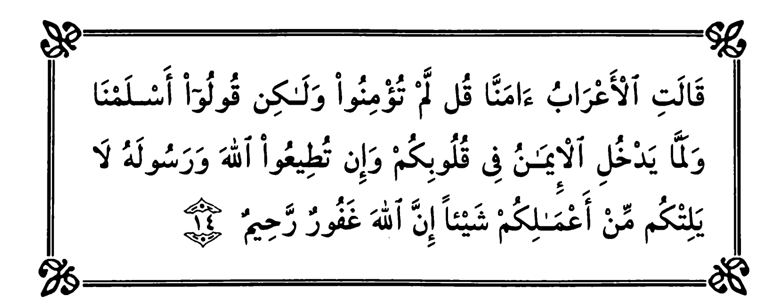
---

١ ـ سميحة ـ كجهينة ـ: بئر بالمدينة غزيرة. القاموس المحيط: ج ١، ص ٢٢٩، مادة «سمح».

٢ ـ جوامع الجامع: ص ٤٥٩، س ٣، الطبعة الحجريّة، وفيه: «ظللتم تأكلون لحم سلمان وأُسامة». وهذا هو الأصح.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٢٢، س ٧.

٤ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٣٨، س ٧.



مكّة: يا أيّها الناس إنّ الله قد أذهب عنكم بالإسلام نخوة الجاهليّة، وتفاخرها بآبائها، أنّ العربيّة ليست بأب ووالدة، وإنّما هو لسان ناطق فمن تكلّم به فهو عربي ألا إنّكم من آدم وآدم من التراب، و«إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَـٰكُمْ»(١).

وفي المجمع: عن النبي ﷺ يقول الله تعالى يوم القيامة أمرتكم فضيعتم ما عهدت إليكم فيه، ورفعتم أنسابكم، فاليوم أرفع نسبي وأضع أنسابكم، أين المتّقون؟ «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَـٰكُمْ»(٢).

وفي الفقيه: عن الصادق، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام، إنّ رسول الله ﷺ قال: أتقى الناس من قال الحق فيما له وعليه(٣).

وفي الإعتقادات: عن الصادق عليه السلام إنّه سئل عن قوله تعالى: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَـٰكُمْ» قال: أعملكم بالتقيّة(٤). وفي الإكمال: مثله عن الرضا عليه السلام(٥).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾: بكم.

﴿خَبِيرٌ﴾: ببواطنكم.

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾: قيل: نزلت في نفر من بني أسد قدموا المدينة في سنة جدبة وأظهروا الشهادتين، وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ: أتيناك بالأثقال والعيال، ولم

١ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٢٢، س ٨. ٢ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٣٨، س ١٠.

٣ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٢٨١ ـ ٢٨٢، ح ٨٣٦/ ١٦، باب ١٧٦ ـ النوادر. وهو آخر أبواب الكتاب.

٤ـ الاعتقادات في دين الإماميّة: ص ٨٢ ـ ٨٣، باب ٣٩ ـ الاعتقاد في التقيّة.

٥ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٣٧١، ح ٥، باب ٣٥ ـ ما روي عن الرضا علي بن موسى عليهما السلام في النص على القائم وفي غيبته.

نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، يريدون الصدقة ويمنون[١].

﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ﴾: به، إذ الإيمان تصديق مع ثقة وطمأنينة قلب، ولم يحصل لكم.

﴿وَلَـٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾: فإنّ الإسلام إنقياد ودخول في السلم وإظهار الشهادة، وترك المحاربة يشعر به، وكان نظم الكلام أن يقول لا تقولوا: آمنّا ولكن قولوا أسلمنا أو لم تؤمنوا، ولكن أسلمتم، فعدل منه إلى هذا النظم إحترازاً من النهي عن القول بالإيمان، والجزم بإسلامهم، وقد فقد شرط اعتباره شرعاً.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام إنّ الإسلام قبل الإيمان، وعليه يتوارثون ويتناكحون، والإيمان عليه يثابون[٢].

وعنه عليه السلام: الإيمان: هو الإقرار باللسان، وعقد في القلب، وعمل بالأركان، والإيمان بعضه من بعض، وهو دار، وكذلك الإسلام دار، والكفر دار، فقد يكون العبد مسلماً قبل أن يكون مؤمناً، ولا يكون مؤمناً حتّى يكون مسلماً، فالإسلام قبل الإيمان وهو يشارك الإيمان، فإذا أتى العبد كبيرة من كبائر المعاصي أو صغيرة من صغائر المعاصي التي نهى الله عزّ وجلّ عنها كان خارجاً من الإيمان، ساقطاً عنه اسم الإيمان، وثابتاً عليه اسم الإسلام، فإن تاب واستغفر عاد إلى دار الإيمان، ولا يخرجه إلى الكفر إلّا الجحود والإستحلال، الحديث[٣].

وفي رواية:الإسلام: هوالظاهر الذي عليه الناس من شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحجّ البيت، وصيام شهر رمضان، فهذا الإسلام، والإيمان: معرفة هذا الأمر مع هذا، فإن أقرّ بها ولم يعرف هذا الأمر كان مسلماً وكان ضالاًّ[٤].

وعن الباقر عليه السلام: المسلم: من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن: من ائتمنه المسلمون على أموالهم وأنفسهم، الحديث[٥].

وفي المجمع: عن النبي صلى الله عليه وآله قال: الإسلام علانية، والإيمان في القلب، وأشار إلى

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٤١١، س ١٤.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ١٧٣، س ٧، ح ٤، باب الإضطرار إلى الحجّة.

٣ ـ الكافي: ج ٢، ص ٢٧، ح ١، باب آخر منه. وفيه: «أنّ الإسلام قبل الإيمان».

٤ ـ الكافي: ج ٢، ص ٢٤ ـ ٢٥ ح ٤، باب أنّ الإسلام يحقن به الدم وتؤدى به الأمانة وأنّ الثواب على الإيمان.

٥ ـ الكافي: ج ٢، ص ٢٣٤، ح ١٢، باب المؤمن وعلاماته وصفاته.

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾

صدره[١].

﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾: توقيت لقولوا.

﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: بالإخلاص وترك النفاق.

﴿لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ﴾: لا ينقصكم من أُجورها.

﴿شَيْـًٔا﴾: من الليت، وقرئ لا يألتكم من الألت وهو لغة فيه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾: لما فرّط من المطيعين.

﴿رَّحِيمٌ﴾: بالتفضّل عليهم.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾: لم يشكّوا.

﴿وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: في طاعته.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾: الذين صدقوا في إدّعاء الإيمان.

القمّي: قال: نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام[٢].

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾: أتخبرونه بقولكم «ءَامَنَّا».

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: لا تخفى عليه خافية، وهو تجهيل لهم وتوبيخ.

روي أنّه لما نزلت الآية المتقدمة جاؤوا وحلفوا أنّهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه[٣].

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٣٨، س ٣٠. ٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٢٢، س ١٥.

٣ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٤١٢، س ٦.

يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَـٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ﴾: يعدّون إسلامهم عليك منّة.

﴿قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَـٰمَكُم﴾: أي باسلامكم.

﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ﴾: على ما زعمتم، مع أنّ الهداية لا تستلزم الإهتداء.

﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾: في ادّعاء الايمان.

القمّي: نزلت في عثمان يوم الخندق، وذلك أنّه مرّ بعمّار بن ياسر وهو يحفر الخندق وقد ارتفع الغبار من الحفرة، فوضع عثمان كمّه على أنفه ومرّ، فقال عمّار: لا يستوي من يعمر المساجد فيصلّي فيها راكعاً وساجداً كمن يمرّ بالغبار حائداً يعرض عنه جاحداً معانداً، فالتفت إليه عثمان، فقال: يا ابن السوداء إيّاي تعني، ثمّ أتى رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال: لم ندخل معك لتسبّ أعراضنا، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: قد أقلتك إسلامك فاذهب، فأنزل الله عزّ وجلّ: «يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ» إلى قوله: «صَـٰدِقِينَ»، أي ليسوا هم صادقين[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: ما غاب فيهما.

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: في سرّكم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم، وقرئ بالياء.

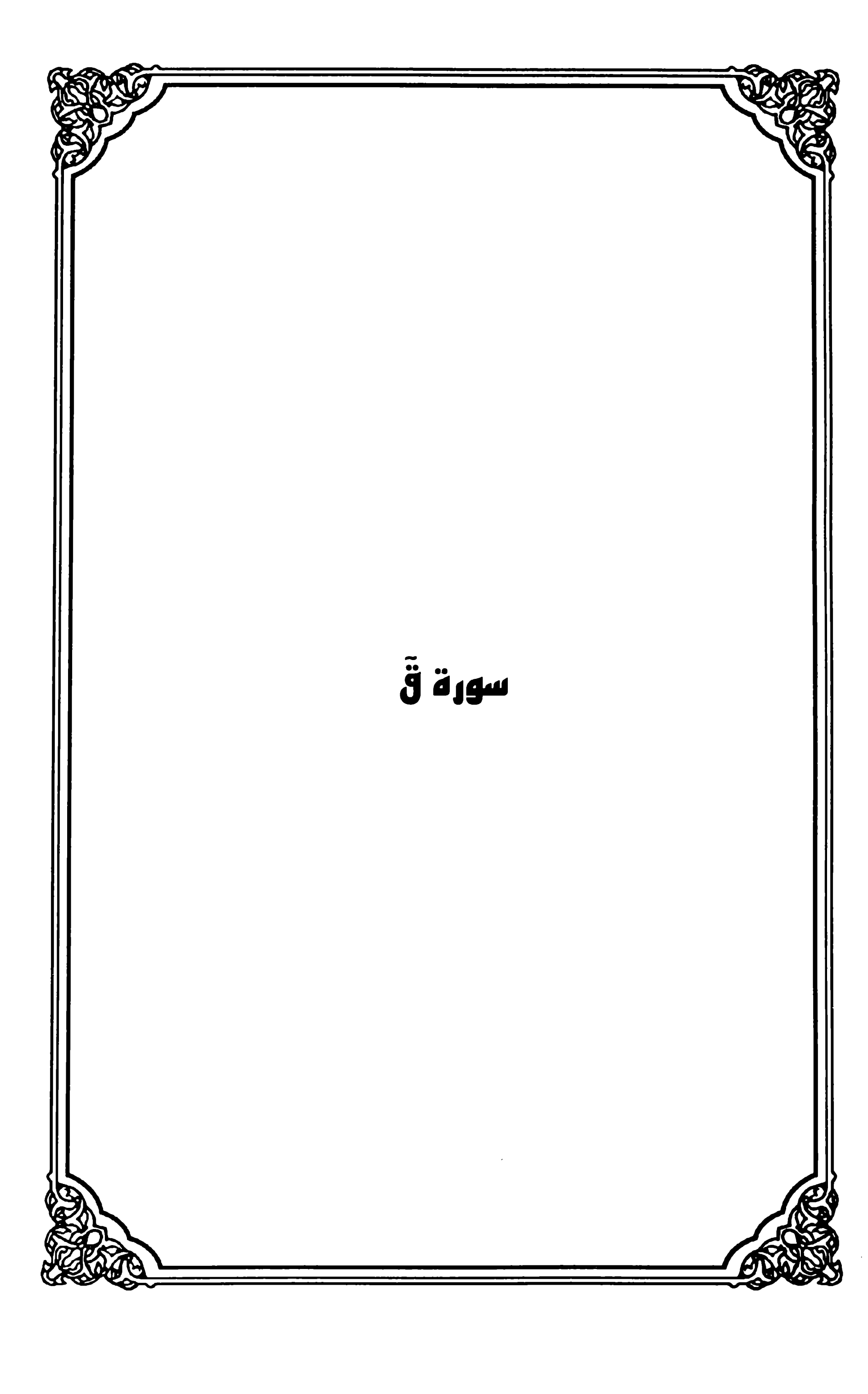
في ثواب الأعمال[2]، والمجمع عن الصادق عليه السلام: من قرأ سورة الحجرات في كلّ ليلة أو في كلّ يوم كان من زوّار محمّد صلّى الله عليه وآله[3].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٢٢.

٢ ـ ثواب الأعمال: ص ١١٥، ح ١، باب ثواب قراءة سورة الحجرات.

٣ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٢٨، في فضلها.

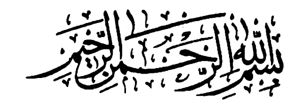


سورة قٓ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾

سورة قٓ: مكيّة وهي خمس وأربعون آية بالإجماع.



﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾: في المعاني عن الصادق عليه السلام وأمّا «قٓ» فهو الجبل المحيط بالأرض، وخضرة السماء منه، وبه يمسك الله الأرض أن تميد بأهلها[١].

والقمّي: قال: «قٓ» جبل محيط بالدنيا من وراء يأجوج ومأجوج وهو قسم[٢].

﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟﴾: القمّي: يعني قريشاً[٣].

﴿أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾: قال: يعني رسول الله صلى الله عليه وآله[٤].

﴿فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ * أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾: أي أنرجع إذا متنا وصرنا تراباً.

﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾: القمّي: قال: نزلت في أُبي بن خلف، قال لأبي جهل: تعال إليّ لأعجبك من محمّد صلى الله عليه وآله ثمّ أخذ عظماً ففته، ثمّ قال: يا محمّد تزعم أنّ هذا يحيى[٥].

---

١ ـ معاني الأخبار: ص ٢٢، ح ١، باب معنى الحروف المقطعة.

٢ و٣ و٤ و٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٢٣، س ٦٥ و٧ و٨.

قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَـٰبٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾: ما تأكل من أجساد موتاهم.

﴿وَعِندَنَا كِتَـٰبٌ حَفِيظٌ﴾: حافظ لتفاصيل الأشياء كلّها، أو محفوظ عن التغيير.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾: مضطرب، فتارة يقولون: إنّه شاعر، وتارة إنّه ساحر، وتارة إنّه كاهن، إلى غير ذلك.

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟﴾: حين كفروا بالبعث.

﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ﴾: إلى آثار قدرة الله تعالى في خلق العالم.

﴿كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا﴾: رفعناها بلا عمد.

﴿وَزَيَّنَّـٰهَا﴾: بالكواكب.

﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾: فتوق، بأن خلقها ملساء متلاصقة الطباق.

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا﴾: بسطناها.

﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾: جبالاً ثوابت.

﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾: من كلّ صنف حسن.

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾: راجع إلى ربّه متفكّر في بدائع صنعه.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا﴾: كثير المنافع، في الكافي: عن الباقر عليه السلام قال:

وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقاً لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾

قال رسول الله ﷺ في هذه الآية: ليس من ماء في الأرض إلّا وقد خالطه ماء السماء[١].

﴿فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّٰتٍ﴾: أشجار أو ثمار.

﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾: وحبّ الزرع الذي من شأنه أن يحصد كالبرّ والشعير.

﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾: طوالاً أو حوامل، وإفرادها بالذكر لفرط إرتفاعها وكثرة منافعها.

﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾: منضود بعضه فوق بعض.

﴿رِّزْقاً لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾: بذلك الماء.

﴿بَلْدَةً مَّيْتاً﴾: أرضاً جدبة لا نماء فيها.

﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾: كما أنزلنا الماء من السماء وأخرجنا به النبات من الأرض وأحيينا به البلدة الميّت يكون خروجكم إحياءاً بعد موتكم، وهو جواب لقولهم: «أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَٰلِكَ رَجْعُ بَعِيدٌ»[٢].

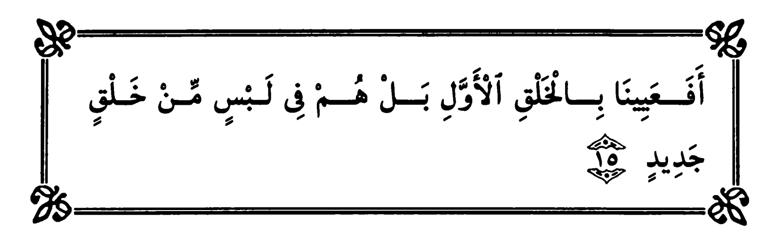
﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾: الذين رسّوا نبيّهم في الأرض، أي رسّوه، كما سبق قصّتهم في سورة الفرقان[٣].

﴿وَثَمُودُ * وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ﴾: أراد إيّاه وقومه ليلائم ما قبله وما بعده.

﴿وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ * وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾: الغيضة، وهم قوم شعيب كما سبق في

---

١ ـ الكافي: ج ٦، ص ٣٨٧، ح ١، باب ماء السماء.
٢ ـ قٓ: ٣.
٣ ـ ذيل الآية: ٣٨، أنظر ج ٥، ص ٢٨٨ ـ ٢٩١ من كتابنا تفسير الصافي.



سورة الحجر[1].

﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾: كما سبق ذكره في سورة الدخان[2].

﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾: فوجب وحلّ عليه وعيدي، وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وآله وتهديد لهم.

﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾: أفعجزنا عن الإبداء حتّى نعجز عن الإعادة.

﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: أي هم لا ينكرون قدرتنا عن الخلق الأوّل، بل هم في خلط وشبهة في خلق مستأنف لما فيه من مخالفة الإعادة، والتنكير للتعظيم، والإشعار بأنّه على وجه غير متعارف ولا معتاد.

في التوحيد: عن الباقر عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية؟ فقال: تأويل ذلك أنّ الله تعالى إذا أفنى هذا الخلق، وهذا العالم وسكن أهل الجنّة الجنّة، وأهل النار النار، جدّد الله عالماً غير هذا العالم، وجدّد خلقاً من غير فحولة ولا اُناث، يعبدونه ويوحدونه، وخلق لهم أرضاً غير هذه الأرض تحملهم، وسماءاً غير هذه السماء تظلّهم، لعلّك ترى أنّ الله إنّما خلق هذا العالم الواحد؟ أو ترى أنّ الله لم يخلق بشراً غيركم؟ بلى والله لقد خلق ألف ألف عالم وألف ألف آدم، أنت في آخر تلك العوالم، واُولئك الآدميين[3].

وفي الخصال[4]، والعيّاشي: عنه عليه السلام ما يقرب منه[5]. وقد مضى في سورة إبراهيم[6].

---

١ ـ ذيل الآية: ٧٨، اُنظر ج ٤، ص ٢٩٢ من كتابنا تفسير الصافي. ٢ ـ ذيل الآية: ٣٧، اُنظر ص ٤٢٤ من هذا الجزء.

٣ ـ التوحيد: ص ٢٧٧، ح ٢، باب ٢٨ ـ ذكر عظمة الله جلّ جلاله.

٤ ـ الخصال: ص ٣٥٨ ـ ٣٥٩، ح ٤٥، باب ٧ ـ خلق الله عزّ وجلّ في الأرض منذ خلقها سبعة عالمين.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٣٨، ح ٥٧.

٦ ـ هكذا في الأصل، والصحيح: «وقد مضى هذا المعنى في سورة إبراهيم»، ذيل الآية: ٤٨، اُنظر ج ٤، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٦ من كتابنا تفسير الصافي.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾: ما تحدّث به نفسه، وهو ما يخطر بالبال، والوسوسة: الصوت الخفي[1].

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾: الحبل: العرق، وإضافته للبيان، والوريدان: عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدّمها[2] متصلان بالوتين[3] يردّان إليه من الرأس، وحبل الوريد: مثل في القرب.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾: إذ يتلقّ الحفيظان ما يتلفّظ به، وفيه إشعار بأنّه غني عن استحفاظ الملكين، فإنّه أعلم منهما، ومطّلع على ما يخفى عليهما، لأنّه أقرب إليه منهما، ولكنّه لحكمة اقتضته من تشديد في تثبّط العبد عن المعصية، وتأكيد في اعتبار الأعمال وضبطها للجزاء وإلزام الحجّة يوم يقوم الأشهاد.

﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾: ملك يرقب عمله.

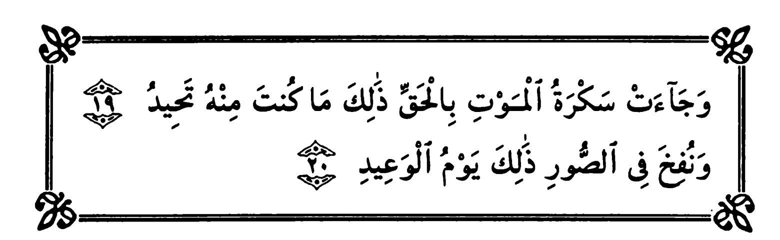
﴿عَتِيدٌ﴾: معدّ حاضر، في الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: ما من قلب إلّا وله أُذنان على إحداهما ملك مرشد، وعلى الأُخرى شيطان مفتن، هذا يأمره، وهذا يزجره، الشيطان يأمره بالمعاصي، والملك يزجره عنها، وقوله تعالى: «عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَّا يَلْفِظُ مِن

---

١ ـ الوسوسة: حديث النفس. مجمع البحرين: ج ٤، ص ١٢٢، مادة «وسوس».

٢ ـ هكذا في الأصل. والصحيح: «في مقدّمه»، وقال الجوهري في الصحاح: ج ٢، ص ٥٥٠. وحبل الوريد: عرق تزعم العرق أنه من الوتين وهما وريدان مكتنفا صَفْقَ العنق ممّا يلي مقدّمه غليظان.

٣ ـ الوتين: عرق يتعلّق بالقلب إذا قطع مات صاحبه. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٣٢٤، مادة «وتن».



قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ»[١].

وفي الجوامع: عن النبي صلى الله عليه وآله قال: كاتب الحسنات على يمين الرجل، وكاتب السيئات على شماله، وصاحب اليمين أمير على صاحب الشمال، فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشراً، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعلّه يسبّح أو يستغفر[٢].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام، عنه صلى الله عليه وآله ما يقرب منه، ويستفاد منه إنّ كليهما ملكان كاتبان[٣]. فلعلّ الكتابين غير الآمر والزاجر.

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾: لما ذكر استبعادهم البعث، وأزاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه، أعلمهم بأنّهم يلاقون ذلك عن قريب عند الموت، وقيام الساعة، ونبّه على اقترابه بأن عبّر عنه بلفظ الماضي، وسكرة الموت شدّته الذاهبة بالعقل.

وفي المجمع: في الشواذ «وجاءت سكرة الحق بالموت»، قال: ورواها أصحابنا عن أئمّة الهدى عليهم السلام[٤].

والقمّي: قال: نزلت «وجاءت سكرة الحق بالموت»[٥].

﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾: تميل وتفرّ عنه، والخطاب للإنسان.

القمّي: قال: نزلت في الأوّل[٦].

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾: يعني نفخة البعث.

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧، ح ١، باب أنّ للقلب أُذنين ينفث فيهما الملك والشيطان.

٢ ـ جوامع الجامع: ص ٤٦١، س ٢٧، الطبعة الحجريّة.

٣ ـ الكافي: ج ٢، ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠، ح ٤، باب من يهم بالحسنة أو السيئة.

٤ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٤٣، في القراءة.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٢٤، س ٢.

٦ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٢٤، س ٣.

وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَـٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾

﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾: يوم تحقّق الوعيد وانجازه.

﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾: في نهج البلاغة: سائق يسوقها إلى محشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها[١].

﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا﴾: على إضمار القول.

﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾: الغطاء: الحاجب لأُمور المعاد، وهو الغفلة والإنهماك في المحسوسات، والألف بها، وقصور النظر عليها.

﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾: نافذ لزوال المانع للأبصار.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾: قيل: الملك الموكّل عليه أو الشيطان الذي قيّض له[٢].

والقمّي: أي شيطانه، وهو الثاني[٣].

وفي المجمع: عنهما عليهما السلام يعني الملك الشهيد عليه[٤].

﴿هَـٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾: هذا ما هو مكتوب عندي، حاضر لدي، أو هذا ما عندي وفي ملكتي[٥] هيّأته لجهنّم بإغوائي وإضلالي.

﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾: قيل: خطاب من الله للسائق والشهيد[٦].

---

١ ـ نهج البلاغة: ص ١١٦، الخطبة ٨٥.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٤١٥، س ١٨.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٢٤، س ٤.

٤ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٤٦، س ٢٩.

٥ ـ هكذا في الأصل. والأصح: «وفي ملكي».

٦ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٤١٥، س ٢٠.

مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهاً ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُ وَلَـٰكِن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾

والقمّي: مخاطبة للنبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام، وذلك قول الصادق عليه السلام: علي قسيم الجنّة والنار[1].

وعن السجّاد: عن أبيه، عن جدّه أمير المؤمنين عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله تبارك وتعالى إذا جمع الناس يوم القيامة في صعيد واحد كنت أنا وأنت يومئذ عن يمين العرش. ثمّ يقول الله تبارك وتعالى لي ولك: قوما فألقيا من أبغضكما وكذّبكما في النار[2].

وفي المجمع[3]، والأمالي: من طريق العامّة مثله، وزادا وأدخلا الجنّة من أحبّكما، وذلك قوله تعالى: «أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ»[4].

وفي رواية أُخرى في الأمالي: قال: نزلت فيّ وفيك يابن أبي طالب، الحديث[5].

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾: كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة.

﴿مُعْتَدٍ﴾: متعدّ.

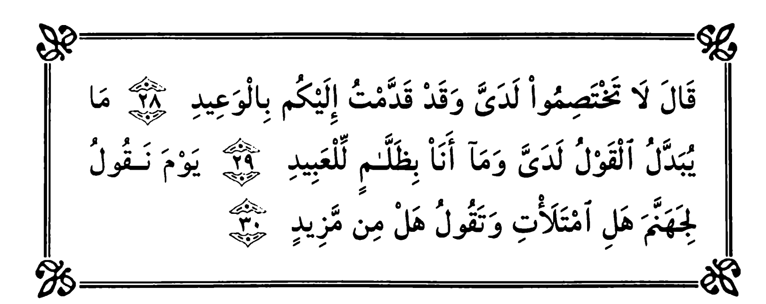
﴿مُّرِيبٍ﴾: شاك في الله وفي دينه.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهاً ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ * قَالَ قَرِينُهُ﴾: أي الشيطان المقيّض له.

﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُ﴾: كأنّ الكافر قال: هو أطغاني، فقال قرينه: «مَآ أَطْغَيْتُهُ».

﴿وَلَـٰكِن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍ بَعِيدٍ﴾: فأعنته عليه، فإنّ إغواء الشيطان إنّما يؤثّر فيمن كان مختلّ الرأي مائلاً إلى الفجور، كما قال: «وَمَا كَانَ لِى عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ

١ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٢٤، س ٦.
٢ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٢٤، س ١٠.
٣ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٤٧، س ٤.
٤ـ الأمالي للشيخ الطوسي: ص ٢٩٠، ح ٥٦٣/ ١٠، المجلس الحادي عشر.
٥ـ الأمالي للشيخ الطوسي: ص ٣٦٨، ح ٧٨٢/ ٣٣، المجلس الثالث عشر.



فَاسْتَجَبْتُمْ لِى»[١].

القمّي: قال: المنّاع: الثاني، والخير: ولاية علي عليه السلام، وحقوق آل محمّد صلوات الله عليهم، ولمّا كتب الأوّل كتاب فدك بردّها على فاطمة عليها السلام منعه الثاني[٢]، فهو «مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ۞ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللهِ إِلَـٰهاً ءَاخَرَ» قال: هو ما قال: نحن كافرون بمن جعل لكم الإمامة، والخمس، وأمّا قوله: «قَالَ قَرِينُهُ» أي شيطانه وهو الثاني «رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُ» يعني الأوّل[٣].

﴿قَالَ﴾: أي الله.

﴿لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ﴾: أي في موقف الحساب فإنّه لا فائدة فيه.

﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾: على الطغيان في كتبي، وعلى ألسنة رسلي فلم تبق لكم حجّة.

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾: بوقوع الخلف فيه، وعفو بعض المذنبين لبعض الأسباب ليس من التبديل لأنّه إنّما يكون عمّن قضى بالعفو عنه فهو أيضاً ممّا لا يبدّل لديه.

﴿وَمَآ أَنَاْ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾: فأُعذّب من ليس لي تعذيبه.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ﴾: وقرئ بالياء.

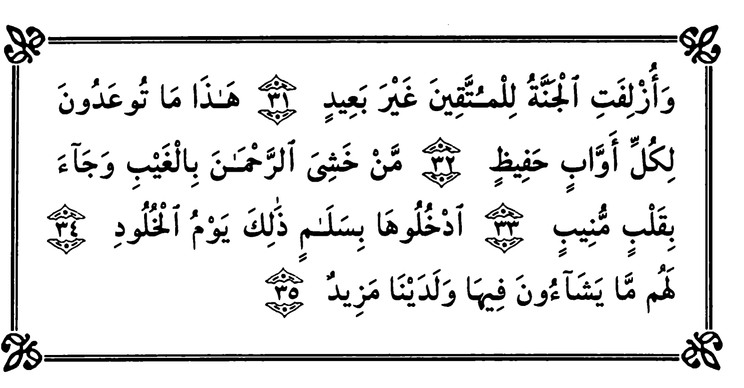
﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾: قيل: سؤال وجواب جيئ بهما للتخييل والتصوير، والمعنى أنّها مع إتّساعها تطرح فيها الجنّة والناس فوجاً فوجاً حتّى تمتلي، لقوله: «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ» أو أنّها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ، أو أنّها من شدّة

---

١ ـ إبراهيم: ٢٢.

٢ ـ وفي المصدر: «شقّه الثاني»، وهذا هو الأصح.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٢٦، س ١١. وفيه: وأمّا قوله: «قَالَ قَرِينُهُ» أي شيطانه، وهو حبتر، «رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُ» يعني زريقاً.



زفيرها وحدّتها وتشبّثها بالعصاة كالمستكثر لهم والطالب لزيادتهم[١].

والقمّي: قال: هو استفهام، لأنّ الله وعد النار أن يملأها فتمتلي النار، ثمّ يقول لها: «هَلِ ٱمْتَلَأْتِ» وتقول: «هَلْ مِن مَّزِيدٍ»؟ على حد الإستفهام، أي ليس في مزيد، قال: فتقول الجنّة يا ربّ وعدت النار أن تملأها ووعدتني أن تملأني فلم تملأني وقد ملأت النار، قال: فيخلق الله يومئذ خلقاً فيملأ بهم الجنّة، فقال أبو عبدالله عليه السلام: طوبى لهم لم يروا غموم الدنيا وهمومها[٢].

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾: قرّبت لهم.

﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: مكاناً غير بعيد.

القمّي: «أُزْلِفَتِ» أي زينت، «غَيْرَ بَعِيدٍ» قال: بسرعة[٣].

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾: على إضمار القول، وقرئ بالياء.

﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾: رجّاع إلى الله، بدل من المتّقين بإعادة الجار.

﴿حَفِيظٍ﴾: حافظ لحدوده.

﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ * ٱدْخُلُوهَا﴾: يقال لهم: أُدخلوها.

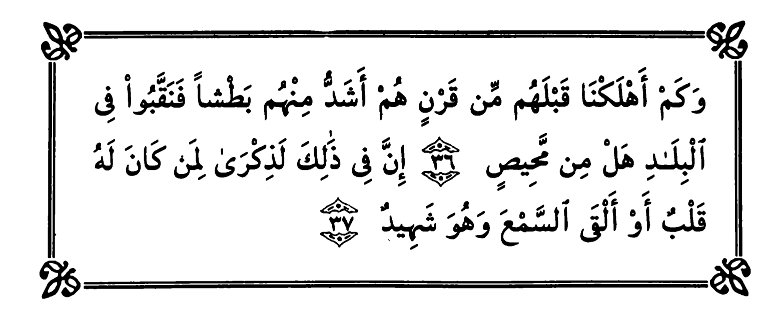
﴿بِسَلَٰمٍ﴾: سالمين من العذاب، وزوال النعم، أو مسلّماً عليكم من الله وملائكته.

﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ * لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾: وهو ما لا يخطر ببالهم ممّا لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٤١٦، س ١٣.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٢٦، س ١٨.　　　٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٢٧، س ١.



القمّي: قال: النظر إلى رحمة الله[١].

وقد مضى في سورة السجدة[٢] ولقمان[٣] حديث في معنى هذه الآية.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم﴾: قبل قومك.

﴿مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشاً﴾: قوّة، كعاد وثمود.

﴿فَنَقَّبُواْ فِي ٱلْبِلَـٰدِ﴾: فخرقوا البلاد، وتصرّفوا فيها أو جالوا في الأرض كلّ مجال، وأصل التنقيب: التنقير عن الشيء، والبحث عنه.

﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾: لهم من الله أو من الموت.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾: أي قلب واع يتفكّر في حقائقه.

في الكافي: عن الكاظم عليه السلام في حديث هشام، يعني عقل[٤].

﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾: أصغى لاستماعه.

﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾: حاضر بذهنه ليفهم معانيه، وفي تنكير القلب وإبهامه تفخيم وإشعار بأنّ كلّ قلب لا يتفكّر ولا يتدبّر كلا قلب.

في المعاني: عن أمير المؤمنين عليه السلام أنا ذو القلب، ثمّ تلا هذه الآية في حديث له[٥].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٢٧، س ١.

٢ ـ ذيل الآية: ١٧، أنظر ج ٥، ص ٥٤٧ ـ ٥٤٩ من كتابنا تفسير الصافي.

٣ ـ لم نعثر عليه، والظاهر أنّه سهو من قلمه الشريف أو من النسّاخ، مع العلم أنّ سورة لقمان قبل السجدة لا بعدها.

٤ ـ الكافي: ج ١، ص ١٦، س ٨، ح ١٢، باب العقل والجهل.

٥ ـ معاني الأخبار: ص ٥٩، س ١٠، ح ٩، باب معاني أسماء محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة عليهم السلام.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: مرّ تفسيره مراراً.

﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾: من تعب وإعياء، وهو ردّ لما زعمت اليهود من أنّه تعالى بدأ خلق العالم يوم الأحد، وفرغ منه يوم الجمعة، واستراح يوم السبت، واستلقى على العرش.

وفي روضة الواعظين: روي أنّ اليهود أتت النبي ﷺ فسألته عن خلق السماوات والأرض؟ فقال: خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال وما فيهنّ يوم الثلاثاء، وخلق يوم الأربعاء: الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب، وخلق يوم الخميس: السماء، وخلق يوم الجمعة: النجوم والشمس والقمر والملائكة، قالت اليهود: ثمّ ماذا يا محمّد؟ قال: ثمّ استوى على العرش، قالوا: قد أصبت لو أتممت، قالوا: ثمّ استراح، فغضب النبي ﷺ غضباً شديداً فنزلت «وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ» الآية[1].

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾: ما يقول المشركون من وصف الحقّ بما لا يليق بجنابه.

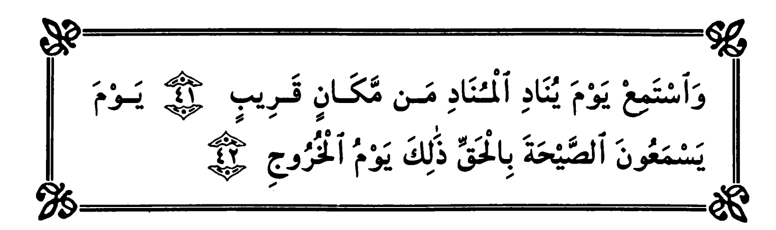
﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: ونزّهه عن الوصف بما يوجب التشبيه حامداً له على ما أنعم عليك من إصابة الحقّ وغيرها.

﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾: يعني الفجر والعصر، وقد مضى فضيلة الوقتين.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾: وسبّحه بعض الليل.

---

١ ـ روضة الواعظين: ص ٣٩٤، س ١٤.



﴿وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾: وأعقاب الصلاة، وقرئ بالكسر من أدبرت الصلاة إذا انقضت.

في المجمع: عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية؟ فقال: تقول حين تصبح وحين تمسي عشر مرّات: «لا إلـه إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كلّ شيء قدير»(١).

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام أنّه سئل عن قوله تعالى: «وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ» فقال: ركعتان بعد المغرب(٢).

ومثله في المجمع: عن النبي، وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما، والحسن المجتبى عليه السلام(٣).

والقمّي: عن الرضا عليه السلام قال: أربع ركعات بعد المغرب(٤).

وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام إنّه الوتر من آخر الليل(٥).

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾: قيل: للبعث وفصل القضاء(٦).

والقمّي: قال: يناد المنادي باسم القائم واسم أبيه عليهما السلام(٧).

﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾: بحيث يصل نداؤه إلى الكلّ على سواء.

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ﴾: القمّي: قال: صيحة القائم من السماء(٨).

﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾: القمّي: عن الصادق عليه السلام قال: هي الرجعة(٩).

١ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٥٠، س ١٨.

٢ـ الكافي: ج ٣، ص ٤٤٤، ح ١١، باب صلاة النوافل.

٣ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٥٠، س ٢٠.

٤ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٢٧، س ١٢.

٥ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٥٠، س ٢٣.

٦ـ قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ٤، ص ٣٩٣، والبيضاوي في أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٤١٨.

٧ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٢٧، س ٥.

٨ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٢٧، س ٦.

٩ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٢٧، س ٩.

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾: في الدنيا.

﴿وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾: في الآخرة.

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ﴾: تتشقّق، وقرئ بالتخفيف.

﴿ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً﴾: مسرعين.

﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ﴾: بعث وجمع.

﴿عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾: هيّن، القمّي: قال: في الرجعة[١][٢].

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾: تسلية للرسول صلّى الله عليه وآله[٣]، وتهديد لهم.

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾: بمسلّط تقهرهم على الإيمان أو تفعل بهم ما تريد، وإنّما أنت داع.

﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾: فإنّه لا ينتفع به غيره.

في ثواب الأعمال[٤]، والمجمع: عن الباقر عليه السلام من أدمن في فرائضه ونوافله سورة قٓ وسّع الله عليه في رزقه، وأعطاه كتابه بيمينه، وحاسبه حساباً يسيراً[٥].

* * *

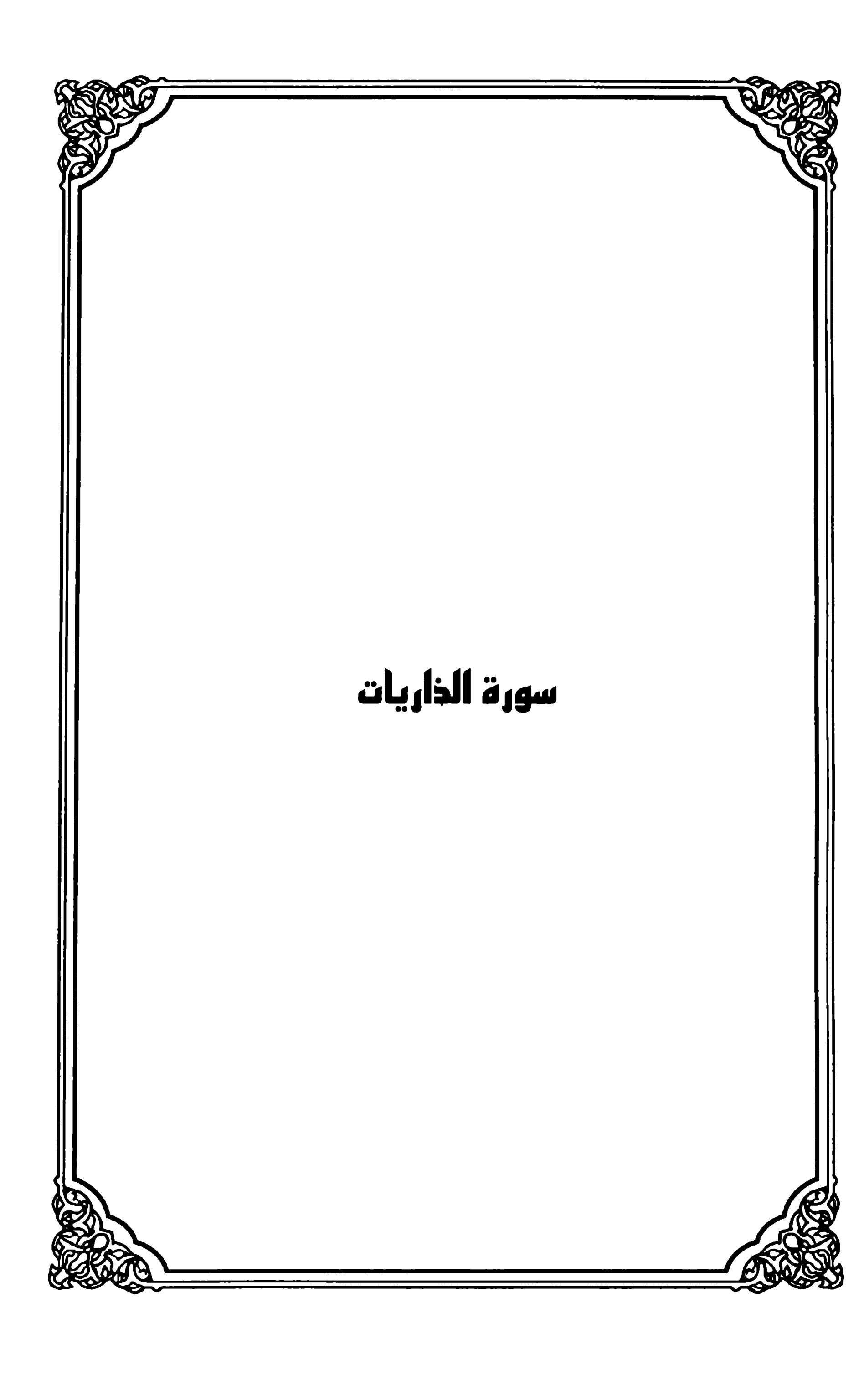
١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٢٧، س ١٠.

٢ ـ التفسير بالرجعة في كلتا الآيتين مروي عن الصادق عليه السلام في كتاب حسن بن سليمان. منه قدّس سرّه.

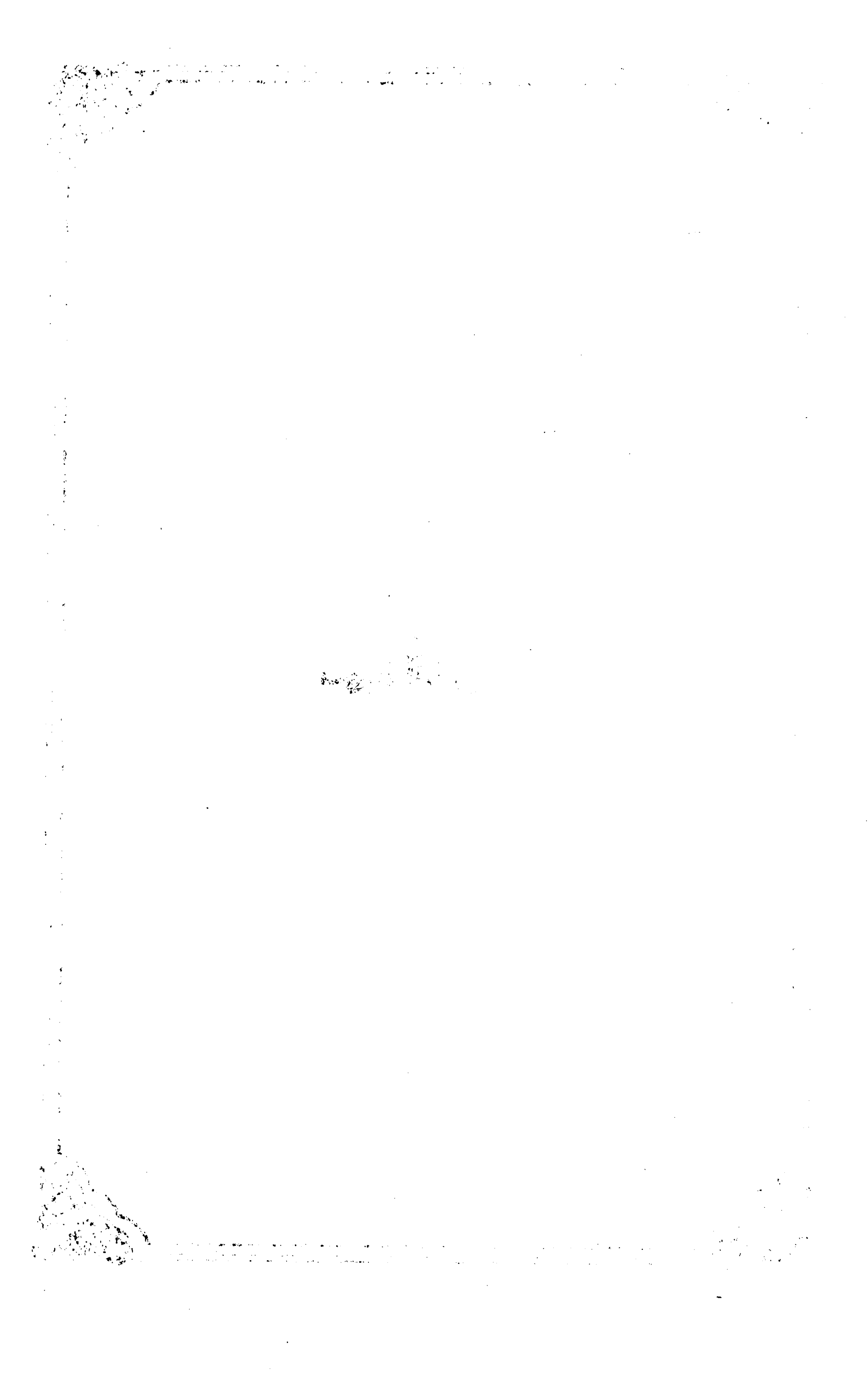
٣ ـ وفي نسخة: [للنبي].

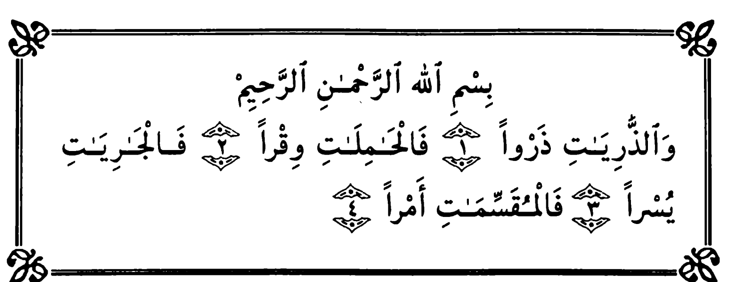
٤ ـ ثواب الأعمال: ص ١١٥، ح ١، باب ثواب قراءة سورة قٓ.

٥ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٤٠، في فضلها.

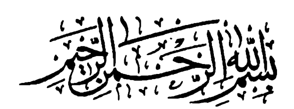


سورة الذاريات





سورة الذاريات: مكيّة، عدد آيها ستون آية بالإجماع.



﴿وَٱلذَّٰرِيَـٰتِ ذَرْواً﴾: يعني الرياح تذرو التراب وغيره.

﴿فَٱلْحَـٰمِلَـٰتِ وِقْراً﴾: فالسحب الحاملة للأمطار.

﴿فَٱلْجَـٰرِيَـٰتِ يُسْراً﴾: فالسفن الجارية في البحر سهلاً.

﴿فَٱلْمُقَسِّمَـٰتِ أَمْراً﴾: الملائكة التي تقسم الأُمور من الأمطار والأرزاق وغيرهما.

القمّي: عن الصادق عليه السلام إنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه سئل عن «ٱلذَّٰرِيَـٰتِ ذَرْواً» قال: الريح، وعن «ٱلْحَـٰمِلَـٰتِ وِقْراً» قال: السحاب، وعن «ٱلْجَـٰرِيَـٰتِ يُسْراً» قال: هي السفن، وعن «ٱلْمُقَسِّمَـٰتِ أَمْراً» قال: الملائكة[١].

وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام مثله[٢].

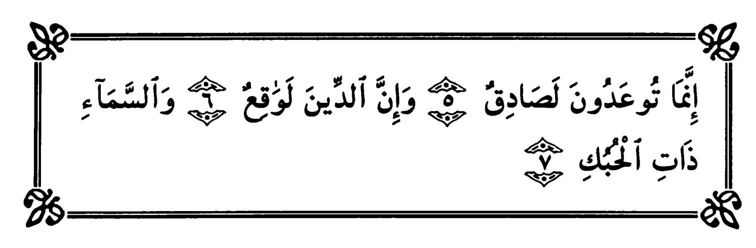
وفي الفقيه: عن الرضا عليه السلام في قوله: «فَٱلْمُقَسِّمَـٰتِ أَمْراً» قال: الملائكة تقسم أرزاق بني آدم ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فمن ينام فيما بينهما ينام عن رزقه[٣].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٢٧، س ١٨.

٢ ـ الاحتجاج: ج ١، ص ٣٨٦، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام وأجوبته مسائل ابن الكوا.

٣ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٣١٩، ح ١٤٥٤ / ١٢، باب ٧٨ ـ كراهيّة النوم بعد الغداة.



والقمّي: وهو قسم كلّه[1].

وفي المجمع: عن الباقر والصادق عليهما السلام قالا: لا يجوز لأحد أن يقسم إلّا بالله تعالى، والله سبحانه يقسم بما شاء من خلقه[2].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام ما في معناه[3].

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ * وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾: جواب القسم، قيل: كأنّه استدلّ باقتداره على هذه الأشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على إقتداره على البعث للجزاء الموعود، والدين: الجزاء، والواقع: الحاصل[4].

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾: قيل: ذات الطرائق الحسنة[5].

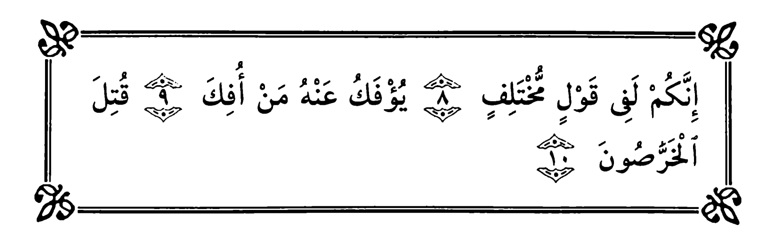
وأُريد بها مسير الكواكب أو نضدها على طرائق التزيين.

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام ذات الحسن والزينة[6].

والقمّي: عن الرضا عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية؟ فقال: هي محبوكة إلى الأرض، وشبّك بين أصابعه، فقيل: كيف تكون محبوكة إلى الأرض والله يقول: «رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ»[7]؟ فقال: سبحان الله، أليس يقول: «بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا»[8] فقيل: بلى، فقال: فثمّ عمد، ولكن لا ترونها، فقيل: كيف ذلك؟ فبسط كفّه اليسرى، ثمّ وضع يده اليمنى عليها، فقال: هذه أرض الدنيا، والسماء الدنيا عليها فوقها قبّة، والأرض الثانية: فوق السماء الدنيا، والسماء الثانية فوقها قبّة، والأرض الثالثة فوق السماء الثانية، والسماء الثالثة فوقها قبّة، والأرض الرابعة فوق

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٢٧، س ٢١. ٢ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٥٣، س ١.
٣ ـ الكافي: ج ٧، ص ٤٤٩، ح ١، باب لا يجوز أن يحلف الإنسان إلّا بالله عزّ وجلّ.
٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٤١٩، س ٧.
٥ ـ قاله الطبرسي في تفسيره مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٥٣، س ٥.
٦ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٥٣، س ٦. ٧ و٨ ـ الرعد: ٢.



السماء الثالثة، والسماء الرابعة فوقها قبّة، والأرض الخامسة فوق السماء الرابعة، والسماء الخامسة فوقها قبّة، والأرض السادسة فوق السماء الخامسة، والسماء السادسة فوقها قبّة، والأرض السابعة فوق السماء السادسة، والسماء السابعة فوقها قبّة، وعرش الرحمان تبارك وتعالى فوق السماء السابعة، وهو قول الله: «ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقاً»[1] «وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ»[2]، فأمّا صاحب الأمر فهو رسول الله، والوصي بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله قائم هو على وجه الأرض، فإنّما يتنزّل الأمر إليه من فوق السماء بين السماوات والأرضين، قيل: فما تحتنا إلّا أرض واحدة؟ فقال: وما تحتنا إلّا أرض واحدة وإنّ الست لهي فوقنا[3].

والعيّاشي: عنه عليه السلام مثله [4][5].

أقول: لكلّ سماء ملكوت هو فوق تلك السماء، فكأنّه عليه السلام جعل ملكوت كلّ سماء سماء بالاضافة إليها، وتلك السماء أرضاً بالإضافة إليه[6].

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ * يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾: يصرف عنه من صرف.

في الكافي: عن الباقر عليه السلام «لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ» في أمر الولاية، قال: من أفك عن الولاية أفك عن الجنّة[7]. والقمّي: ما في معناه[8].

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾: الكذّابون من أصحاب القول المختلف، وأصله الدعاء بالقتل

---

١ ـ الملك: ٣.   ٢ ـ الطلاق: ١٢.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٢٨، س ٢.   ٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٠٣، ح ٣.

٥ ـ رواه في المجمع عن العيّاشي في سورة الطلاق. منه قدّس سرّه.

أقول: راجع مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٣١١، س ٤.

٦ ـ وفي نسخة: [أقول: كأنّه جعل كل سماء أرضاً بالإضافة إلى ما فوقها وسماءاً بالإضافة إلى ما تحتها، فيكون التعدّد باعتبار تعدّد سطحيها]. كما جاء في هامش المخطوطة.

٧ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٢٢، ح ٤٨، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.   ٨ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٢٩.

ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هَـٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَـٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾

أُجري مجرى اللعن.

القمّي: الخرّاصون: الذين يخرصون الدين بآرائهم من غير علم ولا يقين(١).

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾: في جهل وضلال يغمرهم.

﴿سَاهُونَ﴾: غافلون عمّا أُمروا به.

﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾: متى يكون يوم الجزاء، أي وقوعه.

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾: يحرقون ويعذّبون.

﴿ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هَـٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾: يقال لهم هذا القول.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ * ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَـٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾: قابلين لما أعطاهم راضين به، ومعناه أنّ كلّ ما آتاهم حسن مرضيّ متلقّى بالقبول.

﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾: قد أحسنوا أعمالهم، وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك

﴿كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾: ينامون، تفسير لإحسانهم.

في الكافي(٢)، والمجمع: عن الصادق عليه السلام كانوا أقلّ الليالي يفوتهم لا يقومون فيها(٣).

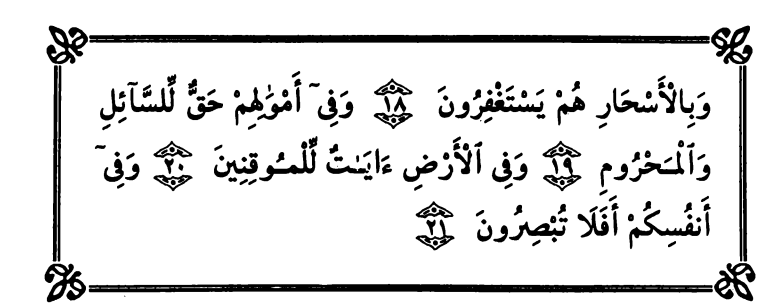
وفي التهذيب: عن الباقر عليه السلام كان القوم ينامون ولكن كلّما انقلب أحدهم قال: الحمد

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٢٩، س ٢١.

٢ ـ الكافي: ج ٣، ص ٤٤٦، ح ١٨، باب صلاة النوافل.

٣ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٥٥، س ٢٠. والنص للأول.



لله، ولا إلـه إلّا الله والله أكبر[١].

﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾: في التهذيب[٢]، والمجمع: عن الصادق عليه السلام كانوا يستغفرون الله في الوتر في آخر الليل سبعين مرّة[٣].

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ﴾: نصيب يستوجبونه على أنفسهم تقرّباً إلى الله وإشفاقاً علـى الناس.

﴿لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: المحروم: المحارف الذي قد حرم كدّ يده في الشراء والبيع[٤].

وعنه، وعن أبيه عليهما السلام، أنّهما قالا: المحروم: الرجل الذي ليس بعقله بأس، ولا يبسط له في الرزق وهو المحارف[٥].

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾: دلائل تدل على عظمة الله، وعلمه، وقدرته، وإرادته، ووحدته، وفرط رحمته كما قيل:

وفي كـلّ شيء له آيـة   تـدل عـلى أنّـه واحـد[٦].

﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ﴾: أي وفي أنفسكم آيات إذ ما في العالم شيء إلّا وفي الإنسان له نظير

---

١ ـ تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ٣٣٥، ح ١٣٨٤ / ٢٤٠، باب ١٥ ـ كيفيّة الصلاة وصفتها والمفروض مـن ذلك والمسنون.

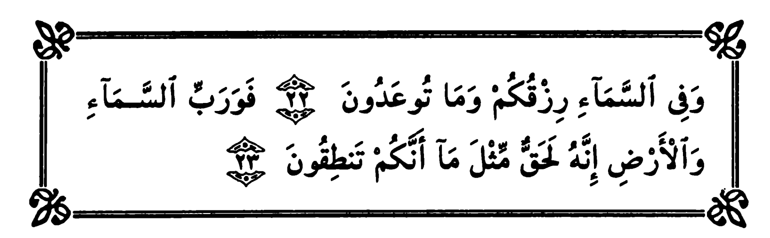
٢ ـ تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ١٣٠، ح ٤٩٨/ ٢٦٦، باب ٨ ـ كيفيّة الصلاة وصفتها وشرح الإحدى وخمسين ركعة وترتيبها والقراءة فيها.

٣ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٥٥، س ٢٦.

٤ ـ الكافي: ج ٣، ص ٥٠٠، ح ١٢، باب فرض الزكاة وما يجب في المال من الحقوق.

٥ ـ الكافي: ج ٣، ص ٥٠٠، ذيل حديث ١٢، باب فرض الزكاة وما يجب في المال من الحقوق. وفيه: «لم يبسط».

٦ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٣٠، س ٧؛ ومجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٥٦، س ٤.



يدل دلالته مع ما انفرد به من الهيئات النافعة، والمناظر البهيّة، والتركيبات العجيبة، والتمكّن من الأفعال الغريبة، واستنباط الصنايع المختلفة، واستجماع الكمالات المتنوّعة.

في المجمع: عن الصادق عليه السلام يعني إنّه خلقك سميعاً بصيراً تغضب، وترضى، وتجوع، وتشبع، وذلك كلّه من آيات الله[1]. والقمّي: مثله[2].

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾: تنظرون نظر من يعتبر.

في الخصال: عن الصادق، عن أبيه، عن أبيه عليهما السلام إنّ رجلاً قام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين بما عرفت ربّك؟ قال: بفسخ العزم، ونقض الهمّ، لمّا أن همت فحال بيني وبين همّي، وعزمت فخالف القضاء عزمي، علمت أنّ المدبّر غيري[3].

وفي التوحيد: مثل هذا السؤال والجواب عن الصادق عليه السلام[4].

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾: أسباب رزقكم.

﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾: قيل: أي الجنّة فإنّها فوق السماء السابعة[5].

والقمّي: قال: المطر ينزل من السماء فتخرج به أقوات العالم من الأرض وما توعدون من أخبار الرجعة، والقيامة والأخبار التي في السماء[6].

وعن الحسن المجتبى عليه السلام: أنّه سئل عن أرزاق الخلائق، فقال: في السماء الرابعة تنزل بقدر، وتبسط بقدر[7].

﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾: أي مثل نطقكم

١ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٥٦، س ٩. ٢ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٣٠، س ٨.
٣ـ الخصال: ص ٣٣، ح ١، باب ٢ ـ معرفة التوحيد بخصلتين.
٤ـ التوحيد: ص ٢٨٩، ح ٨، باب ٤١ـ في أنّه عزّ وجلّ لا يعرف إلّا به.
٥ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٤٢٠، س ١٩.
٦ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٣٠، س ١٠. ٧ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٧١، س ٢٢.

هَلْ أَتَـٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾

كما أنّه لا شكّ لكم في أنّكم تنطقون ينبغي أن لا تشكّوا في تحقيق ذلك، وقرئ «مِثْلُ» بالرفع.

﴿هَلْ أَتَـٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ﴾: عدل به إلى الرفع لقصد الثبات حتّى تكون تحيّته أحسن من تحيّتهم[1]، وقرئ «سَلْمٌ».

﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾: أي أنتم قوم منكرون.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾: فذهب إليهم في خفية من ضيفه، فإنّ من أدب المضيّف أن يبادر بالقرى حذراً من أن يكفّه الضيف أو يصير منتظراً.

﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾: لأنّه كان عامّة ماله البقر.

﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾: أي منه.

﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾: فأضمر منهم خوفاً لما رآى إعراضهم عن طعامه لظنّه أنّهم جاؤوه لشرّ.

﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾: إنّا رسل ربّك.

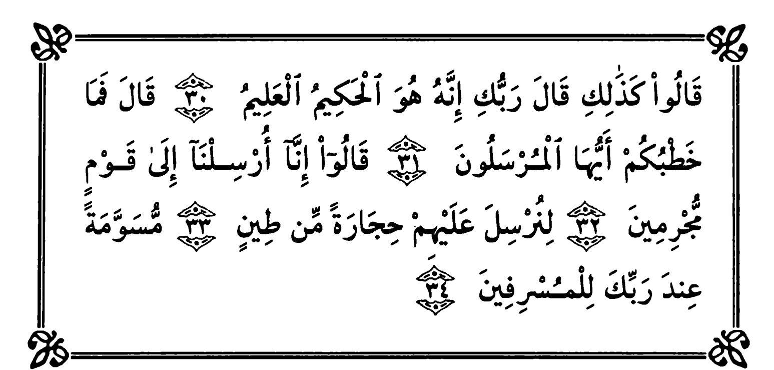
﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ﴾: هو إسحاق.

﴿عَلِيمٍ﴾: يكمل علمه إذا بلغ.

﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ﴾: سارة.

---

١ ـ وفي نسخة: [أكثر من تحيّتهم].


قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾

﴿فِى صَرَّةٍ﴾: قيل: في صيحة من الصرير[١].

وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام في جماعة[٢]. والقمّي: مثله[٣].

﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾: قيل: فلطمت بأطراف الأصابع جبهتها فعل المتعجّب[٤].

والقمّي: أي غطّته[٥].

﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾: أي أنا عجوز عاقر فكيف ألد؟

﴿قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾: وإنّما نخبرك به عنه.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾: فيكون قوله حقّاً، وفعله محكماً.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: لمّا علم أنّهم ملائكة، وأنّهم لا ينزلون مجتمعين إلّا لأمر عظيم سأل عنه.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾: يعنون قوم لوط.

﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾: يريد السجّيل، فإنّه طين متحجّر.

﴿مُّسَوَّمَةً﴾: مرسلة أو معلّمة.

﴿عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾: المجاوزين الحد في الفجور.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٤٢١، س ١٦.

٢ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٥٧، س ٢٦. ٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٣٠، س ١٥.

٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٤٢١، س ١٧.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٣٠، س ١٥.

فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَـٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾: في قرى قوم لوط.

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: ممّن آمن بلوط.

﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: غير أهل بيت، وهي منزل لوط كما في العلل عن النبي صلى الله عليه وآله[1].

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً﴾: علامة عبرة للسيّارة.

﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾: فإنّهم المنتفعون بها[2]، وقد مضت هذه القصّة في سورة الأعراف[3] وهود[4] والحجر[5] مفصّلة.

﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾: هو معجزاته كاليد والعصا.

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾: فأعرض عن الإيمان به كقوله: «وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ»[6]، أو فتولّى بما كان يتقوّى به من جنوده.

﴿وَقَالَ سَـٰحِرٌ﴾: أي هو ساحر.

﴿أَوْ مَجْنُونٌ﴾: كأنّه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوباً إلى الجنّ وتردّد في أنّه

---

١ ـ علل الشرائع: ص ٥٤٨، س ٢١، ح ٤، باب ٣٤٠ ـ علّة تحريم اللواط والسحق.
٢ ـ وفي نسخة: [المعتبرون بها].
٣ ـ ذيل الآية: ٨٤، أُنظر ج ٣، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ من كتابنا تفسير الصافي.
٤ ـ ذيل الآية ٨٢، أُنظر ج ٤، ص ٦٣ ـ ٦٨ من كتابنا تفسير الصافي.
٥ ـ ذيل الآية ٥٨، أُنظر ج ٤، ص ٢٨٥ من كتابنا تفسير الصافي.
٦ ـ فصّلت: ٥١.

فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾

حصل ذلك باختياره وسعيه أو بغيرهما.

﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾: فأغرقناهم في البحر.

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: آت بما يلام عليه من الكفر والعناد.

﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾: قيل: سمّاها عقيماً لأنّها أهلكتهم، وقطعت دابرهم، أو لأنّها لم تتضمّن منفعة[1].

في الفقيه: عن أمير المؤمنين عليه السلام الرياح خمسة، منها: الريح العقيم، فتعوّذوا بالله من شرّها[2].

وفيه[3]، وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام إنّ لله عزّ وجلّ جنوداً من الريح يعذّب بها من عصاه[4].

﴿مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾: مرّت عليه.

﴿إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾: كالرماد من الرمّ، وهو البلى والتفتت.

﴿وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ﴾: تمتّعوا في داركم ثلاثة أيّام.

﴿فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾: فاستكبروا عن إمتثاله.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ﴾: بعد الثلاثة، وقرئ الصعقة، وهي المرّة من الصعق.

١ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنيل: ج ٢، ص ٤٢٢، س ١١.

٢ـ من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٣٤٥، ح ١٥٢٧ / ١٩، باب ٨١ـ صلاة الكسوف والزلازل والرياح والظلم وعلّتها.

٣ـ من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٣٤٤، ح ١٥٢٥ / ١٧، باب ٨١ـ صلاة الكسوف والزلازل والرياح والظلم وعلّتها.

٤ـ الكافي: ج ٨، ص ٩١، ح ٦٣.

فَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فَـٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَـٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾

﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾: إليها، فإنّها جاءتهم معاينة بالنهار.

﴿فَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ﴾: ممتنعين منه، وقد مضت قصّتهم غير مرّة.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾: وقرئ بالجرّ.

﴿مِّن قَبْلُ﴾: من قبل هؤلاء.

﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فَـٰسِقِينَ﴾: خارجين عن الإستقامة بالكفر والعصيان.

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾: بقوّة.

﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾: قيل: أي لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة، أو لموسّعون السماء[1].

﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَـٰهَا﴾: مهّدناها لتستقرّوا عليها.

﴿فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ﴾: نحن.

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: في الكافي: عن الرضا عليه السلام في خطبة: وبمضادّته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له، وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له، ضادّ النور بالظلمة، واليبس بالبلل، والخشن باللين، والصرد[2] بالحرور، مؤلّفاً بين متعادياتها، مفرّقاً بين متدانياتها، دالّة بتفريقها على مفرّقها، وبتأليفها على مؤلّفها، وذلك قوله: «وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» ففرّق من قبل وبعد، ليعلم أن لا قبل له، ولا

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٤٢٣، س ٢.

٢ ـ الصرد ـ بفتح الصاد وكسر الراء المهملة ـ: من يجد البرد سريعاً. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٨٥، مادة «صرد».

فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهاً ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾

بعد، الحديث[١].

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: قيل: فرّوا من عقابه بالإيمان والتوحيد وملازمة الطاعة[٢].

وفي الكافي[٣]، والمعاني: عن الباقر عليه السلام «فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ» قال: حجّوا إلى الله[٤].

وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام مثله[٥].

﴿إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: قيل: أي من عذابه المعدّ لمن أشرك وعصى[٦].

﴿وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهاً ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: تكرير للتأكيد، أو الأوّل مرتّب على ترك الإيمان والطاعة، والثاني على الإشراك.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي الأمر مثل ذلك، والإشارة إلى تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وآله وتسميتهم إيّاه ساحراً أو مجنوناً.

﴿مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾: كالتفسير له.

﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِ﴾: أي كان الأوّلين والآخرين منهم أوصى بعضهم بعضاً بهذا القول حتّى قالوه جميعاً.

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ١٣٩، س ٤، ح ٤، باب جوامع التوحيد.

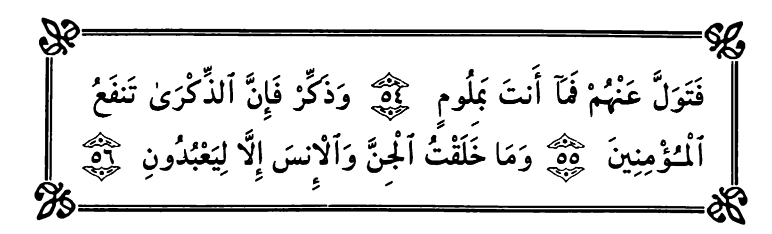
٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٤٢٣، س ٥.

٣ ـ الكافي: ج ٤، ص ٢٥٦، ح ٢١، باب فضل الحج والعمرة وثوابهما.

٤ ـ معاني الأخبار: ص ٢٢٢، ح ١، باب معنى الفرار إلى الله عزّ وجلّ.

٥ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٦٠، س ٢٤.

٦ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٤٢٣، س ٦.



﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾: إضراب عن أنّ التواصي جامعهم لتباعد أيّامهم إلى أنّ الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم في الطغيان الحامل عليه.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: فأعرض عن مجادلتهم بعد ما كرّرت عليهم الدعوة فأبوا إلّا الإصرار والعناد.

﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾: على الإعراض بعدما بذلت جهدك في البلاغ.

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: فإنّها تزداد بصيرة.

في الكافي: عن الباقر والصادق عليهما السلام أنّهما قالا: إنّ الناس لمّا كذّبوا رسول الله صلّى الله عليه وآله همّ الله تبارك وتعالى بإهلاك أهل الأرض إلّا عليّاً فما سواه بقوله: «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ»، ثمّ بدا له فرحم المؤمنين، ثمّ قال لنبيّه صلّى الله عليه وآله: «وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ»[1]. والقمّي مثله[2].

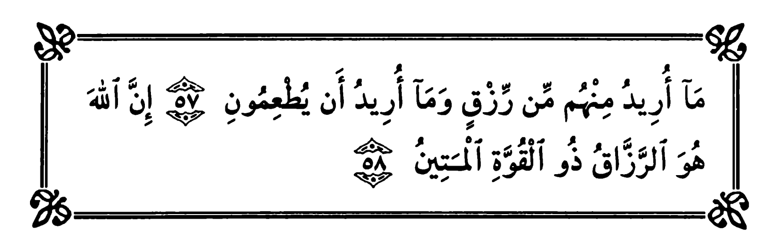
وفي العيون: عن الرضا عليه السلام أراد هلاكهم، ثمّ بدا لله فقال: «وَذَكِّرْ» الآية[3].

وفي المجمع: عن علي عليه السلام لمّا نزلت: «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ» لم يبق أحد منّا إلّا أيقن بالهلكة، فلمّا نزل: «وَذَكِّرْ» الآية طابت أنفسنا[4].

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾: في العلل: عن الصادق عليه السلام قال: خرج الحسين بن علي عليهما السلام على أصحابه فقال: أيّها الناس إنّ الله جلّ ذكره ما خلق العباد إلّا ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه، وإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه، فقال له رجل: يابن رسول الله بأبي أنت وأمّي فما معرفة الله؟ قال: معرفة أهل كلّ زمان إمامهم الذي تجب

---

١ ـ الكافي: ج ٨، ص ١٠٣، ح ٧٨.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٣٠ ـ ٣٣١.
٣ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٨١، ح ١، باب ١٣ ـ في ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع سليمان المروزي متكلّم خراسان عند المأمون في التوحيد.
٤ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٦١، س ٥.



عليه طاعته(١).

وعن الصادق عليه السلام: إنّه سئل عن هذه الآية فقال: خلقهم ليأمرهم بالعبادة، قيل: قوله تعالى: «وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رِحَم رَبِّكَ وَلِذٰلِكَ خَلَقَهُمْ»، قال: خلقهم ليفعلوا ما يستوجبون به رحمته فيرحمهم(٢).

والقمّي: قال: خلقهم للأمر والنهي والتكليف، وليست خلقة جبران يعبدوه، ولكن خلقة اختيار ليختبرهم بالأمر والنهي، ومن يطع الله ومن يعصي(٣).

وفي حديث آخر: هي منسوخة بقوله: «وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ»(٤).

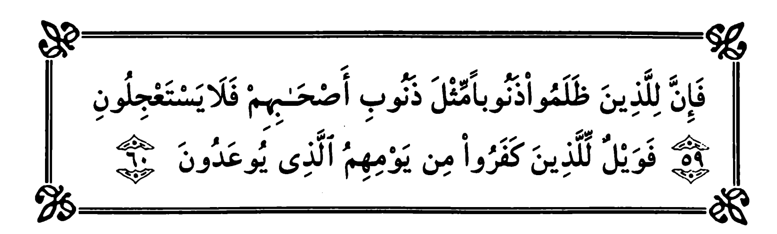
والعيّاشي: عنه عليه السلام إنّه سئل عنها قال: خلقهم للعبادة، قيل: قوله: «وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رِحَم رَبِّكَ»، فقال: نزلت هذه بعد تلك(٥).

أقول: لمّا كان خلق العالم إنّما هو للإمام الذي لا تخلوا الأرض منه، وخلق الإمام إنّما هو للعبادة الناشئة من المعرفة المورثة لمعرفة اُخرى كما حقّق في محلّه، صحّ أن يقال: خلق الجنّ والإنس إنّما هو لحصول العبادة، ولمّا كان الكلّ داخلاً تحت التكليف والعبادة مطلوبة من الكلّ اختياراً واختباراً وإن لم يأتمر الكلّ بسوء اختيار بعضهم جاز أن يقال: خلقهم إنّما هو للتكليف بها، ولمّا صاروا مختلفين وتمرّد أكثرهم عن العبادة بعد كونهم جميعاً مأمورين بها جاز أن يقال: هذه منسوخة بتلك، فالأخبار كلّها متلائمة غير مختلفة، ولا نسخ في الحقيقة بالمعنى المعهود منه، فليتدبّر.

﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾: كما هو شأن السادة مع

---

١ و ٢ ـ علل الشرائع: ص ٩ و ١٣، ح ١ و ١٠، باب ٩ ـ علّة خلق الخلق واختلاف أحوالهم.
٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٣١، س ٣. ٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٣١، س ٥.
٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ١٦٤، ح ٨٣.


فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَـٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

عبيدهم[١]، فإنّهم إنّما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم، تعالى الله عن ذلك.

قيل: ويحتمل أن يقدر بقل، فيكون بمعنى قوله: «قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً»[٢][٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾: الذي يرزق كلّ ما يفتقر إلى الرزق.

﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ * فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: رسول الله بالتكذيب، وغصب حقوق أهل بيته عليهم السلام، القمّي: ظلموا آل محمّد صلوات الله عليهم حقّهم[٤].

﴿ذَنُوباً﴾: نصيباً من العذاب.

﴿مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَـٰبِهِمْ﴾: مثل نصيب نظرائهم من الأُمم السالفة، وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء، فإنّ الذنوب هو الدلو العظيم المملوّ.

﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾: القمّي: العذاب[٥].

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾: من يوم القيامة أو الرجعة.

في ثواب الأعمال[٦]، والمجمع: عن الصادق عليه السلام من قرأ سورة الذاريات في يومه أو في ليلته أصلح الله معيشته، وأتاه برزق واسع، ونوّر له قبره بسراج يزهر إلى يوم القيامة إن شاء الله[٧].

إلى هنا ينتهي الجزء السادس حسب تجزئتنا، ويليه الجزء السابع إن شاء الله، وأوّله سورة الطور، وذلك في غرّة شهر رمضان المبارك سنة ١٤١٨ هـ.

قم المقدّسة

السيد محسن الحسيني الأميني

---

١ ـ هكذا في الأصل. والصحيح أن يقال: «إنّ شأنه مع عباده ليس شأن السادة مع عبيدهم».

٢ ـ الأنعام: ٩٠.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٤٢٤، س ١.

٤ و ٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٣١ و ٣٣٠.

٦ ـ ثواب الأعمال: ص ١١٥، ح ١، باب ثواب قراءة سورة الذاريات.

٧ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٥١، في فضلها.

الفهرس

﴿ سورة الأحزاب ﴾

(٣٣)

﴿ سورة سبأ ﴾
(٣٤)

﴿ سورة فاطر ﴾
(٣٥)

﴿ سورة يٓس ﴾
(٣٦)

﴿ سورة الصافّات ﴾

(٣٧)

﴿ سورة صٓ ﴾
(٣٨)

﴿ سورة الزمر ﴾
(٣٩)

﴿ سورة غافر ﴾

(٤٠)

﴿ سورة فصّلت ﴾
(٤١)

﴿ سورة الشورى ﴾
(٤٢)

﴿ سورة الزخرف ﴾
(٤٣)

﴿ سورة الدخان ﴾
(٤٤)

﴿ سورة الجاثية ﴾
(٤٥)

﴿ سورة الأحقاف ﴾
(٤٦)

﴿ سورة محمّد ﴾
(٤٧)

﴿ سورة الفتح ﴾

(٤٨)

﴿ سورة الحجرات ﴾

(٤٩)

﴿ سورة قٓ ﴾

(٥٠)

﴿ سورة الذاريات ﴾

(٥١)



مصادر التحقيق

١ ـ الإحتجاج: لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، منشورات القدس ـ إيران.

٢ ـ إحياء علوم الدين: لأبي حامد الغزالي، منشورات دار الفكر ـ بيروت.

٣ ـ إرشاد القلوب: للشيخ أبو محمّد الحسن بن محمّد الديلمي، منشورات الشريف الرضي، إيران ـ قم.

٤ ـ أسباب النزول: للواحدي النيسابوري، منشورات دار ومكتبة الهلال ـ بيروت.

٥ ـ أسرار الصلاة: للشهيد قدس سره.

٦ ـ الإصابة في تميز الصحابة: لابن حجر العسقلاني، منشورات دار صادر ـ بيروت.

٧ ـ الإعتقادات في دين الاماميّة: للشيخ الصدوق، منشورات محلاتي إيران ـ قم.

٨ ـ اعلام الورى لأعلام الهدى: للشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، منشورات دار الكتب الإسلامية، إيران ـ قم.

٩ ـ اقبال الأعمال: للسيد ابن طاووس، منشورات دار الكتب الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

١٠ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: منشورات الأعلمي، بيروت ـ لبنان.

١١ ـ الأمالي للشيخ الطوسي: منشورات دار الثقافة، إيران ـ قم.

١٢ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لعبدالله بن عمر البيضاوي، اُفست إيران.

١٣ ـ بحار الأنوار: للعلامة المجلسي، منشورات دار الكتب الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

١٤ ـ البداية والنهاية: لابن كثير، منشورات دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٥ ـ البرهان في تفسير القرآن: للعلامة السيد هاشم البحراني، منشورات اسماعيليان، إيران ـ قم.

١٦ ـ بشارة المصطفى لشيعة المرتضى: لأبي القاسم الطبري، منشورات المكتبة الحيدريّة

ومطبعتها في النجف.

١٧ ـ بصائر الدرجات: للشيخ محمّد بن الحسن الصفار، منشورات الأعلمي، إيران ـ طهران.

١٨ ـ تاج العروس من جواهر القاموس: للسيد محمّد مرتضى الحسيني الزبيدي، منشورات دار الهداية، تحقيق مصطفى حجازي.

١٩ ـ التبيان: للشيخ الطوسي، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٠ ـ تحف العقول: لابن شعبة الحراني، منشورات النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم.

٢١ ـ تفسير أبي السعود: للقاضي أبي السعود، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٢ ـ تفسير البغوي: لحسين بن مسعود الفرّاء البغوي، منشورات دار المعرفة، بيروت.

٢٣ ـ تفسير روح البيان: للعلّامة الشيخ إسماعيل حقي، طبع بيروت.

٢٤ ـ تفسير روح المعاني: للعلّامة الآلوسي البغدادي، منشورات دار إحياء التراب العربي، بيروت.

٢٥ ـ تفسير العياشي: لمحمّد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعيّاشي، منشورات المكتبة العلميّة الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

٢٦ ـ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: للعلّامة حسن بن محمّد بن حسين القمّي النيسابوري، منشورات دار الجيل ـ بيروت.

٢٧ ـ تفسير غريب القرآن الكريم: للشيخ الطريحي، منشورات الزاهدي، إيران ـ قم.

٢٨ ـ تفسير فرات الكوفي: لفرات بن إبراهيم الكوفي، تحقيق محمّد كاظم، إيران.

٢٩ ـ تفسير القرآن العظيم: لإسماعيل بن كثير، منشورات دار القلم.

٣٠ ـ تفسير القرآن الكريم: لصدر المتألهين الشيرازي، منشورات بيدار، إيران ـ قم.

٣١ ـ تفسير القمّي: لعلي بن إبراهيم القمّي، منشورات دار الكتاب للطباعة والنشر، إيران ـ قم.

٣٢ ـ تفسير الكبير للفخر الرازي: الطبعة الثالثة، إيران ـ قم.

٣٣ ـ تفسير الكبير المسمّى البحر المحيط: لأبي حيّان، منشورات مؤسسة التاريخ العربي دار إحياء التراث العربي.

٣٤ ـ التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، منشورات مدرسة الإمام المهدي، إيران ـ قم.

٣٥ ـ التوحيد: للشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران ـ قم.

٣٦ ـ تهذيب الأحكام: للشيخ الطوسي، منشورات دار الكتب الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

٣٧ ـ ثواب الأعمال: للشيخ الصدوق، منشورات الشريف الرضي، إيران ـ قم.

٣٨ ـ جامع الأُصول: لابن أثير الجزري، منشورات دار المعرفة، بيروت.

٣٩ ـ جامع البيان في تفسير القرآن: لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبري، منشورات دار الجيل ـ بيروت.

٤٠ ـ الجامع الصغير للإمام السيوطي: منشورات دار الفكر، بيروت.

٤١ ـ الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، منشورات دار إحياء التراث العربي بيروت.

٤٢ ـ جوامع الجامع: للشيخ الطبرسي، منشورات جامعة طهران، إيران ـ طهران.

٤٣ ـ الخرائج والجرائح: لقطب الدين الراوندي، منشورات مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام إيران ـ قم.

٤٤ ـ الخصال: للشيخ الصدوق، نشر جماعة المدرسين، إيران ـ قم.

٤٥ ـ الدر المنثور: للإمام السيوطي، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، إيران ـ قم.

٤٦ ـ ديوان الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام، منشورات الشريف الرضي ـ قم.

٤٧ ـ الذريعة: للشيخ أغا بزرك الطهراني، منشورات دار الأضواء، بيروت.

٤٨ ـ روضة الواعظين: للفتال النيسابوري، منشورات الرضي، إيران ـ قم.

٤٩ ـ السرائر: لابن إدريس الحلي، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، إيران ـ قم.

٥٠ ـ سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار: للمحدث الشيخ عباس القمي، دار الاسوة للطباعة والنشر، إيران ـ قم.

٥١ ـ سنن أبي داود: لأبي داود السجستاني، منشورات دار إحياء السنّة النبويّة.

٥٢ ـ سنن الترمذي: لمحمّد بن عيسى بن سورة، منشورات دار الفكر ـ بيروت.

٥٣ ـ سنن النسائي: لأحمد بن شعيب النسائي، منشورات دار المعرفة، بيروت.

٥٤ ـ السيرة الحلبيّة: لعلي بن برهان الدين الحلبي الشافعي، منشورات دار إحياء التراث العربي.

٥٥ ـ شواهد التنزيل: للحاكم الحسكاني، منشورات مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران ـ طهران.

٥٦ ـ الصحاح: لإسماعيل بن حماد الجوهري، منشورات دار العلم للملايين، بيروت.

٥٧ ـ صحيح مسلم: للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيشابوري، منشورات دار إحياء التراث العربي، لبنان ـ بيروت.

٥٨ ـ الصحيفة الكاملة السجاديّة: لزين العابدين وسيّد الساجدين الإمام علي بن الحسين عليهما السلام، منشورات دار الكتب الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

٥٩ ـ الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم: لعلي بن يونس العاملي النباطي البياضي، منشورات المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، إيران ـ قم.

٦٠ ـ عدة الاصول: للشيخ الطوسي، منشورات مؤسسة آل البيت للطباعة والنشر، إيران.

٦١ ـ علل الشرائع: للشيخ الصدوق، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٢ ـ عوالي اللآلي العزيزيّة: لابن أبي جمهور، منشورات العراقي ـ إيران.

٦٣ ـ عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام: للشيخ الصدوق، منشورات جهان، إيران ـ طهران.

٦٤ ـ كتاب الغيبة: للشيخ الطوسي، منشورات مكتبة بصيرتي، إيران ـ قم.

٦٥ ـ فتح الباري لشرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني، منشورات دار المعرفة ـ بيروت.

٦٦ ـ كتاب الفهرست للنديم: لأبي الفرج محمّد بن إسحاق المعروف بالنديم.

٦٧ ـ القاموس المحيط: للشيخ الفيروزآبادي، منشورات دار المعرفة، بيروت.

٦٨ ـ الكافي: للشيخ الكليني، منشورات دار الكتب الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

٦٩ ـ الكامل في التاريخ: لابن الأثير، منشورات دار صادر ـ بيروت.

٧٠ ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: منشورات أدب الحوزة، إيران.

٧١ ـ كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: للعلّامة أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي فتح الإربلي، منشورات دار الكتاب الإسلامي، بيروت ـ لبنان.

٧٢ ـ كمال الدين وتمام النعمة: للشيخ الصدوق، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، إيران ـ قم.

٧٣ ـ كنز العمال: للعلّامة علي التقي الهندي، منشورات مؤسسة الرسالة، لبنان.

٧٤ ـ لسان العرب: لابن منظور، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧٥ ـ مجازات النبويّة: للشريف الرضي، منشورات مكتبة البصيرتي، إيران ـ قم.

٧٦ ـ مجمع البحرين: للشيخ الطريحي، منشورات المكتبة المرتضويّة، إيران ـ قم.

٧٧ ـ مجمع البيان: للشيخ الطبرسي، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧٨ ـ المجموع شرح المهذب: للإمام النوري، منشورات دار الفكر ـ بيروت.

٧٩ ـ محجة البيضاء: للفيض الكاشاني، منشورات جماعة العلماء بقم، إيران ـ قم.

٨٠ ـ المحاسن: لأحمد بن محمّد بن خالد البرقي، منشورات المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، إيران ـ قم.

٨١ ـ مختصر بصائر الدرجات: للشيخ سليمان الحلي، منشورات الرسول المصطفى، إيران.

٨٢ ـ مستدرك وسائل الشيعة: للشيخ الحر العاملي، منشورات مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، إيران ـ قم.

٨٣ ـ مصابيح السنة: لحسين بن مسعود الفراء البغوي، منشورات دار المعرفة بيروت.

٨٤ ـ مصباح الشريعة: للإمام الصادق عليه السلام، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٨٥ ـ مصباح المتهجد وسلاح المتعبد: للشيخ الطوسي، منشورات إسماعيل الأنصاري، إيران.

٨٦ ـ المصباح المنير: للفيومي، منشورات دار الهجرة، إيران ـ قم.

٨٧ ـ معاني الأخبار: للشيخ الصدوق، منشورات جماعة المدرسين، إيران ـ قم.

٨٨ ـ معجم البلدان: للشيخ الحموي الرومي البغدادي، منشورات دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٨٩ ـ مفاتيح الغيب: لصدر الدين الشيرازي، منشورات مركز الثقافي، إيران.

٩٠ ـ مناقب آل أبي طالب: لأبي جعفر رشيد الدين محمّد بن علي بن شهرآشوب المازندراني، منشورات مؤسسة انتشارات علامة، إيران ـ قم.

٩١ ـ من لا يحضره الفقيه: للشيخ الصدوق، منشورات دار الكتب الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

٩٢ ـ الميزان في تفسير القرآن: للعلّامة الطباطبائي، منشورات إسماعيليان، إيران ـ قم.

٩٣ ـ نور الثقلين: للعلّامة الحويزي، منشورات دار الكتب العلميّة إسماعيليان، إيران ـ قم.

٩٤ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر: للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمّد الجزري، ابن الأثير، منشورات المكتبة الإسلاميّة، بيروت.

٩٥ ـ نهج البلاغة: للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، تحقيق صبحي صالح، منشورات دار الهجرة، إيران ـ قم.

٩٦ ـ الوافي: للفيض الكاشاني، منشورات مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام، اصفهان ـ إيران.

٩٧ ـ وسائل الشيعة: للشيخ الحر العاملي، منشورات المكتبة الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

* * *